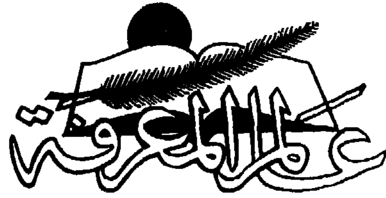
عالم المعرفة

١٧٣

المعتقدات الدينية لدى الشعوب

المشرف على التحرير: جفري بارندر
ترجمة: د. إمام عبدالفتاح إمام
مراجعة: د. عبدالغفار مكاوي

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

المعتقدات الدينية لدى الشعوب

المشرف على التحرير: جفري بارندر
ترجمة: د. إمام عبدالفتاح إمام
مراجعة: د. عبدالغفار مكاوي

١٧٣ ـ ذو القعدة ١٤١٣ هـ ، مايو/ آيار ١٩٩٣ م

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
فاكس: ٤٨٧٣٦٩٤ ، ص. ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الكويت 13100

المحتوى

رقم الصفحة

مقدمة بقلم المترجم

إذا كان أرسطو قد عرّف الإنسان بأنه «حيوان ناطق» أي مفكر فقد عرّفه غيره من الفلاسفة بأنه«حيوان متدين» فذهب هيجل ، مثلا إلى «أن الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين ، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق»(١) ، ذلك لأن التدين عنصر أساسى في تكوين الإنسان ، والحس الدينى، إنما يكمن في أعماق كل قلب بشرى ، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء»(٢) .

ولعل هذا ماحدا ببعض صوفية الإسلام ـ كالجُنيد وابن عطاء الله السكندرى وغيرهما، إلى القول بأن الإيمان فطرى في النفس البشرية ، التى كانت سابقة في وجودها على البدن ، وأن البدن هو الذى حجب الإيمان ومنع ظهوره ، وهي فكرة لخصوها فيما سموه« بالميثاق الأعظم» مستندين فيها إلى قوله تعالى « وإذ أخذ ربك من بنى آدم . ، من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بركم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» . (الأعراف آية١٧٢) .

واذا سلمنا بأن الحس الدينى جزء أساسى في تكوين الإنسان وأنه موجود بدرجات متفاوتة عند الناس جميعاً ، فقد يكون مطموراً عند من يحاول أن يحجبه أو يمنعه من الظهور بل ربما يجحد وجوده(٣)، وقد يكون عارماً وطاغياً عند الصوفى

---

(١) هيجل «موسوعة العلوم الفلسفية» ص ٤٧ـ٤٨ ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام ، دار التنوير بيروت عام ١٩٨٣ ، ط ١ دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٥ ط٢ .

(٢) ولترستيس « الزمان والأزل مقال في فلسفة الدين» ص٤٠ ترجمة الدكتور زكريا إبراهيم ومراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر بيروت عام ١٩٦٧ .

(٣) العجيب أن كلمة «الكفر » في اللغة العربية تؤيد هذا المعنى! فكفر يعنى غطّى وستر ، والكافر : الزارع لستره البذر بالتراب ، وهو الليل المظلم لانه ستر بظلمته كل شيء وبهذا المعنى يكون «الكافر»بالمعنى الدينى ـ هو الذي يغطى ايمانه ويحجبه ويمنعه من الظهور ، قارن مثلا «لسان العرب لا بن منظور» المجلد الخامس ص ٣٨٩٩دار المعارف بمصر ــ والمعجم الوسيط «المجلد الثانى ص ٧٩٧.

العظيم الذى يرى الفعل الإلّـهى في كل حركـة كونية من حبة الرمل في الصحراء إلى نجوم السماء ــ فلابد أن نُسلم بـالتالي أن تفسير هذا الحس الـدينى قد خضع لنفس التطور الـذي خضع له الإنسان، فاختلف وفقـا لمراحل كثيرة لارتباطه ارتباطـاً وثيقا بالإطار الثقافي الذى وجد فيه(١).

ومن هنـا نشأت كثـرة من الـديانات منـذ أن دب عـلى ظهـر الأرض إنسـان، فكانت الأسـاطير والخرافات والسحر والشعـوذة ومحاولة السيطرة على القـوى الخفية والتقـرب إليهـا بـالأضـاحى والقـرابين. ممـا يـزخـر بـه تـاريخ الشعـوب في الشرق والغرب، على حد سواء! ثم ظهرت الديانـات البشرية من زراد شتية إلى كونفوشية إلى بوذية وجينية . . إلـخ ـ حتى نزلت الديانات السماويـة الكبرى: اليهودية والمسيحية والإسلام.

ولقـد دأب المسلمون إبّـان ازدهار حضـارتهم، على دراسـة الديـانات البشريـة المختلفة القريبة منهم والبعيدة على حد سواء. لأنهم أدركوا في هذا العهد المبكر ذلك الأثر القوى الذى يتركه الدين في نفوس الناس وسلوكهم حتى قيل إن دراسة العقائد والشعائر الـدينية يمكن أن تكشف عن طبـائع الشعوب والأمم. وهكـذا سافـر أبو الريحان البيرونى (في القرن الخامس الهجرى) إلى الهند وقضى فيها أربعين عاما يدرس أولاً لغتها القديمة ــ السنسكريتية ويُتقنها إتقانا يجعله يترجم إلى اللغـة العربية عدداً من المؤلفـات السنسكـريتيـة كما يترجم إلى السنسكـريتيـة كتاب «أصـول الهنـدسـة» لإقليدس والمجسطى لبطليموس(٢). ثم يكتب كتابه العظيـم «تحقيق ما للهند من مقولـة، مقبولـة في العقل أو مـرزولة»(٣). الـذي أتمه في المحـرم من عـام ٤٢٣هـ (١٠٣١م). ولم يكن الكثير ممـا يضمـه هـذا الكتـاب القيم جـديـدا على المسلمين فحسب، بل كـان كذلك حتى بـالنسبة للثقـافة الأوربيـة في العصور الحديثـة على مايشير المستشرق الألمانى إدوارد سخاو ناشر الكتاب.

(١) قارن مقالنا «الخبرة الدينية والايمان» في مجلة الفكر المعاصر العدد ٦١ مارس ١٩٧٠.

(٢) قارن ول ديورانـت قصة الحضارة المجلد الثالـث عشر ص١٨٦ ترجمة الأستاذ محمد بـدران ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

(٣) قام على نشر هذا السفر العظيم عام ١٨٨٧م المستشرق الألمانى إدوارد سخاو **E.Sachau**.

وبعد ذلك بفترة وجيزة كتب الشهرستانى أشهر كتبه «الملل والنحل» الذى يؤرخ فيه لأديان عصره بمنهج علمى دقيق ، حتى إنه اشترط على نفسه في مقدمة الكتاب أن يتجنب التعصب والميل مع الهوى! يقول «شرطى على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم ، دون أن أبين صحيحه من فاسده ، وأعين حقه من باطله ، وإن كان لايخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل[1] ». بهذه الروح العلمية الموضوعية كتب الشهرستانى عن المجوس واليهودوالنصارى والمسلمين ، كما كتب عن الصابئة ، وعبدة الكواكب. وعبدة الأوثان ، وعبدة الماء ، ومعتقدات الهنود لاسيما البراهمة ، فأصبح كتابه دائرة معارف للديانات في عصره (القرن السادس) رغم أنه أراده في البداية «مختصراً يحوى ماتدين به المتدينون وانتحله المنتحلون ، عبرة لمن استبصر ، واستبصاراً لمن اعتبر[2] ». على مايقول هو نفسه في المقدمة ، لكن هذا المختصر طال حتى زاد عن خمسمائة صفحة ، ولايزال حتى الآن مرجعاً لاغنى عنه لكل من يهتم بتاريخ الأديان ، حتى إنه ترجم لأهميته إلى بعض اللغات الأجنبية!

وهناك الكثير من الكتب الأخرى التى كتبها المسلمون عن الديانات والملل[3] ، فضلا عما كتبوه في ثنايا الكتب التى تؤرخ للفرق أو لأحداث التاريخ.

وكتابنا هذا عن «المعتقدات الدينية بين شعوب العالم» ، يواصل مابدأه الأقدمون في تراثنا العربي في التعريف بديانات العالم ، وهو في أصله الإنجليزى كتاب ضخم لايتحمله حجم السلسلة لهذا اختارت منه هيئة التحرير فصولا منوعة بلغت عشر فصول هى التى تؤلف هذا الكتاب ، وهى تبدأ حيث يتحدث الفصل الأول عن الدين في بلاد ما بين النهرين ، أما الثاني فهو عرض لديانة مصر القديمة واختارت من الحضارة الأوربية ، ديانة اليونان وديانة روما في الفصلين الثالث والرابع ، ولما

(١) الملل والنحل ، ص٢٣ طبعة مصطفى الحلبى عام ١٩٦١ .

(٢) المرجع نفسه ص١٩ .

(٣) منها مثلا ما كتبه «ابن حزم» في كتابه الشهير «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وإن كان قد وقف من المخالفين موقف المهاجم!

كان للديانة الإيرانية القديمة أثر قوى في ديانات الهند ، فقد تحدث عنها المؤلف (الفصل الخامس)قبل أن يقف وقفة طويلة عند الديانات الكبرى في الهند ، الهندوسية (الفصل السادس)والسيخ (الفصل السابع) ثم درس البوذية وحدها (الفصل الثامن) دراسة مستفيضه لأنها رغم كونها ديانة هندية فإن أثرها خارج الهند كان هائلاً في التبت ، والملايو وكوريا وسرى لانكا ، . فضلا عن أنها قامت بدور هام في تاريخ الديانة الصينية وهو موضوع الفصل التاسع والديانة اليابانية وهو موضوع الفصل الأخير.

ومعنى ذلك كله أن الهيئة حذفت بعض فصول الكتاب في أصله الإنجليزى حتى يجىء حجمه متفقا مع السلسلة فحذفت فصلاً عن الديانات البدائية بالفصل الأول في كتابنا وفصلاً عن «الديانة القبلية في آسيا ، وفصلا آخر عن الديانة الأفريقية وفصلاً رابعاً عن الديانة الاسترالية . . إلخ كما حذفت الفصول الثلاثة الخاصة بالديانات السماوية الكبرى : اليهودية والمسيحية والإسلام ، لأن الكتب والشروح لهذه الديانات في متناول الجميع من ناحية ، ولأننا أقدر على فهم هذه الديانات من غيرنا من ناحية ثانية .

ولقد رأينا إتماما للفائدة أن نضيف إلى الترجمة العربية معجماً بأهم المصطلحات مع شرح بسيط لكل مصطلح حتى نجنب القارىء بقدر المستطاع ـ بعضاً مما عانيناه في ترجمة هذه المصطلحات إن هو حاول التوسع في دراسة الموضوعات المطروحة .

لا بد لى في النهايةأن أوجة خالص شكرى للزميل الصديق الأستاذ الدكتور عبدالغفار مكاوي لمراجعته الدقيقة المتأنية لهذه الترجمة التى استفدت منها كثيرا .

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد .

الهرم في أول يوليو ١٩٩٢

إمام عبدالفتاح إمام

الفصل الأول
بلاد ما بين النهرين

تقدم لنـا الحضارات المبكرة في الشرق الأدنى القديم فـرصة فريدة لـدراسة نشأة الدين وتطـوره في منطقة ذات أجناس وثقافـات مختلطة ظهرت فيها فيما بعـد ديانات التوحيد الكبرى : اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام التى تدين جميعها ببعض الدين ، للمـراحل المبكـرة في الفكر الـدينى في بـلاد مـا بين النهـرين موطن السـومـريين ، والبابليين ، والآشوريين .

ولقد كشف علماء الآثار عن بقايا أقـدم المستوطنات القروية (جيرموJarmo في العـراق ، كـاتل هييـوكCatal Hüyük في تـركيـا ، وأريحا في فلسطين) التى كـانت موجودة بالفعل في الألف السابع أو السادس قبل الميلاد ، وفي الألـف الرابع تعلمت مجموعات كبيرة من النـاس في جنوب بلاد مابين النهـرين (العراق الحديث)التحكم في مياه نهر دجلة والفرات ، وري السهول المحيطة بهما ، وهذا التحكم في البيئة مكّن المدن من الاستقرار على ضفاف الأنهار ، والقنوات الرئيسية .

ومنذ عصـور ما قبل التـاريخ ، وهؤلاء النـاس على وعى بـالقوى الروحيـة التى يعتمد عليهـا وجودهم ، وتشهد على ذلك بقـايا المعـابد والهياكل وأمـاكن التضحية وتقديم القـرابين ، والتماثيل الرمزية الصغيرة ، وتماثيل الآلهة وعـادات الدفن ، ومع ظهور الكتابـة التى وجدت أولا في أورك Uruk(أوآرك Erech)[1] ، حوالى سنـة ٣٠٠٠ق . م ، ظهر مصدر جديد من الشواهد التى زودتنا بما يقرب من نصف مليون

(١) أوروك (وهي المساة آرك في التوراة والمعروفة الآن باسم الوركاء) مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين على الفرات بالقـرب من مدينة أور ، كانت عـاصمة بابل السفلى ، وكشف التنقيب عن معبـد «نانا» ، وهو مبنى على قمة هرم غير منتظم من ثلاث درجـات «زيجورات» وكان جلجامش هو الملك الخامس عليها بعد الطوفان (المترجم) .

وثيقة مكتوبة على الطين ، وكذلك بألواح الكتابة التى استخدمت العلامات المسمارية مما جعل من الممكن تتبع تطورهم الفكرى حتى وصول الغزاة من الفرس والإغريق إلى هذه المناطق .

ولقد طوّر السومريون خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، وجهات نظر كان لها تأثير هائل لا على معاصريهم من السومرين الأول فحسب، بل على خلفائهم أيضا من البابليين والآشوريين والحيثيين ، والعيلاميين ، وسكان فلسطين من الشعوب المجاورة الذين اعتنقوا معتقداتهم الأساسية وكان تصورهم الرئيسى، في جوهره هو أن الكون يتسم بالنظام وأن كل ما يمكن أن يدركه الإنسان فهو انعكاس لتجلى العقل الإلّهى ولنشاط خارق للطبيعة .

والعناصر الرئيسية التى يتألف منها الكون عند السومريين هى السماء آن an[١] والأرض كي ki[٢] وتبدو الإلّهة الأخيرة أشبه بقرص الغلاف الجوى ليل Lil أو الروح ، وهم يعتقدون أن البحر الذي كان في البدء في هو السبب الأول الذي انبثق عنه الكون المخلوق وتشكلت فيه الشمس والقمر والكواكب ، والنجوم وكل يتحرك في طريقه الإلّهى المرسوم وما يحدث في السماء يحدث على الأرض، ثم ظهرت النباتات والحيوانات والحياة البشرية . .

أما الكائنات التى تعلو على الإنسان والموجودات غير المنظورة التى تتحكم في الكون الكبير وتتجسد فيه فكانت بالضرورة توصف بصفات بشرية من ذلك أنها كالرجال والنساء لها انفعالاتها الطاغية وجوانب ضعفها كما أنها تأكل وتشرب وتتزوج وتنجب أطفالا وتقتنى خدما ومنازل ، لكنها على خلاف البشر خالدة . . . «فالآلهة عندما خلقت البشر احتفظت لهم بالموت ، وأبقت الحياة في يدها» .

ولقد اعتقد السومريون ، وفقا لما تقوله عقيدتهم الدينية ، وقد بقى قائماً في

(١) يعنى هذا الاسم في اللغة السومرية الأعالى أو السماء ويعنى رمزه بالخط المسمارى الإلّه بصفة عامة ويسبق هذا الرمز كل أسماء الآلهة وآن هو الإله الرئيسى في مجمع الآلهة السومرى (المترجم) .

(٢) «كي» تعنى الأرض أو الأسفل وهي زوجة الإله آن ويظهر الزوجان معا في النصوص البابلية القديمة . ، ولقد كان «آن» إله السماء المذكر، «وكي» إلّهة الأرض المؤنثة ملتصقين في البداية ثم تزوجا وأنجبا إبنهما إنليل، وهو إلّه الجو والعواصف وسيد النسيم عند السومريين (المترجم) .

نصـوص مفصلة منذ فجر العصر البـابلى القديم حولى ١٩٠٠ق . م أن لكل موجود كونى أو ثقـافى قواعـده وقوانينه الخاصـة التى تجعله يستمر في الـوجود إلى الأبـد وفقاً للخطة التى وضعها الإلـه الذى خلقه ، وهى تسمى «مهme » بالسومرية[1] وهناك قـائمة (مـه) وتشمل (السيادة ، الألـوهيـة ، التاج ، العـرش ، الملك ، الكهانـة ، الحقيقة ، . الهبوط إلى العـالم السفلى والصعود منه ، الفيضان ، الأسلحـة ، المعاشرة الجنسية ، القانون ، الغنى ، الموسيقى ، القوة ، العدوان ، . الأمانة ، تدمير المدن ، الصناعات المعـدنية ، الكتابة ، الصنـاعات الجلدية ، البنـاء ، الحكمة ، الخوف ، الـرعب ، الصراع ، السـلام ، الضجـر ، الانتصـار ، القلب المضطـرب ، الحكم (القضاء)» غير أن هذه التناقضـات الظاهـرة في تعدد الآلهة Polytheism لم يكـن يثيـر قلـقا عنـد رجال الدين السومرين ، . وعندما حل عصر فاره Fara [2] (حوالى ٢٥٠٠ق . م) وضع السومـريون مئـات الأسماء المقدسة ، وصنفـوا كلا منهـا على أنه إلـه ، (والإلـه في السومرية هو دينجر Dingir [3] ، وفي السامية ايل ـ و) وكتبوا هذه الأسماء مع تصديرها بعلامة لأحد النجوم ، ولكل إلـه أو إلهة خاصية مميزة ، ومناطق مسئولية محددة ، رغم أن كثيراً منها آلهة ثانوية ، لكنهم يجمعونها في أسرة تلتف حول إلـه قوى بوصفها زوجات أو أبناء ، أو موظفين أو خدما .

الحاكم الأسمى

كـان «آن . و . an-u » إله السماء في الأصل هو الحاكم الأسمـى والإلـه الرئيسى في مجمع الآلهة السومـرى ، وكان في البداية مهتما بشئـون الحكم ويرمز له بغطـاء للرأس ذى قرون علامة على الوهيته ، وكان معبده الرئيسى في أوروكUruk(الوكاء) .

---

(١) «مه» من أصعب المصطلحات في الديانة السـومرية وهي تعنى القوى الإلـهية ، وهي بهذا المعنى تشمل مؤسسات الوجود ، ونظام الكون الدنيوى والسماوى ، وبواسطتها تتحكم الآلهة في أمور العالم ؛ والقائمـة تضم مهام ووظـائف «مه» ، وقـد تزيـد عن المائة ، وهي تشمل وظائف الكهنـة والملوك مع شعائرهم بالإضافة إلى مصطلحات أخلاقية كالعدل والظلم ، ومصطلحات من الحياة الجنسية والفنية والمهنية والأسطورية (المترجم) .

(٢) فاره موقع أثرى في جنوب الرافدين والاسم السومرى القديم له هو شورباك (المترجم) .

(٣) إله الريح (المترجم) .

ولكن عندما هزمت مدينة نيبورNippur المجاورة لمدينة أوروك أصبح إلـهها إنليل Enlil الليـل Elil (سيد الغلاف الجوى والرياح)[١] وأصبح معبده الرئيسى في إكـور Ekur موضوع توقير عال. وإنليل هـو المحسن ، والجد الأول الذى يعزى إليه خلق الشمس ، والقمـر ، والنبـاتـات والأدوات الضرورية التى يسيطـر الإنسـان بواسطتها على الأرض . وتقول بعض النصوص الدينية إن إنليل هو ابن آنو Anu[٢] رغم أنه في نصوص أخرى من نسل أول زوجين إلـهين وهما أنكى Enki ونينكي Nin-ki (سيد الأرض وسيدتها)[٣] .

وعلى الرغم من أن إنليل يرتبط بمدينة نيبور«فإنه يعد الإلـه الأسمى لكل سومر، وهو يمسك بالألـواح التى سُطرت فيهـا أقدار البشر جميعا ولقـد ظلت مدينة نيبـور مـدينـة مقدسـة ومركـزا للحـج طـوال التـاريخ لبـالى ، رغم أن الإلـه مردوخMarduk [٤] استولى في أواسط الألف الثانية على مكانة إنليل ووظيفته داخل بابل ، وفي أشور كانت نينليل Ninlilزوجة إنليل ورفيقته في ذلك الوقت، متحدة مع الإلهَه العظمى إنينInninالسومرية التى تسمى شعبياً إينانا Inanna(٥) سيدة السماء

(١) إنليـل Enlil هو إله الهواء والعـاصفة عند السومـريين، واسمه يعنى في اللغة السومـرية «سيد النسيم» وهو يأتي في المرتبـة الثانية بعد آنو إلـه السماء ورئيس مجمع الآلهة، إلا أن قيام «إنليل» بتنظيم الكون وإخراجه من لجة العماء أعطاه أهمية كبرى في مجمع الآلهة، فحـاز لنفسه ما كان لأنو من هيبة، وكذلك بعد أن قام بفصل السماء عن الأرض بعد أن كـانا ملتصقين. واستمر إنليل فيما بعد عضوا في مجمع الآلهة البـابلي، ولكن في مـركـز ثـانـوي لأن مـردوخ استـولى على المركـز الأول في ذلك المجمع (المترجم).

(٢) هو الإلـه آن An السابق ذكره الذي يعنى في اللغة السومرية السماء، وهو يلفظ بالأكادية آنوم أو آنو (المترجم).

(٣) انكى هـو سيد الأرض ويقـابله في الأكـاديـه اسم (أيا)، وهـو إلـه الحكمة والتعـويذات وسيـد محيطات المياه العذبة في جوف الأرض، وبذا يكون الإلـه أنكى هو إلـه الخير والعذوبة ومانح الخصب ومفجر الينابيع وزوجته نينكي. وإنكى هو الذي يدير شؤون القوى الإلـهية «مه» وبذلك يدير شئون الكون ويحدد نظامه (المترجم).

(٤) يبدو أن اسمه في الأصل «مـار ـ دوكو» أي ابن الإلـه «دوكو» ويذكـر حمورابى أنه ابن الإله انكى وهو إله مـدينة بابل، ثم صعـد إلى قمة مجمع الآلهة البابلية لأسبـاب سياسية خالصـة، فبعد أن كان إلـها هامشيا أصبح الإلـه القومى للشعب البابلى في عهد حمورابى (المترجم).

(٥) إينانـا Inanna إلـهة الحب والخصب عند السومريين، اختارت أن تهبط درجات الموت السبع في العالم السفلى، فكان في نزولها غياب لمظاهر الخصوبة في التربة، وغرس الأشجار، وموت النبات، وفي صعودهـا بعد أن قهـرت الموت انتعاش لقوى الخصـوبة الممثلة فيهـا وانبثاق الخضرة والحيـاة في مملكة النباتات انظر في أسمائهـا المختلفة وأماكن عبادتها وانتشار طقوسها «قـاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين» لادزارد وبوب وروليـنغ وترجمه محمد وحيد خياطة ص٥٣ ـ ٥٨ (المترجم).

وهى عشتار عند البابليين . [١] .

وثـالث قادة مجمع الآلهه(رغم أنـه لم يكن لدى السـومرين أى تصـور عن تثليث الآلهة) هـو إنكى Enki (إله العالم السفلى) المعـروف أيضـا بـاسم «ايا Ea » إلـه الأعماق [٢] فقد حكم المياه في بدايتها وتُعزى إليه الحكمة كلها ، وفي مقابل استعلاء «آنو» وانليل [٣] وغطرستهما نجد أن «أيا Ea » كان محبوبا من البشر ومن رفاقه الآلهة في آن معاً . ولما كـان يعلّم جميع الإسرار فقد علّم الإنسان الأول جميع الفنون الـلازمة للحياة والتقدم، وهو الذي عرف بخطط الآلهة [٤] ، ولذلك فقد كان الناس يعودون إليه ليستـوضحوه بعض الأسرار الملغزة عليهم ، فلهذا أصبح فيما بعـد راعى السحرة والحرفيين ، وكـانت مـدينة إريـدو Eridu على الخليج العـربى هى المركـز الـرئيسى لعبادته .

وكـان ابنـه مـردوخ Marduk هو الـذى عهد إليه بـرئاسة مجمع الآلهه كلـه عند البابليين عندما كانت مدينة بابل هى مركز الدولة (أو السلالة) القوية التى سيطرت على معظم بلاد مابين النهرين ، وفي ذلك الـوقت كان الإلـه «نابو Nabu » [٥] ابن مردوخ وهو راعى العلم ، لاسيما الفلك وفنون الكتابـة قد ظفر بمناطق جديدة تحت سيطرتـه سواء في بـابل أو في المدينة المجاورة لها التـى يوجد فيهـا معبده وهى مـدينة «بورسيبـاBorsippa » ويرجع صعود نجم الإلّه مردوخ من نـاحية إلى مدرسة دينية ألفت التراتيل والصلوات لتمجيده ثم أضافت الفصل الثاني عشر والأخير إلى ملحمة الخلق «الكـلاسيكيـة» لكى تجمع لـه النعـوت والألقـاب التى يـوصف بها الآلـهة

(١) تتخذ الإلهة «إينـانا» عند البابلين اسم «عشتـار» وهي تهبط إلى العالم السفلى لتحريـر زوجها تموز الأسير هناك . وذلك عكس «إينانـا» التى أرسلت زوجها «دوموزي» للموت مكـانها بعد أن صعدت من ذلك العالم ، وذلك كشرط أساسى لتحريرها . (المترجم) .

(٢) لفظ «أيا» هو الاسم الأكادى للإله أنكى السومري . (المترجم) .

(٣) انليل هو ابن الإلّـه آن أو آنو إلّـه السماء وزوجته هي الإلّـهة يننليل أو الإلّـهة الأم التى تبرز في نصوص العصر البابلى القديم كما سبق أن أشرنا . (المترجم) .

(٤) كان يُـطلع البشر على خطط الآلهة ومن هنا فقـد أفشى للإنسـان سر الطوفـان ، كما علم الناس طقوس التعاويذ (المترجم) .

(٥) هو إلّـه الحكمة فهو إلّـه الكتابة وحامى حمى الأدباء والمدافع عنهم ، وبهذا اكتسب صفة الحكمة ويرمز إليه ، عادة ، بالقلم وهو المذكور في التوراة باسم نبو (المترجم) .

الخمسون الرئيسيون جميعا . وهكذا نجد في قوائم الآلهة إلهًا مثل حدد adad[١] يقال عنه إنه «مـردوخ» الذى ينزل المطر وإلـه القمر سنSin[٢] على أنـه «مردوخ الـذى يضيء الليل» ولقـد سعـت هـذه الجماعــة عن طريــق عمليتـــى التوفيـــق بين المعتقـدات والحماس العالى إلى فرض نوع من الوحدانيـة Monotheism » ولكنـها لم تنجـح قط لأن الآلهة المحليـة كـان لايـزال لهم أنصـــار متعلقـون بهم رغم تـوقيرهم «لمردوخ» بقدر توقيرهـم لــ « انليل» من قبل على أنه بعل Bel(أو السيـد)[٣]ولقـد قامت هذه الحركة بدورها في زيادة تبسيط مجمع الآلهة .

وهناك إلـهة رابعة هى ننخرساجNinhursag أو نينماحNinmah(السيدة المبجلة أو الأم الأرض الأصليـة)[٤] . وهى ترتبط في الفكر السومـرى«بانليل» و«ايا» في خلق الجنس البشرى .

٢ ـ النجوم والكواكب :

هناك مجموعـة ثانية من الآلهة تتألف من القمـر (وهو نانارNannar عنـد السومـريين وكذلك ســين) ، والشــمس(أتو Utuعند السـومريين وشــاماس أو شــمس عند الساميين) ثم هناك الكواكب الـرئيسية ونجمة الصباح عشتارIshtar(وهى كـوكب الزهرة فينوس Venus)والقمر في قاربه الهلالى (على شكل الهلال)يعبر السماء المظلمة بـانتظــام ، . ويقسم الســـنة إلى أشـــهر كـل منهـا ثـلاثــون يـومـا ، أمــا الإلـه « . . . نـانارNannar» فهو ابـن آنو Ane (أو ابن إنليل عند آخـرين) وزوجته ننجال

(١) «حدد» إلـه المطر والصواعق والسحاب والرعد ، وهـو بصفة عامة إلـه الطقس يكتب أحيانا أدد (المترجم) .

(٢) لفـظ سن هو اسـم القمر في اللغة الأكادية ويقال إنه ابن الإلهين إنليل ونينليل وقرينته هي الآلهة ينجال وولداها الرئيسيان (أنانا ـ عشتار) و(أوتو ـ شمش إله الشمس) . (المترجم) .

(٣) هو إلـه المطـر والسحاب وكل مظاهر الخصب ويختلط أحيانا بـ «حدد» وتحت هذا الاسم دخل مجمع الآلهة البـابلي ، وبعل هو السيـد (وهو في اللغـة العـربية الـزوج) ، وفي التنزيل «أتـدعون بعـلا وتذرون، أحسن الخالقين» . الصافات ١٢٥ (المترجم) .

(٤) ننخرساج هي الأرض ـ الأم عند البـابليين ، انبثق عنها كل الأحياء من نبات وحيوان وبشر، وهي النمـوذج الأمـومى الأول ، واسمهـا السـومري «كي» ـــ كما سبق ـــ ولها ا أسماء أخرى منهـا «ننماخ» و«ننتو»و«امامي» و«ماما» (المترجم) .

أما إله الشمس والإلــهة الرائعة «انانا Inanna »[1] Ningal ويقع معبده الرئيسى في مـدينـة أور Ur وحران أمـاشاماش أو شمش أو الشمس فهو يعبر السماء يـوميا بعربتـه مبدداً الظلام والشر ، بينما يـوزع أشعته بالتسـاوى على جميع الموجودات على نحو صـارم وبلا تفـرقة ، وفي الليل يعبر العالم السفلى ، ويـواصل دورته ، بـوصفه القاضى الأكبر و«إله القـرارات» وكان يرمز له في بابل بـالشمس ذات الأشعة الأربعة في حين أنهم كـانوا يصـورونه في آشـور بقرص الشمس المجنح ، وعلى الـرغم من أن المراكز الرئيسية لعبادته كانت تقع في مدينة سيبار Sippar ولارسا[2] Larsa وكان هناك هيكل واحد على الأقل مخصص لعبادته في كل مدينة من المدن الرئيسية .

ولقد استـولت الإلـهة العظيمـة «عشتار» [3] بـالتدريج على وظـائف كثيرة من الإلهات الإناث السابقات وأصبح اسمها مـرادفاً للفظ «الإلـهة» في حين أنها كانت هي نفسها راعيـة الحرب والحب في آن معاً ، ويمكن أن نـراها في تعبير الفنـون عنها وهي تقف سيدة للمعـركة مسلحة بالقوس والـرمح وترتدى قلادتها الـلازوردية وهى تضع قـدمها على رمـزهـا : الأسد . أمـا بوصفهـا إلهة الحب فقـد كانت في العبـادة الشعبية ـ تعبد في جميع أنحاء البلاد وتحت صور محلية مختلفة .

---

(١) ننجال : إلـهة سومـرية يعنى اسمها «السيدة الكبرة» ، وهي زوجة إلـه القمر السـومرى «نانا» أو ننار ، والأكادى «سن» وأم إله الشمس . أمـا «أنانا» فهى أيضا إلـهة سومرية تـدعى في اللغة الأكادية «عشتـار» . وأصل الاسم في اللغة الســومريـة «نين ـ أنـا» ويعنى سيدة السماء . ومن الأسماء الأخـرى الثانـوية «أنين» وتدعى بصفتهـا إلـهة الزهـرة «فينوس» نينسيانـا ـ راجع في ذلك كله «قـاموس الآلهة والأساطير في بلاد الـرافدين» تأليف . إدزارد وترجمه محمد وحيد خيـاطة ص ٥٢ و٥٣ وأيضا ص١٣٦ (المترجم) .

(٢) مدن قديمة في بابل على نهر الفرات (المترجم) .

(٣) إلهة شعبية انتشرت عبادتها في العالم القديم كله وهـي إلـهة الحب والحرب معا . وقد ذكرتها أسفار العهد القديم بالصفتين معا الأولى حيث توضع أسلحة شاؤول وأبنائه التي غنموها في الحرب في معبد الإلـهة «ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروث وسمروا جسده» . صموئيل الأول ٣١ : ١٠ . وكان سليمان يقدسها بـالصفة الثانية وبنى لها معبـدا شرق القدس فقد : « أحب الملك سليمان نسـاء غريبة كثيرة . فأمالت نساؤه قلبـه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الـرب . فذهب سليمان وراء عشتاروث . . فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إلـه اسرائيل . . لأنهم تركوني وسجدوا لعشاروث» . سفر الملوك الأول ١١ : ١ و٤ و٥ و٣٣ كذلك : «المرتفعات التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتاروت (الملوك الثاني ٢٣ : ١١) ومـازال هذا المعنى الجنس في اللغة العربيـة : عشرت الناقة وأعشرت حملت . وعُـبدت هذه الإلـهة عند اليونان باسم أفروديت وعند الرومان باسم فينوس (المترجم) .

ويوجد معبدها الرئيسى في مدينة نينوى كما انتشرت عبادتها من هذه المدينة تجاه الغرب ، حيث عرفت إلّهة الحب والخصب باسم عشتار إربيل ، وكان ينظر إليها على أنها ملكة السماء وبهذا الاسم جذبت نساء اليهود(١) . وهى تعبد عند السومريين باسم عناة Anat وعند العرب اسم عثتر Atar(٢) وعند اليونان باسم عشتارت (٣) ، وعند المصريين باسم إزيس Isis ولقد كان يوجد في بابل وحدها مائة وثمانون معبداً على جانب الطريق في الهواء الطلق حيث كان من الممكن التوجه إليها بالصلاة أو تقديم النذور. ووفقا لما ترويه نصوص التراث البابلية فقد هبطت عشتار ذات مرة إلى العالم السفلى وهي تبحث عن حبيبها المفقود « دموزى Dumuzi أو تموز Tammuz (٤) ونتيجة لهبوطها هذا توقف الخصب والاخصاب في البلاد ، وكانوا يربطون في علم التنجيم بينها وبين نجمة السماء ونجمة الصباح (فينوس Venus).

وهذه الآلهة السبعة الرئيسية كان يخصص لها حجرة داخلية صغيرة في مجمع الآلهة وهي الآلهة السبعة التى تحدد مصائر البشر جميعا يساعدها خمسون روحا عظيما(آنوناكىAnnunaki وأجيجى Igigi)(٥) الذين يحددون مجتمعين القوى الروحية التي تعمل تحت الأرض وفوقها .

---

(١) قارن العهد القديم «الأبناء يلتقطون حطبا ، والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكا لملكة السماوات» إرميا ٧ : ١٨ وأيضا ٤٤ : ١٩ . (المترجم).

(٢) عبدها عرب الجنوب في اليمن كإلّة ذكر باسم عثتر أو «إلّه نجم الصباح»، وقد ذكرت أيضا في أسفار العهد القديم باسمها العربى (المترجم).

(٣) كانت تعبد عند اليونان باسم أفروديت Aphrodite ويرى بعض الباحثين أنها تحريف يوناني للاسم السامي عشتروت وهي ربة الخصب (خصب الأرض وخصب المرأة). وبالتالى ربة الحب. انظر مثلا «التاريخ اليوناني» جـ ١ ص٢٧٩ للدكتور عبداللطيف أحمد على. (المترجم).

(٤) دوموزي وهو اسم سومرى يعنى «ابن شرعى» وانتقل إلى اللغة الأكادية بلفظ تموز كما عرف بهذا الاسم في الروايات الآرامية وأسفار العهد القديم. وقد روى جيمس فريزر، الصور المختلفة لعلاقة دوموزى أو تموز أو أدونيس بعشتار أو عشتاروت أو أفروديت في كتاب «أدونيس أو تموز، وهو قسم من الجزء الرابع من كتابه الضخم الغصن الذهبي»، وترجم هذا القسم إلى العربية جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية بيروت ١٩٨٢ . (المترجم).

(٥) احتفظ الأكاديون باسم «انوناكي» ليطلقوه على إلّهة العالم السفلي مقابل «اجيجى» أو آلهة السماء السبعة العظام وهي المسماه بإلّهة المصير. (المترجم).

٣ ـ ركوب العاصفة :

أما آشـور فقد كـانـت آلهة أخرى مـوضع توقير وتبجيل عنـدها فإلـه الجو«حدد» يركب العـاصفة مطيتـه الرمـزية ، وهـو يرعد كـالثور ، ممسكـا في يده بشـوكة البرق الثلاثيـة . وعلى الرغم من أنـه كان يجلب الخراب والـدمار عن طـريق مايسـوقه من فيضانـات فإنه كـان أيضاً شخصية محبـوبة تجلب الـرخاء عن طـريق المطر. ومع أن عبادته كـانت في بابل وآشور ، فإنـه كان أكثر شعبية في المدن السـورية كثيرة التلال حيث كان يسمـى «رامان Ramman أو ريمـونRimmon(المرعد) أو يعـرف باسـم «حدد» أو آدو Addu» أو باسمه الحيثي تشوب Teshub .

ولقـد احتاجت آشور باستمرار ، لتـأكيد وضعها السياسي والاقتصادي أن تقوم بحملات عسكرية مستمرة لتبقى على طـرق تجارتها مفتوحة عبر التلال والصحارى المحيطة ، ولهذا لايدهـشنا أن نـرى آلهتها تتسم في الأعم الأغلب بسمات عسكرية ، وذلك مـثل «نينـورتاNinurta »[١] إله الحرب والصيـد وربما كان هو نفسـه نمرود Nimrod [٢] الـذى يذكره الكتـاب المقـدس ، وربما كان أيـضـا جيرسوGirsu عنـد السـومريين ، وهو أيضـا نوسـكو Nusku[٣] و جـبيل Gibil [٤] إلـه الـنار. ويـضـيف الســاميون الفـارون إلى الغــرب آلـة أخرى إلى مجـمع الآلهــة الــبابلى مثـل«أمــوروAmurru[٥] و«دجـــن Dagan »[٦] اللـذين يــبتهل إليــهما

(١) إله سـومرى يعنى اسمـه «سيد الأرض» وهو ابن الإلّـه إنليل اكتسب شخصيته القتـالية عنـدما بدأت شعوب جبلية تهدد أمن الدولة البابلية واستقرارها. (المترجم).
(٢) نمرود في الكتاب المقدس ابـن حام بن نوح وكان جبارا «نمرود الـذي ابتدأ يكون جبارا في الأرض والذي كـان جبار صيـد أمام الرب. ولـذلك يقال كنمـوود جبار صيد أمـام الرب». سفـر التكوين الإصحاح العاشر ٨ ـ ١٠ (المترجم).
(٣) نوسكو: إلّه سومـرى قديم معروف بوصفه إبن الإله إنليل وهو يظهـر في النصوص الأكادية إلّـها للضوء والنار. (المترجم).
(٤) جبيل هو إلّه النار الذي يمكن أن يكون مصدر خير أو شر وفق التأثير الذي تحدثه النار نفسها. (المترجم).
(٥) أمورو ـ وهو أيضا «مارتو» الاسم السومرى لإلّـه البدو القاطن في الصحراء، وهو أيضا إله الطقس الذي يعصف بـالمدن والقرى مسببـا الخراب. وكان السـومريون يشبهـون هجوم البـدو بالصـاعقة. (المترجم).
(٦) إلّه الشمس عنـد البابليين. وقد كان إلّــها للعدل أيضا وهو الـذي أوحى إلى حمورابي بشريعته. (المترجم).

بـأسمائهما الشخصية .

ولكل إلـه من الآلهة الكبرى صفات خـاصة يبتهل لـه عُبّاده لها أثنـاء الصلاة ، وهى في مجملهـا تشع بهاء وروعة وتخلق جـوا من الرهبـة يجعل الأنصار قبل الأعـداء يرضخون وقـد كان لكل منها أيضا تمثـاله ورمزه الذى أنفق على زينتـه بسخاء ليحل محل الإلّه نفســه . ويعرف الإلّه في الأعمال الفنيـة ، بغطاء للـرأس ذى قرون حتى لا يبدو منظره عاديا كأى رجل أو امرأة ولابـد لكل إله أن يحمل رمزاً يعين هويته مثل إلّه الشمس «وشاماش أو شمشShamash » الذى يحمل في يده منشار البت والقطع ، أو تراه واقفاً فوق حيـوان رمزى أو بحواره . » كما نجـد «مردوخ» يقف فـوق نسر له رأس حيـة أو أسـد . والإلّهة جـولا Gula[1] إلّـهة الشفـاء يمـكن تمييزهـا في الآثار الفنية من وجـود كـلبها بجوارهـا ويمـكن كـذلك تمـييز الإلّـــهة الرئيـــسية بعـدد مـعين يمكن استخدامه في كتابةأسمائهم ، آنو العدد ٦٠ ، وإنليل ٥٠ ، وأيا ٤٠ ، وسين ٣٠ ، وشمش ٢٠ ، وعشتار ١٥ .

٤ ـ حكايات وقصص :

المناقشات الفلسفية المتعلقة بأدوار بعض هذه الآلهة وقواها النسبية وجدت تعبيراً عنها في الحكـايات والقصص (الأساطير بأوسع معنى لهذه الكلمـة) وقد وضعت في الأعم الأغلب ، لتفسير الوقائـــع الكسمولوجية والمعتقدات الشـائعة ، وعلى ذلك نجد أن أسطـورة «أنانا» و «إنكى» ـ التى تـروى كيف نقلت فنون الحضارة «الــ مه» me[2] من مدينة أريدو Eridu إلى مدينة أوروك قد حاولت أن تفسر كيف أصبحت المدينة الأخيرة المركـز الروحى الأول في سومـر بفضل الإلّـهة «أنـانا» ، وهى الإلّهة الأم ذات العبادة الواسعة الانتشار، فقد زارت «أنانا» الإلّه «إنكى» المطلع على قلب الإلّهة

(١) جولا ـ ومعناها «الكبيرة» هي إلهة الشفاء ويرمـز لها بالكلب كشعار، وفي بعض الأحيان يصورونه كلبا مجنحا ذا رأس بشرى . (المترجم) .

(٢) هي القوى الروحيـة أو القوانين الثابتة للكون ومَــنْ يحصل عليها يتحكم في الأشياء ولهذا تسمى أحيانا «ألواح القدر» وقد وضعت الإلّـهة أنانا نصب عينيها الحصول عليها . (المترجم) .

ذاتها»[1] في مدينة«أريدو» فأقام لها وليمة شهية حتى لعبت الخمر برأسه فوهبها ألواح القدر «مه» التى تشتهيها ، وحملتها «أنانا» مسرعة على سفينة السماء. وعندما أفاق «إنكى» أرسل رسوله«اسيمود»Isimud ليخبر أنانا أن الإلّه غيّر رأيه وعلى الرغم من الهجمات المتكررة التى شنتها عليها وحوش المثير فقد وصلت إلى مدينتها «أوروك» بسلام في النهاية بمساعدة وزيرتها نينشوبور Ninshubur.

وظهرت الإجابة عن السؤال حول أصل العالم في أساطير مختلفة اشتركت فيها الآلهة فقد كان مولد القمر ، مثلا ، موضوع قصيدة ، في حين أن ملحمة «الاينوما إيليش»Enuma Elish[2] وهى واحدة من ملاحم الخلق عند البابليين ، وقد سميت بكلمات الافتتاحية «عندما في الأعالى »تعزو خلق السماوات والأرض إلى البطل «مردوخ» الذى حارب تعامة أو تيامات Tiamat(تنين البحر) ومعناها الحرفي اليّم أفعى الظلام وقتلها ثم شقها نصفين فانفتحت كالصدفة فصنع السماء من نصفها الأول والأرض من نصفها الثاني. وهناك ملحمة أخرى تصف تكوين الأرض بطريقة أكثر واقعية فالإلّه يربط قصبات بعضها إلى بعض ويبسط الأرض فوقها على طريقة تكوين القرى في المستنقعات الجنوبية في بلاد ما بين النهرين.

وتروى النصوص السومرية أصل الرجال والنساء بلغة الميلاد ، ففى إحدى الحكايات يعمل «آنو وإنليل» سوياً متعاونين مع الإلّهة الأم«ننخرساج» في خلق البشر.

---

(١) أنكي هو إله الحكمة كما ذكرنا ولهذا كان يسيطر على القوى الروحية «مه» وعندما زارته الإلهة أنانا في مدينة أريدو المركز الرئيسى لعبادته ، استقبلها بحفاوة بالغة وعندما لعبت الخمر برأسه وهبها ألواح القدر فأسرعت بها قبل أن يفيق من سكره ، لكنه أرسل خلفها وزيره «إسيمود» للبحث عنها في المحطات السبع التي تتوقف فيها ، وزوده بمجموعة من العفاريت ، لكن سفيرتها نينشوبور تساعدها حتى تصل سفينة الألواح المسروقة إلى شاطىء الأمان في أوروك سالمة . (المترجم).

(٢) ملحمة التكوين البابلية «الاينوما ايليش» والاسم يعنى حرفيا «عندما في الأعالى». وهى الكلمات الافتتاحية التي تبدأ بها الملحمة «عندما في الأعالى لم يكن هناك سماء . . وفي الأسفل لم يكن هناك أرض» . . لم يكن في الوجود سوى المياه الأولى ممثلة في ثلاثة آلهة هي أبسو وتعامه ومو، أما أبسو فهو الماء العذب ، وتعامه زوجته هي الماء المالح ، وأما مو فيعتقد البعض أنه الأمواج المتلاطمة وقد ترجمها أنيس فريحه مع ملحمة جلجاميش بعنوان «ملاحم وأساطير من الأدب السامي» بيروت ١٩٦٧ ، كما ترجمها فراس السواح في كتابه مغامرة العقل الأولى ــ دراسة في الأسطورة ــ سورية وبلاد الرافدين ــ دمشق ، العربى للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ ، ص ٥١ ـ ٨٩ (المترجم).

وفي رواية أخرى نجد أن «أيا Ea(١) » والإلّـهة أرورو Aruru يخلقان الإنسان من الطين بقوة الكلمة الإلّـهية ، . وتصف الملحمة البـابلية القديمة «أتراحسيس Atra-hasis ميلاد الموجـودات البشرية في شيء من التفصيل (٢) عندمـا جعل «إنليل» الإلّـهة الصغـرى تحفر القنـوات وتعمل من أجل ازدهار الـزراعة التى يعتمـد عليها غـذاء الآلهة أنفسهم ، فقامـوا بالإضراب والامتنـاع عن هذا العمل الشـاق ووصلت شكواهـم إلى آنو Anu إله السماء وبقية الآلهة . فخلقوا البشر من طين ودم بفعل من أفعال الميلاد مستخدمين الإلّــهة الأم (التى تسمى ماما Mama أو نينتـو Nintu) وتناولت الاينوما إيليش هذا الموضوع ذاته عندما ذهبت إلى أن خلق البشر عمل يخدم الآلهة ولقد قام بهذا الخلق مردوخ بعد انتصاره على تعـامة فمزج الطين بدم إلّه مقتول هو الإلّه كينغو Kingu (٣) .

٥ ـ العصر الذهبى : (٤)

تعـود إحـدى القصص السـومـرية واسمهـا «انيمكـار وإلّـه أراتـا» إلى العصر الذهبى :

«في تلك الأيام لم يكن هناك حية ولا عقرب ،

لم يكن هناك سبع ولا ضبع ولا كلب شرس ولاذئب ،

لم يكن هناك خوف ولارعب ،

---

(١) انكي في السومرية هو نفسه «أيا» في الأكادية (المترجم) .

(٢) اتراحسيس في اللغة الأكادية يعنى الرجل الحكيم ، ويبدو أنه أحد أبطال الأسطورة التي تتحدث عن خلق الإنسـان بواسطـة الإلّــهة الأم «مامي» فيغضـب انليل بسبب الضجيج الذي يحدثـه البشر ويرسل الطاعون وسبع سنين عجاف إلا أن اتـراحسيس يتمكن بمساعدة أنكى من تجنيب البشر هذه المصائب في كل مرة ، عنـدها يقرر انليل التخلص من البشر بواسطة الطـوفان . لكن أتراحسيس يبنى سفينة بناء على نصيحة الإلّـه أنكى لحفظ أرواح البشر (المترجم) .

(٣) الإله كينغو هو الذي اختارته تعامـة أوتيبات زوجا لها وقائدا لجيوشها في حربها مع مردوخ ، وبعد أن قتلها مـردوخ وسجن زوجها ، خلق الإنسان من دماء الإلّـه السجين كينغو عندما قتلـه وأفرج عن بقية الأسرى كما خلق النباتات والحيوانات . . إلخ (المترجم) .

(٤) تصور أسطورة العصر الـذهبي الإنسان في الفردوس قبل هبـوطه إلى الدنيا حيث كـان سيد نفسه وسيد الطبيعة . (المترجم) .

لم يكن للإنسان منافس ولاغريم،

كانت بلاد مارتو Martu(الغرب) آمنة مطمئنة

وكان الكون جميعه ، والناس كلهم

يمجدون إنليل بلسان واحد»

وهناك أسطورة أخرى لانكى تتحدث عن أرض الأحياء الطاهرة المشرقة أرض دلمونDilmun على الخليج العربى [1] : ها هنا كل شيء في سلام فلا مرض ولا شيخوخة ، . رغم نقص المياه العذبة ، وعندما ظهر إله الشمس ليستخرج الماء من الينابيع ،أصبح المكان جنة حقيقية ومرتعاً للآلهة الخالدين ، ثم تقوم«ننخرساج» بخلق ثمانية أنواع من النباتات وعندما أكلها أنكى كلها لعنته الآلهة ، لكنها اقتنعت في نهاية الأمر بخلق ثمانية آلهة لعلاجه ، كل إله يختص بعلاج أحد أعضاء «أنكى العليلة . [2] و قد خلقت الآلهة هؤلاء الإلهات بأن وضعتهن بغير ألم وتحمل واحدة منهن هى نينتى Ninti[3] المختصة بعلاج ضلعه اسما، يمكن أن يعنى «سيدة الضلع» أو السيدة التى تحيى وهى تذكرنا بحواء التى أُخذت من ضلع آدم على نحو ما جاء في سفر التكوين .

وينعكس التمرد البشرى على الآلهة في قصة البساتى شوكا ليتودا Shukalletuda

---

(١) تصف الأسطورة أرض دلمون بقولها «أرض دلمون مكان طاهر، أرض دلمون مكان نظيف، أرض دلمون هي الجنة» . (المترجم) .

(٢) تذهب الأسطورة إلى أن «أنكى» أخرج ماءه وسقى تربة زوجته الأرض فحول دلمون إلى جنة آلهية خضراء . ومن اتحاد الماء (أنكي) والتربة (ننخرساج) امتلأ الفردوس بالحقول والأشجار والثمار، وتظهر مجموعة من آلهات النباتات ويقوم «إنكي» بإغوائهن تاركا زوجته! غير أن ننخرساج تقوم بخلق ثمانية أنواع من النباتات العجيبة ، وقبل أن تفرح بزرعها يرسل إنكى رسوله «إيسمند» ليقطف له تلك النباتات ويأكلها جميعا . وما أن تعلم زوجته ذلك حتى تغضب غضبا شديدا وترسل على إنكي لعنة مقيمة «إلى أن يوافيك الموت لن أنظر إليك بعين الحياة» ، فتهاجمه ثمانية علل بعدد النباتات التي أكلها . لكن تخضع ننخرساج في النهاية لمشيئة الآلهة ، وتقوم بشفاء إنكى عن طريق خلق ثمانية من الآلهة يختص كل إله بشفاء أحد أعضاء إنكي العليلة . (المترجم) .

(٣) كلمة «تي» في اللغة السومرية تعني «الضلع» كما تعنى أيضا «أحيا» أو بعث فيه الحياة . أما كلمة «نن» فهي تعنى سيدة ـ انظر مغامرة العقل الأولى ـ فراس السواح ص١٩٣ (المترجم) .

الذى ارتكب خطيئـة قاتلة بأن أوقع «أنانـا» في الغواية[1] وطبقـا لما جاء في ملحمـة «أتـراحسيس Atrahasis فقد انسحب الناس مـن أعمالهم على نحو ما فعلت الآلهة الصغـرى ، وقبلهم غضب الإلـه إنليل لأن الخروج عن العمل الإلهى الـذى يقتضى تزويـد الآلهة بما تحتاج إليه ، مضـافا إلى ذلك الضجيج الذى أحـدثه تكاثـر الأعداد الهائلة من الجنس البشرى كل ذلك حرم إنليل من النـوم فأراد حل المشكلة (بالقضاء عليهم) وسلط عليهـم الطـاعون والمجـاعة والجفـاف والقحط غير أن تدخل الإلـه « أنكى» مكّن الرجال والنساء من البقاء ، وتجنب هذه العقوبات المتكررة . [2]

٦ ـ الهرب من الطوفان :

تصـور ملحمتا أتـراحسيس وجلجاميش الطـوفـان على أنه عقـاب أنزلتـه الآلهة بالجنس البشرى . ولقد ظفر البطل ، وهو إنسان ، في كل ملحمة منهما بالخلود وبقى بفضل ما قدمه له الإلـه أنكى من تحذيرات (أو الإله أيا Ea) ، وكذلك عـن طريق بناء سفينة تهرب عليها عـائلات البشر والحيونات . إن «أوتنابشتيم Utnapishtim» الملقب بـالبعيد » [3] ينبىء جلجا ميش الذى كـان قد عبر لتوه نهر الموت ، كيف هرب من الطوفان وكيف استقرت سفينته في النهاية على جبل «نصير Nisir » بعد أن اختبر انحسار الماء بأن أطلق أنواعا مختلفة من الطيور[4] . ولقد غضب الإله إنليل

(١) تروى أسطورة سومرية أن بستانيا اسمه «شوكاليتـودا» زرع شجرة تعهدها بالرعاية والعناية حتى كبرت ونشرت ظلها الـواسع على معظم أجزاء حقله ، وحـدث أن دخلت الإلهة «أنانا» البستان متعبة بعـد رحلة طويلـة قامت بها ، وغلبهـا النوم ، فـرآها البستـانى فضاجعهـا ، وتنتقم الإلـهة لنفسهـا بأن ترسـل ثلاث مصائب متلاحقة إلى بلاد سومر الأولى : تجعل الآبار تنبع دما عوضا عن الماء ، والثانية تغرق سومر بالسيول والعواصف ، والثالثة غير واضحة . قارن المرجع السابق ص١٥٧ والقاموس ص٦٢ (المترجم) .

(٢) سبق أن ذكرنا أن الإلـه إنكى هو صديق الإنسان وهو أشبه بالإلـه بروميثوس في الميثولوجيا اليونانية في مساعدته المستمرة للجنبس البشرى (المترجم) .

(٣) أوتنابشتيم «الملقب بالبعيد» هو الشخص الذي كان يبحث عنه جلجامش بعد عبوره نهر العالم السفلي ليعرف منه سر الحياة الأبدية التي وهبتها له الآلهة (المترجم) .

(٤) أرسل في البداية حمامة لكنهـا عادت ، ثم أرسل سنونو ولكن ما لبث أن عـاد ، ثم جاء بغراب وأطلقة في السماء ، فكان الغـراب بعيدا ، ولما رأى الماء قـد انحسر أكل وحط ولم يعـد . قارن ذلك بما جـاء في سفر التكوين «وحدث من بعد أربعين يوما ان نوحا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها وأرسل الغراب ، فخرج مترددا حتى نشفت المياه من الأرض . ثم أرسل الحمامة من عنـده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض . فلم تجد الحمامة مقرا لرجلهـا فرجعت إليه في الفلك فلبث أيضا سبعة أيام أخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون في فمها ، فعلم نوح أن المياه قد قلت من الأرض . فلبث أيضا سبعـة أيام أخـر وأرسل الحمامة فلم تعـد ترجع إليـه أيضا . .» سفـر التكوين الإصحـاح الثامن ٦ ـ ١٣ (المترجم) .

لأن إنسانا استطاع الهرب من الدمار ثم اقنعته الآلهة بعد جهد أن يهبه الخلود.

يقول أوتنابشتيم لجلجاميش أما الآن : فمن لأجلك سيدعو الآلهه الى مجمع مقدس حتى تجد سر الحياة الذى تسعى وراءه؟ وفي سلسلة من الاختبارات أثبت أن الإنسان العادي عاجز عن أن يظل يقظانا سبعة أيام وسبع ليال أوأن يحافظ على نبتة الحياة إذا ما حصل عليها مرة.

وهناك ملاحم أخرى تحاول أن تفسر جوانب الشذوذ في عملية الخلق، من ذلك مثلاً وجود كائنات بشرية ناقصة أو وجود بعض الشخصيات المتميّزة أو عادات البدو في أرض مارتو Martu كما كانت الكَوارث والأمراض التى جلبتها رياح الجنوب موضوعا لقصة الإلّه نينورتا Ninurta والعفريت أساج Asag عفريت الاوبئة (١) ، . وفي استطاعتنا أن نلاحظ أن جميع هذه القصص يتكرر فيها ورود تصورات معينة خاصة بالسفر أو الترحال ، والعقاب وتدخل الآلهة ونبتة الحياة ، والحاجة إلى التعبد وخدمة الآلهة .

٧ـ الموت هو قدر الإنسان :

على الرغم من وجود الكثير من الأساطير التى تـــؤكد أهمية سعى الإنسان وراء الحياة ، مثل أسطورة إيتانا Etana الراعى الذى حاول أن يرقى إلى السماء على أجنحة النسر (٢) فقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل إذ كان الموت نصيب البشر

(١) نينورتا ـ إلـه سومرى يعنى اسمه «سيد الأرض» وهو ابن الإلّـه إنليل. وزوجته هي آلـهة الشفاء «جولا». وهو يجسد الخصوبة في أقدم مظاهرها. أما «اساج» فهو عفريت سومرى يعنى اسمه «الذي يضرب الذراع» وتحول هـذا الاسم إلى «اسباكـو» في اللغة الأكادية. وكان في الأصل عفـريت الأوبئة والأمراض ثم أصبح عفريت ـ أعداء سومر ـ القاطن في الجبال. والقصة التي يشير إليها المؤلف تروى الحملات التي كان الإلّـه نينورتا يشنها ضده في الجبال (المترجم).

(٢) «إتانا» هو الملك الثاني عشر من الملوك السومريين بعد الطوفان البابلي وهو يوصف «بالراعي الذي صعد إلى السماء». وكان عقيما فنصحه إلّـه العدالة (شمش) أن يتوقف خلال بحثه عن نبتة الإنجاب عند حفرة كانت حية قد حَبست فيها نسرا وأن يحرره منها. وعرفانا بالجميل يقوم النسر بحمل «إتانا» الذي أعتقه من الأسر، على ظهره، وينطلق به تجاه السماء إلى المكان الـذي توجد فيه النبتة المقصودة، وعندما تغيب الأرض عن نـاظريه يتملك «إيتانا» الشعـور بالخوف والقلق، فيقرر الكف عن البحث والعـودة إلى الأرض، إلا أن النسر وإيتـانـا يسقطـان على الأرض. انظـر قـامـوس الآلهة ص٢٧ (المترجم).

رجالا ونسـاء بل إن دموزى Dumuzi الذى كان في الأصـل ملكا على أوروك والذي قيل إنـه تزوج من الآلهة إنـانا ، كـان لابد أن يموت . وعنـدما هبـط الى العالم السفلى راحت حبيبتـه تبحث عنـه بغير جـدوى ، وبقى دمـوزى ليحكم تلك الأرض التى لاعودة منها وعلى عكس الاعتقاد الشـائع وأيضا على عكس الافتراض الذي افترضته مجموعة من الباحثين في تفسيرهم للأسطورة وللطقوس الدينية بأنها تمثل البعث الذي يعبر عن الموت الموسمى للنبـات وعـودة الحيـاةإليـه ، على العكـس من ذلك فإن دوموزى أو تموز لم يعد إلى الحياة على الأرض مرة أخرى طبقا لما ترويه الأسطورة التالية التى تتحدث عن هبوط عشتار إلى العالم السفلى(١)

وهناك قدر من الغموض في نظرة بلاد ما بين النهرين إلى الموت والحياة الأخرى ، فالجحيم المظلـم أرالو Arallu أو الأرض الهائلةأو «دار الأشبـاح»(٢) توجـد تحت الأرض. وتبلغها أرواح المتوفين عندما تعبر بالقوارب نهر خُبرة Habour(٣) وينعكس هذا الاعتقاد على شكل القوارب التى عثر عليها في بعض القبور ، فها هنا نجد مملكة أريشكيحـال Erishkigal وزوجها نـرجال Nergal (٤)مع حاشيتهـا من الآلهة

(١) لهذه الأسطـورة الكثير من الصـور «فدمـوزى» الـراعى الـذي تختاره الإلّـهة أنـانـا عشيقا وزوجـا يصطحب عروسـه إلى بيت أهله ، وفي الطريق يلقنها آداب السلـوك وكيف ينبغى عليها أن تتصرف تجاه والديـه فتشعر الإلهة أن زوجها قـد حطّ من شأنها وقلل من أهميتها وعـاقبته الإلّـهة وتخلت عنـه وهو في العالم السفلي ، وقد عاقبت عشتار تموز أيضا في النص الأكادي لملحمة جلجامش . أما أسطورة أدونيس وأفروديت فقد كان قرار زيوس هـو الذي حكم بأن يقضى أدونيس شطرا من السنة تحت الأرض وشطرا فوقها وهو شكل آخر من الأسطورة عبّـر فيه الإغريق عن احتجاب أدونيس وعودته إلى الظهور مرة أخرى ـ قارن مثلا جيمس فريزر، أدونيس أو تموز ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ص٢٣ (المترجم) .

(٢) «آرالو» أو «أزالى» هو العالم السفلى أو عالم الأموات وهو «الوطن بلا عودة» ، وهو عالم مظلم موحش وإن كان إلّـه الشمس يقوم بـرحلة ليلية إليـه عبْـر بـوابته بعد أن يفـرغ من دورته النهـارية على الأرض ، وأشعته هي البصيص الوحيد من النور الذي يدخل إلى هذا العالم (المترجم) .

(٣) الإقامـة في العالم السفلى جبرية ، لا مفر منهـا حتى إن الآلهة نفسها لا تستطيع مغادرتـه إلا بعد أن تضمن البديل ، حتى العظماء والأبطـال من الحكام الأرضيين الذين ارتقوا إلى مصـاف الآلهة يتحولون إلى آلهة من آلهة العالم السفلى مثل جلجـامش وإتانا . وحيـاة الأموات حياة قاتمة مظلمـة غير مبهجة ويحمل إلّـه الشمس الضوء والطعام والشراب خلال رحلته الليلية . وللعالم السفلى نهر يشكل حدوده وعلى الآلهة أن تعبر سبع بوابات للوصول إليه . قارن في ذلك كله قاموس الآلهة ص١١٤ (المترجم) .

(٢) اريشكيجال هي آلهة العـالم السفلى وزوجها هـو الإله نرجـال وابنها ووزيرهـا الإله نمتـار «وحارس بـوابتهـا نتى وأمينـة سرهـا وكـاتبتهـا هى الإلّـهة بعلـة صيرى أو بلت صيرى في الـروايـة الأكـاديـة (المترجم) .

والموظفين من صرعى الحروب بما في ذلك وزيرهما أشروم[1] وإلهة الكتابة بعلة صيرى Beleterstim التى تقوم بتسجيل الداخلين وهؤلاء جميعـا يحتاجون إلى طعام وملابس وأدوات ، شأنهم شأن الآلهة الموجودة على سطح الأرض والبشر الذين يعيشـون فوقها وتعتمد مـرتبة المرء في العـالم الآخر على نشـاطه إبـان حياتـه ويتولى الحكم على أرواح الموتى إله الشمس الذى يمر بالعالم السفلى في السماء فيزودهم بالضوء الوحيد الموجود لديهم كما يحكم عليهم أيضا الإله نئار الذى يقرر نصيبهم .

يقص«أنكيدو» أحلامه على جلجامش ويصف العالم السفلي بأن الحياة فيه كئيبة مـوحشة فهى انعكـاس شـاحب للحياة على الأرض ويـروى لـه كيف سيق إلى بيت الظلام .

إلى البيت الذى لايغادره من يدخله ،

إلى الطريق الذى لاعوده منه ،

إلى المكان الذى لايرى سكانه نورا ولا ضياء .

حيث الغبار طعامهم والطين قوتهم ،

عليهم أجنحة بدل الملابس

يعيشون في الظلام فلا يرون النور.

في بيت التراب شاهدتُ الملوك ، وتيجانهم مطروحة على الأرض والأمراء

الذين حكموا في القرون الخوالى .

ملحمة جلجامش : اللوح السابع (٣٤ ـ ٤٢)

وهؤلاء النزلاء يُطعمـون ويشربون مياها باردة من زقـاق الماء وتلك مسئولية الابن الأكبر الذى عليـه أن يقوم في فترات دورية بسكب السكـائب تكريما لـلآلهة وتقديم ولائم جنـــائزية ليقيم أود الأســلاف فإذا مـارقد شخص مـــا أورروحه (اتيمو Ete

(٣) اشـوم إله أكـادى تذكـر الـروايات البـاليـة أنه بطل ومستشـار الإله نـرجـال وهو صـديق البشر (المترجم) .

mu)[1] بغير دفن أو حُرمت من المسـاندة التى يقدمها الأحيـاء فإنها تطوف بهم وتعذبهم ويدفن الملوك، كالعامـة ، في مقابر أو أسفل مساكنهم وتضم القبور الملكية في أور (٢٦٠٠ق . م) مـابين ٧٣ إلى ٧٤ من الأتبـاع والموسيقيين ، كما تشتمل على هدايـا من الجواهر ، وأوانى وأدوات مـوسيقية ومـزلجة للمدفن وحيـوانات لتجـرها (كما هو الحال في مقبرة بـوآبىpu-Abi) . وربما كانت هذه ممـارسات من أصول غير سامية مستمـدة من خارج بلاد مابين النهرين ، ومشابهة لتلك الطقـوس المعروفة في مصر . وإن كانت تشير على كل حال إلى حاجة الإنسان للتزود بالمؤن من أجل الحياة في العالم الآخر.

٨ — الديانة الشخصية :

تقـول الغـالبيـة العظمى من النصـوص التـى تـروى عن دور الملك الـرسمى في العبـادة، إنه مثل الآلهة على الأرض أو أنـه ينـوب عنها ، فقـد منحته الآلهة السلطـة لكى يتصرف نيابـة عنها ، . وهى تتـوقع منه أن يعـامل الناس بـالعدل وبـلا محاباة بحيث يدافع عن الضعيف أمام القوي، وأن يكون نصيرا لليتامى والأرامل . وقد كان يوجه الاعتبـارات الأخلاقية لما تجلبه من رضـا الآلهة وبركاتها وما يمنـع لعناتها . ولقد تـداولت الأجيـال طـرائق الحيـاة والحكم السليمـة وأيـدتها بـالنصـوص التى تقـدم التعليمات والنصائح . لقد كانوا يعتقدون أن سلامـة الملك تقوم عليها سلامة الجماعة ولهذا فإنه تتخذ إجراءات صـارمة لضمان ذلك كما أن ضمان استمرار الإنجاب يجعل الملك ، بوصفه خليفة «ديموزى» يعيد ممارسة طقوس الزواج المقدس مرة أو أكثر في عهده أما دور الآلهه فيعهد به إلى كاهنة منتقاه .

وما يقوم به الملك طوال حياته من أعمال يحكمه طقوس دينية واحتفالات تضـمن طهارتـه وتحرس شخصه وفي حـالات معينة كحـالة تـرقب نذيـر مشئوم يـوضع على العرش ملك بديل يتلقى الفأل السيء أو حتى الموت إذا كانت النبوءة تقول به .

---

(١) كانوا يعتقدون أن الميت إذا لم يدفن على خير وجه عـذَّبَ الأحياء، وإذا لم يدفن قط حامت روحه حول البالوعات تطلب الطعام (المترجم) .

ولقد حدث ذلك مرة على الأقل، في عهد أسرحدونEsarhaddopn الآشورى (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) وليس ثمة دليل عل أن الملك كان يعد نفسه إلـها ، رغم أن هناك بعض الملوك (وهم أساساً من الأسرة الثالثة في سلالة أورur)كانت توجه إليهم الصلوات والتراتيل ، وربما كان ذلك جزءا من حفلات التأبين التى تقام لهم كل عام.

ويمكن للأفراد ، إلى حد ما أن يتحكموا في حياتهم كما يفعل الملك كما أنه لابدلهم من توجيه صلواتهم إلى إلّه بعينه ، يعبدونه ويتلون التراتيل التى تمجد صفاته الإلّهية ومنجزاته وتنتهى بتسبيحه نمطية للشكر وتشمل المزامير السومرية والأكادية تراتيل موجهة إلى المعابد والمدن المقدسة . ويمكن أن تتجه الناس إلى الآلهة الشفيعة لاما Lama التى تأخذ بيد المتعبد إلى حضرة الإلّه كما يؤخذ المرء إلى حضرة الملك الجالس على عرشه ويمكن كذلك الابتهال الأرواح الحارسة «شدو Shedu» «ولاماسو Lamasu» لكن من الواضح أن المسؤولية الفردية ضرورية في الدين.

«اعبد إلّـهك كل يوم ،

وقدم له القرابين والصلوات ،

التى تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور ،

قدّم قربانك طائعا لإلّـهك ،

لأن ذلك يتناسب مع الآلهة .

قدم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم ،

وسوف تثاب على ماتفعل .

عندئذ سيكون بينك وبين الله اتصال كامل،

إن التبجيل يولد الحظوة،

والقربان يطيل الحياة،

والصلاة تكفر عن الذنب» .

(نصائح الحكمة ١٣٥ - ١٤٥)

ويستطيع المتعبد الثرى، بدلا من القيام بنفسه بالصلاة والنواح، أن يودع المعبد شيئا مناسبًا على سبيل الهدية (تمثالا صغيرا، بعض الأواني النحاسية، شاهدا أو حجزا تذكاريا Stelao خاتما، قطعة من المجوهرات، نموذجا مصغرا). وتوضع هذه الأشياء على مقربة من تمثال الإلـه لتـذكِّره بالطلب أو لتشكره على نعمة. وقد تكتب الصلوات كـذلك على هيئة رسائل توجه بطريقة مناسبة، وتكتب، عادة، في شيء من التفصيل عارضة الشكوى أو الالتماس أو الاحتجاج أو الصلاة، وإيماءات الصلاة، بالإضافة إلى الركوع والسجود، هي رفع اليدين معًا إلى أعلا، أو وضع يد واحدة أمام الفم على أن تكون راحتها تجاه الوجه.

٩ ـ العبادة:

المعبد هو بؤرة النشاط الدينى، ويعد معبد الإلـه إنكى Enki في مدينة اريدو Erido أقدم ما وصلت إليه أعمال التنقيب، وهو بناء على شكل مستطيل، في حائطه كوة يوضع فيها تمثال صغير للإلـه أو شعار مقدس وأمامها منضدة للقربان، ويقوم البناء على نموذج أقدم طراز للهياكل من أعواد القصب، ثم أعقبته مبان أرحب وأضخم وفي مبنى صومعة Cella حيث يُرفع الإلـه فوق منبر أو قاعدة في محراب داخلي مظلم ويوضع أمامه المذبح أو المنضدة وتوجد مغسلة أو بئر ماء في الساحة الرئيسية للمعبد بعد مدخله الرئيسي كما يضم المبنى أماكن جانبية للعبادة وغرفا للتخزين وفي بعض الأحيان يقوم المدخل الرئيسي للمعبد على زوايا قائمة بالنسبة للمحراب الداخلي كيما تضفى مزيداً من الخصوصية.

وأوسع المعابد وأشهرها هو معبد الإلـه مردوخ في بابل المسمى: الا يزاكيل Es-agila (أى المبعد الذى تناطح ذروته السحاب) ها هنا يقف تمثال مردوخ الضخم وأريكته التى تزن خمسين وزنه من الذهب. وبداخل المعبد قاعة ذات أعمدة تغطى جدرانها بالألواح الخشبية وكل منها داخل برواز خاص كما توجد خمس وخمسون حجرة صغيرة للعبادة منخفضة الارتفاع مخصصة لبقية آلهة المجمع. ولقد اهتم الملوك المتعاقبون بتجديد هذا المعبد وزخرفته، كما فعلوا نفس الشيء في جميع المدن التى

كانت تخضع لحكمهم.

وفي «أوروك» أقيم معبد الإلـه آنو Anu (٣٠٠٠ق.م) فوق تل صناعى يتألف من سلسلة من المنصات من الطوب النيىء تتناقص في أحجامها ويمكن الوصول إليها بواسطة سلّم. ويتطور هذا النوع من البناء من مزار صغير مقام على منصة صغيرة كالموجودة في «أوكاير Uquair» تبلغ ٤٫٥ م (١٥ قدما) فوق السهل المحيط بها. وعلى هذا النحو تطورت الزقورة السومرية Ziggurat[1] كما تطور برج المعبد.

وكانت الزقورة التى بناها أورنامو Ur-Nammu في مدينة «أور» عام ٢١٠٠ ق.م[2]. تتألف من ثلاثة طوابق حجم القاعدة ٦٠×٣٠ مترا(٢٠٠×١٠٠ قدم) وارتفاع الزقورة كلها ٢١ مترا أي ٧٠ قدما[3] ولكل طابق لون مختلف وعلى القمة يوجد مزار إلـه القمر نانار Nannar بلونه الفضى. ويروى «هيرودوت» أن برج المعبد في بابل المسمى «اتمنانكى Etemenanki (وهى تعنى: المبنى الذى هو أساس السموات والأرض) يتكون من سبعة طوابق ذوات سطوح خارجية مائلة تلتف صاعدة من طابق إلى طابق.

وقد أمكن التعرف على أكثر من ثلاثين «زقورة» تكوين بعضها غير عادي كبناء «آنو ـ حدد» المزدوج الأبراج في آشور. ولقد اختلف الباحثون في تحديد الغرض من بناء هذه الزقورات فذهب بعضهم إلى أنها تجسيد لجبل كونى أو مذبح عملاق أو عرض إلـهى ولقد قيل إن الإلّه هبط على الأرض في هذه البقعة وفي قمة المعبد تتم زخرفة عريشة خضراء تقام فيها احتفالات الزواج المقدس التى يعتمد عليها إخصاب الأرض.

---

(١) الزقورة أو الزكورة ـ تعنى حرفيا «المكان المرتفع» وهو هيكل بابلي أو آشورى يتكون من طبقات مكعبة الشكل بعضها فوق بعض تتناقص كلما علت ويحيط بها سلّم من خارجها (المترجم).

(٢) أقدم برج مدرج هو الذي شيد في مدينة أور لعبادة الإلّه العظيم انليل (المترجم).

(٣) بنيت الأبراج السومرية على هيئة طوابق متتابعة متناقصة في السعة. وتشيد الواحدة فوق الأخرى. وهذه الأبراج ذات سلالم خارجية عريضة، أو ذات سطوح خارجية مائلة تلتف صاعدة حول البرج كاللولب لصعود الكهنة والتابعين لهم للوصول إلى القمة «جورج سارتون» تاريخ العلم جـ٣ ص١٧٤ ـ ١٧٥ (المترجم).

١٠ ـ الكاهن والملك :

تحتاج العبـادة إلى مجموعـة كبيرة من الموظفين المدربين للقيام على شئونها . وكان رئيس الجماعــة اين En في البدايـة يقوم بدور الملك والكـاهن ويسكن في جناح من المبعــد (جيبــاروGiparu) ويكـون هذا الـرئيس رجلا أو امـرأة تبعا لجنس الإلّـة المخصص له المعبد ، وهكذا نجد الإلّـهه «إنانا» في أوروك يخصص لطقوسها رئيس ذكر ، أما إلّه القمـر «ننار» في أور فتقوم على خدمته مجموعة من بنـات حكام بلاد ما بين النهرين . وعندمـا انتقل الرئيس En إلى قصر دينوى وأصبح الانسىEnsi(أى الملك فيما بعد) ارتبط الدور الروحى بوظيفة حاكم المدينة الذى كان يتولى إدارة شئون الأراضى الزراعية التابعة للمعبد نيابة عن الاله ، وقد كان عليه أن يحافظ على التأدية الصحيحـة للطقـوس والاحتفـالات وهى التى يعتمـد عليها انسجـام العـلاقـة مع الإلّـه .

لكن الملك سرعـان مـا عهـد إلى كهنة مختصين (شـانجـوShangu) ببعــــض الــواجبـات الخاصــة تحت إشراف رئيس لهم ، ومَـــنْ يـدخل المحـراب(أريب بيتـىEribbiti) يصحبه أولئك الذين يقومـون بتقديم القرابين ، وصب السكائب ، والتطهير ، والمسح بالزيت ، في حين ينشغل آخرون بتهـدئة إلّـه غاضب عن طريق تـلاوة التعـاويـذ والـرقى أو عن طـريق الغنـاء والإنشـاد والموسيقى . ويعمل كهنـة التعاويذ والعرافون داخل المعبد وخارجه وكثيراً مايذهبون إلى المنازل الخاصة .

وحول المعبد توجد بيوت الخصيان ، وعبيـد المعبد ، والبغايا المقدسات ، فضلا عن جيـش ضخم من التجـــار ، والحرفيين ، والجزاريـن ، والخبـــازين ، وعمال المعادن، والفضـة ، والخشب الذيـن يقومون بـإعداد القـرابين ، وصيانة المبنـى وما يحتوى عليه من تماثيل . كما يقوم الرعاة بالعنـاية بقطعان المعبد ، والفلاحون بالحقول وقد تنـاقص عددهم بشكل ملحـوظ مع ازدياد النـزعة الدنيـوية بعـد العصر البابلى القديم كما كـان لبعض المعابد مجموعـة من الكاهنات أو الراهبـات يعشن في أديرة . ويسانـد هذا النشاط كله هيئـة إدارية كبيرة من الكتبة وأمنـاء المخازن ، والحراس .

والوصول إلى طبقات الكهنة العليا يحدده الكهنة الكبار ، ويتطلب أن يكون المرشح سليماً من الناحية الصحية صحيح البدن ، جيد التعليم .

وتحتاج الآلهة ، كالبشر، إلى مؤن منتظمة من الطعام والشراب توضع أمامها على الموائد في الصباح والمساء واللحوم المفضلة عندها هي لحوم القرابين(نيكوNiqu) .

ولابد أن يصبَّ الدم أولا في فناجين ثم تختار الأجزاء الممتازة كالرئتين والكبد لمعرفة الطالع . وتقدم إلى الآلهة الفاكهة والسمك والطيور والعسل والزبد واللبن إلى جانب الأطعمة الرئيسية كخبز الشعير والبصل ، والبلح ، أما الزيت والخمور والبخور فهي تقدم بسخاء وكل شيء يسجله الكتبة بدقة شديدة ثم تودع تقاريرهم أرشيف المبعد وتحظى التماثيل بزينات جديدة وزخارف حديثة في العيد الخاص بها .

١١ ـ الأعياد :

كانت تقام احتفالات خاصة وتقدم القرابين ، في الأيام المقدسة عند إلـه معين ، وذلك بالإضافة إلى أيام الأعياد الشهرية المنتظمة في اليوم الأول من الشهر القمرى (عندما يولد القمر الجديد) وفي اليوم السابع ، والخامس عشر (ثم أصبح فيما بعد اليوم الخامس والعشرون) وكذلك يوم اكتمال القمر (شباط)ويوم اختفائه(بوبيلوBubbulu) . ولما كان التقويم السومرى يختلف في المدن الكبرى من مدينة إلى اخرى ، فإنه يزودنا بدليل للأعياد المحلية . ففي لجش Lagash كان الشهر الأول (مارس ـ أبريل) عيد تناول شعير الإلـه «نينجرسوNingirsu »[(١)] والشهر السادس هو عيد دموزى . وفي هذه الأماكن وغيرها كانت مواسم الحصاد وجزّ صوف الغنم ترتبط بإقامة المهرجانات والمواكب .

اما العيد الرئيسي فهو عيد السنة الجديدة(Akita) عندما يُحتفل على الأقل ، في بابل وأوروك وآشور بدعوة جميع آلهة المناطق المحيطة للحضور ولقد ظلت

(١) نينجرسو: يعنى اسم هذا الإلـه في اللغة السومرية «سيد جرسو»، ويذكر ضمن أسماء آلهة مقاطعة لجش وزوجته هي الآلهة بابا . (المترجم) .

الطقوس التفصيلية باقية ومنها طقوس معظم عمليات العبادة كالقيام بعمل تمثال وكسوته ، أو وضع الأساس في بناء ما ، وتبدأ الشعائر في بابل وقت الفجر ، في اليوم الأول ثم يتبعها تقديم القرابين ثم صناعة التماثيل الصغيرة ثم يعقب ذلك ، في اليوم الرابع ، تلاوة ملحمة الخلق ، وصلوات خاصة لمردوخ وينهض الملك في اليوم التالي ليغتسل في مياه النهر الطاهرة قبل أن يدخل المعبد مرتديا كساء كتانيا جميلا ، وبعد الصلاة يفتح الباب للكنهة ويشرف على تقديم قرابين الصباح ، وينخرط الملك في صلاة طويلة مظهرا براءته وحسن إدارته .

وفي نهاية اليوم يقترب الكاهن الأكبر من الملك وينزع عنه الشارة الملكية ، ثم يصفعه على خده فإذا انسكبت الدموع كان معنى ذلك أن كل شيء على مايرام وأن «مردوخ» أبدى سروره ، فكل شيء في البلاد يسير سيرا حسنا ، عندئذ يسجد الملك وهو يصلي ، ثم يستعيد الشارة الملكية قبل أن يقدم قربان المساء وفي اليوم الثامن يتناول الملك يد بعل ليقود الإله خارج المبعد في موكب مقدس يسير خلفه الآلهة الزائرون والكهنة ، وعامة الشعب . ويقع المنزل الذي يقام فيه الاحتفال بالسنة الجديدة خارج المدينة على ضفة النهر عند المنبع ، وهم يصلون إليه عن طريق بوابة عشتار ويقطعون الرحلة في سفينة كبيرة مزدانة وهنا تقرر الآلهة مصير البلاد في السنة القادمة ويعيدون تمثيل انتصار مردوخ على قوى الشر وينتهي العيد بالاحتفال بالزواج المقدس بين «مردوخ» وزوجته «صربنيتو Sarpanit»[1] مصحوبا بمهرجان شعبى كبير.

١٢ ـ الخطيئة والعذاب :

وضع البابليون ، بما لديهم من ولع بالنظام ، قوائم بجميع أنواع الظواهر الملاحظة ، بما في ذلك الأخطاء التى تستوجب ، فيما يبدو ، القصاص الإلــهى في صورة المرض أو الاضطراب بل وحتى الموت . أما نتائج الأفعال الحسنة فكانت تسجل أيضا . وهناك نصوص من التعاويذ تصف الآثم بأنه ذلك الذي يأكل

(١) صربنيتو: والاسم يعنى في اللغة الأكادية «الفضة اللامعة» وهي زوجة «مرودخ» ، وإلـهة بابل الرئيسية المختصة بشؤون الحمل والولادة . وفسر هذا اللقب فيما بعد في اللغة البابلية (ذر بنيتو) أي بانية الذرية أو خالقة النسل «قاموس الآلهة والأساطير» ص١٠٩ ، ترجمة محمد وحيد خياطة (المترجم) .

ماحرّمه على إلّـهه أو آلهته وهـو مَنْ يقول «لا» بدلا من أن يقول «نعم» أو يقول «نعم» بدلا من «لا» وهـو من يشير بإصبعه إلى مواطن(بـاتهام باطل) وهو الذي يقـول مالا يجوز قوله وهو الذي يحتقر إلّـهه أو يسخر من آلهته وهو الذي ينطق بالباطل ولايحكم بـالحق وهو الـذي يظلم الضعيف ويباعـد بين الابن وأبيه وبين الصـديق وصديقـه ولايعتق الأسير Shurpu II 5ff).

ويكن أن تُغفر هـذه الخطايا بتلاوة تـراتيل التوبة والصـلاة أو التفجيع والنواح. كذلك يمكن التحرر منها بتقديم قربان التكفير الذى يحل فيه الحمل مكان الإنسان غير أن هذا القربان يتكلف كثيرا بالنسبة لعامة الشعب الذين يستطيعون عند الحاجة الماسة استدعاء كاهن متخصص في طرد الأرواح الشريـرة لتلاوة التعاويذ المناسبة من كتبه وعندما يكون سبب المرض مجهولا أو عندما تكون حالة المرض ناتجة من لمسة من يد الإلّـه أو الروح أو الشيطان، فإن الطقوس المصاحبة تنصب في العادة على تحويل الشر إلى شيء جـامد فينقلب إلى شيء لا حـول له ولا قوة بفعـل رمزى كربـط تمثال صغير من الطين أو الخشب للمريض المعذب أو إذابة تمثال من الشمع أمام النار كما يستدعى الكـاهن كذلك كلما كـان ذلك ضرورياً للتغلب على قوة عـدو أو السيطرة على أخطار قوى تفوق الطبيعة تتهدد بناء ما.

اما العذاب الجماعى فكان موضوع المرثيات والطقوس الدينية غير أن عذاب الفرد يخلق مشكلة، فأحد نصوص أدب الحكمة المسمى باسم السطر الأول فيه« لأمتدحنَّ رب الحكمة» (لدلولLudlul) يمكن أن يقارن بينه وبين سفر أيوب حيث إنه يصف رجلا غنيـا يفقد جميع ممتلكاته كما يفقـد صحته وربما عقله أيضا لسبب مجهـول وهو يحاول عبثـاً اكتشـاف السبب من خـلال كهنـة التعـاويـذ والـرقى وتأويل الأحـلام وغيرهم. ويتعـرض لتـوبيخ أصـدقـائه وأسرته كلما نـاجى نفسـه ليعـرف الأسبـاب الغـامضة للشر، ثم لايجد حـلا للمشكلة إلا بـالتـوجه إلى الإلّــه مردوخ بـالتسبيح والدعاء، وذلك يعنى أنه وجد الجواب في مشيئة هذا الإلّـه وهواه.

وتعالج التيوديسية(١) البابلية الموضوع نفسه في صورة قصيدة من نوع خاص

(١) دراسة التـدبير الإلّـهى في الكون وأهم عناصر التيـوديسية هو محاولة نفي حقيقـة الشر أو التوفيق بين وجود الشر ووجود العنـاية الإلّـهية، وقد أطلق علماء الآشـوريات اسم «التيوديسيـة البابلية» على أحد نصوص الحكمة البابلية المشهورة وهو نص الحوار بين المعذب والصديق (المترجم).

على هيئة حوار بين المعذب وصديقه ، فعندما يعرض الأول وجهة نظره في انتشار الظلم فإن الصديق يردُّ عليه بالحجة المعتادة وهي حجة ظاهرة التناقض تقول إنه مادام الآلهة ينظمون الكون ويسيطرون عليه فإن أساليبهم لايمكن التكهن بها ، غير أن التقوى مفيدة ، باستمرار في نهاية المطاف .

١٣ ـ التنبؤ بالغيب

على الرغم من إيمان المُعذَّب بالقضاء والقدر، فإن وجهة النظر الأكثر انتشاراً عند المفكر البابلى القديم هي أن الناس يمكنهم أن يتحققوا من إرادة الإآله مادام كل مايجرى في السماء يتكرر حدوثه على الأرض ، فما عليهم إلا ملاحظة الأدلة وفحصها حتى يعثروا على الجواب . . ولقد أدى ذلك منذ وقت مبكر ، إلى حصر الظواهر الأرضية وربطها بمواقع الكواكب في السماء ، وعندما يتكرر الحدث نفسه فإن التقارير إذا أحسن تفسيرها أخصائى كفؤ تعطينا الحدث المصاحب الذي لابد لنا أن نتوقعه سواء كان عدوا أو خصما ، أو طوفاناً أو ثورة أو موت ملك أو ماشابه ذلك . وعلم التنجيم الذى لم يشمل خريطة البروج Horoscopes [(١)] حتى القرن الرابع ق . م في بابل، هو الذى أدى إلى ظهور علم الفلك في وقت مبكر وهو العلم الذى برع فيه البابليون .

هناك طرق أخرى للتنبؤ بالغيب منها ملاحظة خصائص الكبد وغرائبه Hepatoscopy[(٢)] والرئة في الحيوان المذبوح . وكانت هي الطريقة الشائعة الاستخدام عندما تكون الدولة على وشك إصدار قرارات خاصة كالاتفاقات الدولية أو شن الحرب وكان الأطباء ، وكهنة التعاويذ، على حد سواء يسجلون الفأل السيء

(١) رسم للسماء كان المنجمون يستعملونه لكشف الطوالع (المترجم) .

(٢) كان الاعتقاد السائد في الأمم القديمة أن الكبد هو مركز العقل في الحيوان والإنسان على حد سواء . ومن هنا كانت دراسته أساسية في التنبؤ بالغيب . ولم يكن الملك يجرؤ على شن حرب أو الاشتباك مع جيرانه في قتال، إلا إذا استعاذ بكاهن أو عراف يقرأ له طالعه . بل لم يكن المواطن البابلي العادى يجرؤ على البت في أمر من الأمور إلا إذا فعل الشيء نفسه، وهي عادة قديمة سوف نجدها في معظم الحضارات القديمة كما أنها بارزة عند اليونان على نحو ما سنعرف فيما بعد (المترجم) .

من المواليد المشوهة(مبحث عجائب الموجودات Tenalology)[1] ومن علم الفراسة (دراسة ملامح الوجه) كالندبة على الوجه أو الطريقة المميزة في الكلام أو المشى، والفحص التفصيلى للمرضى يؤدى إلى تشخيص المرض وتطوراته المحتملة ومناهج البحث المستخدمة تكشف عن طرق تجريبية هي التى وضعت الأساس في الخطوات الأولى على طريق التقدم العلمى الحقيق كما يلاحظ العرافون أيضا نماذج الزيت على الماء أو تحليق الطير أو حركات الحيوان.

وهناك مجموعة كاملة من الألواح تزيد عن مائة لوح من سجلات التفاؤل والتشاؤم المأخوذة من الأحداث العامة تطور عنها علم التاريخ Historiography(أو علم تدوين الوقائع التاريخية) وكما هي الحال في معظم الممارسات الدينية فقد ارتبطت هذه الأحداث في البداية بالملك. ومن ثم فمن المفيد أن نعرف أن الشكل الأدبي لنصوص الفأل التى تقول إذا حدثت «س» فسوف تحدث «ص» كانت هي الأساس في تسجيل قانون السوابق والأحكام القضائية، فجميع القرارات التشريعية والاتفاقيات القانونية يتم التصديق عليها عن طريق القسم أمام الآلهة، كما أنها تخضع للجزاءات الإلٓهية في حالة انتهاكها. ومادام القانون والنظام يتحدان في هوية واحدة مع الحق والعدل (كيتوم وميشاروم Kittun & Mesharum) وهما من مسؤولية الآلهة والملك والبشر العادين رجالا ونساء، فقد ساد الاعتقاد بأن الحياة في مجموعها تجربة دينية موحدة.

---

(١) من الكلمة اليونانية. . Teras التي تعنى العلامة أو التنبية على أمر عجيب. فهو علم دراسة الانحرافات الخطيرة والأشكال الشائهة، والكائنات العجيبة بين موجودات العالم (المترجم).

الفصل الثاني

مصر القديمة

احتفظ علم الآثار، من بقايا مصر القديمة بالشيء الكثير الذي يرتبط بالدين أكثر من ارتباطه بالحياة الدنيوية . وهذه المادة الدينية هي في الأعم الأغلب جنائزية الطابع ، فإذا ما ورد إلى أذهاننا قبل أي شيء آخر- المقابر والأهرامات والموميات - ونحن نفكر في هذه الحضارة فلابد أن نتذكر أن هناك تاكيدا ليس في محله قد نتج بالضرورة عن طبيعة المادة المتاحة لنا ، فمعظم المدن الكبيرة ، والقصور والمدن الصغيرة والقرى لايسهل الوصول إليها في عمليات التنقيب لأنها شُيّدت في عصور ماضية متأخرة ، وفضلا عن ذلك فإن المادة التى استخدموها في إقامة مبانيهم هي في الغالب أرق كثيرا من المواد المستخدمة في تشييد القبور. فقد شيّدت القبور في الصحراء بعيدا عن المناطق الآهلة بالسكان، وبعيدا عن الأرض الزراعية، ولهذا كانت فرص بقاء المبانى الجنائزية على الدوام أكبر بكثير، بغض النظر طبعا عن خطر لصوص المقابر. أما إن المصريين قد استهدفوا ،عن وعى، الدوام لقبورهم فهذا ماتكشف عنه عبارة دار الخلود التى تُستخدم كثيرا للدلالة على القبر(قارن على سبيل المثال «كتاب الموتى» نشرة نافيل ٨و١٧٠) .

ويبدو أن الهرم كان هو أفضل وسيلة لتحقيق هذا الدوام، وأول خطوة اتخذت في هذا السبيل هي هرم الملك «زوسر» من الأسرة الثالثة، الذي صممه مهندسه امنحوتب، وهو أول بناء حجرى ضخم يُشّيد في التاريخ . وقبل ذلك كان المصريون يدفنون موتاهم، في الأعم الأغلب، في بناء من الطوب يسمى الآن «مصطبة» من الكلمة العربية التي تعنى الأريكة[1]، وهي كلمة تناسب الإشارة إلى هيئة البناء،

(١) «المصطبة» لفظة عامية تقال على البناء غير المرتفع الذي يتم الجلوس عليه، وقد أطلقته العامة على بعض قبور الفراعنة، وقَبِل علماء الآثار الاسم فغدا من المصطلحات الأثرية (المترجم) .

كما أنها فكرة معقولة لتفسير شكل هرم سقارة ذى الدرج الضخم، والفكرة الأساسية هي تكديس عدد من المصاطب ذات الأحجام المتناقصة بعضها فوق بعض. ويوجد حول الهرم مجمع من المبانى الحجرية الأخرى القصد منها أن تستخدم في الاحتفالات الدينية خلال عملية الدفن وبعدها.

ومن المحتمل أن يكون التصور الرئيسى الكامن خلف الهرم المدرج هو الصعود إلى السماء، وإلى الشمس. ولقد عُدّل التصميم في الأسرة الرابعة لصالح الهرم الحقيقى. وأشهر الأمثلة على ذلك هي أهرامات خوفو، وخفرع، ومنقرع في الجيزة.

كانت عبادة الشمس في هليوبوليس لا تزال هي ملحمة البناء إذ كان في هليوبوليس حجر قديم مخروطى الشكل يسمى «بن بن» هو الذي تمت محاكاته فيما يبدو، وإن لم تكن المحاكاة دقيقة في بناء الأهرامات[1].

ارتبط هرم خوف الأكبر في الأذهان، كغيره من الأهرامات، بأنه معبد للموتى، تقام فيه عبادة الملك الميت. وهناك ممر من الحجر يؤدى من هذا المعبد إلى حافة الصحراء، وهنا يقع «معبد الوادى» الذي يستقبل جثمان الملك ويقيم له الطقوس الواجبة قبل أن ينتقل عبر الممر إلى الهرم، ومن ثمّ فالهرم في جوهره، قبر هائل يستهدف حفظ جثمان الملك الميت من الناحية المادية والروحية على السواء. ومن ثم فمن سخرية الأقدار ألا توجد مومياء ملكية واحدة من الدولة القديمة. وتتجمع حول الأهرامات قبور حاشية الملك من النبلاء على هيئة مصاطب.

ومع ذلك فقد ظهر مع نهاية الدولة القديمة نوع جديد من المقابر في «مصر العليا»، شُيّدت على أساس قابلية الحفر فى المنحدرات الصخرية الصلبة. وينحت هيكل في الصخرة العليا يؤدى إلى ممر رئيسى، يؤدى بدوره إلى حجرة الدفن. ولقد استخدمت سمات متعددة من هذا التخطيط في دفن كثير من الفراعنة في الدولة

(١) كان معبد الإله «رع» في هليوبوليس ولم يكن في المعبد صورة لهذا الإله بل حوى قطعة مخروطية من الحجر تسمى «بن بن» توضع في فناء مكشوف واعتقد المصريون أن الشمس يجب أن ترسل أشعتها الأولى على هذا الحجر (المترجم).

الحديثة بما فيهم توت عنخ آمون في وادى الملوك بـالقرب من طيبة. وأحد هذه القبور المنحوتـة في الصخر هو قبر سيتى الأول الـذي يمتد داخل الصخـر حوالى ٢١٠ مترا (٧٠٠ قدم) ونقشـت على جدران حجـراته نصوص (كتـاب ذلك الموجـود في العالم السفلى) وهي نصوص تصف الرحلة الليلية لإله الشمس خلال مروره بالعالم السفلى حتى يظهـر مع الفجر في العـالم العلوى. وكـان المصريون يعتقـدون أن الملك الميت يصحب إله الشمس في رحلته كيْـما يشرق معه في فجر جديد، ومن الواضح أن ذلك ضمان لبقائه حيّا بعد الموت.

١ ـ الكتابة:

كان اختراع الكتـابة جـزءا هامـا من التقدم الـذي تم مع بدايـة العصر التاريخي (٣٠٠٠ ق. م) وتمثل ألواح «مينا أو نارمر» مرحلـة أولية في الكتابة الهيروغليفية. فقد نظـر المصريون إلى الإلـه تحوت Thoth كاتـب الآلهة على أنه مخترع الكتابـة، لكنهم ربطوا بين وظيفتـه ووظيفة زميلتـه الإلّـهة سشـات Seshat[١]. التى يعهـد إليهـا بأرشيف الحوليات الملكية. ولا شك أن الكتابة كانت دائما هامة في الطقوس الدينية، ولقد اعتقد المصريون أن دورها يجاوز الأغراض المباشرة للتسجيل والتوصيل.

ويمكن أن نتبيّـن تطـورا فعليا في الدولة القـديمة، فلا شك أن التعاويـذ كانت تتلى في أقدم المعابد والقبور، ومن المرجح أن الكهنة كانوا يقرأون من نصوص مكتوبة على أوراق البردى، كما احتفظت النقـوش المنحـوتة على الحجـر بأسماء الأشخـاص الـذين دفنـوا في المقبرة، ثم أضيفت بعض التعـاويـذ التى تضمن استمـرار تقـديم القرابين، مثلما تضمن الهناء أو السعادة الأبدية للمتوفي. ويمكن أن نفترض أن هذه النقوش لم تكن مجرد تسجيل لآمال ورعه، غير أنهم آمنوا بأنها تكفل بحضورها الدائم البقاء السحرى للبركات الروحية والبدنية المذكورة.

---

(١) كان للإلّـه تحوت زميلة تقـاسمه وظيفته ككاتب وعالم هي الإلّـهة «سشـات» الكاتبة وسيدة دور الكتب، أي المكتبـات، وكـانت هي الإلّـهة الأولى التي كتبت وقـد كـانت في الأصل هي الإلّـهة «نفتيس» ووظيفتهـا أن تسجل أعمال الملوك وتنقش أسماءهم على شجـرة في معبـد هليوبـوليس، بينما يقوم تحوت بتسجيل سنى كل ملك على غصـن طويل. راجع «ديانـة مصر القديمة» أ. أرمـان ترجمة عبدالمنعم أبو بكر ص٦٨ واللوحة رقم ٢ (المترجم).

ثم حدث توسع ملحوظ في استخدام مثل هذه النقوش في أهرامات الأسرة الخامسة والسادسة في سقارة، وكان أقدمها هرم الملك ونيس Wenis (ازدهر حوالى ٢٣٥٠ ق. م) وتغطى جدران غرف الدفن والممرات المؤدية إليها بالنصوص الهيروغليفية التي تتحدث عن الحياة المقبلة للملك وتتضمن شواهد لها أهميتها في اللاهوت والطقوس والأساطير، وتسمى هذه الكتابات «متون الأهرام»، وهي تشكل أقدم مجموعة كاملة تتعلق بالديانة المصرية، وكان أثرها على الكتابات التالية عميقا، لأن مضمونها يتكرر كثيرا في النصوص الجنائزية، وبصفة خاصة في «متون التوابيت» و«كتاب الموتى».

و«متون التوابيت» ـ كما يدل اسمها ـ كُتبت على التوابيت التي تصنع عادة من الخشب، وقد ظهرت في الحقبة التي تلت انهيار الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الوسطى. ومنذ بداية الدولة الحديثة أصبح من المألوف تقديم الفوائد التى تتضمنها هذه الكتابات إلى الميت في صورة مختلفة أتم الاختلاف: وهو أن تُكتب هذه النصوص والمتون على مجموعة من أوراق البردى المطلوبة ثم تودع القبر مع المتوفي. لو قارناها «بمتون الأهرام» لكانت «متون التوابيت» و«كتاب الموتى» معا أكثر اتساعا من حيث التطبيق العملى، لأنها تقدِّم مميزاتها للأشخاص غير الملكيين. واستخدام أوراق البردى في الكتابة أدى كذلك إلى ابتكارات أبعد مدى، إذ أصبح النص يوضح بصور ملونة تلوينا جميلا كما هي الحال مع أوراق البردى الخاصة بآني Ani[1]، وهنفر Hunefer. وهكذا أصبح كثير من الأدب الدينى في مصر القديمة أدبا جنائزى الطابع.

وثمة موضوعات أخرى تشمل نقوش المعبد، وكانت سائدة في العصر البطلمى بصفة خاصة، وتراتيل إلى الآلهة كان الكثير منها منقوشا على الألواح الحجرية Stelae. وحكايات أسطورية، والفئة الأخيرة تكشف عن نغمة عابثة على نحو ما هو موجود في «النزاع بين حوريس وست» التى حفظتها لنا بردية بيتى الأولى. وهناك بردية أحدث هي بردية يوملهك Jumilhac تشتمل على قصص عن

(١) أحد الحكماء ألف كتابا من أمتع ما خلفه الأدب المصرى يحوى مجموعة كبيرة من الآداب العامة. انظر «ديانة مصر القديمة» ص١٨٠ ـ ١٨٢ (المترجم).

الآلهة لم تتورع عن أن تنسب إليهم سلوكا شائنا بالغ الفجاجة.

٢ ـ التاريخ:

يمكن أن تتعقب الديانة المصرية إلى أصولها فيما قبل التاريخ حتى فترة مبكرة تصل إلى عام ٤٠٠٠ ق.م. عندما كان الاعتناء بدفن «الثور»، و«ابن آوى» وغيرهما من الحيوانات أمورا تدل على عبادة الحيوان. وفي منتصف القرن السادس ق.م تم إغلاق آخر معبد للإلـهة إيزيس في جزيرة فيلة، ولذلك فإن الحقبة الزمنية التي استغرقتها الديانة المصرية حقبة طويلة. لقد كان «مينا» هو الذي أسس أول دولة متحدة مستقرة تحت حكمه عام ٣٠٠٠ ق.م. وظهر إبان الدولة القديمة حوالى (٢٦٨٦ ـ ٢١٨١ ق.م) نظام ملكى مركزى قوى عاصمته «ممفيس»، ثم أعقبها فترة من التمزق، و عندما عادت مصر المتحدة مرة أخرى في الدولة الوسطى حوالى (٢٠٥٠ ـ ١٧٨٦ ق.م) أصبحت عاصمتها طيبة في مصر العليا، وظلت طيبة هي العاصمة حتى عهد التوسع الذي شهدته الدولة الحديثة، ثم حدث غزو وتسلل من سوريا وفلسطين على يد الشعب المعروف «بالهكسوس» الذي أدخل على الديانة المصرية تأثيرات آسيوية.

أما في الفترة المتأخرة فقد كانت هناك تغيرات عديدة في الأسر الحاكمة فقد شهد القرن السادس ق.م، إحياء واعيا لعظمة قديمة لكل من الدين والفن، وعلى الرغم من هذه النهضة فقد كانت مصر ضعيفة عسكريا فسقطت عام ٥٢٥ ق.م أمام الهجوم الضارى للفرس. ومع أن النير الفارسى قد تم التخلص منه لفترة من الزمان، فإن غزو الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م كان معناه نهاية الاستقلال المصرى.

ومن الطبيعي أن يكون الأثر اليونانى شاملاً، إلا أن العبادات الوطنية قد سمح لها بالازدهار. وقامت عبادة جديدة، هي عبادة سيرابيس Sarapis(١) بصورة رئيسية على أسس مصرية، وانتشرت عبادة سيرابيس وإيزيس في العالم اليوناني. وعندما

(١) كان «سيرابيس» هو الإله الرئيسى في مملكة البطالمة، وهى التسمية التى أطلقها الإغريق على الإله المصرى أوزوريس (المترجم).

أصبحت مصر ولاية رومانية عام ٣٠ ق.م وضعت أرض المعابد تحت سيطرة الحكومة. وامتدت جذور المسيحية في مصر إبان الحكم البيزنطى (من ٣٩٥ - إلى ٦٤٠ بعد الميلاد) وشن هجوم مباشر على الديانة المصرية القديمة - ففي مصر نشأت الرهبنة، وربما كان للديانة القديمة تأثير واضح في هذا التطور - كما كانت اليهودية والغنوصية[١] قوتين مؤثرتين أيضا لا سيما في مدينة الإسكندرية.

٣ - الآلهة المحلية:

كان للظروف التاريخية والسياسة أثر واضح، بصفة مستمرة، على الاتجاهات الدينية في مصر، وعندماتكون لك آلهة محلية منفصلة فذلك أمر طبيعى في منطقة مثل المنطقة الواقعة جنوب الدلتا التى لم تكن سوى واد طويل لنهر يمتد حوالى ألف كيلومتر (حوالى ٦٠٠ ميل) ومع التوحيد السياسى للبلاد، أصبح إلـه المدينة العاصمة في الحال قائدا لجميع الآلهة، واتجهت ديانته لاستيعاب الديانات الأخرى. وهكذا نجد أنه مع وجود ديانات أخرى كثيرة للصقر، فإن سيادة ديانة حوريس، الإلـه الصقر الذي توحد مع فرعون الحى، تعنى أن الديانة الملكية استوعبت الديانات الأخرى. فقد ظهر الإله حوريس في لوح «مينا» المبكر مصورا انتصار مصر العليا على مصر السفلى بوصفه حدثا، تمَّ بفضل الإله وبتوجيه منه. وفي ألواح مبكرة أخرى يبدو الإله وهو يقود إحدى العشائر متحدا مع رئيسها. وذلك إنما يوحى بنظام يرجع إلى ما قبل التاريخ ويشبه العبادة الطوطمية Totemism[٢].

(١) الغنوصية Gnosticism نسبة إلى Gnosis أى «المعرفة». وهى حركة فلسفية ودينية نشأت في العصر الهلنستى (بعد وفاة الإسكندر) وأساسها أن الخلاص يتم عن طريق المعرفة أكثر مما يتم بالإيمان والأعمال الخيرة، تأثرت بها بعض الفرق اليهودية والمسيحية. وبعبارة أخرى: الغنوص هو المشاهدة الباطنية لعالم ما فوق الحس عن طريق المشاهدة أو الرؤية الإلـهية. والغنوصيون فلاسفة ورجال دين عاشوا في القرون الأولى للمسيحية، وتعرفوا على الأسرار الخفية للإيمان من خلال التأمل الفلسفي. (المترجم).

(٢) الطوطم (حيوان في الأعم الأغلب، وقد يكون نباتا) يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية ويعتبر لحمه محرما على أفرادها الذين يعتقدون أنهم انحدروا منه ويحملون لذلك اسمه. ويحرم نظام الطوطم الصلات الجنسية بين أفراد الطوطم الواحد لأنهم إخوة وأخوات لانحدارهم من طوطم واحد (المترجم).

ولقد تجنب المصريون، بطريقة غريزية، محو التراث المحلى حتى ولو حدثت عملية تمثل لهذا التراث. ونتيجة ذلك أن أفكارهم الدينية تكشف عن بعض الخلط، بل عن بعض التناقض، كما هي الحال في التصورات المختلفة لعملية الخلق أو في المعتقدات الجنائزية. ويبدو هذا التطور في مرحلة تالية موحيا بأن تنوع المعتقدات كان إثراء ودعما لمتطلبات المرء الروحية. وهكذا فسر «هنري فرانكفورت» هذا الاتجاه تفسيرا ايجابيا بأنه يتضمن «الاستمتاع بتعدد السبل»، لكن السبب، من الناحية التاريخية، لهذا المجمع الهائل هو المزج بين عدد كبير من العبادات والتقاليد المحلية المأثورة.

٤ ـ أساطير الخلق:

إن الصدارة في أى مجمع للآلهة تكون، في العادة، للآلهة المسؤولة عن الخلق، وليس مجمع الآلهة المصرى استثناء من هذه القاعدة رغم وجود أساطير متعددة ومتنوعة عن الخلق. ولا شك أن أسطورة «هليوبوليس» كانت أوسعها انتشارا. وتقول هذه الأسطورة إن الإلـه الخالق الأول هو « أتومAtum »[١] الذي اتحد في هوية واحدة مع إله الشمس رع.

وتقول الأسطورة أن «أتوم» خرج من عماء المياه الذي يسمى «نون Nun »[٢]، ثم ظهر فوق تل[٣]. وأنجب بغير زواج الإلـه «شو Shu » (الهواء)[٤]. والآلهة «تف نوت» أو تفنت Tefenet[٥]، (الرطوبة). وكان إلـه الهواء «شو» هو الذي زج بنفسه

(١) الحروف الأصلية في كلمة «أتوم» تعنى الإلـه الذي أتم نفسه بنفسه أي أنه خلق نفسه أولا ثم خلق العالم. ومن صفاته «ذلك الذي جاء للوجود من تلقاء ذاته» (المترجم).

(٢) «نون» ـ هو المحيط الذي خرجت منه جميع الكائنات (المترجم).

(٣) هوتل موغل في القدم، كان أول ما ظهر على سطح الماء وكانوا يسمونه «التل المزدهر الذي ظهر في أول العصور» (المترجم).

(٤) كلمة «شو» تعنى في اللغة المصرية القديمة الفضاء، وقد صورته اللغة، والفن، على أنه رجل يقف فوق الأرض ويسند بيديه السماء (المترجم).

(٥) هي زوجة الآلـه شو وعبدها المصريون على شكل الأسد وزوجته في الدلتا، وشاركت «تفنت» زوجها أعباء مهمته السلمية في حمل الأفق وهذان الإلـهان خلقا كما يدل اسمهما بطريقة البصق الأول أشش والثانية تف ولا يزال المصريون يستخدمون كلمة «تف» العامية بمعنى بصق (المترجم).

بين إلّـهة السماء «نـوت» Nut وزوجها إلـه الأرض جب Geb[1]، وبـذلك فصل السماء عن الأرض. وهنا تمثل المصريـون الإنجاب الطبيعى، ويصـدق الشيء نفسه على أولاد الإلّـه «جب والإلّـهة» «نـوت» وهـم «أوزوريس»، و«ايزيس»، و«ست»، «ونفتيس Nephthys» رغم أن مغزاهم أو دورهم الكونى كـان في البداية أقل وضوحا. وهذه الآلهة التسع تشكل ما يسمـى «تاسوع هليوبوليس»[2] وهو تصـور للآلهة طبقه المصريـون فيما بعد على مجموعة أخرى من الآلهة المحلية، وامتـد نطاقه في بعض الأحيان ليشمل عددا يـزيد على الآلهة التسع. أما أن بدايـة خلق الكون كانت انبثاق الأرض مـن الماء، فيبدو أنها فكرة وردت على نحـو طبيعي على أذهـان سكان وادي النيل الـذين يستلهمـون في بعـض الأحيـان جـزرا من الطين تظهـر في النيل. والواقع أنه كان من الخبرات المألوفة قبـل أن يكتمل بناء السد العالى في أسوان أن ترى القرى المصرية إبان فيضان النيل، كما لو كانت جزرا خرجت من المياه المحيطة.

وهناك وجـه آخر لعقيـدة هليوبـوليس يتعلق بـالقوى الخلاقـة للإلـه الأول آتوم Atum فلا بد لجميع القصص التى تدور حول نشأة الكون أن تواجه مشكلة عويصة هي كيف نشأ الخلق إذا لم يمكـن هنـاك سـوى خـالق واحـد، ثـم كيف خلق هـو نفسه؟!. ذهب المصريـون إلى أن آتوم Atum الذي يعنى اسمه «الـواحد الكامل»، ظهر إلى الـوجود بأن أوجـد ذاته (متون الأهـرام ١٥٨٧ ب وتشير إلى صورتـه على أنه خبرى Khepri). فهو إذن قد أنجب نفسه، لكن كيـف أصبح أبا للإلّـه «شو»، والإلّـهة «تفنت»؟ تم ذلك عن طريق الاستمنـاء (المصدر السابق ١٢٤٨ أ ـ د)، أو عن طـريق السعال أو البصق (نفس المصـدر ١٦٥٢ جـ، مع اللعب بالألفـاظ في

(١) تخيل المصرى الأرض على أنها ذكـر، على عكس ديانات العـالم القديم، والسبب في ذلـك هو أن كلمة السماء في اللغة مؤنثة، وكلمة الأرض مذكرة. وهكذا صور إلّـه الأرض «جب» مستلقيا على بطنه وقـد نبتت المزروعـات فـوق ظهـره. أمـا المرأة التي تنحنـى فـوقـه فهى زوجتـه «نـوت» إلّـهة السماء (المترجم).

(٢) أنجب شـو وتفنت جب إلّـه الأرض ونـوت إلّـهة السماء، ثم أنجب الأخيران أوزيـرس وست وأيزيس ونفتيس، ولقد حكـم هـؤلاء العالم في أول الأمر قبل أن تتجمع السلطة في يد حـوريس فكانوا الآلهة العظـام. ولأن عـددهم بلغ التسعـة، فقـد سماهم المصريون التـاسـوع العظيم لهليـوبـوليس. (المترجم).

أسماء الإلــهية)[1]. فيد الإلـه «أتوم» في السيـاق الأول تشخّصه في صـورة «إلهة» (وكلمة «يد» مـؤنثة في اللغة المصرية القـديمة). وفي سياق آخر يصـف الإلـه نفسه بأنه «ثنائى الجنس» إننى أنا الذي أنجبت «شـو» إنتى أنا هو ـ وهي. (متون التوابيت ٢، ١٦١ ـ أ)[2].

٥ ـ عقيدة منفيس[3]:

وتنسب ثنائيـة الجنس، من حين لآخر، إلى الإلــه بتاح Ptah أيضـا وهو الإلـه الخالق لمدينة منف الذي يسمى في آن معا الأب والأم في «لاهوت منفيس»[4]، الذي هو وثيقة رائعة ترجع، برمتها إلى الدولة القديمة، وتقول الوثيقة إن خلق العالم خطط له عقل الإلــه وكانت وسيلـة التنفيذ كلمـة نطق بها ـ وهـذا استباق مـذهل لعقيدة الإغريق التى ظهـرت بعد ذلك بفترة طـويلة حول اللـوجوس Logos أو الكلمـــة المقدسة[5]. وفضلاعن ذلك فإن «لاهوت الخلق» في هرموبوليس Hermoplic[6]

---

(١) كان أتوم الـذي يعبد في هليوبوليس هـو نفسه الإلـه خبرى وهى أسماء إله الشمـس الذي عرف أيضا باسم الإله رع (المترجم).

(٢) انتشرت في كثير من الأسـاطير المصرية القـديمـة طـريقة اللعب بـالألفـاظ فمثـلا تقول إحـدى الأساطير إن الإلـــه رع قال مرة: «نـادوا لي تحوت» فأحضروه إليه في الحال، فقال لـه «سوف أجعلك تحتضـــن Ionh السماء بجمالك وبأشعتك فنشأ عـن ذلك القمـر ioh ثم في مناسبـة أخـرى قـال له «سأرسل Hob إليك من بفوقك عظمة فنشأ أيبس Hib طائر تحوت». وينسب المؤرخون هذه الظاهرة إلى شغف المصريين بتحميل اللفظ الواحد معانى كثيرة يحوى كل معنى شيئا من كنه هذا الاسم، ومن هنا كان إله الشمس «أتوم» يحمل صفتين «الذي خلق نفسه» و«الذي أنشأ اسمه!. راجع «ديانة مصر القديمة» تأليف أدولف أرمان ص٧٧ وما بعدها (المترجم).

(٣) هى مدينـة منف (ومنفيس تسمية تـرجع للإغريـق) من أقدم عواصم الـدنيا أسسهـا الملك مينا واتخذها عـاصمة للمملكة المتحـدة القديمة، لم يبق منها غير أطـلال من مختلف العصور حول قـرية «ميت رهينة» الآن بمحافظة الجيزة بالقاهرة (المترجم).

(٤) تسمى أيضا «تعاليم منـف الكهنونية» التى اعتبرت من أهم الوثائق التـى حفظت بين كنوز معبد منف آلافا من السنين وهى تبدأ بالحكمة التى تقـول «أن بتاح خلق من نفسه ثمانية آلهة أخرى سميت باسم بتاح وقد أطلق عليها البشر أسماء أخرى». (المترجم).

(٥) وقارن أيضا إنجيل القديس يوحنا «في البدء كان الكلمة Logos». . . (المترجم).

(٦) هى مدينة شمـون واسمها يعنى «الثمانية» ففيها كـان ذلك التل القديم الذى ظهرت فـوقه المعالم الأولى للحيـاة والكائنـات التي ظهـرت في البدايـة: الليل، والظلام والاختفـاء والـذبذبـة وغير ذلك وعددها ثمانية (المترجم).

كـان وثيق الصلة بتعـاليم هليوبـوليس. ومن هنـا قيل إن الخلق بدأ مع ظهـور التل الأول من ميـاه العماء. وارتبط أربعـة أزواج مـن الآلهة في الصفـات الكـونيـة «نـون» «ونونت» بميـاه العماء، وحح Huh وحـوحت Huhet باللانهايـة. وكوك Kuk، كوكيت Kauket، بالظلام. وآمون[1] وأمونيت بالاختفاء. هذه الآلهة الثمانية تتألف من أزواج لا تمايز بينهـا الذكـر والأنثى من الناحية النظـرية، وربما كـانت أربعة آلهة ثنائيـة الجنس هي الأشكال الأصيلـة. وكان آمون هـو رأس الثمانية Ogdoad[2] واسمه يعنى «الموجود الخفى».

كان خَـلْـق الكائنات الحية، في مقابـل خَـلْـق الموجودات الكونيـة ـ يُـعزى فى الأعم الأغلب إلى الإلّه الصـانع خنوم Khnum فهو الذي يخلق البشر عنـدما يجلس إلى دولابـه الفخّـارى. وقـد تـوصف الأرض، مـرة أخـرى، بأنها انبثقت من زهـرة اللوتس التي ظهرت هي نفسهـا من المياه الأولى على هيئة إله شاب هـو الإلّـه «نفر ـ تم». وفي نصوص معبد «إدفو» يرد ذكر «بحيرة اللـوتس» بوصفها المقر القديم للإلّـه الخالق، وهذه النصوص تبجل أيضا مجثم الطير[3] وهو قطعة من الغاب حط عليها الإلّه حوريس، الإله الصقر، لأول مرة.

٦ ـ آلهة النيل والشمس:

عندما تأمل المصريون خصوبـة أرضهم، غير العادية، أدركوا بغير شك أن النيل والشمس مسؤولان أسـاسا عن هذه الخصوبـة، ومن هنا فقد كُـتبت السيـادة للآلهة التى ارتبطت بهاتين القوتين الطبيعيتين. ولقد ارتبط فيضان النيل الذي يأتى كل عام

---

(١) اللفظ المصرى «آمون»، يعنى الخفى وكان هذا الإلّـه الخفى يتجلى في أشكال كثيرة والبعض يفسر هذه الآلهة الثمانية على النحو التـالى: لعبت هذه الآلهة دورا جوهريا في مولـد العالم وهي ثمانية من ذكر وأنثى وكان يطلق عليها نون ونونت، والمحيط الأول، وحح وححت، الفراغ الذي لا نهاية له، وككو وككت، الظلمات، وآمون وأمـونت الذى لا يمكن تعريفـه، وكانت تصور برؤوس ضفـادع وثعابين تثير ذكرى الحياة الصاخبة، آلهة مصر ص٦٧ فرنسو دوماس وترجمة زكى سوس (المترجم).

(٢) Ogdoad ترجمة لاسم جماعة الثمانية وهم الآلـهة الأول الذيـن تعاونوا في خلق العالم، ويقابلها في اللغة العربية «ثمان» (المترجم).

(٣) ما يحط عليه الطير بعد طيران طويل (المترجم).

بـاسم الإلّـه «حـابي» بصفة خـاصــة، وبكثير من آلهة النيل المحلية التي صــورت، تقليديـا، وهي تحمل النباتات ممثلـة القوة الخيِّـرة ذاتها. ولما كانت تبـاشير الفيضان تأتي في شهـر يوليـو الذي يتميـز بظهور «نجمـة الشعرى» مع شروق الشمس، فقـد أطلق المصريون على هـذا النجم الساطع اسم «سوتيس» أى الشعـرى اليمانية[1]، التى ترمـز لنمو النبات نتيجة لخصـوبة الفيضان. وهنـاك ارتباطات مماثلـة بين الإلّه سبك Sebek الإلّـه التمساح[2] وبين السنة المشخصة Personified والمفروض أن الإلّـهة إيزيس تمثل في سياق جنائزي، العلاقة الوظيفية بين النيل ونمو النبات.

أما بالنسبة للشمس، فالإلّـه «رع» آله هليوبوليس، هو الذي يمثل أساسا قوتها في مجمع الآلـهة. وقـد استخدم المصريون لفظ «رع» كـاسم عام يعنى «الشمس» ثم توحَّـد «رع» مـع آتوم في صيغة واحـدة هي «رع ـ آتـوم»، ومع إلّـه السماء حـوريس (الإلّـه الصقـر الذي يعنى اسمه «الكـاهن البعيد»[3]) على أنـه «رع ـ حـوراختى» وصوروا هـذا الإلّه في جسم إنسـان ورأس صقر. ولقد كـان الرمـز الرئيسى لـرع هو المسلة، وارتبط، مثل حوريس، ارتباطا وثيقا بالملك الحى، وقد أصبح فرعون يسمى ابتداء من الأسرة الخامسة (فضلا عن مثال واحد من الأسرة الرابعة) باسم «ابن الإلّـه رع»، كما ارتبطت فكرة العدالـة ونظام العالم باسم «رع»، ونظـر المصريون إلى الإلّهـه ماعت Maat (ربة العدالة والحقيقة والتوافق) على أنها ابنته.

٧ ـ مساعدو الموتى:

أعطى المصريون السيـادة باستمرار للآلهة التـي اعتقدوا أنها تســـــاعد الموتى. ومن هـذه الآلهة: «أنوبيس Anubis» ، و«سوكاريس Sokaris ». وخنتيامنتيس

(١) عندمـا يظهر هذا النجم في آخر شهـر يوليو في السماء صباحـا يكون ذلك بمثابة البشير بـوصول الفيضان، واعتبر هذا رمزا لبدء السنة الجديدة للمزروعات (المترجم).

(٢) ظهر التمسـاح كمعبود محلى يعطـى الحياة للنباتـات فوق الشـاطىء، وانتشرت عبـادته في أرض البحيرة في الفيوم، إذ اعتـاد الناس الاحتفـال هناك بظهـور الفيضان كل عـام، ولهذا يرى البعض أن «سبك» كان إلها للماء «ديانة مصر القديمة» ص٥٤ ـ ٥٥ (المترجم).

(٣) كان حـوريس ابن الإلّه أوزريس الـذي قتل نتيجة مؤامـرة «ست» وكان «رع حـوراختى» ومعناه «سيد الجبع» يرأس جلسات المحكمة التي تحاكم ست (المترجم).

Khentamenthes و«أوب وات Wepwawet » وأوزيريس[١] . وهي مجموعة كانت معروفة في الدولةالقديمة، وقد اتخذ أنوبيس بين هذه الآلهة شكل «ابن آوى» أو «الكلب» وارتبط بعملية تحنيط الموتى، وكانت له أهمية دائمة طوال تاريخ الديانة المصرية الطويل، أما أوزريس فقد ظهر من غموض نسبى إلى مركز بالغ الأهمية في العبادات الجنائزية، ولقد مر أوزريس برحلة هامة في ارتفاعه كقوة روحية، وهي مرحلة تقمصه لفرعون المتوفى، وهو ما حدث في الأسرة السادسة. لقد كان أوزريس في الأصل إله الموتى، وكان مركز مدينته الأول فيما يبدو، هو مدينة أبيدوس. أما الدافع وراء اتحاد الملك الميت بأوزريس فقد كان واضحا، وهو ضمان استمرار سيادة الملك بعد الموت، فعندما يصبح فرعون الميت هو أوزريس فإن ذلك يعنى أنه سوف يحكم مملكة الموتى.

وكثيرا ما عبد المصريون الأشياء الجامدة لا سيما في عهد الأسر الأولى. مثال ذلك قوسى الإلهة نايت Neith المتقاطعين[٢]، ومسلة هليوبوليس، وتميمة الإله «مين Min » التى لا تزال، إلى حد ما، لغزا غامضا. وكانت التمائم تتبع الإلهة التي ترتبط بها، وهكذا تضاءلت أهميتها، ولهذا تراهم يصورون «مين» إله الإخصاب الجنسى في صورة بشرية وفي صورة قضيب في وقت واحد[٣] .

وكان هناك عدد قليل من الآلهة اتخذ صورة بشرية خالصة إلى جانب الإله «مين»، منها الإله «بتاح» في منف، والإله أتوم في هليوبوليس والإله آمون في طيبة، وكذلك إله الموتى أوزريس، وآلهة النيل. ولكن في معظم الحالات تظهر صورة الحيوان فيتخذ الإله إما صورة حيوانية خالصة أو يرتبط بالإله الثور أو العجل

(١) كان أوزريس إله الموتى عند المصريين جميعا. لكن كان لكل مدينة إله محلى لرعاية جبانتها وكثيرا ما يتخذ شكل «ابن آوى» الحيوان الذي يجوب المناطق الصحراوية ليلا حيث تقع المقابر كما اتخذ أيضا شكل الكلب والذئب. . . . إلخ (المترجم).

(٢) كانت الإلهة نايت تمثل إلهة الحرب ورمزها المعروف يتكون من قوسين ودرع، ومن بين ألقابها «التى تمهد الطريق» وهذا يعنى أنها كانت تتقدم الملك في المعركة (المترجم).

(٣) هو إله الإخصاب الذي يسرق النساء، وسيد العذارى، لكنه أيضا حامى طرق الصحراء ويمثل هذا الإله واقفا وقضيبة منتصب وعلى رأسه ترتفع ريشتان عاليتان، ولعلها ما يقصده المؤلف. (المترجم).

«أبيس Apis »، أو على هيئة جسم إنسان ورأس حيوان. ولقد تطور هذا المزيج الأخير فيما بعد كنوع من الحل الوسط، ووجدنا له أمثلة في صورة أنوبيس الكلب، وحوريس الصقر، وخنوم الكبش، وأحيانا يتضاءل العنصر الحيوانى أكثر من ذلك، كما هي الحال عندما تتخذ حتحور إلـهة السماء شكل البقرة السماوية فتصور في جسم ورأس بشريين، ولكن مع تاج يمثل قرنى البقرة محتضنة قرص الشمس.

٨ ـ عبادة الحيوان:

الواقع أن عبادة الحيوان كانت جزءا أساسيا من الديانة المصرية، وهي تشير إلى أن الأصل كامن فى الحياة الخصبة في وديان الأنهار في أفريقيا. ولقد جاء العديد من الإلهة البشرية «الكونية من منطقة شرق الدلتا. ويرجح بعض العلماء أن يكون هذا نتيجة تأثير سامى. وهنالك بالطبع ديانات أخرى كثيرة تبدو فيها عبادة الحيوان ظاهرة، لكن الظاهر على نحو ملفت في مصر هو إحياء هذه العبادة وانتشارها بقوة في الفترة المتأخرة. وتعد عبادة عجل أبيس Apis في منف، من أقدم عبادات الحيوان في مصر، إذ أن عبادته قديمة قدم الأسرة الأولى. وتكشف عبادة أبيس عن تطور كان شائعا في الواقع، فهي تبدأ عبادة مستقلة قائمة بذاتها ثم ترتبط عقائديا، بعد ذلك بكبار الآلهة مثل «رع» و«أوزريس» كما ترتبط باسم «بتاح» وكذلك بأهم آلة منف. وقد تمت خطوة أبعد لا نظير لها: ففي بداية العصر البطلمى انتشرت عبادة أوزريس ـ أبيس، عن وعى، لإقامة عبادة جديدة هي عبادة سيرابيس Sarpis[1]، وربما قُصِد بِها أن توجه للإغريق المقيمين في مصر غير أن سيرابيس فقد (بمرور الزمن) هيئة الثور أبيس.

وعلى حين أن فرعون كان هو نفسه من الناحية الرسمية، إلها، فلم يبلغ أحد غيره من البشر هذه المكانة، باستثناء عدد ضئيل للغاية من البشر، وحتى في هذه الحالة كان ذلك نوعا من التقدير الموجه إليهم بعد موتهم اعترافا بخصالهم الحميدة. لقد تم

(١) في بلاط بطليموس الأول والثاني كان يعيش الكاهن «مانيثو الذي تم على يديه تأويل رؤيا الملك، فتحول أوزريس ـ أبيس إلى سيرابيس. ومنذ ذلك الوقت أصبح سيرابيس الإلـه الرئيسى في مملكة البطالمة، وكان على الإغريق والمصريين على حد سواء تقديسه وعبادته (المترجم).

تأليه أمنحوتب المهندس البارع في عهد الملك زوسر في الأسرة الثالثة بهذه الطريقة كما حدث نفس الشيء لأمنحوتب بن حابو أحد وزراء الأسرة الثامنة عشر. وكشفت عبادة أمنحوتب في مرحلتها الأخيرة بصورة غير متوقعة أنه هو نفسه إله الطب الذى يتحد في هوية واحدة من مع اسكليبيوس Aaclepius إلـه الشفاء عند الإغريق[١].

وهناك قائمة أخرى مختلفة من الآلـهة تشمل سلسلة من التجريدات المشخصة مثل سيا Sia (الفهم) وهو Hu (النطق) وهيك Hike (السحر).

٩ ـ الثالوثات :

تتجمع الآلهة في الغالب، في مراكز عبادتها في تُساعيات على نمط هليوبوليس. لكن هناك تصنيفا محببا آخر تجمع فيه الآلهة على هيئة ثالوث يرتبط فيه الإله المحلى الرئيسى بزوجته وابنه، وهكذا نجد الآلهة «بتاح» و«سخمت» و«نفرتم»[٢]، تُجمع على هذا النحو في منف، كذلك تُجمع الآلهة «آمون» و«موت» و«خنسو» في ثالوث آخر[٣]. أما في منف فهناك ثالوث ثالث يجمع بين «بتاح» و«سوكاريس»[٤] و«أوزريس» حيث يتجمع ثلاثة آلهة للموتى من الذكور. وهناك سمة مذهلة تطبع النصوص المتعلقة بهذا الثالوث في منف ـ كما كانت موجودة في ثالوثات أخرى أيضا ـ وأعنى بها النظر إلى هذا الثالوث على أنه وحدة. ومن الواضح أننا نجد هنا استباقا للعقيدة المسيحية، حتى لو أعوزنا الدليل الذي يُثبت أن لها تأثيرا معينا على الصياغة المسيحية.

(١) كانت تماثيل هذا الإلـه الجديد تنحت في الهيئة التي شاهده عليها الملك في رؤياه بشعر ولحية أشعثين وعلى رأسه مكيال الحبوب (المترجم).

(٢) اتخذ «بتاح» إله منف من «سخمت» ـ الإلـهة القوية التي عُبدت في منف أيضا ومثلت على شكل لبؤة ـ زوجة له، وأنجبا ذلك المعبود الصغير «نفرتم الذي لم يكن سوى زهرة. وهكذا تكون الثالوث من الزوج والزوجة والابن (المترجم).

(٣) هذا ثالوث آخر من مدينة طيبة يتألف من الإله «آمون» والإلهة «موت» وابنهما الإلـه «خنسو» وكانت موت Mut سيدة السماء. وقد عبدت في طيبة تحت هذا الاسم، وإن كانت كلمة موت تعنى «الأم». وقد لقبت في النقوش المتأخرة بلقب «أم الشمس» التى تشرق منها. أما الإله «خنسو» فهو إله القمر. وقد عبده الناس في طيبة أيضا. وكلمة خنسو «تعنى» الذي يجوب السماء. «وقد صوروه طفلا آدميا وبذلك أصبح ابنا للإلهة المحلية التى تمثل السماء» موت (المترجم).

(٤) كان سوكاريس إلـها للموتى ـ في منف كما سبق أن ذكرنا، ثم اندمج في جاره الكبير وأصبح يسمى «بتاح، سوكاريس». وعندما أصبح أوزريس بعد ذلك هو إله الموتى الكبير سمى باسم «أوزريس ـ سوكاريس». (المترجم).

وعلى الرغم مما يذهب إليه هـ. ينكر H.Junker من أن الوحدانية البدائية قد ظهرت في الديانة المصرية (والحجة الرئيسية التي يقدمها هي أن لقب «ور Wr » ومعناه «الواحد العظيم» قد لقب به بعض الآلهة) فإن ما يظهر بالفعل، وعلى نحو مألوف، هو تعدد الآلهة. ونحن لا ننكر أنه قد ظهرت في عهد «أمنوفيس الرابع»، أو «اخناتون» صورة من الوحدانية الحقة، وكانت على الأرجح بقيادة الفرعون نفسه، كما كشفت الأبحاث الحديثة عن عناصر متعددة في تعاليمه كانت قد ظهرت من قبل، إلا أن الوحدانية الصريحة كانت متميزة للغاية في عقيدته النهائية، وكان لا بد لها أن تكون قصيرة الأجل، كما لم تنجح الجهود التي بذلت لبيان تأثيرها على ديانة العبرانيين المبكرة.

وعلى الرغم من التنوع الذى لا حصر له الذي تكشف عنه عبادة الآلهة في مختلف التقاليد والبيئات المحلية، فإن المظاهر الخارجية للعبادة والطقوس الدينية تكشف عن تماسك جذرى؛ لقد اتخذ المعبد المصرى منذ الدولة الوسطى وما بعدها تخطيطا مشتركا، وهو أن يُبنى على شكل مستطيل في فناء واسع ينغلق بواسطة جدران عالية، ويحيط ببوابة المدخل بوابتان كبيرتان. وفي البداية يدخل المرء فناء واسعا مكشوفا يحوى صفوفا من الأعمدة على ثلاثة صفوف. ومن هذا الفناء يشق طريقه إلى مدخل القاعة الرئيسية، التى تُحمل سقفها على أعمدة. وخلف القاعة الرئيسية وحدة ثالثة يوجد فيها محراب داخلى يحفظ فيه تمثال الإلّه في هيكل يوضع في قارب عبارة عن صندوق كبير. ولا يسمح إلا للملك وحده، أو لكبار الكهنة من أصحاب المكانة العالية بدخول المحراب الداخلى. وهذه التقاليد الدينية تقترب من تقاليد الإسرائيليين أكثر من تقاليد اليونان، لأن اليونان كانوا يسمحون لجميع المتعبدين بالدخول لرؤية تمثال الإلّه في محراب Naos المعبد. وهناك فكرة يكثر التعبير عنها وهي أن ذلك المعبد صورة من العالم المخلوق، وأن أصوله ترتد إلى أول ظهور منظم للخلق من العماء الذي كان في البدء.

١٠ ـ الطقوس الدينية اليومية :

بقيت نسختان من الكتب المقدسة التى تصف الطقوس الدينية اليومية التي كان

يمارسها الناس في جميع المعابد، وهي تبدأ بتطهر الكاهن في البحيرة المقدسة القائمة بجوار المعبد، وعندما يدخل المعبد نفسه يوقد نارا، ويُعدّ مبخرة مزوّدة بالفحم والبخور، ثم يتجه نحو تمثال الإلّه في المحراب الداخلي. وبعد السجود والركوع وتقديم القرابين الواجبة يجرد تمثال الإلّه من ثيابه ويطهره ويزينه بثياب وشارات مناسبة. ويعقب ذلك إقامة مأدبة مقدسة قبل أن يوضع التمثال مرة أخرى في هيكله. وترتبط بهذه القرابين فكرتان إذ ينظر إليها كهديا سارة، تتحد مع عين حوريس[(١)]، وفي أوقات أخرى، لا سيما إذا كانت الضحايا مما يذبح، فإنها تتحد مع أعداء «حوريس» و«أوزريس» أى تصبح هي الإلّه «ست» وأعوانه.

ومن الطبيعى أن يعثر الباحثون على طقوس دينية متميزة تقام في أعياد فرعون أو أعياد الآلهة؛ ففي عيد الملك اليوبيلى المسمى «سد Sed» يعاد الاحتفال الطقسى الذي تم فيه توحيد الوجهين في مصر على يد الملك مينا، ويصل الاحتفال إلى ذروته برقصة يؤديها الملك، وهو يرتدى تنورة قصيرة يعلق بها من الخلف ذيل حيوان. وقد كانت المسيرة أو الموكب أو «ظهور الإله» مظهرا ملفتا للنظر في الاحتفال بأعياد الآلهة، إذ يحمل فيه الكاهن تماثيل الآلهة إلى أماكن أخرى مقدسة كيما تزور آلهة أخرى أو تقوم بأداء دور في قصة أسطورية ترتبط بهذه الأماكن.

ولقد قامت الإلّهة «حتحور» إلهة دندرة بزيارة حافلة بالبهجة للإلّه حوريس إله إدفو في العصر البطلمي، وتم الاحتفال في هذه الزيارة بالزواج المقدس بين الإلّهة حتحور والإله حوريس ـ أما العيد العظيم للإله «مين Min» (إله الخصب) فقد ارتبطت قوة الإنجاب عند هذا الإلّه بالحصاد، وبشخصية الملك، ومن المرجح أن عملية الاتحاد الجنسى بين الملك والملكة كانت جزءا من الطقوس الدينية. أما عيد «أوبت Opet» [(٢)] وهو عيد الإله آمون إله طيبة، فقد كان يتطلب القيام برحلة يقوم

---

(١) يقولون أحيانا إنها «عين الشمس» وأحيانا أخرى إنها «عين القمر» التى تصغر رويدا رويدا ثم لا تلبث أن تنمو بشكل عجيب حتى تكتمل (المترجم).

(٢) كلمة أوبت هي اسم معبد الأقصر وهى تعنى أيضا «الحريم» ولهذا يظن الباحثون أن ذلك العيد الذي ينتقل فيه الإلّه إلى الأقصر ثم يعود إلى الكرنك يشير إلى أن الإله كان يذهب إلى هناك كل عام ليحتفل بزواجه (المترجم).

بها الإله «آمون» مـع زوجته الإلهة «موت» وابنهما الإله «خنسو» من معبـد الكرنك إلى الأقصر ثم العودة مرة أخـرى وهى رحلة نيلية يشارك فيهـا حشد غفير من الناس في النهر وعلى الضفتين[1]. وهناك عيد آخر للإله «آمون» هو عيد الوادي، الذي يعنى عبور نهر النيل لزيارة معابد الموتى من الفراعنة في الضفة الغربية. وتنتهى الرحلة عند وادى الدير البحرى حيث يوجد معبد الملكة حتشبسوت الجميل، وحيث شيد معبد الإلهة حتحور.

والتمثيل الدرامي لـلأسطورة كان أوضح مـا يكون في علاقتـه بأوزريس، فهناك نص من الأسرة الثـانيـة عشر يصف قتـالا على سطح بحيرة بين أوزريس وأعـدائه، ويمثل المنظر مرسى منطقة «أبيدوس» حيث يتم تصوير موت الإله ودفنه، ثم يعقب ذلك انتصـاره وعودتـه ليطرد أعـداءه[2]. وهنـاك نص في معبد دنـدرة يـرجع لفترة متأخرة أثنـاء العصر البطلمى، ويصف عيد أوزريس الذي كان المصريـون يحتلفون به في جميع أنحاء البلاد. وكـان المصريون يندبون موت الإلـه، أمـا ميلاده من جديد فكـان الاحتفال البهيج بـه يتم في صـورة رمـزية تمثل الشعير الـذي ينبت من تمثـال الإلـه[3]. ومن الشعائر المرتبطة به أيضا ارتفاع النصب التذكارى (أو الجيد) الذي يرمز كذلك إلى البعث.

---

(١) يبدأ الاحتفال بتقـدمه يرفعها الملك أمام قـارب أمون ـ أى أمام محرابه المحمـول قبل أن يغادر هذا المحراب معبـد الكرنك، ثم يخرج الموكب من صرح المعبـد والكهنة يحملـون القوارب فـوق أكتافهم، ويجب ألا يقل عـدد اللذين يحملـون قارب أمـون عن ثـلاثين. ويصحب الموكب الغناء ودق الطبـول ويتقـدم المشهد جنـدى ينفخ في النفير. أما على الشـاطىء فكان هنـاك موكب طـويل يرافق الحملـة المقـدسة والنـاس تصيح صيـاح الغبطـة والتهليل، ومنهم المكلفون بسحـب القوارب في اتجاه مضـاد للتيار... إلخ. راجع هذا العيـد بالتفصيل في كتاب «ديانة مصر القـديمة» أدلف ارمان ص٢٢٣ ـ ٢٢٤ (المترجم).

(٢) منذ أن أقـام ملوك الأسرة الأولى في أبيدوس ودُفنـوا فيها، نشأ الـزعم بأن أوزريس هو أول الموتى الذين سكنوا الغرب الذي هو دار المتوى»! وكان يعبد في هذه المدينة التى يوجد فيها أهم أشلائه وهو رأسه المدفونة في صندوق صغير (المترجم).

(٣) كان شكل الإلـه الميت يُصنع من الرمل والشعير في هذه الاحتفالات، ثم يُروى بالماء فإذا ما نبت الشعير واكتسى جسد الإلـه بالخضرة. كان هذا دليلا على عودة الحياة للإلـه (المترجم).

١١ ـ الطقوس الجنائزية :

دأب المصريون على الاهتمام الشديد بالاحتفال بدفن الموتى ، إذ اعتقدوا أن سعادة الشخص الميت في المستقبل تتوقف على هذا الاحتفال ، وعلى المعتقدات المرتبطة بالطقوس ، كان الميت يدفن دائما ولا تحرق جثته أبدا ، كما تؤدى الطقوس الخاصة بفتح الفم لجسد الميت أو لتمثال المتوفي[١] . وتشمل هذه الطقوس على ممارسات التطهر والقربان ، لكن أهم جوانب هذا الاحتفال هو لمس الفم بقدوم صغير ، فبهذه الطريقة ، كما يعتقدون ، تتجدد الحياة لجميع قدرات الجسد[٢] .

واعتقد المصريون ، في الوقت ذاته ، أن من المهم الاحتفاظ بالجسد نفسه ، وقد ساعدهم على ذلك جفاف التربة في الأماكن الصحراوية لدفن الموتى ، وقد كان الأسلوب المتقن في عملية التحنيط يستلزم إزالة المخ والأمعاء ، كما يستلزم أحيانا في حالة الذكور إزالة الأعضاء الجنسية . ثم يوضع على الجسم من الخارج النطرون (أو الصوديوم الطبيعي) ثم يحشى مزيج من النطرون والتوابل والزيت في التجاويف التى أحدثها تفريغ الأمعاء ، وتملأ الفراغات بعد ذلك بحشوة من الكتان وتوضع التوابل الحارة والزيوت على الجسم من الخارج أيضا ، ثم يلف بأربطة من الكتان قبل وضعه في التابوت . ويحتفظ كذلك بالأعضاء التى أزيلت من الجثة ، فيحتفظ بالأحشاء في أربعة قدور صغيرة قيل إن أربعة من أبناء حورس يقومون على حمايتها . ويبدو أن عملية تحنيط الجسد كله ، من الناحية العقائدية ، هي محاكاة ضمنية لما حدث في الأسطورة لأوزريس على يد أنوبيس في أبيدوس[٣] مما يعنى أن الشخص المتوفي قد

---

(١) فتح الفم والعينين أهم الطقوس جميعا ، فكان وجه الميت يمس بقدومين صغيرين حتى يستعيد الميت قدرته على تناول الطعام (المترجم) .

(٢) كان الكاهن يقوم بفتح فم الجثة حتى يستطيع الميت أن يأكل ويتكلم من جديد كما فعل أبناء حوريس الأربعة الذين فتحوا فم أوزريس بعد وفاته بأصابعهم النحاسية ليتمكن من أن يأكل ويتحدث ثانية (المترجم) .

(٣) كان أنوبيس ، وهو الابن الرابع للإلّه رع . إلّـها للدفن منذ عهد الدولة القديمة . وقد احتل هذه المكانة لأن والده «رع» أرسله من السماء ليدفن أوزريس بعد أن قتله أخوه ست ، فجمع أنوبيس أشلاء الإلّه الذي لم يبق منها سوى العظام ثم طواها في لفائف وأتم كل المراسيم التى أصبحت فيما بعد نموذجا يحتذيه المصريون (المترجم) .

اتحد مع أوريس (انظر متون الأهرام ١١٢٢ جـ ـ د)[1] . وتوضح بعض التمائم عادة داخل أربطة المومياء . كما يعنى عناية خاصة بجعران القلب الذي يوضع على الصدر. ومن الواضح أن المصريين كانوا ينظرون إلى القلب على أنه أداة للفهم الروحى ، ولهذا لا يزيلونه كما يفعلون مع الأعضاء الداخلية . ويكتب في العادة على الجعران نص قصير يناشد القلب ألا يشهد على الميت أثناء محاكمته أمام أوزريس .

١٢ ـ طبقة الكهنة المغلقة :

الدور الرئيسى في الطقوس الجنائزية يؤديه الكاهن الذي يجسد أنوبيس . وكان الكهنة ، بصفة عامة ، يعينهم الملك في البداية ، لكن في الدولة الحديثة وما بعدها تطورت طبقة للكهنة وأصبحت الوظائف الهامة وراثية ، وهؤلاء الكهنة المحترفون كانوا يسمون «خدم الآلهة» . ومن الطبيعى أن تكون هناك أنواع متعددة من التقسيمات الفرعية للكهنة تبعا للوظيفة التي يشغلونها . ولم تكن إدارة الأملاك الفخمة التى تملكها المعابد أقل المهام المخصصة لهم .

أما الدور النسائى في الكهانة فهو دور ثانوى لأنه انحصر أساسا في إعداد الموسيقى والرقص . وأما في طيبة فقد كانت الكاهنة الرئيسية لآمون تحمل لقب «زوجة الإله» ، وكانت قائدة الإناث اللائى يعزفن الموسيقى ويُنظر إليهن على أنهن حريم الإله ، ولقد اتحدن مع الإلهة «حتحور» التي ارتبط اسمها أساسا بالحب الجنسى والموسيقى ، ومنذ الأسرة الثانية والعشرين وما بعدها كانت هذه الكاهنات ، من الناحية العملية ، حكام المدينة الدينية .

١٣ ـ مفاهيم أخلاقية :

في استطاعتنا أن نقيّم المفاهيم الأخلاقية المتضمنة في الديانة المصرية على نحو أفضل لو قرأنا «أدب الحكمة» بدلا من تحليل النصوص المخصصة مباشرة للأسطورة

---

(١) مجموعة من نصوص الأدب الجنائزى القديم ظهرت في عهد ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة وهي معروفة منذ عام ١٨٨٠ ، وقد نشرها ماسبيرو عام ١٨٨٢ (المترجم) .

والعبادة، فالسلوك المستقيم طبقا لتعاليم «بتاح حوتب»[١] قد أقرّ النظام الأخلاقي الذى وضعته الإلّـهة «ماعت Maat»[٢]، في بـداية الخلق، ومـاعت، كما سبق أن رأينا، هي ربة الحقيقـة والعدالة والوفاق. ويقول هذا النص «مـاعت خيّـرة وقميتها باقيـة لم تتزعزع قط من يوم خـالقها!». وهناك نصـوص مماثلة تمتدح فضـائل أخرى كالتواضع، وضبط النفس والصبر والحكمة. فهناك نقـوش جنائزية لنبيل من الدولة القديمة جاء فيها «لم أتفوه قط بقول سيء ضد الناس لشخص ذى نفوذ، فقد أردتُ أن تكـون صـورتى حسنة أمـام «الإلـه العظيم»[٣]، لقـد قـدمت الخبـز للجـائع، والكساء للعارى». والإشـارة هنا «إلى الإله العظيم» تعنى الإيمان بيـوم الحساب بعد الموت، فقد ارتبطت المفاهيم الأخلاقية عند المصريين ارتباطا وثيقا بهذا الاعتقاد.

ولقـد عبّـر المصريـون عن صورتـه المتطـورة في الإيمان بأن كل إنسان بعـد الموت سـوف يـواجه «بميـزان القلب» أمـام أوزيريس والقضـاة الاثنين والأربعين. وهنـاك العديد من الـرسوم والنصوص التي تعالج هذه الفكرة وتظهـر كفتى الميزان: واحدة فيها رمز الإلّـهة ماعت (ربة الحقيقة) وفي الكفة الثانية قلب المتوفى، فإذا استطاعت فضـائله إحـداث توازن مـع كفة الحقيقـة فسوف يصـدر الحكم لصـالحه بالسعـادة الأبـديـة، وإلا فهنـالك وحـش يسمى «ملتهم الموتى» يقف منتظـرا القضـاء على الشخص المدان. ولقـد خصص الـورد رقـم ١٢٥ من «كتـاب الموتى» لموضـوع يـوم الحساب، وهو يحتوى على عدد من «إعلانات البراءة»[٤] مثل: «لم أسرق حصص

(١) يقول ديورانت عن «تعـاليم بتاح حوتب» إنها من المؤلفات الفلسفية، ويـرجع تاريخها إلى ٢٨٠٠ ق.م أى ما قبل كونفوشيوس وسقراط وبوذا بألفى عام وثلثمائة. وكان «بتاح حوتب» حاكما على منف وكبير وزراء الملك في الأسرة الخامسة، فلما اعتـزل منصبه قرر أن يترك لـولده كتابا يحتـوى على الحكمة الخالدة قصة الحضارة جـ٢ ص١٤٩ (المترجم).

(٢) هي ربـة الحقيقة التـى تعّرف أهل الطبقـة الممتـازة على آلمتهم، حظيت بتقـدير كبير في أوسـاط المتعلمين، والحقيقة باستمرار هى أهم دعامة للكمال الخلقى في عـالم تسوده الفضيلة. قال عنها أحد الملـوك المصريين «هي خبزي. وإنى أشرب من نـداها»! وكـان القاضى الأول والـوزير يسمى نفسـه كاهنها، ويحمل صورتها فوق صدره كشارة لوظيفته (المترجم).

(٣) الإلّـه العظيم وسيد القضاء هو الإله أوزريس (المترجم).

(٤) كان ينبغى على كل ميت وهو يلج مملكة الموتى أن يعلن أنه طاهر مبرأ من كل إثم حتى يمكن أن يستقبله الإلّــه العظيم سيد القضاء «أوزريس» وهو أشبـه بإعلان المتهم الآن أمام المحكمـة أنه «غير مذنب» حتى يمكن محاكمته (المترجم).

الخبز، ولم أتطفل على شؤون الآخرين، ولم أتجادل إلا في شئونى الخاصة، ولم أضاجع امرأة متزوجة».

كان «كتاب الموتى» هو وسيلة توصيل الحماية السحرية، ولقد ذهب البعض إلى القول بأن ذلك كله لم يتجاوز حدود السحر البدائى، فحتى توحد شخصية الميت مع أوزريس ــ وذلك هو الضمان الأخير لتبرئته يوم الحساب ــ فقد اعتبر من هذه الزاوية خلوا من العمق الأخلاقي. ولا شك أن عنصر السحر موجود، ولكن يمكن القول كذلك أن وجود قلق خفى حول المعايير الأخلاقية والمقاييس الأدبية أمر واضح أيضا، وهذا إن لم نجد هنا نوعا من الاقتراب بشكل غامض من فكرة غفران الذنوب.

١٤ ـ الحياة بعد الموت :

كان التوحّد مع أوزريس هو كذلك الأمل الرئيسى في الخلود. ومنذ الدولة الوسطى وما بعدها أصبح هذا التوحّد ميزة يحصل عليها كل مَنْ مارس الطقوس الدينية المناسبة. وفي العهد الرومانى أصبح التوحد مع أوزريس يعبّر عنه بتصوير المتوفى في بعض الأحيان وهو يحمل صفات من أوزريس. لقد أصبح عرفا سائدا، لمدة طويلة، أن يوضع اسم «أوزريس» قبل اسم المتوفى. وإذا كان تجدد الحياة النباتية، كما لاحظنا من قبل، قد أصبح رمزا لتجدد الحياة، فقد قام اعتقاد مماثل على أساس فكرة تجدد الحياة في السماء، على اعتبار أن الشمس بعد غروبها يمكن أن تشرق من جديد، وفضلا عن ذلك فإن التجلى الخارجى للروح (با Ba)(١) كان يتضمن إمكان تحولها إلى أشكال كثيرة، بحيث تستطيع أن تغادر قبرها وقتما تشاء.

ربما كانت قوة هذا الايمان بالحياة بعد الموت هي التي دعّمت الديانة المصرية وجعلتها تبقى قائمة في إحدى صورها المتأخرة حتى القرن السادس الميلادى وإن كان الاحتكاك بالثقافات الغازية قد صوّر وغيّر جانبا من مضمونها وصورتها. وهكذا فسرت ديانة «إيزيس وأوزريس» كما صورها المؤرخ اليونانى «بلوتارك» في

(١) تصور المصريون الروح وكانوا يسمونها «با Ba » في مختلف الأشكال، ولما كانت قادرة على أن تترك الجسد وتنفلت منه عند الموت فقد تخيلوها عادة كأنها طائر. (المترجم).

القرن الثـاني الميلادى تفسيرا حرا بمعاونـة الفلسفتين الأفلاطونية والـرواقية . لكن من حسن الطالع أن البقـايا الأثـرية العـديدة والكمية الضخمـة من الكتابـات الأصلية تسمح لنا بأن نقدر التراث المبكر حق قدره في صورته الأصلية التي لم تشبها شائبة .



الفصل الثالث

«اليونان القديمة»

انتشرت عبادة الإلّهة الأنثى في مناطق واسعة من الشرق الأدنى، لأنها تمثل قوة الخصوبة في الطبيعة، وفي ذلك إسقاط للنموذج الأنثوى الأصلى عليها. وأطلق عليها أسماء منوّعة، فهي «الأم»، و«الأم العظيمة»، كما أطلق عليها فيها بعد «أم الآلهة».

ويمكن كذلك أن تسمى إننا Inanna أو عشتار Ishtar، عناة Anat[1]، أوأتارجاتيس Atargatis، وريا Rhea أو ديكتينا Dictynna، باوبو Baubo أو ما أومه Ma، واللات Allat أو سيبيل Cybele. وغالبا ما يكون لها زوج أو رفيق، إله شاب، يموت فتحزن عليه، ثم ينهض من جديد أو يبقى حيا بمعجزة. ولقد كان هذا الإلّه هو «دوموزى Dumuzi »، أو تموز Tammuz «أو أدونيس Adonis» روح النبات الذي يموت في فصل الشتاء.

كانت الإلّهة الأم موجودة بالفعل عندما وصل الهيللينون إلى اليونان، وكان اسمها في أرجوس Argos هيرا Hera (أي السيدة) التي حلّت محلّ ديوني Dione زوجة لزيوس Zeus، وكان اسمها في دلفيxe أو «الأرض» وكانت لها عرافة قديمة، وفي إلوسيس كان اسمها أيضا الأرض الأم» ديمتر Demeter[2]، وكان اسمها في إسبرطة أورثيا Orthia، ولقد جاءت بدورها من آسيا عبر جزر بحر إيجه متخفية في أشكال

(١) مذكورة في أسفار العهد القديم «بيت عناة، وبيت شمس تسع عشرة مدينة. . إلخ». يشوع ١٩ : ٣٨، وسفر القضاة ٣ : ٣١. . . . . إلخ (المترجم).

(٢) يقال إن مقطع متر Meter في اسمها مشتق من ماتر Mater بمعنى الأم، وفي تفسيرات القدماء إن «دى» هي صيغة من «جى» الأرض، وبذلك يكون معناها أمنا الأرض أو الأرض الأم. (المترجم).

مختلفة، وكان اسمها في أفيسوس أرتميس Artemis وأصبح معبدها إحدى عجائب الدنيـا، ومن هناك وصلت إلى جزيـرة ديلوس Delos، ثم من ديلوس إلى اركـاديا Arcadia في البلبونيز (المورة) وبرورون Brauron في اتيكا.

ولقد روضهـا اليونـان وجعلوا منهـا ربة للطبيعـة البرية، وصـائدة عذراء، وإن كانت تسربت روايـات عن حملها لطفل وعن رفيقتها كـاليستو Callisto[(١)]. أمـا أفروديت الأم (المولودة من زبد البحر) فقد رحلتْ إلى بافوس Paphos في قبرص[(٢)]. ولتسميتها «بـالمولودة من زبـد البحر» معنى مزدوج: فهـذه التسمية تـدل على البحر الذي خرجت منه أفروديت كما هي الحال في لوحة بوتشيلي الشهيرة[(٣)] كما تدل أيضا على الرغاوى المحيطة بالحيوانات المنوية.

وانتقلت عبادتها من قبرص فوصلت ميناء كورنثة، حيث كان معبدها يرتفع عاليا على الاكروبـوليس، مزودا بأكثر مـن ألف معبد للبغايـا أو «بنات الضيافـة» اللائي كن، كما يقول استرابو Strabo[(٤)] ـ مركز الجذب الرئيسي في المدينة. وأصبح فعل «يتكـرنث» (المشتق من اسم المدينة كـورنثـة) مرادفـا في نظـر الأتقياء «لـلاأخلاقيـة الجنسية». ولهذا اعتمد اتهام القديس بولس للمجتمع الأثيني في الإصحاح الأول من رسـالته إلى أهل روميـة، على سنتين قضـاهما في كـورنثة، فإذا مـا استبعـدنـا النزعـة التجارية ظهرت قوة الأم العظيمة. ولقد عرف الإغريق أيضا قصة موت الروح النباتية

---

(١) كـانت كاليستـو رفيقة صغيرة لأرتميس وكـانت تـرتدي دائما زي الـربة نفسهـا وتشاركهـا هوايـة الصيد، وقـد غرر زيـوس بهذه الفتاة وجامعهـا وهو متنكر في صـورة دب. وقد مسختهـا أرتميس دبة لغضبها الشـديد عندمـا اكتشفت وهي تستحم معها في الينابيع أنها حبلى، وانتـزع زيوس الطفل من بطن أمه قبل مصرعها (المترجم).

(٢) رحلت أفروديت ـــ التي انبثقت من زبد البحـر الذي اختلط بقضيب أورانس إلـه السماء بعد أن مزقـه أبناؤه إربا ـــ رحلت إلى قبرص حيث شُيّد لها في مدينـة بافوس أقدم معبـد في العالم اليونـاني كله (المترجـم).

(٣) بـوتشيلي، سانـدر Sandro و Botticelli (١٤٤٥ ـ ١٥١٠) رسـام إيطالي من مواليد فلـورنسا استوحى الوثنيـة القديمة في لوحـاته من أشهرهـا أفروديت وهي تخرج من البحر عارية نـاضجة الأنوثة (المترجم).

(٤) استرابو (٦٤ ـ ٢٣ ق.م) جغرافي ومؤرخ يوناني تعد آثاره مرجعًا معتمدًا في دراسة التاريخ القديم (المترجـم).

في أسطورة حب أفروديت لأدونيس الذي قُتل وهو يطارد الخنزير البرى.

الديانة المينوية[1]:

كانت كريت هي المركز الرئيسي للثقافة المبكرة، كما كان «للأم» فيها مكانة عالية، فقد سادتْ في البداية التماثيل الصغيرة، رغم أنها لم تكن تقتصر على تماثيل الأنثى. ولكن في الألف الثانية قبل الميلاد اكتملتْ صورة الإلّهة تماما. ولقد ارتبطتْ بالحيوانات والطيور والثعابين، كما ارتبطتْ بالعمود والشجرة، والسيف والفأس المزدوج، وصارت لها السيطرة على جميع مجالات الحياة والموت. ويصورها تمثال شهير وهي واقفة فوق الجبل يحيط بها أسدان، وتمثال آخر والثعابين تطوق ذراعيها، أما رفيقها الشاب الذي عرفه الإغريق باسم زيوس فقد ولد فوق جبل ايدا Ida.

وكانت العقيدة هي عبادة الخصب حيث ارتبطت الإلّهة بالقمر (لما للقمر من ارتباط بالطمث وقوة النساء) ـ كما ارتبط زوجها بالشمس، وقد تمثلوهما مرة أخرى على صورة البقرة والثور. وكانت أسطورة حب باسيفي Pasiphae[2] لثور، واغتصاب ايروبا Europe[3] من قبل ثور، أسطورتين تنتميان معا إلى كريت. وكان الزواج المقدس جانبا هاما من الطقوس، وفي إحدى صور هذه الأسطورة جامع ياسيون Jasion «ديمتر» في حقل محروث[4]، وها هنا نجد رابطة لا تخفى بين

---

(١) تعرف أيضا باسم الديانة الكريتية وتسميتها بالمينوية نسبة إلى مينوس Minos الملك، أو البيت الحاكم الذي سيطر على جزيرة كريت لفترة طويلة (المترجم).

(٢) باسيفي هي زوجة الملك مينوس (انظر الهامش التالي) وقد تولدت في نفسها رغبة شاذة نحو الثور الذي وعد زوجها بذبحه قربانا للآلهة، ثم عاد واحتفظ به لينتج له سلالة من الثيران على شاكلته (المترجم).

(٣) ايروبا Europa ابنة ملك مدينة صور ـ وهي التي سميت باسمها قارة أوروبا ـ رآها زيوس فهام بها حبا، ولكي يفوز بها تقمص شكل ثور وديع، وراح يقفز حولها وهي تمشى على الساحل الفنيقي. وأخيرا تمكن من إغرائها بالركوب فوق ظهره وقفز في الماء حاملا حبيبته إلى كريت، وهناك أنجب منها ثلاثة ذكور منهم مينوس Minos الذي أصبح حاكما للجزيرة (المترجم).

(٤) ياسيون Jasion إله قديم للزراعة قبل مجيء الإغريق، ويروى هزيود أنه أنجب من الربة «ديمتر» الإلّه «بلوتو» الذي يظهر في الاحتفالات على هيئة طفل يحمل ثمار المحصول رمزا للوفرة والغنى. ويروى هوميروس في الأوديسة أن ياسيون جامع ديمتر في حقل محروث ثلاث مرات، وأن زيوس قتله بصاعقة عندما علم بذلك (المترجم).

الأسطورة وتخصيب الأرض. كما أدت السيادة العامة للحيوانات إلى اشتباه بعض الشراح في وجود الطوطمية.

كانت هناك محاريب هامة في الكهوف والمغارات، وقد كشفت عمليات التنقيب في كهف كماريس Kamares عن أواني جميلة من الفخار، وأكوام من الحبوب كانت فيها يبدو تقدم «للأم»، وقد بقي الكهف الواقع أسفل قمة جبل «ايدا» حتى العصور الرومانية بمثابة محراب لزيوس كما وجدت قرابين من الحيوانات، وأعمال برونزية مبهرة، كما قدَّم إلينا كهف بسيكرو Psychro لوحة برونزية، وفاء لنذر من حوالى ١٥٠٠ سنة ق. م عليها منظر للعبادة يبيّن الربة على شكل طائر وهي تقف على شجرة مقدسة، وفي خلفية اللوحة الشمس والقمر وقرنا التكريس، والناذر نفسه.

زيوس Zeus

جاء الهيلينون الغزاة إلى الجنوب في الألف الثانية ق. م. وجلبوا معهم إله السماء الهند ـ أوربي العظيم «ديوس Dyaus أو زيوس Zeus»[١]، ولقد قيل إنَّ هذا هو كل ما نعرفه عنها. وكان من الطبيعي للبدو المهاجرين أن يظلوا على تمجيدهم لقبة السماء، فالأرض يمكن أن تتغير أما السماء فلا تتغير. ومع «زيوس» جاءت رفيقته الملازمة له ملازمة الظل ديوني Dione، والعذراء بلاس Pallas[٢]، التي تقوم بالإشراف على المعارك[٣].

التقي هؤلاء الغزاة في اليونان بالهة «الأرض الأم»، ومع أول موجة من موجات المهاجرين من الهيلنين احتفظت هذه الآلهة بمكانتها المرموقة السابقة، وأصبح إله السماء «بوزيز ـ داس Posis-Das» زوجا للأرض. بعد ذلك لم يتعرف الهيلنيون على

(١) الكلمة في الأصل تعنى السماء (المترجم).

(٢) لقب من ألقاب أثينا شاع منذ هوميروس ذلك أن الجبار بلاس حاول مغازلتها فقتلته وأضافت اسمه إلى اسمها ليكون ذلك نذيرًا لغيره من الخطاب، وهكذا ظلت أثينا عذراء (المترجم).

(٣) كانت العذراء بلاس واحدة من خادمات المعارك الاثنى عشرة، تطوف أرض المعركة، وتختار من القتلى من تقودهم إلى العالم الآخر (المترجم).

إلّـههم هنا. وكلما ثبّت «زيوس» سلطانـه انزاحت صورة «زيوس» إلى البحر لتصبح بـوزيـدون poseidon وبصفة عـامة كان هناك حل وسط، وهـو أن تختفي «ديوني» ويقبل زيوس الأرض الأم في صورها المختلفة رفيقة لفراشه: ومن هنا جاءت غرامياته المتعددة. فـزواج السماء والأرض جعل الخصوبة مضمـونة، ويمكن أن يصبح رفيق الأم هـو ابن زيوس مثل هـرقل Heracles. أما في أثينـا فقد تمت الغلبـة للعذراء، وتحوّلت الأم إلى عذراء مقاتلة هي «أثينا ـ بلاس». ولما كان من الطبيعي أن يُعبد إلّـه السماء فـوق الجبـال، فقـد اتخذ زيـوس عـرشه فـوق أعلـى جـبل وهـو جـبل أوليمبوس Olympus حيث شيد فيما بعد محرابه فوق إحدى القمم المنخفضة، رغم وجـود عـروش كثيرة لـه، في الأكـرويول في أرجـوس Argos وفي جـبل كـوريسوس Coressus في أفسس، وفي جبلين في أنطاكية.

ومن الطبيعي أن يمر الإلّـه العظيم نفسه بألوان من التحـولات المختلطة، ففي كـريت حيث وجـدت حكـايـات كثيرة عن مـولـد زيـوس، امتـزج بالإلّـه المحلي للخصوبة، وتـوحي أسماؤه المتعددة بأنه كُتبت له السيـادة على وظائف معظم الآلهة المتخصصين. فقد أدرك اليـونانيون مبكريـن، على نحو غير عادي، وجود إلـه عال محيط بكل شيء، وأصبح زيوس هو الآلـه الذي يرعى الاستقامـة، وظهر اتجاه نحو وحدانية ممكنة، وتطلب عيـد الإلّـه زيوس في أولميا Olympia عقد هـدنة حتى بين اليونانين المتحاربين، وفي ثلاثية أسخيلوس المسرحية «الأورستيا Oresteia »[1] نراه في خلفية المسرحيـة يتكاثـر، فهو زيـوس «المنقذ»، وزيوس، «محقـق الآمال»، ومع التحول من زيـوس حامي حمى الضيافـة، إلى زيوس إلّـه المجلس السياسي وجـدناه يحقق ذاته. ولقـد صـوره المثـال «فيـدياس» في تمثـال اعتقـد كونتيليانـوس

(١) الأورستيا: ثـلاثية للشاعـر اليونـاني أسخيلوس Aeschylus (٥٢٥ ـ ٤٥٦) كتبهـا في ثـلاث مسرحيات هي أجـاممنون ويصـور القائد بعـد عودته من حـرب طروادة وخيـانة زوجتـه. ثم مسرحية «حـاملات القـرابين» وهن جماعـة من النساء يـأتين بالقـرابين إلى قبر الملك بعـد أن قتلته زوجتـه مع عشيقها، وفيها أيضا نجـد أورست يقتل أمه انتقاما لأبيه. أما المسرحية الثـالثة فهي «ربات الرحمة» أو «الراجيـات الخير، وفيها يتضرع أورست إلى» الإلّـهة أثينـا أن تنجيه، وتحتج ربات الانتقـام، فتنعقد محكمـة من الآلهة لمحـاكمتـه.. إلخ. وتعـد الأورستيا أروع آيـات الأدب اليـونـاني في نظـر كثير من الباحثين (المترجم).

Quintilianus[1] أنه يضيف جديدا إلى الديانة التقليدية، وهو تمثال أوحى إلى ديون البروزى Dio of Prusa بموعظة نبيلة، أما بالنسبة للرواقيين فقد كان زيوس كل شيء ومنبثا في كل شيء، ولهذا كان من الطبيعي أن يطلقوا على الكون اسم: «مدينة زيوس».

مجمع الآلهة في الأولمب:

في الشعر الذي ينسب عادة إلى هوميروس يظهر مجمع الآلهة في جبال الأولمب أشبه بالمجتمع البشرى، لكنه مكتوب بأحرف كبيرة، فزيوس هو السيد المسيطر، والقائد الأعلى، وأب الآلهة والبشر، ثم هناك، بعد ذلك، بعض التخصصات في الوظائف: فهيرا Hera هى حارسة الزواج، وبوزيدون يحكم البحر، أفروديت هي قوة الحب، وآرتميس Artemis هي ربة الطبيعة البرية. أما أثينا فهي ـ بالإضافة إلى خصائصها الحربية ـ ربة الحكمة وراعية الحرف الفنية. كما أن ديميتر Demeter أصبحت الأرض الأم، وارتبطت بصفة خاصة بحصاد القمح. وأما الإله «أبوللو» فهو مركب ومثير للخلاف: فاسمه مزدوج «فويس أبوللو Phoebus Apollo[3] (أي أبوللو المطهر) ـ والمركز الرئيسي لعبادته مزودج أيضا، فهو يوجد في «ديلوس» وفي «دلفى» كما أنه يرتبط ارتباطا مزدوجا بالشمال والشرق، وهذا يشير إلى أصله المركب. ويوحى لقب (فويس) بأنه إله الشمس الذى يرسل أشعته فتنشر الوباء كالسهام، والذي يستطيع أن يعالج الطاعون كما يستطيع أن يأتي به، ولقد أشرف، في العصور الكلاسيكية على الثقافة بمعناها الواسع: الموسيقى والأدب، والفكر الراقي. أما الإله هرمس Hermes فهو «ركام من حجارة» أو كومة من

(١) خطيب وبلاغي رومانى (٣٥ ـ ٩٦م) أنشأ في روما معهدا لتعليم الخطابة، وألف كتابا ضخما عن أسس الخطابة في ١٢ جزءا (المترجم).

(٢) بعد أن انتصر زيوس على أبيه كرونس في حرب طاحنة، راح يوزع ملكوت العالم على إخوته، فنصب أخاه بوزيدون ملكا على الماء واتخذ من هيرا زوجة وحامية للأسرة ومن ديمتر راعية للحصاد... إلخ (المترجم).

(٣) لقب فويس الذي يخلعه عليه هوميروس يعنى المضيء والمنير كما يعنى المطهر (المترجم).

الأحجار [١]، توضع على جانب الطريق للتوقير، ولهذا أصبح مرشدا للمسافرين والتجار، ورسول الآلهة الذي يرافق الموتى، وهو بصفة عامة المحتال النشط[٢]، مثل القيوط Coyote في أمريكا أو الأنانسي Anansi في غرب إفريقيا[٣]. وكلمة هرمايون Hermaion (كومة حجارة) تعنى لقية تجلب الحظ وكانت الحجارة أو الأعمدة المربعة التي تحمل وجه إنسان وعضو الذكورة تحدد شوارع المدينة[٤]. أما هيفاستوس Hephaestus فيمكن أن تتعقب أثره حتى حقول النفط في الشرق الأدنى، فمن الطبيعي بوصفه إله النار أن يرتبط اسمه بالحدادة والتقنية. وأما آريس Ares فيبدو أنه قدم من تراقيا، وأيا ما كان أصله فقد كان عند الإغريق إله الحرب وعشيق أفروديت[٥]. وأخيرا هناك هستيا Hestia ربة المدفأة والمنزل، وبذلك يكتمل عدد الآلهة اثنى عشر إلها.

غير أن «ديونسيوس» أزاحها إلى الخلف، وظهر اسمه على لوح بخطوط على شكل الحرف ب[٦] في العصر الميكيني[٧]، وبذلك عرف في فترة مبكرة. ولا بد أنه

---

(١) اسم هرمس مشتق من لفظ Herma أو هرمايون Hermaion بمعنى كومة من الحجارة، أو نصب حجرى، وكانت الأكوام الحجرية تستخدم كعلامات على جوانب الطريق تحديدا لها وهداية للمسافرين (المترجم).

(٢) وصف هرمس بأنه محتال مخادع ومكار ومن هنا نشأت شهرته في اللصوصية ورعاية اللصوص وهى حرفة أعانته عليها خفة حركته ومعرفته التامة بالطرق والدروب، ونظرا لمعرفته بهذه الطرق فقد أصبح إلها للتجار (المترجم).

(٣) القيوط ذئب صغير ماكر في أمريكا الشمالية، والأنانسي شخصية تلعب دور المحتال في الأدب الشعبى الأفريقي (المترجم).

(٤) كان هرمس أيضا «إله الخطر»، ولما كان يرمز إليه بعمود حجرى يحيط بقاعدته كومة من الحصى، فقد أخذ العمود والإله يقتربان من الصورة الآدمية في أذهان الناس حتى شبهوه بعضو الذكورة استجلابا للخصب والوفرة (المترجم).

(٥) هام حبا بأفروديت وبادلته الربة هذا الحب، فكان يزورها في قصر زوجها هيفايستوس من وراء ظهره. لكن هليوس Helios إله الشمس الذى لا يخفي عليه شيء رأى العشيقين في خلوتهما فأخبر الزوج الذي كان آخر من يعلم فصنع شبكة من حديد وألقاها عليهما ليضبطا متلبسين! (المترجم).

(٦) ألواح من الطين مكتوبة بخط يسمى الكتابة الخطية ب Linear B (حوالى ١٢٠٠ ق.م) اكتشفت بإقليم مسينا وفي ميكياس وقد سميت كذلك تميزا لها من الألواح المكتوبة بالخطية أ Linear A التي لم تكتشف إلا في كنوسوس بجزيرة كريت (المترجم).

(٧) العصر الميكينى (حوالى ١٥٥٠ ق.م) وسمى كذلك لأن مدينة ميكيناى Mycenae بالبلبونيز كانت أقوى مدن هذه الفترة وأغناها وأوسعها نفوذا (المترجم).

أجبر على التراجع أو الانزواء فترة ما (فهو لا يظهـر عند هوميروس) ليعود إلى الظهور على نحو مفاجىء وعنيف، لقد جاء من تراقيا كقوة للطبيعة البرية، والوجد والنشوة الـدينيـة، والنبيـذ وثماره. وانتشرت عبادة النشـوة بين النسـاء الـلاتى كن يصعـدن هائمات فـوق الجبل في نوبـة سعار مقدس، ويصطـدن إلـهههن في صـورة حيوان ثم يلتهمنه. وهي صـورة أعاد «يـوربيدس» إبداعهـا على نحو بـالغ الروعـة في مسرحية «عابدات باخوس The Bacchae [(١)].

لقد أطلق الباحثون على قصائد هوميروس اسم «إنجيل الإغريق» وهي إن لم تكن كذلك فقد كـانـت مسؤولة أكثر من أى عامل فـردى عن تثبيت وتدعيم صورة الآلهة الشبيهة بالبشر في أذهـان الناس؛ غير أنه من الأهمية بمكان أن نتذكـر أن هناك قوة القدر Moira[(٢)] التي تعنى أن زيوس قد يستطيع تحدى القدر، لكن من الخير له ألا يفعل.

وتحولت بعض الآلهة إلى آلهة مدن، وسرعان ما دخلت الديـانة السياسية. ولدينا أثينا كمثـال واضح، ففي عام ٤٠٥ ق. م صدر قرار يعطى حق المواطنـة الأثينية إلى أبنـاء سـامـوس Samos، وهو قـرار يوضحه منظر هيرا إلـهـة ساموس وأثينـا إلـهة الأثينيين وهما يتصافحان، وتمثل هيرا أيضا مدينة آرجوس Argos، كما يمثل أبو للو مدينة اسبرطة وملطية وقورينة. أما الإلـهة أرتميس فهى تمثل «أفيسوس» والإلـه هرقل جزيرة ثاسوس Thasos وبريابوس Priapus مدينة لامبساكوس LaMpsacus[(٣)].

(١) في الاحتفال بموت ديـونسيوس وبعثه، كانت النسـاء تصعد التلال في فصل الربيع لـرؤية الإله حين يولد من جديد. وكن يقضين يومين كاملين في احتساء الخمر بلا حساب حتى يفقدن العقل من شدة السكر، وكن يرقصن أثناء الشراب بطريقة هستيريـة ويمسكن بماعز أو ثور يمزقنه إربا وهو على قيـد الحياة إحيـاء لذكـرى تمزيق ديونسيـوس، ثم يشربن من دمه، ويأكلن لحمـه معتقدات أن الإلـه سيدخل بهذه الطريقة أجسـامهن، ولفظ الحماس الإنجليزية Enthusiasm مشتقة مـن انثيوس En-theos أى «إله في الداخل» أو أن يتملك إلـه جسم الإنسان (المترجم).

(٢) كـان زيوس ملك الملـوك، وسيد الإلـهة، يطيعـه كل شيء إلا ربات القـدر أو المقاديـر Fates القاطنات في العالم السفلى هاديس واللائى يجرى قضاؤهن على زيوس نفسه! (المترجم).

(٣) بريابوس إلـه الخصب والحدائق ولد نتيجة لاتصال ديونسيوس بأفروديت وكان الفنـانون يزينون المزهريات بصورته، وقد نشأت عبادته أصلا في بلدة لامبساكوس على الدردنيل (المترجم).

قوة الطبيعة :

الطبيعة كلها عند الإغريق مفعمة بالحياة ، فالجبل هو عرش إلّه السماء ، ويصعد المتعبدون إلى قمة الهضبة للصلاة من أجل المطر. ولكل شجرة حورية من حوريات الغابة ، وشجرة البلوط مقدسة عند زيوس ، وشجرة الزيتون مقدسة عند الإلّهة أثينا ، والغار عند أبوللو ، والنباتات العطرية عند أفروديت ، وخشب الحور عند هرقل . والايكات والبساتين ، بصفة خاصة كانت موضع التقديس ، فهى ملجأ وملاذ كما عبر عن ذلك ايسخليوس في مسرحية «الضارعات» . ولكل ينبوع حورية ، ولكل نهر إلّه . ولقد ألف جيمس ر. سميث James R.Smith مجلدا ضخما حقا صنف فيه «الينابيع والآبار في الأدب اليوناني والروماني» مع عرض لأساطيرها وقصصها المقدسة .

ومن يضل طريقه في الريف يمكن أن يلتقى بالإلّه «بان Pan[1]» ، أو بالساطير Satyrs[2] ، أو القناطير Centaur[3] . ولقد كان البحر هو مسكن الإلّه بوزيدون ، وهو أيضا بيت بروتيوس Proteus[4] بقدرته السحرية على تغيير شكله ، وعروسة البحر الرمادية جلوكس Glaucus[5] ، والحورية المقدسة انوليوكوثيا

---

(١) الإلّه بآن هو إلّه الرعاة والقطعان والغابات والمراعي . وكانوا يصورونه نصف إنسان من الرأس حتى الفخذين ، ونصف جدى (فيه من الجدى ساقاه وأذناه وقرناه) تسمع صفارته في كل جدول وواد ، وتبعث صيحته الفزع . وكلمة Panic الإنجليزية التى تعنى الفزع مشتقة من الإلّه بان (المترجم) .

(٢) الساطير: آلهة الغابات في أساطير الإغريق لها ذيل وأذنا فرس ، وتميل إلى العربدة والانغماس في الملذات (المترجم) .

(٣) القناطير: جماعة من الوحوش البرية . يقال إن لها رأس إنسان وجسد حصان ، وكانت تعيش في الغابات وأعالى الجبال . وهم من نسل اقنطورس بن اكسيون Ixion ، ويقال إنه كان يجامع الأفراس قرب جبل بيليون (المترجم) .

(٤) بروتيوس : إلّه صغير من آلهة البحر ، كان في البداية راعى قطعام البحر كالأسماك وكلاب البحر . . إلخ . وعند هوميروس أنه كان جنيّا مصريا يخدم بوزيدون إلّه البحر ، وكانت له القدرة على التشكل في أشكال الوجود (المترجم) .

(٥) جلوكا أو جلوكس واحدة من عرائس البحر ، وكانت تسمى بالرمادية المائلة إلى الزرقة ، وهذا هو معنى الكلمة (المترجم) .

وعرائــس البحـــــر الفاتنـــــات«النـاريدات Nereids»[٢]، Ino Leucothea[١] والـــتريتون المتـوحـشة Tritons[٣] والســيرينيات المــهلكات[٤]. أمـا فــوق، في السـمـاء، فكـان «زيوس» يمارس قوته الـرعدية. وأما الشمس والقمر المقدستان فيتحركـان في هدوء، رغم مـا قد يعلنـه أحد العلماء الملاحدة مـن أن الشمس حجر ملتهب[٥].

وكـان للنجـوم أسـاطيرها المنـاسبة، ولقـد أعلن فيلسـوف عميق مثل أفلاطـون أنها مفعمـة بـالروح، وكلما مـرَّ الـزمن امتـلأت القبـة الزرقـاء بين السماء والأرض بقـوى وسيطة.

إن كان هذا يؤثر في فهمنا لبعض النصوص في الأدب اليوناني: فهناك تقدير ضعيف لجمال الطبيعـة في ذاته، فـاليـونانيـون لا يتسلقـون جبالهم لكى يستمتعـوا بـالمناظـر الطبيعية لقد كانت الطبيعة تقدم الطعام والشراب، والظلال الدافئة أو الباردة، فهى مفيدة ونافعـة أو هى مرعبة ومدمـرة. غير أن الطبيعة تعنى أساسـا قوة الحياة، ولهذا كانت مقـدسة. والمنظر الشهير في بـداية محاورة «فـايدروس» لأفلاطـون ليس وصفا للجمال الطبيعى، وإنما هو وصف لأيكة مقدسة ولظل مريح وعشب وماء[٦]. ولا تـذكـر ديـوتيما Diotima جمال الطبيعـة ضمن قائمـة الجمال التى سردتها في محاورة

(١) كانت حـورية البحر «ليـوكوثيا» هي التي ساعدت أوديسيـوس في محنته بعد أن هشَّم بـوزيدون زورقه، فأعطتـه وشاحـا لفَّه حـول وسطه واستطـاع أن يسبح به ثـلاثة أيام حتى وصـل إلى الشاطىء (المترجم).

(٢) الناريـدات: مجموعـة من حوريـات البحر تزعم الأسطـورة الإغريقيـة أنهن من بنات إلـه البحر نيريوس Nereus (المترجم).

(٣) التريتون: نصف إلَـه من آلهة البحر عند الإغريق له جسم رجل وذيل سمكة. (المترجم).

(٤) مجمـوعة من كـائنات أسطـورية لها رؤوس نسـاء وأجسام طيـور كانت تسحـر الملاحين بغنائهـا فتوردهـم موارد الهلاك. ولهذا اضطر أوديسوس إلى إغلاق آذان رجاله بالشمع عندما مر بجزيرتهم أثناء عودته من طرواده (المترجم).

(٥) هو الفيلسوف اليوناني انكساجوراس Anaxgoras (٤٩٦ ـ ٤٢٧ ق. م) ذهب إلى أن الشمس ليست إلَـهـا وإنما هى حجـر ملتهب تفوق في الحجم شبة جـزيرة المورة وأن القمر مسكون وفيـه جبال ووديان.. إلخ (المترجم).

(٦) في بداية المحاورة يبحث فايدروس وسقـراط عن مكان منعزل على ضفة نهر اليوسس «فهناك ظل ونسيم عليل وحشـائش خضراء نجلس أو نستلقـى عليهـا إن شئنـا» ٢٧٩ س تـرجمة د. أميرة مطـر ص٤٤ (المترجم).

«المأدبة» لأفلاطون[١].

والواقع أن الريف يكاد يزخر بالهياكل والتمثيل الصغيرة والقرابين. ولقد وصف استرابو Strabo مصب نهر الفيوس Alpheus على النحو التالي: ضفة النهر كلها مليئة بهياكل للإلـهة آرتميس Artemis، والإلـة أفروديت، وحوريات البحر في بساتين مزدهرة ترجع أساسا لوفرة الماء، والعديد من تماثيل «هرميس» على الطريق، وتمتد هياكل للإلـه «بوزيدون» على لسان من الأرض داخل البحر! ويعلق الأستاذ مارتن نيلسون Martin Nilsson[٢] بقوله: يكاد يصعب على المرء أن يخطو خطوة واحدة خارج الدار دون أن يلتقي بهيكل صغير، أو سياج مقدس، أو صورة، أو حجر مقدس، أو شجرة مقدسة، وربما لا تكون هذه هي الصورة المثلى للديانة اليونانية، لكن من المؤكد أنها أكثر الصور ثباتا.

التطهر والقداسة:

ارتبط جانب كبير من الديانة اليونانية بالتطهر والقداسة: فالمحراب أو قاعة الأسرار الدينية Temenos مفصولة، معزولة على حدة، وليست المعابد التى نعجب بها أماكن للعبادة العامة بالمعنى الحديث، فقد لا يدخلها بعض الناس إلا مرة واحدة فقط في السنة، أو قد لا يدخلها سوى الكهنة فحسب، وقد لا تدخلها الكاهنات إلا منقبات. (مثل معبد سوسيبوليس Sosipolis في مدينة إليس Elis) ويكتب على الهيكل الداخلى كلمة adyton (أى ممنوع الدخول). وهناك أماكن أخرى يمنع فيها المشى مثل أيكة الإلـهة ديمتر والإلـهة كورى Kore[٣] في مدينة ميجالوبوليس Megalopolis[٤] أو أى مكان آخر يظهر فيه البرق.

(١) ديوتيما امرأة من «مانت» صاحبة أعمال جليلة وهى على ما يروى سقراط في «المأدبة». هى التى علمته فن الحب. (المترجم).

(٢) عالم سويدى متخصص في الحضارة الإغريقية (المترجم).

(٣) ابنة ديمتر التى اختطفها هاديس إله العالم السفلى، وعُرفت بعد زواجها منه باسم برسيفونى Persephone وهى ربة الربيع (المترجم).

(٤) ميجالوبوليس مدينة رئيسية في الجزء الغربى من إقليم أركاديا وتقع على نهر الفيوس Alpheus (المترجم).

كـان الدنس تهمـة بشعـة . ويمكن أن نسـوق مثلا جيـدا على ذلك من مأسـاة أوديب الـذي قتل أباه وتـزوج أمـه، ولا يهم أن تكون الجريمـة قـد ارتكبت عن علم وتعمد أم لا. كما كان على «أورسـت» أيضا أن يتطهر[1] ، ونحن نراه مـرسوما على مزهـرية وقـد رش فوقه دم خنـزير، وفي بعض الأحيـان تستأصل الموضوعـات المادية المرتبطة بجريمة ما، ففي جزيرة «قوس» بعد أن انتحر رجل بشنق نفسه على شجرة، عوقب الحبل والشجرة بالابعـاد، وفي أعياد بوفونيا Bouphonia الغريبة، وهـو عيد يحتفل فيه لـزيوس في أثينا يفر الكـاهن بعد التضحية الرسميـة وتحاكم الفأس وتدان ويلقى بها في البحر.

وكبش الفداء صـورة من صور التطهر. ففـي أثينا، وفي غيرها من المدن الأيـونية في عيـد ترجيليـا Thargelia[2]، وهو عيد الإلّـه أبوللو، تلقى خطـايا الجماعة على عاتق فرد واحد يسمى فارماكوس Pharmakos (أي العقار أو الدواء)[3]. ثم يطرد من المدينة. وهناك أساليب عديـدة للتطهر، أبسطها، التضحية بخنزير أو كلب أو ديك أو الاغتسال في مـاء البحر، ثم امتدت هذه الأسـاليب إلى خبرات كثيرة متكررة تعيد ذكرى الإلّـهة مانا Mana، وهكذا يقضى على المرض، أو تهدى ملابس امرأة في المخاض إلى الإلّـهة آرتميس البرورية Artemis of Brauron .

الأسـرار:

هنـاك عبـادتـان مميـزتـان من بين العبـادات التي غلب عليهـا طـابع الـديـانـة الشخصية، فـالناس في إليـوسيس Eleusis[4]، تـروى كيف اغتصب إلّـه العـالم

(١) أورست هو ابن أجـاممنون الذي انتقم من أمه وعشيقهـا لقتلهما لأبيه وقد سبق أن أشرنا إليـه عند الحديث عن ثلاثية «الاورستيا» لايسخيلوس (المترجم).

(٢) اسم شهر من الأشهر اليونانية، والتراجيليا عيد حصاد الحب (المترجم).

(٣) كـانوا إذا داهم المدينـة قحط أو مرض قـدمـوا للآلهة ضحيـة بشرية تطهيرا للمـدينة، ففي عيـد «الثارجيليـا» يأتون بمواطن فقير ويطعمونـه ويلبسونه ثيابـا كهنوتية ويزينـونه بالأغصان المقـدسة ثم يلقون به من فوق صخرة ويدعون من حوله أن يكفر بعقابه هذا عن سيئات مواطنيه! أما كلمة Phar- makos فكانت تعني في الأصل «رقية سحرية» ثم أصبح معناها «العقار الشافي» (المترجم).

(٤) إليوسيس هي المدينة التالية لأثينـا وكانت تقع على خليج شبه مقفل على سهل ساحلي خصيب. وكانت تقـام فيها أسرار عبادة ديمتر وكـوري (برسيفوني) التي كـان يفد إليها النـاس من جميع أرجاء اليونان. (المترجم).

كورى العذراء، كما تروى قصة حزن أمها الإلـهة «ديمتر» وهى تبحث عنها، وقصة الآفات التى ضربت بها «ديمتر» الأرض، وقصة استعادة الأم ابنتها جزءا من العام فحسب، واتحاد الابنة من جديد مع الربة[١]. وتعكس الإسطورة دفن بذور القمح تحت الأرض في قدور تخزين أثناء الجفاف الشتوى المظلم وظهورها من جديد عندما تبذر في الربيع[٢].

ويقام احتفال عظيم في شهر سبتمبر يبدأ بالحث على البعث الروحي والتعميد في البحر، وفي ١٩ سبتمبر يأتي موكب من أثينا وتقام عملية الترسيم، وكانت الأسرار تصان ويُحَّرم على أي إنسان البوح بها، لكن الاستنتاج المعقول أن هناك أداء دراميا للاسطورة ينتهى بزواج مقدس[٣]، كما يحدث تجل تصاحبه أضواء لامعة تتركز على سنبلة قمح ووليمة مشتركة، ويحدث نوع من الاتحاد مع الربة. ولقد سك الإمبراطور جالينوس Gallienus على النقود صورة جالينا Galliena الأنثى في ذكرى ترسيمه. وكان الوعد هنا يشبه ما عبر عنه المسيح بقوله «ما لم تسقط حبه القمح في الأرض وتموت فإنها تظل وحيدة، ولكنها لو ماتت لجلبت الكثير من الثمار». لقد كان هذا هو وعد «الترنيمة إلى ديمتر»[٤] التى تقول أبياتها:

مبارك بين البشر على الأرض،

من رأى هذه الأشياء،

---

(١) يقال إن كورى أكلت حب الرمان وهى في العالم السفلى، لهذا كانت تنام نصف العام في العالم السفلى وتصحو نصفه الآخر فوق سطح الأرض! أما الاحتفالات بالطقوس السرية الكبرى باليوسيس فهى تقام في شهر سبتمبر لمدة ستة أيام. وكانت تقترن بذكرى عودة كورى إلى أمها ديمتر في مستهل الخريف عندما تكون الخضرة قد عادت إلى الحقول بعد جفاف الصيف (المترجم).

(٢) كانت كورى تمثل الروح المودعة في القمح والحبوب، تجيء بمجيئها وتختفي باختفائها. ومن هنا كانت صلتها بالعالم السفلى تحت التربة حيث تدفن البذور. ومن هنا أيضا جاء ارتباطها بإلـه العالم السفلى «بلوتو» أو «هاديس» الذي اختطفها ونزل بها إلى دولته تحت الأرض وبحثت ديمتر عن ابنتها دون جدوى حتى بلغت اليوسس... إلخ (المترجم).

(٣) كانت الاحتفالات تصل إلى ذروتها بزواج خفى بين كاهن يمثل زيوس وكاهنة تمثل ديمتر، وكان هذا الزواج رمزيا (المترجم).

(٤) «ترنيمة إلى ديمتر» منسوبة إلى هوميروس، وفيها وردت قصة اختطاف هاديس إلـه العالم السفلى للعذراء كورى وهبوطه بها إلى مملكته تحت الأرض. (المترجم).

لكن مَنْ لم يشارك فى مراسم

الطقوس المقدسة،

ومَنْ لم يكن له نصيب فيها،

فلن يستمتع بالمشاركة في مثل هذه الأشياء،

عندما يرقد بعد الموت تحت الظلام المنتشر».

وكما قال شيشرون «لقد تعلمنـا أن نعيش في بهجة، وأن نموت مع أمل أفضل». ولم يكن ثمـة سوى أمل ضئيل بعيـداً عن الطقوس السرية فيما وراء القبر، فهـاديس التي يروى عنها هوميروس مكان للأشبـاح والظلال. أما العبادة الأخرى فهى عبادة «أورفيـوس Orpheus » وهو مـوسيقى أسطورى، وصورة أخـرى من دينسيوس. ونحن نلتقى بـالأورفيين (أتباع النحلـة الأورفيـة) في صقلية، وفي اليـونان في القـرن الخامس ق.م، وفي الألـواح الذهبيـة المدفونـة في بتليا Petelia التي يعطى فيهـا تعليمات لأرواح الموتى. كما نلتقى بهم فيما يسمى بـالترانيم الأورفيـة من فـرع آخـر للأخـوة الديـونسيوسين في الإمبراطوريـة الرومانيـة. فنحن نعرف (رغم أننـا لم نعرف ذلك إلا في فترة متأخرة) الأسطورة المعقـدة التى تروى كيف قتل التيتان Titans[(١)] الأشرار ديـونسيوس وأكلـوه، وكيف تم إنقـاذ قلبه الـذي ولد منـه ديـونسيوس مـرة أخرى، ثم قضى عليهم زيوس بصواعقه، وولـد الجنس البشرى من بقايا رمادهم، وهكذا أصبح الإنسـان مؤلفـا من عنصر «تيتانى» هـو الجسد وعنصر ديـونيسى هو الروح، ومطلوب منه لكى يطهر النفس من الأثر التيتانى أن يراعى السلوك الدينى، بما في ذلك أن يكون نبـاتيا. وكانت هنـاك عقيدة التجسيد تمثل «دورة مرهقـة محزنة» من الموت والميـلاد من جديـد، يكون الترسيـم مهربـا سريعاً منهـا. وقد كـان حنين الشخص الـذي سيتم تـرسيمه يتمثل في الاستماع إلى الكلمات الآتيـة «طـوبى لك، ومبارك أنت يا منْ أصبحت إلـهيًا بدلا من أن تكون فانيًا».

«أيمكن أن يكـون مصير بـاتيكسيـون Pataecion اللـص أفضـل مـن مصير

(١) هم الجبابرة أو المردة وعـددهم اثنا عشر، ستة بنين وست بنات كانوا آلهة قـدامى بدائيين يتصفون بالوحشية أصغرهم كرونوس وأخته «ريا» وهما والدا زيوس (المترجم).

«ابامينونداس Epaminondas[١] لمجرد أنه قد تم ترسيمه؟» ذلك هو أقدم سؤال، وهو يعنى أن الترسيم وحده لا يكفى، وأن المطالب الدينية تمثل عنصرا أخلاقيا قويا بالنسبة للعضو المترسم. وهناك شخصية في إحدى مسرحيات ـ ميناندر Menander[٢] الكوميدية تقابل على هذه الأسس بين مطالب ديمتر ومطالب «سيبل» الآسيوية.

النظر الفلسفي:

كثير من النظريات التى تدور حول نشأة الكون تتحدث عن انفصال السماء والأرض، وعن ارتباطهما عن طريق الاتحاد الجنسى. ففي كتاب هزيود (في القرن الثامن ق. م) ـ «أنساب الآلهة Theogony » ـ نجد أن العماء Chaos ـ أو الفجوة المتثائبة ـ «قد ظهرت إلى الوجود» هكذا ببساطة. وكذلك فعلت الأرض، وأيضا طارطاروس Tartarus (العالم السفلي أو الجحيم) ـ والحب. وهذه الموجودات تؤخذ كما تعطى: ولم تقم أسطورة الاتحاد الجنسى بعملها إلا بعد ظهور الحب فنحن إذن على أبواب العقلانية.

كان طاليس الملطي (في فجر القرن السادس ق. م) هو مؤسس الفلسفة العلمية، لقد سأل أسئلة عن نشأة الكون، وبحث لها عن أجوبة بمصطلحات المادة، فرأى أن الأشياء جميعا أشكال منوعة من الماء الذي لا غنى للحياة عنه. ففي استطاعته أن يتجمد، أو أن يصبح غازا، وتلك هي بداية العملية التي أنزلت «زيوس» عن عرشه وأحلّت فورتكس Vortex (الدوامة) محله[٣].

---

(١) كان «ابامينونداس» قائدا فذا لإقليم «بويوتيا»، وعاصمته طيبة، في منتصف القرن الرابع (٣٧١ ـ ٣٦٢ ق. م) (المترجم).

(٢) ميناندر شاعر يوناني كان زعيما للكوميديا في عصره، امتاز برقة أسلوبه وسلامته وتصويره للشخصيات وتحليل مواقفها عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل الثالث ق. م وعثر في مصر على مخطوطات بعض مسرحياته المفقودة (المترجم).

(٣) سوف يذهب الفلاسفة الذريون فيما بعد إلى أن حركة الدوامة هي التي تجعل الذرات المتشابهة تتجمع فتتكون العناصر الأربعة التي ظهرت منها جميع الموجودات، ويريد المؤلف أن يقول إن طاليس وضع قدمه على بداية الطريق الفلسفي الذي أنهى التفكير الأسطورى فحلّت الفلسفة، ثم العلم، محل الدين في تفسير ظواهر الطبيعة (المترجم).

ومع ذلك فإن هذه النظريات العلمية لم تتحرر من الأسطورة، فالماء الذى يتمثل في صورة الأوقيانوس Oceanus[1]، كان أحد الموجودات الأولية في الأساطير اليونانية. ولقد ذهب طاليس متأثرا بالخصائص المغناطيسية للمادة إلى أن «كل شيء مملوء بالآلهة». أما «انكسمنيس» الذى أحل الهواء محل الماء، فقد أعلن أنه إلهى. وكان هناك اعتقاد عام في ألوهية مادة واعية تحيط بالكون وتتسرب من خلاله لتشكل الهواء العلوى أو الأثير. وبحث فلاسفة آخرون عن قوة محركة: فكانت المحبة والنزاع عند أبناء قليس، والعقل عند أنكساجوراس.

غير أن الحركة كانت تتجه نحو العقلانية: فهاجم اكزينوفان[2]، النزعة التشبيهية (تشبيه الآلهة بالبشر) زاعما أن الثيران يمكن أن تصنع لنفسها أصناما مماثلة من الثيران، كما تصنع الأسود أصناما للأسود. كذلك أنكر انكساجوراس ألوهية الشمس، وذهب إلى أنها حجر أحمر ملتهب أكبر حجما من جبل البليونيز (شبة جزيرة المورة). وكتب «كريتياس Critias» مسرحية ذهب فيها إلى أن القانون هو اختراع أريد به وضع القوى تحت السيطرة، كما أن الآلهة اختراع أريد به إرهاب الماكر، وفيما بعد وضع أويهيمروس Euhemerus نظرية تقول إن الآلهة ليست سوى أبطال وطنيين آلهم مواطنوهم ومازلنا حتى الآن نسميها النزعة الأويهيميزية Eu-hemerism[3]. وأنكر أحد الأطباء أن يكون الصرع مرضا مقدسا مرجعه إلى عقاب

---

(١) كان بحر «الاوقيانوس الأعظم» في الأساطير اليونانية هو ذلك البحر الذى لا تثيره ريح، وهو مصدر جميع الماء الذي تفيض به البحار والأنهار والقنوات والينابيع والعيون، ويجرى باستمرار في حلقة دائرية حول الأرض (المترجم).

(٢) اكزينوفان Xenophanes (٥٧٠ ـ ٤٨٠ ق.م) فيلسوف يوناني كبير كان من أقوى الفلاسفة الذين هاجموا النزعة التشبيهية بعنف حيث يقول «إن الناس هم الذين استحدثوا الآلهة، وأضافوا إليها عواطفهم، وصورتهم وهيئتهم، فالأحباش يقولون عن آلهتهم إنهم سود فطس الأنوف، ويقول أهل تراقيا إن آلهتهم زرق العيون حمر الشعور. ولو استطاعت الثيران والخيول لصورت الآلهة على مثالها.. إلا أنه لا يوجد غير إله واحد هو أرفع الموجودات السماوية والأرضية، ليس مركبا على هيئتنا، ولا مفكرا مثل تفكيرنا... إلخ» (المترجم).

(٣) نظرية أو يهيميروس أحد مواطنى مسِّينا، عاش في أواخر القرن الثالث ق.م، وكان يرى أن أبطال الأساطير كانوا بشرا في الأصل، أدوا للناس خدمات جليلة، فنسج الخيال الشعبي القصصى تمجيدا لهم ورفعهم إلى مصاف الآلهة، اعترافا بفضلهم أو تزلفا إليهم (المترجم).

إلهى، كما كـان يعتـقد بصـفة عـامة، وذهب إلى أنه يـوصف بأنه إلـهى لأنـه لم يُفهم بعد.

واستعاد أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق . م) البعـد الدينى وتتضمن فكرته عن الخلق وجـود إله صـانع، وصور (أو مُثـُل) أزليـة لا تتغير، وهي نماذج وأنماط للعالم، أمـا «الوعـاء» فهو مـا يمكن أن نسميه بـالمادة. والعالم المادى عـالم قابل للفنـاء، كذلك الجسد الـذي يدركـه هو أيضا قـابل للفناء. أما عـالم الصور (أو المثل) فهـو التقوى الحقة، والعدالة التامة، والجمال في ذاته، خـالد لا يفنى، والروح التى تدركه بدورها خالدة، وعالم الصور أو المثل هو وحدة العالم الحقيقي، ويكمن خلفه، بل وراء عالم الواقع معيار الوجود كله وهو: مثال الخير.

أما أرسطـو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق . م) أنبغ تلاميـذ أفلاطـون وقد قدَّم كـذلك فلسفة دينية ـــ فرأى أن هناك سلسلـة كبرى من الموجودات تبـدأ من المادة الخالصة التي لا يمكن أن نعـرفهـا، في القـاع، وتسير صعدا إلى الصـورة الخالصـة التي هي اللـه في القمة. وهى سلسلة تمتـد من الإمكان البحت (أو الوجود بـالقوة) إلى الفعل الكامل (أو الـوجـود بالفعـل التام) وينشغل الإلـه بتأمل ذاتي لا نهايـة لـه، فهـو لا ينشغل بالعـالم، وإنما يحركه كما يحرك المحبوب محبـه دون أن يحتاج إلى أن يقوم بأدنى حـركة، فهو المحرك الذى لا يتحرك، وإنها لإحدى مفارقات التاريخ أن نجح الاسكولائيون في العصـور الوسطى، وهـم على جانب من العمق والـدقـة، في التـوحيد بين هـذا المحرك الذي لا يتحرك وبين أب يسوع الدائب العمل.

العرّافات[1]:

أشهر المتنبئـات عند الاغريق هي عـرافة دلفى، وكانت في الأصل عـرافة الأرض الأم غير أن أبوللو أخذ بعد ذلك وظائفهـا. وقد جرت العادة أن تكون الاستشارة من

---

(١) العرّافـة Oracle مشتقة من اللفـظ اللاتينى Oraculum بمعنى النبوة والمقصود إجـابة الإله عن طريـق كاهن أو كـاهنة على أسئلة السـائلين فيما يتعلق بمستقبلهم كـالزواج والتجـارة، والمشروعات بـالنسبـة للـدول، وإقامـة المستعمـرات ! . . . إلخ وكـانت الآلهة تتميـز بقـدرتها على كشف الغيب (المترجم).

خلال الكاهنة «بثيا Pythia»(١)، التي تروح في غيبوبة بسبب التركيز العقلي والروحي الكامل (ولم تكن هناك أبخرة كريهة الرائحة)[٢]، وتنطق بأصوات مبهمة غير مفهومة. وكان الكهنة الذين كان لديهم نظام كفء يستخدمونه في نقل المعلومات، يحولون هذه الأصوات إلى أنباء مناسبة في لغة مفهومة بالشعر والنثر، وأنْ تكن أحيانا مزدوجة المعنى[٣]. ومن الإجابات الغامضة المشهورة الإجابة عن سؤال للملك كرويسس ملك ليديا إذ كانت الإجابة «إذا ما عبر كرويسس نهر هاليس Halys، فسوف يدمر إمبراطورية هائلة». وكان هذا ما فعله إذ دمر إمبراطوريته هو. وهناك طريقة أخرى للاستشارة بأن يسحب السائل مجموعة حبوب ملونة بألوان مختلفة تعنى نعم أو لا، ولقد تم اختيار ملك تساليا ذات مرة بسحب حبة نقش عليها اسم المرشح الذي نجح.

ومن الطبيعي أن نسمع أكثر من ذلك عن الاستشارات السياسة الكبرى، غير أن يوربيدس في مسرحية «أيون» يبين أن الاستشارات الخاصة كانت كثيرة[٤]. وكان يتوقع أن تدور حول المحاصيل والأولاد ويمكن أن نضيف أيضا الاستشارات الخاصة بالمرض، ويسجل لنا التاريخ استشارة يقدمها عبد يريد أن يعرف كيف يرضى سيده. ويقول بلوتارك (حوالى ٤٥ ـ ١٢٥م) إن السلم الروماني Pax Romana[٥]،

---

(١) كانت «بيثيا» كاهنة أبولو تقدّم الإجابات عن أسئلة المتسائلين عن المستقبل، تجلس على مقعد ذي ثلاثة أرجل وتروح في شبه غيبوبة بطريقة لاتزال خافية وتتقمصها روح الإله أبوللو فتهذى بإجابات تحتمل في الأعم الأغلب تأويلات شتى. (المترجم).

(٢) يقال أحيانا إن الكاهنة التي تتلقى الوحي، كانت تجلس فوق نضد عال وتستنشق رائحة كريهة مقدسة تنبعث من غار عجيب يخرج من فتحة في الأرض تحت الهيكل ويعزوه الناس إلى تحلل الأفعى التى قتلها أبوللو في ذلك المكان. (المترجم).

(٣) كان معنى الإجابة غامضا ويحتمل تأويلين، ذلك لأن الإله الذي تتحدث الكاهنة بوحى منه، معصوم من الخطأ، فإذا حدث ولم تنطبق النبوءة، فإن ذلك لا يرجع إلى خطأ الإله وإنما يرجع إلى أن السائل لم يفهم الإجابة على وجهها الصحيح (المترجم).

(٤) إشارة إلى ما جاء في المسرحية حيث يسأل أيون المرأة وزوجها «أجئتما من أجل محصول التربة أم من أجل الذرية؟!» وكانا قد جاءا إلى معبد دلفي لاستشارة الكاهنة. انظر الترجمة العربية للدكتور عبدالمعطي شعراوى ص٤٨ المسرح العالمي عدد ١٨١ (المترجم).

(٥) المقصود بالسلم الروماني في الأصل هو إقامة السلام بين القوميات المختلفة داخل الإمبراطورية الرومانية الشاسعة (المترجم).

جعل الاستشارات السياسية القديمة غير ضرورية في عصره، إذ أصبح الأفراد يسألون عن الزواج، والسفر، وتدبير المال.

وعلينا أن نتذكر أن عرافة دلفي، مثل «عرافة يوربا ايف»[١]، هي المستودع الجامع للحكمة. وهناك بعض الأسئلة الطريفة مثل: «كيف أستطيع أن أعالج إبنى من مرض الحب» والإجابة «عامليه بلطف!». وكانت دلفي هى التى أشاعت الحكمتين العظيمتين «إعرف نفسك» و«إياك الإفراط».

وهناك عرافات أخريات كعرافة الإله «زيوس» في بلدة دودونا Dodona التى كانت تفسر أصوات حفيف الأوراق في شجرة البلوط وغيرها من الأصوات بأنها إرادة الإله[٢]. وكانت الأسئلة تكتب على رقائق معدنية بقى بعضها حتى الآن. ولقد أراد ليزانياس Lysanias أن يعرف ما إذا كان هو والد الطفل الذي كانت تحمله أنيلا Annyla وتسأل نيكوكراتيا Nicocratia إلى مَنْ مِنَ الآلهة تضحى من أجل اكتساب الصحة. ويسأل صبى ما إذا كان عليه أن يمتهن حرفة أبيه في صيد السمك. ويسأل الكوركيريون Corcyreans كيف نتجنب الحرب الأهلية[٣]. وفي بلدة لبيديا Lébadeia كانت هناك عرّافة قديمة لـ «تروفونوس Trophonius»[٤]، وكان السائل بعد التطهر وتقديم القرابين يُدفع به إلى مغارة تحت الأرض ليتلقى على نحو مباشر وحيا يثير الرهبة، ولقد كان لأبوللو بعض العرّافات الشهيرات في آسيا مثل عرّافة معبد ديديما Didema[٥] التي ترجع إلى القرن السادس

(١) عرافة مدينة ايف Ife في النيجر شهيرة بين شعب يوربا Yoruba وكانت تستخدم ٢٥٦ تمثالا صغيرا مرقمة على لوحة من الرمل يقوم خبراء التنجيم بتأويلها. وقد سبق للمؤلف أن تحدث عنها في فصل خاص بالديانة الأفريقية ورأت هيئة تحرير السلسلة حذفه (المترجم).

(٢) كانت شجرة البلوط مقدسة عند زيوس كما ذكر المؤلف من قبل. وفي بعض الأحيان كانت تعلق في الشجرة أوان نحاسية لتجعل الحفيف أكثر وضوحا ورنينا. وفي أحيان أخرى كانت الإجابات على أسئلة السائلين تقوم على تفسير هديل الحمام الواقف على أغصان الشجرة.. (المترجم).

(٣) الكوركيريون: اسم قديم لسكان جزر أيونيا (المترجم).

(٤) تروفونيس: كان في الأصل مهندسا معماريا عظيما قام بالاشتراك مع أخيه ببناء معبد أبوللو في دلفى ثم رفعه الناس إلى مرتبة التقديس (المترجم).

(٥) ديديما: مدينة يونانية تقع على الساحل الأيونى وتبعد عن ملطية مسافة أحد عشر ميلا تقريبا (المترجم).

ق.م. لكن عرّافة معبد كلاروس Claros[1] طغت عليها فيما بعد، وكان لهذا المعبد في العصر الروماني جهاز إداري كبير، فضلا عن جوقة من المنشدين. ولقد انتشرت شهرة هذه العرافة حتى وصلت إلى مناطق بعيدة مثل دالماتيا Dalmatia[2]، ونوميديا Numideia[3]، وبريطانيا Britain.

الخرافات:

يصور ثاوفر اسطوس[4] في كتابه البديع «الطباع» الرجل المؤمن بالخرافة في صورة كوميدية بقوله: «من الواضح أنه يمكن تعريف عالم الخرافة بصفة عامة بأنه ضرب من الجبن أمام القوى الخارقة للطبيعة. إنَّ المؤمن بالخرافة هو ذلك النوع من الناس الذي لا يخرج من داره أول النهار إلا بعد أن يغسل يديه ويرش نفسه بالماء من العيون التسع، ويضع في فمه قطعة من ورق شجر الغار يأتي بها من أحد المعابد، فإذا ما اعترضت طريقه قطة لم يواصل السير حتى يمرَّ به إنسان آخر، أو يقذف بثلاثة أحجار في الشارع. وإذا أبصر أفعى في بيته وكانت من النوع الأحمر اللون يستنجد بديونسيوس (أوسبازيوس Sabezius) أما إذا كانت الأفعى مقدسة فإنه يقيم هيكلا من فوره في البقعة التي أبصرها فيها. وإذا مرَّ بحجر أملس من تلك الحجارة المقامة في مفترق الطرق صبَّ عليه الزيت من قنينة، ولم يواصل السير في طريقة إلا بعد أن يركع له ويحنى رأسه إلى الأرض. وإذا قرض فأر جراب طعامه، توجه مباشرة إلى العرّاف وسأله ماذا يفعل، فإذا أشار عليه أن يرسل الجراب إلى الاسكاف ليرقعه «أهمل هذه النصيحة، وتخلّص من النذير المشئوم بطقوس تمنع عنه الشر المرتقب.

(١) تقع مدينة كلاروس على ساحل أيونيا بالقرب من مدينة كولوفون (المترجم).

(٢) دالماتيا: إقليم بيوجوسلافيا يمتد بحذاء شاطىء الادرياتي. (المترجم).

(٣) نوميديا: إقليم قديم شمال غرب أفريقيا وهو على وجه التقريب الجزائر الحديثة (المترجم).

(٤) ثاوفراسطوس (٢٧٢ - ٢٨٧ ق.م) فيلسوف يونانى خلف أستاذه أرسطوفى زعامة المدرسة الأرسطية. كتب في موضوعات كثيرة وكتابه «الطباع» رسم فيه عدة شخصيات من أنماط مختلفة صور بها معاصريه (المترجم).

وهو يحتفل دوما بتطهير بيته لأن الإلـهة هيكاتي Hecate[1] كانت تسكنه، وإذا سمع نعيب البوم وهو يمشى خارج البيت إرتعش ولم يكمل سيره إلا وهو يتمتم «القوة للإلـهة أثينا». وهو يرفض أن تطأ قدمه حجر ضريح أو أن يسير في أى مكان بجوار جثة ميت، أو إمرأة في المخاض، مردداً أنه لا يريد أن يعاني من النجاسة.

وفي اليوم الرابع والسابع من كل شهر كان يصدر تعليماته بإعداد الخمر للأسرة، ويخرج ليشتري أغصان الريحان وبخورا وصورا مقدسة، ثم يعود إلى البيت ليقضى بقية النهار في صناعة أكاليل الزهور ليزين بها تماثيل «هرمفروديت Hermaphrodite»[2]، لتقدم كقرابين. وفي كل مرة يرى فيها حلماً يهرع إلى مفسرى الأحلام، وإلى العرَّافين والمنجمين ليستفتيهم فيما ينبغي عمله ليرضى الإلـه أو الإلـهة. وعندما يكون على وشك الترسيم في أسرار «أورفيوس» فإنه يزور الكهنة مرة كل شهر مصطحبًا معه زوجته. فإن كانت مشغولة اصطحب الأطفال مع مربيتهم. والكل يعلم أنه كثيرًا ما ينزل البحر ليرش جسده بالماء المقدس. وكلما رأى أحد تماثيل هيكاتى في مفترق الطرق مع حزمة ثوم. فإنه يذهب إلى البيت فورا ليغسل يديه، ويرسل للكاهنات يسألهن أن يطهرنه بأن يحملن جروا أو زنبقة ويطفن بها في موكب. وإذا وقعت عينه على رجل مصاب بالجنوب أو الصرع ارتجف وبصق في صدره. ولو تخيلنا أن هذه صورة كاريكاتورية، فمن الخير أن نتذكر أن القائد العسكري ورجل الدولة الأثينى بعد موت «بركليس» واسمه نكياس Nicias[3] فقد جيشين عام ٤١٢ ق. م لأن عرَّافين نصحاه أن ينتظر بعد خسوف القمر في ٢٧ أغسطس «ثلاث مرات تسعة أيام»[4] قبل أن يتحرك بقواته. ولقد أدان «بلوتارك» المؤرخ الإنساني العطوف ـ

(١) إلـهة جاءت في الأصل من تراقيا ويقال إنها ابنة برسيس Presss واستريا Asteria ثم توحدت مع الإلـهة برسيفونى فيما بعد، ومن هنا كان ينظر إليها على أنها تسيطر على طقوس السحر والشعوذة (المترجم).

(٢) عندما عاشرت أفروديت هرمس أنجبت منه مولودا يجمع بين صفتى الذكورة والأنوثة كما يتضح من اسمه «هرمفروديت» فهو مخلوق خنثى (المترجم).

(٣) نكياس (توفي ٤١٣ ق. م) سياسى أثيني وقائد عسكرى في حرب البليوثيز تفاوض من أجل السلام لكنه كان سلاما مؤقتا فحسب وسمي باسمه (المترجم).

(٤) أي أن عليه أن ينتظر سبعة وعشرين يوما، ولقد كان ذلك القول هو نص نصيحة النبوءة (المترجم).

الذي جاء بعد ذلك بخمسة قرون، ذلك الإيمان بالخرافة، لكنه أوضح أنه كان هناك كثيرون في عصره «ممن كانت كلماتهم وإشاراتهم الخرافية، وسحرهم وشعوذتهم، وجريهم إلى الإمام وإلى الخلف ودقهم للطبول، وتطهراتهم المشينة، وتزمتهم القذر، وزهدهم الغريب غير المشروع» ـ تدفع بالعقلاء من الناس إلى الإلحاد. ومع ذلك فبلوتارك نفسه لم يجد حرجا في التشاؤم من العطس[1].

الديانة الهلنستية:

دفعت حياة الإسكندر الأكبر القصيرة (٣٥٦ ـ ٣٢٣) بالحدود إلى الوراء بعدة طرق، فاهتزت الآلهة القديمة، وعظَّم اليونانيون «أبطالهم» ومؤسسى المدن، فحاول أن يجعل ألوهيته هي الفكرة التي تربط الإمبراطورية، صحيح أنه فشل، لكنه وضع سابقة. وعندما زار «ديمتريوس فاتح المدن»[2] أثينا عام ٣٠٧ ق.م أنشدوا له ترنيمة جميلة تُعلن أن الآلهة الأخرى غائبة، صماء، غير مكترثة أو غير موجودة، أما هو فهو تجل للإله الواحد الحق، وقدموا «البارثنون» ليكون قصرًا له. وبعد ذلك اتخذ الحكَّام ألقابا مثل Euergetes «المحسن»[3] أو المنقذ، وتجلى الإله، بل ويتخذون لقب الصاعقة كيراونوس Keraums.

وقد استمر وجود الآلهة القديمة، ولكن كان هناك تأكيد جديد على الشياطين والأرواح الوسيطة، كما جاءت آلهة جديدة من الشرق ومن الجنوب لتبقى جنبا إلى جنب مع الآلهة القديمة. ودخل التنجيم عن طريق بابل، واشتد الطلب على آلهة الشفاء. كما أصبح محراب اسكليبيوس Asclepius في أبيدورس شعبيا إلى أقصى حد[4]. ولقد أدت الشكوك إلى الإعلاء من شأن تيكي Tyche (إلـهة الحظ أو

(١) كان عامة الناس يتشاءمون من العطس، فكانت عطسة أو عثرة قدم تكفى في بعض الأحيان لحمل العاطس أو العاثر على العدول عن سفر أو عمل هام (المترجم).

(٢) ديمتريوس الأول الملقب بفاتح المدن (٣٣٧ ـ ٢٨٣ ق.م) قائد على جانب كبير من الكفاية. استطاع أن يطرد بطليموس من أثينا ويهزم الأسطول البطلمى عند سلاميس (المترجم).

(٣) قارن: «ملوك الأمم يسودونهم، والمتسلطون عليهم يدعون محسنين» إنجيل لوقا اصحاح ٢٥:٢٢ (المؤلف).

(٤) ايسكلوبس هو إلـه الطب في العالم القديم، ويقال إن عبادته الأصلية كانت في أبيدوس ثم اختار الثعبان المقدس رمزا لإله جزيرة التيبر مقرا له فبنى له فيها معبدا (المترجم).

الصدفـة)، أو ربما وجدت لكل آلـه نقيضه. ومن هنا ظهـرت فلسفات ثنـائية مثل الغنوصية Gnosticism غير أن المسألة كان لها وجه آخر.

فقد كانت هناك وحدة عظيمة أكثر من أي وقت مضى، وتطلب هذا تعبيرًا دينيًا جديدًا. وكان هنـاك ميل نحو الوحدانية أو على الأقل نحو إمكانيـة الوحدانية، في الإعـلاء من شأن «زيـوس» وازديـاد الجانب الأخـلاقي في الـدين. وظهـر المذهب التوفيقي Syncretism تعبيرًا من هذا المزاج نفسه. وكان الإلـه سيرابيس Sarapis. واحـداً من أطـرف ابـداعـات العصر وهـو صيغـة جـديـدة من الإلـهين المصريين أوزريـس[1]، الإلـه المخّلص، وأبيس Apis الإلـه العجل، كما هـو واضح من اسمه؛ ومع ذلك فهـو يرتبط إرتباطًا غريبـا مع سينوب Sinope الواقعـة على البحر الأسود، إذ اتحد مع زيـوس الإلـه الشـافي. الإلّه المخّلص، الإلـه الأب الذي نألف مـلامح وجهة الطيب الملتحـي من تماثيله الكثيرة، والـذي يُشكلّ مـوضوعًـا للحب والتفاني ليلبي الحاجات التي اقتضاها تغيير البيئة.

تيكي Tyche:

ليس الناس متسقين منطقيًـا، والإنسان الحديث الذي يسجل نجاحـه بعبارات «شكرا لله، وامسك الخشب» يمكن أن يسير في خط مواز للعالم القديم حيث كانت تيكي أو الحظ والصـدفة لا تعبر فقط عن مجرد اعتقـاد، وإنما كـانت تعبد كما تعبـد الآلهة والإلـهات الأخـرى. والمؤرخـان العظيمان للعصر القـديم ـ ثـوكيـديـدز، وبوليبيـوس Polybius اعتبرا الصدفة أو الحظ (دون كتـابته بأحرف كبيرة أعنى بغير تضخيم) العنصر الـرئيسي في التحليل التـاريخي. والفيلسـوفان العظيمان أفـلاطـون وأرسطو، اللذان نظرا إلى الكـون نظرة غائية تماما، جعلا الصدفـة مساوية لكل ما لا ينتمي مبـاشرة إلى الفعل الغائي لـلآلهة والنـاس، أعنى في النهـاية لكل مـا لا ينتمى للقانون الطبيعي.

إذا كانت الصدفة قد سيطرت على هذا النحو، على خيال المثقف، فلن نندهش

---

(١) «لم يكن سيرابيس سـوى أوزريـرس ـ أبيس، ومنـذ ذلـك الـوقت كـان سيرابيس هـو التسميـة الإغريقية لاوزريس» ـ إرمان «ديانة مصر القديمة» ص٤٢٧.

عندما نجد أن رجل الشارع يعبدها. ولما كانت توصف بأنها هوائية ولا يمكن التنبوء بمسلكها، فقد تصوروها أنثى، وعبَّر عنها برموز الرخاء والازدهار الذي تمنحه أو تمنعه، مثل قرني الوفرة، أو أجنحة النصر، أو برموز الشهوة، مثل العجلة التي تقف عليها بغير استقرار، أو برمز الدفة المشهورة كتعبير عن اتجاهها في الحياة. أما الكرة التى تقف عليها في بعض الأحيان، فهى رمز غامض، فقد تكون إشارة إلى كرة الكون الذي تسيطر عليه، ولكنها مهزوزة ووضعها غير مأمون.

وكان العصر الهلنستى أبهى عصور تيكي وإنْ عرفت قبل ذلك بفترة طويلة. فقد ذكرها هوميروس ــ في «ترنيمة إلى ديمتر» المنسوبة إليه ـ على أنها واحدة من «الناريدات Nareides». أما هزيود في كتابه «أنساب الآلهة Theogony » فهو يقول إنها ابنة الإلّهه «أوقيانوس». ويقول أرخيلوخوس Archilochus[١]، إن الحظ أو الصدفة والقدر تسيطر على مصائر البشر. ويوحّد بندار Pindar[٢] بين الصدفة وإحدى رباب القدر. وهي بارزة في مسرحيات «يوربيدس». ولقد لعبت دوراً هاما في الرواية إبان العصرين الهلنستي والروماني. وتصورها عمياء حاقدة متحيّزة. وقصة شاريتون Chariton[٣] المسماه كارياس وكاليروه Chaereas and Callirhoe هي قصة صراع عنيف بين الصدفة التي تسبب جميع الأمراض وأفروديت التى تنقذ العشاق. وفي قصة أبوليوس Apulius » «الحمار الذهبي»[٤] نموذج مماثل فيما عدا أن إيزيس ـ وليست أفروديت ـ هي المنقذ، أما إن هؤلاء الروائيين قد عبَّروا عن رأى

---

(١) أرخيلوخوس: أشهر شعراء اليونان في الهجاء عاش في منتصف القرن السابع قبل الميلاد (المترجم).

(٢) أعظم الشعراء والغنائين عند اليونان (٥١٨ ـ ٤٣٨ ق. م) نظم أناشيد كثيرة لأبطال الألعاب الرياضية ضمنها أسطورة تتصل بالفائز (المترجم).

(٣) شاريتون أو خارتون روائى يونانى ازدهر في القرن الثاني الميلادى في آسيا الصغرى وتعتبر قصته أقدم رؤية رمانسية في الأدب الغربى. (تدور حول زوج وزوجة يمتحن حبهما سلسلة من الأحداث في صقلية وفارس ومصر وتنتهى نهاية سعيدة (المترجم).

(٤) كاتب لاتينى من أصل أفريقى اشتهر في القرن الثاني الميلادى، وتعتبر قصته من أهم ما وصل إلينا من القصص الرومانى، وقد ذاعت شهرتها في العالم القديم (المترجم).

شائع بين النــاس فهذا مــا نراه في نقــوش الأضرحة، فهــا هنا نجــد الإشارة إلى تيكي Tyche ـ باستثناء واحـــــد فريد ـ تُعّبر عنها بألفاظ المرارة والكراهية اليائسة، وهناك نموذجاً لها:

«هنا أرقد أنا فليرموس Phileremus جثة هامدة،

وهو ما كانت تشتهيه الطاغية، تيكي،

فقد أرادت أن تجرني الأرواح من الدنيا».

وثمة ثـلاثة تعـديلات لهذه الصـورة، لها بعض الأهميـة: فهناك أولا: روح الخصوبة المعروفة باسم الروح الخير (روح أجاثوس Agathos) الذي احتاج إلى رفيقة فكانت له «تيكي أجاثي» أو الصدفة الطيبة. وقـد كان الروح الخّـير يتحد أحيانا مع «زيوس»، ومن هنا جـاء النقش البارز المدهش من أثينا ـ وهـو الآن في كوبنهاجن ـ الذي يرجع إلى القرن الرابع ق. م. ويصور «زيوس» بقـرنى الوفرة مع قرينته الصدفة الطيبة. وهناك. ثانيا: في آسيا حيث حكمتْ الإلـهة طويلا، وكان من الطبيعي أن ينظر إلى تيكي على أنها شكل آخر من أشكالها الكثيرة. وثالثا: في الحياة العامة إبان العصرين الهلنستي والرومـاني أصبحت الصدفـة إلـهة مدينـة. وهناك تمثال بـرونزى شهير نحته يـوتكيدز Eutychides للإلـهة «تيكي» إلهة أنطـاكية وهي جالسـة فوق شجرة تمثـل عرش الأم الجبلى، وفي يـدها حزمـة قمح ترمـز إلى الرخـاء، وتضع على رأسها تـاج على شكل حصن يـرمز لحمايـة المدينة. وبالمثـل نجد أنطيـوخوس الأول الكوماجينى[1] يقوم بوضع نقوش هائلة مع تماثيل تجسد مدينة كوماجيني على هيئة الإلـهة تيكي.

وقد كتب الموسوعي الرومانى بلنى الأكبر والذي كـان يعرف العالم اليوناني معرفة تامـة ـ ملخصا ممتازا حـول وضع «تيكي» العام يقول فيه: إن تيكي هي الـوحيدة في جميع أنحاء العالم التي نتوسل إليها، وهي الـوحيدة المُـدَّعى عليها والمتهمة، والفكرة الوحيدة التي تشغل أذهان الناس، وهـي الوحيدة موضع الثناء كما أنها السبب الأول

(١) انطيوخوس الأول الملقب بـالمنقذ ابن سلوقس الأول (٣٢٤ ـ ٢٦٢ ق. م) آخر حكـام سوريا من خلفاء الإسكندر الأكبر (المترجم).

«أننا نرزح تحت رحمة الصدفة بحيث صارت الصدفة هي إلَـهتنا».

الفلسفة الهلنستية:

سعت جميع الفلسفـات في العصر الهلنستى ــ بطرق مختلفـة ــ لتحقيق الكفايـة الذاتيـة ـ (أو الاستغنـاء) كانت الـرواقية تـدين بمذهب شمـول الألوهيـة أو وحدة الوجود Pantheism، وفي نهاية الكتاب الأول من قصيدة بوب Pope[1] «مقال عن الإنسان» عرض رائع للمذهب الرواقي:

«ليستْ الأشياء كلها إلا جوانب من كل رائع،

جسده الطبيعة، وروحه الله»

ويتساءل «سنيكا»: أتسميـه بالقدر؟ لن تكون مخطئا.. أتسميه العنـاية الإلهية؟ ستكون على صواب، أتسميـة الطبيعة؟ لن تكون تسميتك كاذبـة، أتسميه الكون؟ لن تكون قد انخدعت».

لقـد كـان الاسم المفضل هـو «زيـوس» وتحت هـذا الاسم تـرنّم بـاسمـه أعمق المتدينين من الرواقية المتأخرة وهو كليانتيس Cleanthes (٣٣١ ـ ٢٣٢ ق.م)[2]. أما ابكتيتـوس (٥٥ ق م.م ـ ١٣٥م) نظيره في الإمبراطورية الـرومانية، فقـد قال إنّ عمله الحقيقي هو أن ينشـد ترنيمة للإلَـه. كان الـرواقيون جبريين، وعندهم أن كل شيء يقف بين يدى اللـه، ودورنا هـو أن نتقبل الأمر فحسب، فنحن مجرد ممثلين في الدراما الإلَـهية، وسـواء قمنا بدور الملك أو العبد فهو دور جوهـرى بالنسبة للكل. وقد كان من بين قـادة الرواقية عبيد مثل إبيكتيتوس وأباطرة مثـل الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٢٠ ـ ١٨٠م).

أمـا عند اليهـود فقد كـان الأبيقـوريون والملاحـدة اسمين مترادفين ولم يكن ذلك عـدلا. صحيح أن أبيقـور (٣٤١ ــ ٢٧٠ ق.م) هاجم الخرافـة ومـا تنضح بـه من

---

(١) الكسندر بوب (١٦٨٨ ـ ١٧٤٤) شاعر إنجليـزى من أشهر الشخصيات الأدبية في القرن الثامن عشر وأبعدهم تأثيرا في تطوير الشعر (المترجم).

(٢) له قصيدة مشهورة وجهها لزيوس يقول فيها «تحية لك يا أعظم الخالدين، أيازيوس المعبود بألف اسم، هذا العالم الكبير يتحرك بإرادتك ويطيع أوامرك أيها الإلَـه الرحيم... إلخ (المترجم).

شرور، لكنه كـان رجلا متـدينا، ونصـائحه الأربعـة لكي تنال الصحـة هي: ١ ـ لا يصح أن تخاف من الآلهة ٢ ـ إننا لا نشعر بالموت ٣ ـ من السهل الوصول إلى الخير ٤ ـ من السهل تحمل الشر. ولقد قال الآبيقوريـون بفناء النفس التي هي بنية من الذرات تنحل مع انحلال الجسد، وأنكروا أن الآلهة تعاقب الشرير وتكافىء المستقيم، لكنهم يجمعون على أن الآلهة موجودة يقول بهذا إجماع النـاس، ونحن ندركها في الأحلام إنها تعيش في نعيم مقيم، دون أن يزعجهـا شيء، وتدور بينهـا مناقشات فلسفيـة حول العالم ومـا فيه من خلل دون أن تهتم بشؤون البشر. غير أن الروح التي هي في «حـالة تناغم مع اللامتناهي» تستطيع أن تلتقط فيوضـاتهم كما نلتقط موجات الراديو وذلك لمنفعتها وسعادتها.

وبعد فترة من الشك، والانشغال بالمشكلات الابستمولوجية (مشكلات المعرفة) عادت الأفلاطـونية إلى اللاهوت، فخلـط نومينوس Numenius[1] بين أفـلاطـون وفيثاغـورس، والبينوس Albinus بينه (أى إفـلاطون) وبين أرسطـو، أما أوغسطين وكلمنت وأوريجين فقد مزجوا بينه وبين المسيحية، ولكن أعظم عبقرية دينية في العالم القـديم هي أفلـوطين Plotinus (٢٠٥ ــ ٢٧٠م) الـذي يقف بـارزا بين خلفـاء أفلاطون، ويتركز فكره حول «الواحد The One» الذي يعلو على الشخصية ويجاوز الواقع، والفكر، والتعريف، والفهم، وتتطلع جميع الأشياء إليه، وعنه صدر الكون بأسره بعملية فيض أو صدرو. وأعلى مراتب الحياة هى صعـود الروح إلى الله بواسطة الاشتياق المسمى بالحب Eros.

والـواقع أن أفلـوطين يقـول صراحة أن اللـه هـو الحب، ولكن ربما لم يكن هـذا التعريف إلا الشعار المقابل للتعبير المسيحي! «اللـه محبة» أجابيه Agape (المحبـة المسيحية). والغايـة الحقة للروح هي الاتحاد الصوفي مع الواحد في نشـوة الوجد، أو تحليق المتوحـد إلى المتوحـد، قد جـرب أفلوطين الذي كـان هو نفسـه صوفيـا، هذه الوحدة أكثر من مرة.

---

(١) نيومينـوس: فيلسوف يوناني سـوري الأصل في القرن الثاني الميـلادى كان فيثاغوريـا ورائدا أيضا للافلاطونية المحدثة (المترجم).

الفصل الرابع

«روما القديمة»

كان «الأتـروسكيون Etruscans » [(١)] أقدم الشعوب في إيطاليا وأكثرها أهمية وإثارة للجدل، من أين جاءوا؟ لا أحد يـدرى! يقول هيرودت إنهن جاءوا من ليديا Lydia[(٢)] . وتقدم بعض المعتقدات الدينية المتشـابهة وكـذلك التنجيم، والتنبوء بـالغيب الذي كـانت تمارسه بلاد مـا بين النهـرين دعما لهذا القـول. لكن المظاهـر الأساسية لثقـافة الاتروسكين تطورت في إيطـاليا شمال نهر التيبر Tiber في القـرنين السادس والسـابع قبل الميلاد. وهـو شعب يعتمد، من النـاحية الاقتصـادية، على الزراعة والتعـدين. ويقوم من الناحية السيـاسية على أساس دولة المدينـة التى ترتبط بحلف مركـزه الدينى قـرب فوليسنى Volsinii حيث يوجـد معبد لإلـه أطلق عليه الرومان اسم فيرتومنوس Vertumnus .

وتقع آلهة الأتروسكين في ثلاث مجموعـات، فهناك أولاً: مجموعة من الآلهة تحمل أسماء أتروسكـانية خالصـة، ولا نعرف عنها إلا القليـل، فقد توحـد بعضها مع آلهة اليونان والرومان مما يحمل على الظن أن وظائفها متماثلة. وهكذا أصبح ينظر إلى الإله تينا Tinia على أنه «جوبيتر»، وإلى الإله ستلانز Setlans على أنه «فولكان». وتوحد الإله ترمز Turms مع عطارد، والإلهة توران Turan مع «فينوس» (وغالبا ما تنقش على المرايـا)، ونورشيـا Nortia مع فـورتونـا Fortuna. أما المجمـوعة الثانيـة فقد استعاروها، فيما يبدو، من جيرانهم الإيطاليين، إذ يمكننا أن نتعرف على آلهة رومانية مألوفة بين آلهتهم من أمثال آني Ani (وهوجانوس Janus) وأونى Uni (وهي جونو).

(١) سكان «أتروريا» وهي بلاد قديمة غرب إيطاليا. (المترجم).

(٢) إقليم قديم غرب آسيـا الصغرى ازدهر حوالى / ٦٨٧ ـ ٤٥٠ ق.م. كانت حضـارته راقية، وقد ارتبط بعلاقـات وثيقة بـالمدن الأغريقية. وعنـدما انتصر الفرس على ليـديا أدمجوهـا في إمبراطوريتهم (المترجم).

ومنرفا Mnrva (وهي مينيرفا)، ونيتونس Nehuns (نبتون Neptune). وأما المجموعة الثالثة فقد أخذوها من المستعمرات اليونانية في الجنوب ومنها الإله آيتي Aite (وهو هاديس)، وأبلو Aplu (وهو الإلهة أبوللو وتمثاله في فياى Veii آية من آيات الفن الأتروسكانى)، والإلهة آرتيمى Aritimi (وهى آرتميس) وشارون Charun (هو خارون Charon) وهرقل (هو هركيوليس Hercules)، وبرسيبيني Persipnai (هي الإلهة برسيفوني Persephone).

ومن الواضح جدا أن السيادة كانت لآلهة العالم السفلي في المجموعة الأخيرة.

لقد كان الانشغال بالحياة الأخرى سمة أساسية للديانة الاتروسكانية، فكانت تقام ألعاب جنائرية على شرف الموتى، ويقال إنها هى أصل عروض المجاليد Gladiator[1] وكانت القبور تؤثث تأثيثا جيدا، وينظر إليها على أنها بيوت الموتى. وتبين بعض اللوحات الجدارية العظيمة التي بقيت حتى الآن رحلة الموتى من هذه الدنيا إلى العالم السفلي تحت حراسة إلهية مرعبة. ويبدو أن لوكريتس Lucretius الشاعر الأبيقورى في القرن الأول قبل الميلاد[2] ـ عندما كان يسعى إلى تبديد الخوف من العقاب بعد الموت، لم يكن في الأعم الأغلب، يوجه كتاباته إلى المجتمع المتحضر في روما بل إلى قرى الشمال.

وهناك شواهد على إرتباط بعض الرموز الجنسية بالقبور، ولو صح ذلك فإنه يعنى أن الاتروسكانين كانوا يعتقدون أن قوة الحياة في كل فرد هي التى تؤلف جوهر وجوده، كما أنها الجانب الذي يبقى بعد الموت. وهذا قريب جدا من الفهم الروماني لكلمتي جينيوس Genius و «ايونو Iuno» وهما القوى الجنسية للذكر والأنثى. والجانب الآخر من ديانة الاتروسكان الذي يدل على أنه عظيم الأثر، هو التنبوء

(١) كان العبيد أو الأسرى في روما القديمة يدخلون في صراع دموى حتى الموت مع الحيوانات المفترسة، أو مع بعضهم البعض لإمتاع الناس، وكانت العروض الثانية بصفة خاصة تسمى عروض المجاليد (المترجم).

(٢) لوكريتس: فيلسوف وشاعر لاتيني (٩٥ ـ ٥٥ ق.م) عرض فلسفته بعنوان «في طبيعة الأشياء» شرح فيه مبادىء الفلسفة الأبيقورية قصيدة طويلة مضيفا إليها «حلاوة عسل الشعر» على حد تعبيره (المترجم).

بالغيب. وهنـاك طرق كثيرة للتنبـوء بالغيب ومعـرفة إرادة الآلهة. فنحن نعـرفها من الرعـد والبرق، ومن تحليق الطيور. غير أن الاتروسكـان اشتهروا بصفة خـاصة بعلم معرفة الغيب عن طريق دراسة الكبد.

فكانت ضحية القربان تذبح ويشق جسـدها، ويفحص الكبد لمعرفة العلامات أو الخصـائص الأخـرى. وكان الجانب الأيمن مـن الكبد هـو المنطقـة التي تشير إلى الحظ السعيد، أما الجانب الأيسر فيدل على الحظ السيىء. لكن الدراسة كانت على جانب عظيم من التعقيد. وهنـاك كبد من البرونز ملفت للنظر من منطقـة بياشنسيا Piacenza[١]، مقسم إلى ما لا يقـــل عن أربعين منطقة يشار إلى كل منها باسم إله مختلف. وتكشف لنا مرآة منقوشة نقشا جميلا عن المتنبىء بالغيب وهو يمارس عمله، كما تصور مـرآة أخرى منظـرا من هوميروس استخـدمت فيه كميـة عناصر مألـوفة، ومعاصرة للفنـان. وفضلا عـن ذلك فقد استمـرت شهرة المتنبئين قـرونا بعـد اختفاء الحضارة الأتروسكانيـة كقوة سياسية. وعندما دمر معبـد الكابتيول في الحرب الأهلية عام ٦٩ ميلادية، دعا فسبازيان Vespasian[٢] المنجمين الأتروسكان لإعادة بنائه، وظل جوليان Julian[٣] يستشيرهم بعد ذلك بثلاثمائة سنة.

١ ـ الديانة الرومانية القديمة: الأرواح أو القوى الروحية Numina

عـندما كـــان الكـاهـن في رومـــا القديـمة يقـــدم القـرابين إلى «تــلوس مـاتر Tellus Mater» أو الإلهة الأم ـ إلهة الأرض، وإلى سيـرس Ceres إلهة القمح ـ فإنه كان يتضرع أيضـــــا إلى «فيرفاكتـــور Vervactor» و«ريداريتــــــور Regar-ator» و«امـــبروسـيتور O,- rpcotpr »، و«انستـيــور Insitor »، و«أوبـاريتـور Obarator » و«أوكيـتور Occator »، و«ســريتور Sarritor » و«سبرينكاتـــور

(١) مقاطعة في شمال إيطاليا على نهر البو (المترجم).

(٢) إمبراطور رومـانى حكم رومـا عشر سنوات ٦٩ ــ ٧٩ أعاد الاستقـرار والازدهار إلى الإمبرطـورية (المترجم).

(٣) جوليـان (٣٣١ ـ ٣٦٣) هو كلـوديوس جوليـانوس الملقب بالمرتـد حكم روما من ٣٦١ إلى ٣٦٣ (المترجم).

«Subrincator» و«ميســــــور Messor » و«كونفكتــور Convector » و«كونديتور Conditor» و«بروميتــور Promitor »[(١)]. وهذه القائمة العجيبة من الآلهة الصغيرة اشتقت أسماؤها من العمليات الزراعية المختلفة: حرث الأرض المراحة[(٢)]، الحرث الثاني وعمل الأخاديد، وبذر البذور وتسميد الأرض، وتمهيد التربة وتسويتها، حتى جنى المحصول وتخزينه ثم صرفه من المخـازن، فهي قوى روحية يسيطر كل منها على عملية محددة لكنها ضرورية، ولا وجود للقوى الـروحية خارج نطاق هذه العملية، ولهذا كانت تسميتها بـاللغة الألمانية Sondergotter تعنى آلهة لوظـائف خاصة، أو بتعبير أكثر قدرة على التصـوير، آلة لطرفة عين (أو للحظـة محددة)، ونحن هنا نعود إلى ما وراء الآلهة التشبيهية (أي التي تُشَّبه بالإنسان) وإلى مستوى أساسى في الاعتقاد أكثر بدائية.

ترتبط هذه القـوى بالعمليات الزراعية، بصفة خاصـة، كما ترتبط بحياة الأسرة، ويمكن أن نأخذ الميـلاد كمثال لحيـاة الأسرة حيث نجد أن الإلهة أليمـونا Alemona ترعى الجنين، والإلهتين «نونا ودسيما» (أي التاسع والعـاشر) تراقبان الأشهر الحاسمة من الحمل. وبارتولا Partula إلهة المخاض، أما لوسينا Lucina، وكاند ليفرا Can-delifera والكارمنتس Carmentes فتقدم السحر والنور اللازمين للولادة الآمنة. وفي احتفال سحرى تطـرد الأرواح الشريرة بفأس ووتد ومكنسـة، بواسطة Intercidona (الساطور) وبيلومنس Pilumnus (من يدق الوتد)، وDeverra (الكناس).

كما كانت هنـاك أيضا كـونينا Cunina الإلهة التى تهز المهـد، وفاجيتـانوس Va-gitanusالإلهة التى تستخرج الصرخات الأولى، ورومينا Rumina إلهة الرضاعة. وعندمـا ينمو الطفل نجد «ادوساوبـوتينا Edus & Potina » تشرفـان على طعامـه

(١) هذه الكلمات الـلاتينية تعنى لغويـا عمليات زراعيـة مختلفة، لكنها تشير كـذلك إلى آلهة أو قوى روحية، تسيطر على هـذه العمليات يبلغ عددها اثنى عشر إلـها هي على التوالى: إله الحرث الأول، إلـه الحرث الثاني، إله الأخـاديد، إلـه بذر البذور، إله تغـذية النبات، إلـه تسوية التربـة، إلـه عزق التربة، إلـة الحصاد، إلـه جمع الحصاد، إلـه التخزين، إلـه الصرف من المخازن (المترجم).

(٢) الأرض التى تحرث ثم تترك موسما كاملا من غير زرع لإراحتها ثم يعـاد حرثها وزراعتها مرة أخرى (المترجم).

وشـــرابه، وتوجـه فابـوليتوس Fabulinus تعلّمه الكــلام، وستــاتلينــوس Statulinusمحــــاولاته الأولى للوقوف، كما كانت أبيونا Abeona وأديونا Adeona تراقبان خروجه ودخوله.

وبعض هذه «الأرواح» لا تسيطر على الوظائف بقدر سيطرتها على القدرة بمعنى مختلف، ومن ثم كانت القوة الداخلية الخلاقة Geniusفي الرجل، وأيضا أونو Iuno في المرأة حاضرة تماما طوال فترة الخصوبة لا في أثناء عملية الجماع فحسب. وهناك آلهة أخرى كانت تتمتع بمواضع محلية لاقامتها، كما كان لها أسماء أخرى منها «فستا Vesta ومقرها الموقد، والبينات Penates ومكانها المخازن والصوامع، وجانوس Ja-nus على عتبه الدار. وهناك أيضـــا الإله «ترمينوس Terminus (آله الحدود) الذي يجلس على صخرة الحدود، في حين يستقر جينوس Genius في رأس رب الأسرة ماداموا يعتقدون أن البذور تصدر عن الرأس.

وتعد اللارات Lares[١] من البقايا الهامة لهذه المرحلة من مراحل الاعتقاد. ولقد بذل أصحاب النظريات جهوداً مضنية لتفسيرها. ويوحى التشابه مع أجزاء أخرى من العالم إنها كانت أرواح الأسلاف التى تشرف على الخصوبة في الأرض الزراعية، «لارفـاميليـــاريس Lar Familaris » دخل بيت المزرعــة مع العمال الــزراعيين، ولاركــومبيتــاليس Lar Compitalis يحرس مفترق الطـرق التى تلتقى فيهــا عـدة مزارع.

نعـود إلى القـول بأن هذه في الـواقع ليست آلهة، وإنما هى «قـوي روحيـة» ولكن بعضها تتجسد في شخصيات وأصبح إلها، قاسم فينوس Venus محايد في شكله، إذ أن «فينوس» كـانت «روح» الحديقة بغير جنس محدد (أى لا ذكـر ولا أنثى)، قبل أن تصبح إلهة الحب العظيمة. وكانت جونو أويونو Juno[٢]، قد ارتبطت ارتباطا وثيقا

(١) «اللار» ـ أحد الآلهة المحليين وهو أتروسكـانى الأصل، غير أن الرومان جعلوه فيما بعد أحد الآلهة الراعية للأسرة، وهو يحرس الحقول والمبانى فضلا عن إشرافه على سعادة الأسرة (المترجم).

(٢) كانت «يونو» ملكة السماء وحامية الأنوثـة والزواج، ولهذا اعتقد الرومان أن الزواج في شهرها وهو شهر يونيو، يكون زواجا سعيدا (المترجم).

ودائما بالنساء الصالحات للزواج، ولكنها أصبحت كذلك ملكة للآلهة. ويبدو أن اسم ساتورنوس Saturnus (زحل) قد أطلق على إله بذر البذور، بينما أطلق اسم نبتون Neptune على إله الماء. وقد بقيت الديانة القديمة للحقل والمزرعة قوية في الريف إذ كانت ديانة مناسبة وذات جمال خاص، فهى تتعامل مع موضوعات هامة في حياتهم، كما تكشف عن رغبة في التوافق مع القوى الكامنة خلف الكون والمعنية بمشاغل الحياة الأساسية، لقد كانت قوى مستمرة ولهذا استمرت أيضا في العصور المسيحية، وأصبح اسم «الوثنى» يعنى في الواقع «الرجل الريفي».

٢ ـ ظهور الآلهة :

أن كلمة Numina كلمة محايدة تعنى «ايماءة الرأس»، ولقد ارتبط استخدامها بالفكرة التي تقول إن الخصوبة مستقرة في الرأس، وأصبح هذا التصور تشبيهيا (أي ينقل الصورة البشرية إلى الآلهة) ولكنه لم يستمر كذلك طويلا. فقد تحول «النومين» شيئا فشيئا إلى إله يشبه الإنسان تماما، ذكرا كان أو أنثى، وفي بعض الأحيان بغير جنس محدد، فإله الرعى بالس Pales يوجد في هيئة رجولية وأنثوية معا. والوظيفة التى كانت تشير إلى الإله ككل في مرحلته الجنينية الأولى، أصبحت الآن صفة، وقد يجذب هذا الإله الجديد مجموعة من الصفات التي تتمثل الألقاب التى تطلق على العبادات.

يبدو أن الإله العظيم الأول عند الرومان كان هو الإله «مارس Mars» الذي أصبح في عصور تالية يعرف كإله للحرب، لكنه كان في البداية مرتبطا كذلك بالزراعة والحرث. وكان الناس يتضرعون إليه تحت اسم مرمار Marmar لكى يقى الحقول من وباء الطاعون، كما كان بوصفه مارميريوس Marmurius هو روح السنة التى تندفع بسرعة بصولجانين منزوعين ثم تعود كسنة جديدة. وكان له كهنته الوثابون أو الساليون Salii (أي القفازون)[٢]، وتوحى الأمثلة المشابهة بأنهم كانوا يقفزون لاستجلاب محاصيل ذات عيدان أطول. أما الاحتفالات بأعياد الدروع والتروس فقد

(٢) كان الرومان يستقبلون العام الجديد بألوان من الرقص المقدس، ومازال الناس يتبعون هذا التقليد حتى الآن! لكن الساليين كانوا يقفزون إلى أعلى إيحاء للآله لإطالة ساق النبات! (المترجم).

تكون إعدادا للحرب، غير أن رنين الرمح والترس قد يعبر كذلك عن سحر الرعد. ويضحى له (أى لمارس) في هذا العيد بحصان البطل في الحرب الذي يستخدم دمه في الطقوس السحرية للخصب. ويتقبل الإله التضحية بالخنزير، والشاه، والثور Su-Ove-Tauriliar[١] من أجل رخاء الأرض ووفرتها. وكان شهر مارس البداية القديمة للسنة ـ وكذلك بداية الحملات الحربية، وأعمال الزراعة ـ هو شهر هذا الإله، وربما كان في الأصل إله العاصفة، رغم أن هذه الفكرة لاتزال عند الكثيرين مجرد تخمين.

وكان كويرينوس Quirinus[٢]، قوة روحية غامضة، ثم توحد مع روميلوس Romulus المؤسس الأسطورى لروما. وقد ارتبط بمارس، إذ نجد سيرفيوس Servius يدعوه «مارس الموكل بالسلام» كما كان يطلق على الرومان اسم «الكويريتيس» عندما يجتمعون بصفتهم مواطنين أحرارا.

أما العضو الثالث في ثالوث الآلهة التي كانت تعبد، في الأصل على تل الكابيتولين Capitoline[٣] وأصبح هو الإله الأعظم ـ هو جوبتر Jupiter وهو مثل زيوس Zeus ـ الإله الهند ـ أوروبى للسماء ـ هبط إلى روما من معبده فوق تل مدينة ألبا لونجا Alba Longa[٤]، ومنذ عصر الملوك الأتروسكيين وهو يسيطر على مجمع الآلهة حاملا لقبه «الأفضل والأعظم». ثم ارتبط اسمه على نحو فريد بمصير روما، وأصبحت إلهة الأنوثة القديمة جونو Juno زوجته الملكة.

---

(١) كان يسمى في بعض الأحيان بعيد «السو ـ أوفي ـ طوريلية» والكلمات الثلاث تعنى على التوالي: الخنزير ـ الشاة ـ الثور وهي القرابين التي كانت تقدم للإله مارس (المترجم).

(٢) كلمة Quirinus تعنى المواطن الرومانى الحر ـ وكانت في الأصل اسم قبيلة انضمت إلى اللاتين، والظاهر أنها أخذت اسمها من اسم هذه الروح التى كانت تشرف على الطقوس السرية، وتروى الأساطير أن روميلوس مؤسس روما عندما مات صعد إلى السماء في عاصفة، وأصبح بعد ذلك إلـها من آلهة الرومان المحبوبين يعبدونه باسم كويرينوس Quirinus (المترجم).

(٣) تقل الكابتول هو أعلى تلال روما السبعة والمركز الدينى للمدينة القديمة شيد عليه المعبد الكبير للإله «جوبتر كابتولينوس» والقلعة ومبنى سجلات الدولة (المترجم).

(٤) آلبا لونجا: مدينة قديمة في لاثيوم تروى القصص أنها كانت مسقط رأس روميليوس وريموس المؤسسين الأسطوريين لمدينة روما (المترجم).

هناك روحان آخران من «القوى الروحية» السابقة كتبت لهما السيادة في مجمع الآلهة بوصفهما من «الآلهة القومية ، أما الأول فهو جانوس إله الأبواب الذي صوره الرومان فيما بعد وهو ينظر في إتجاهين . والثاني هو الإلهة فستا Vesta إلهة الموقد ، وكان يقوم على خدمة معبدها القومي «عذارى فستا» اللائى كن يبدآن الانخراط في سلك الخدمة فيما بين السادسة والعاشرة ويواصلنها (في العصور الكلاسيكية) لمدة ثلاثين سنة[١] .

أما الآلهة الأخرى فكانت تسمى Novensiles وهى إما من الآلهة المغتربة أو المهاجرة ، ومن أبرزها الإلهة الإيطالية الأتروسكانية «منيرفا Minerva » إلهة المهارة الفنية التى ارتبطت مع «جوبتر» و«جونو» في ثالوث جديد في الكابتول . ومنها أيضا الإله هركيوليس Hercules إله النجاح في الشئون العملية ، والإله عطارد Mercury «الذي يدل اسمه على ارتباطه بالتجار[٢] . وأبوللو Apollo إله الشفاء ، وفورتونا Fortuna إلهة الخصوبة وعرافة الإلهة في بارنيست Parenesta وأنتيوم An-tium ، والإلهة ديانا Diana روح الشجرة[٣] التى ناجاها كاتولوس Catulus[٤] في ترنيمة رائعة ، كما كانت عبادتها في نيمى Nemi نقطة البداية لكتاب جيمس فريزر «الغصن الذهبي»[٥] .

---

(١) كانت طائفة العذارى الفستية ذوات الثياب البيض ، والخمر البيض ، يقسمن أن يبقين عذارى في خدمة الإلهة فستا ثلاثين سنة (المترجم) .

(٢) هو نفسه الإله هرميس رسول الآلهة ، وإله التجارة ، والمكر واللصوصية عند اليونان (المترجم) .

(٣) ديانا هي إلهة القمر والغابات وكان الرومان يزعمون أنها كانت في الأصل روح شجرة جىء بها من أريكيا Aricea حينما خضع هذا الإقليم لروما وكان بالقرب من أريكيا بحيرة نيمى Nemi وأيكتها حيث معبد ديانا . وتذهب الأسطورة إلى أن هذه الآلهة ضاجعت في هذا المكان فربيوس Vir-bius ملك الغابات الأول ، وكان الكهنة يعوذون أنفسهم بغصن من شجرة البلوط المقدسة يسمى عندهم «بالغصن الذهبي» ومنه أخذ فريزر اسم كتابه (المترجم) .

(٤) شاعر رومانى عاطفي أقوى من عبّر قديما عن الحب (٨٤ ـ ٥٤ ق . م) (المترجم) .

(٥) سيرجيمس فريزر (١٨٥٤ ـ ١٩٤١) أنثروبولوجى اسكتلندي كتب «الغصن الذهبى» في ١٢ مجلدا وهو دراسة عميقة للسحر والدين تقوم على معرفة وثيقة وإلمام واسع ، حيث يرجع الكثير من الأساطير والشعائر إلى بداية ظهور الزراعة (المترجم) .

ولقد توحـدت بعض هذه الآلهة مع آلهة اليونان على أسـاس أن أصلهما واحد هو الإله الهنـد ـ أوربى، فكما أن «زيوس» هـوديوس Dyaus فكذلك جـوبتر هو «دى أوبيتر Di Upiter «الأب ديـوس»، والآلهة الأخرى مثل هـركيـوليس Hercules (هرقل Heracles) وأبولـلــــو استعاروها مباشرة من المستعمرات اليونانية. ولما نما الاتصـال بـاليونـان، تمت تـوحـدات أخرى، فمـن الواضح أن الإلّهة «جـونـو» هي «هيرا»، وأن «ميزفـا» هى «بلاس» أثينا، وأن «ديانـا» هى «أرتميس»، و«فينوس» هي أفروديت و«عطارد» هـو »هرميس»، و«نبتون» هو «بوزيدون». والإلـه «فولكان» هو الإلــه «هفــايستس» و«سيرس» هى «ديمتر»، وأن ليبر Liber (إلـه العنب) هــو ديونسيوس (إلـه الخمر). . وهكذا. وكان الانتقـال سهلا في بعض الأحيان، ولكن طرأت على «فينوس» و«عطارد» تحولات ملحوظة، ومع التغيرات أصبحت الحكايات المرتبطة بآلهة اليونان تنسب إلى آلهة الرومان، وقد روى «أوفيد Ovid» حلقاتها في كتابه «التحــولات» Metamorphoses[(١)]. لكن يصح عمومـا أن نقول أن أمثـال هذه الحكايـات تشير دائما إلى تأثير يونـاني، لأن الروح Numina عند الـرومان ليست لها حكايات.

٣ ـ السلم الإلهي: Pax Deorum

كـانت مهمـة الـدين هي تأمين رضـا الآلهة عن طـريق تقـديم القـرابين وتأديـة الطقـوس، وإقامـة الاحتفالات المنـاسبة. وكـان تقديم القـرابين يتم بأيدى جماعـة الكهنـة Pontifices، وكـان للحبر الأعظم Pontifex Maximus مكانة سيـاسية عالية، حتى أن قيصر[(٢)] بطبعه المتشكك تولى بنفسه هذا المنصب. وكان يشترك في الخدمـة مع «الحبر الأعظم» أربعة مـن كبار الكهنـة هم «كـاهن القرابين» و«كـاهن جوبتر»، و «كاهن مـارس» و«كاهن كويرناليس». و«كاهن جـوبتر» يخضع لمجموعة

---

(١) أوفيد (٦٣ ق. م ـ ١٧ م) شاعر لاتيني كتب الكثير من القصائد الغنائية والأسطورية منها قصائد «الحب»، و«فن الحب». وأشعــاره في الأسـاطير أهمهـا «ميتـامـورفيسس» أي التحــولات أو مسخ الأشكال. وقد ترجمها الدكتور ثروت عكاشة وراجعها الدكتور مجدى وهبه (المترجم).

(٢) اختير قيصر عـام ٦٤ ق. م رئيسا أعلى للـدين الـرومانى وكـان منصب الحبر الأعظم يمكنـه من السيطرة على الشؤون الدينية (المترجم).

خاصة من الممنوعات المعوقة، فلا يجوز له أن يركب حصانا، ولا أن يرى جيشا، ولا أن يقسم يمينًا، ولا أن يضع خاتمًا في أصبعه أو رباطا معقودا، أو أن يخرج في الطريق حاسر الرأس، أو يستخدم الحديد في قص الشعر أو تقليم الأظافر، أو يسير تحت كومة، أو يلمس كلبا ــ وتلك أمثلة قليلة للقيود الكثيرة التي يمكن أن نتعقبها إلى معتقدات السحر، وهناك تقويم محكم نشر رسميا عام ٣٠٤ ق. م، وإن كان تاريخه أقدم من ذلك بكثير، وهو تقويم بالأيام التى يسمح فيها القيام بممارسة الأشغال العامة أو يمنع، وتلك هي الفاستى Fasti (الأيام المقدسة). وكان من الضروري اختيار الضحية المناسبة لكل قربان، بحيث تُراعى الطقوس بدقة، وتتلى الصلوات المحددة. ومع ظهور الإمبراطورية عين كهنة جدد لإدارة شؤون العبادة فيها.

وطائفة الكهنة العظام الآخرين هم المتطيرون augurs[١]، الذين كانت مهمتهم تفسير إرادة «جوبتر» بمراقبة تحليق الطير. وطائفة الخمسة عشر كاهنًا كانوا يعنون عناية خاصة بالكتب السبيلية Sabylline[٢]. ولكن كان هناك كهنة آخرون إخوان أرفال Arval Brethren[٣] الاثنى عشر الموكول إليهم الإشراف على خصوبة الحقول والذين بقيت ترانيمهم إلى اليوم، وجماعة تيتوس Titus الذين يرعون طقوس السابين Sabine القديمة[٤]، كما يتحملون جانبا من المسؤولية عن موضوع التطير (التنبؤ بحركة الطير)، والفتيالي Fetiales[٥] الذين كان اختصاصهم التصديق على المعاهدات، واللويرسى Luperei أو إخوان الذئب الذين يحتفلون بطقوس السنة الجديدة في شهر فبراير من كل عام، والساليون Salii أو الكهنة القافزون الذين كانوا يقومون على خدمة الإلهين «مارس» و«كويرينوس Quirinus».

(١) كانت أعظم طوائف الكهنة نفوذا هي جماعة العرافين التسعة الذين يدرسون إرادة الآلهة ومقاصدهم بمعرفة اتجاه الطير في تحليقه. والتطير في اللغة العربية هو التفاؤل أو التشاؤم من حركة الطير (المترجم).

(٢) هي الكتب التي كانت الحكومة الرومانية تدّعى أنها تعرف ما تريده الآلهة عن طريق الرجوع إليها، لأنها سجلت فيها تنبؤات سيبيل Sibyl أو كاهنة أبوللو (المترجم).

(٣) إخوان الريف أو أصدقاء الحقل (المترجم).

(٤) السابيين: شعب قديم من شعوب أواسط إيطاليا حارب روما طويلا، لكن في القرن الثالث ق. م أصبح أهله مواطنين رومانيين (المترجم).

(٥) أو المفاوضون الدبلوماسيون (المترجم).

٤ ـ الدين السياسي :

إمتدح المؤرخ اليوناني بوليبيوس Polybius[1] الأرستقراطية الرومانية في الوقت الذى نجد فيه القديس أوغسطين ، اللاهوتى المسيحى ، يدينها ـ والمدح والإدانة معا بسبب استخدامها للدين كمخدر للشعب ، ففي عهد الجمهورية ظهرت نتيجة للضغط السياسي في أوقات الأزمات ، بدع جديدة من خلال الكتب السيبلية . وهناك حكاية تُروى عن كيفية حصول الملك تاركوينس Tarquin على آخر ثلاثة كتب سيبلية لقاء ثمن كان يمكن أن يحصل به على تسعة لأنه خدع في المساومة . وكانت سبيل Sibyl شخصية تنبؤية غامضة تنسب إليها أشتاتا متنوعة من التنبؤات ، وربما تم تنظيم هذه الأشتات عام ٣٦٧ ق م ، أو قبل ذلك . وقد أدخلت على الاحتفالات بأعياد الألهة احتفال الكتسترينوم Lectisternium الذي يظهر فيه أزواج من الآلهة متجسدين في تماثيل نصفية منحوته ، وجالسين على أرائك ، وتنصب أمامها الولائم بينما يسير الموكب الدينى أو موكب الضراعة إلى المعبد . وهاهنا نرى التسلية والترفية في الطعام ، والمشاهد غير المألوفة والبدع ، كما يقدم ترفيه مماثل فى صورة مسابقات مسرحية ورياضية .

والكتب السبيلية مسئولة كذلك عن ظهور عبادات جديدة . وفي فترة مبكرة من أعوام ٤٩٦ ـ ٤٩٣ ق . م كان هناك معبد مخصص لعبادة الألهة كيريس Ceres[2] ، والإله ليبر Liber والآلهة ليبرا Libera[3] . وهم عند اليونان الإلهة ديمتر والإله

(١) تقع حياته تقريبا فيما بين ٢٠٣ ـ ١٢٠ ق . م دعا إلى الحيادبين روما ومقدونيا ، وانتصرت روما ، فأخذ سجينا سياسيا سبعة عشر عاما ، ثم أصبح صديقا لأسرة سيبيو وكتب في رعايتها تاريخ عالم البحر المتوسط في ٤٠ مجلدا لم يتبق منها سوى الخمسة الأولى (المترجم) .

(٢) كانت «كيريس» في وقت من الأوقات إلهة الأرض ، والأم المشرفة على الزراعة ، وهي ابنة الإلَـة «ساترن» وأخت جوبتر وبلوتو . والإلَـه ليبر إلَه رومانى قديم اتحد فترة مع إلَه اليونان باخوس أو الإلَـه ديونسيوس ، وليبرا هي ابنة كيرس وأخت ليبر وهى أحيانا إريان زوجة باخوس ، أو الإلَـهة برسيفونى عند اليونان (المترجم) .

(٣) في عام ٢٠٥ ق . م أعلن مجلس الشيوخ أن الكتب السيبلية تنبىء أن هانيبال سيغادر إيطاليا إذا ماجىء «بالأم الكبرى» ، وهي صورة من الإلَـهة سبيل Cybeleمن «بسينوس» في فريجيا ـ إلى روما . وكان الحجر الأسود في اعتقادهم يمثل جسد الأم الكبرى (المترجم) .

ديونسيون والإلّهة برسفونى قضت بإقامته العرافة السبيلية . وفي عام ٢٩٣ق . م إنتقل إلـه الشفاء إسكيـولبـوس Aesculapuis (وهـو اسكليـوس Aschlepuis عنـد اليونـان) في صـورة أفعى إلى الجزيـرة عن طريق نهر التيبر حيث لا تـزال توجـد مستشفى القديس «بارتلوميو S.Bartolomeo » . وفي عام ٢٠٥ ق . م أحضر القائد المتصـوف «سكيبيـو Scipio » «الأم الكبرى» في هيئة الحجـر الأسود مـن (بسينوس Pessinus) . والواقع أن هذه الكتب كانت في أنشط حالتها أثناء الحرب مع هانيبال ونكباتها المروعة ، فالناس يرجعون إلى الدين في أوقات الحرب .

وقد أخذ العامة هذه المسائل بجدية شديدة بينما تزايد الشك فيها عند الطبقات العليا . وعندما قيل لكلـوديوس بالكر Claudius Pulcher[١] أن الدجاج المقدس رفض الأكل (وهـو نذيـر شـؤم خطير) قال : «دعهما إذن تشرب ، ثم : اقـذف بها في البحر» . أمـا فلامينـوس Flaminius[٢] . فقد أهمل بارادتـه واجباته الدينيـة . وأما مارسيلـوس Marcellus المتطير النبيل ، أثناء الحرب البونية الثـانية ، فقد ركب محفته مع العميان حتى لا يرى النذر الشريرة ، وكأن هذا العمل سيقضي عليها ، وبحلول القرن الأول أصبح المتطيرون مـدعاة للسخريـة والتندر ، حتى أن أحد الملاحـدة تولى منصب الحبر الأعظم لأغراض سياسية .

٥ـ الإمبراطور أغسطس :

تلقف الإمبراطور أغسطس نزعة الشك العامة ، فقد بلغ من الحرص مبلغا يمنعه من أن يكـون مخلصًا ، صحيح أنـه كان يؤمن بـالخرافات ، ولكن يصعـب أن نصفه بالتديـن . غير أن حاسته السياسية أشـارت عليه أن يقيم لحكمه أساسـا دينيا . ففي عام ٢٩ ق . م أغلق معبد «جانوس» ممـا يعنى نهاية الحرب ، وفي العام التالى ٢٨ق . م عهد مجلس الشيوخ للحـاكم بحق تجديد المعابد بحيث استطاع فيها بعـد أن يفاخر

(١) كان كلوديوس بللكر قنصلا عام ٢٤٩ ق . م وقائدا للأسطول الرومانى في الحرب مع القرطاجيين وهزم في ميناء دربانون Drepanum (المترجم) .

(٢) قائد وسياسي رومانى من أسرة شعبيـة كان قنصلا عام ٢٢٣ ومرة أخرى عام ٢١٧ هـزمه هاينيال وقتله عام ٢١٧ (المترجم) .

بأنه عمل على تجديد اثنين وثمانين معبدا . وفضلا عن ذلك فقد شيد مباني جديدة كان أعظمها بغير منازع هو معبد «أبوللو بلاتين» إله النور والثقافة الذى أشرف على الانتصار النهائى في موقعة «أكتيوم»، وكان شعارا ممتازا للعهد الجديد، كما أقام معابد أخرى لوالده بالتبنى يوليوس المقدس، ولجويتر إله الرعد، وللإله مارس، والآلهة فينوس، ولمارس المنتقم ولفستا .

وسار تجديد المعابد مع تجديد الشعائر الدينية في خطين متوازيين، فقد شرف أغسطس منصبه بأن تقلده بنفسه، وجعل من نفسه عرافا وعضوا في قائمة الخمسة عشر. وعندما مات ليبدوس Lepidus عام ١٢ ق. م أخذ أغسطس وظيفته وأصبح هو «الكاهن الأكبر» أو الحبر الأعظمPontifex Maximus. وبعد أن ظلت وظيفة كاهن الإله مارس شاغرة لأكثر من نصف قرن مُلئت مرة أخرى، فقام الكهنة بتقديم القرابين، وانتعشت المعاهد، وتجددت الطقوس الدينية وأقام أغسطس في عام ١٧ق. م «الألعاب القرنية»[١]، إيذانا بافتتاح عصر جديد فكانت مثلا جيدا على ذلك. ولدينا بالمصادفة مذكرة عن سيرة حياة أغسطس، نص من العرافة السبيلية التى توصى بتنفيذ الطقوس الدينية، تشرح هذه الطقوس، ونقش على نصب تذكارى يحتوى على رسالة لأغسطس، وقرارين لمجلس الشيوخ، ووثائق لقائمة الخمسة عشر، وترنيمة «هوراس» التى كتبها بذكاء. ولهذا نستطيع أن نقتفى أثر سيطرة الموت والحياة الجديدة، والتطهر والتجديد، والدين والخصب، والأخلاق. وهناك شاهد آخر هام هو «مذبح السلام Altar of Peace» ومواكب التماثيل المهيبة والألواح الخشبية على الجدران التى تمثل «الأم الأرض» وأينياس Aeneas[٢] وهو يقدم القرابين لربات المدفأة Penates[٣] وتنشئة رومولوس وريموس، والشخصية المقدسة لروما على كومة مكدسة بالسلاح. ويشارك في ذلك الشعراء وإن كانوا

---

(١) سمّيت بهذا الاسم لأنها لم تكن تقام إلا على فترات متباعدة (المترجم).

(٢) إينياس ابن فينوس وبطل الانيادة لفرجيل، والجد الأسطورى للرومان (المترجم).

(٣) «ربات المدفأة» وهو الاسم الذي يطلق على آلهة المنزل اللاتينية القديمة على اعتبار أنهم يحرسون مدفأة البيت (المترجم).

أبيقـورين بحكم تكوينهم، فهـوراس Horace[١] يسهم بمطلبه في تجديد المعبد وبأناشيده، وفرجيل[٢] يركز رؤيته على روما الخالدة في سياق التجربة الدينية. بل أن أوفيد Ovid[٣] شغل نفسه فاهتم بالتقويم الديني.

٦ ـ عبادة الإمبراطور:

تعلمت روما، نتيجة احتكاكها باليونان، أن تنسب ألقاب الشرف المقدسة إلى الأفراد، ففي عام ٢١٢ق.م. أقيم احتفال على شرف مارسليوس Marcellus في سيراقوزه، وفي عام ١٩٥ق.م منح فلامينينوس Flaminius في مدينة خالكيس Chalcis مرتبة الكهنوتية التي بقيت طوال ثلاثة قرون. وأنشدت ترنيمة للإمبراطور تيتوس Titus[٤] وزيوس وآلهة روما تنتهي بعبارة «نعماك يا أبوللو، نعماك ياتيتوس يا مخلصنا». وفي مدينة «افيسوس كان هناك هيكل لآلهة روما ولـ «ب سرفيلوس أزوريكوس P.Servilius Isauricup الذي كان قنصلا من ٤٦ حتى عام ٤٤ق.م. وكان «فيرس Verres[٥] الشهير موضع تبجيل في قبرص، وقُدِّمت آيات الشرف لشيشرون وشقيقه كـويتتوس Quintus، ولكنها رفضاها. وقبل سنة أو سنتين من ميلاد السيد المسيح أقيم احتفال لـ «بولس فابيوس ماكسيموس Paullus Fa bius Maximus » ارتبط بعيد أبوللو سمينثوس Smin

(١) من أعظم شعراء الرومان في القرن الأول قبل الميلاد، كان صديقا لفرجيل الذى قدّمه إلى مايكناس وزير البلاط في عصر أغسطس الذي كان يشجع الآداب. (المترجم).

(٢) يعدّ فرجيل، هوميروس الرومان، عاش في القرن الأول قبل الميلاد وكتب ملحمة الانيادة على غرار إلياذة هوميروس كما كتب الرعويات والزراعيات وقصائد أخرى كثيرة (المترجم).

(٣) أوفيد ٤٢ ق.م ـ١٨م شاعر غنائي لاتيني كتب «القصائد الغرامية» و«قصائد الحب»، و«فن الحب» و«دواء الحب» كما سبق أن ذكرنا (المترجم).

(٤) تيتوس ٨١ ـ ٤٠ أحد أباطرة الرومان وهو الابن الأكبر للإمبراطور فسبيسان وشريكه في الحكم عام ٧١ ـ اشتهر بمنشآته في روما واستمتع الناس بالرخاء في عهده حتى سموه «أنوار البشر» (المترجم).

(٥) جايوس فيروس ـ سياسي روماني، كان حاكماً على قبرص، اشتهر بالابتزاز والاغتصاب وفرض ضرائب باهظة واحتقار حقوق المواطن الروماني، حوكم وأمر مارك أنطونيو بإعدامه (المترجم).

theus . وارتبــط الاسمان حتى ظل الاحتـفال بهما معا تحـت اسم سمـينيثا ـ بولـس في طرود Troad[1] لمدة قرنين بعد ذلك .

وفي أقصى الشرق وفي الجنوب كـان تقديس الشرقيين للملك أمرًا مألوفـا ، ولقد نظر الرومـان إلى الفكرة بافتتان ورهبـة . فقلَّد بومبى[2] الاسكنـدر الـذي وافق على الألوهية لأغراض سياسية ، وكـان قيصر، على الأقل ، يلهو بالتأليه الذي خلع عليه بعد موته . وأصبح مارك أنطونيو، بغير خجل هو ديونسيوس أوزريس زوج كليوبطرة ـ ايزيس ملكة مصر، وأطلقا على طفليهما إسم الشمس والقمر.

وأقام أغسطس بحـاسته السياسيـة البارعـة نموذجا للمستقبل ، فكـان عليه أن يصبح في مصر الملك المقدس ، لكنـه كان حـذرا في أماكن أخرى فلـم يشأ أن يرجع الرومـان لاقتراف الإثم مـرة أخرى في حق الحكم . لقـد كان لـدي اليونـان جمعيات مختلفة لشتـي الأغراض تسمى الكـوينا Koina وقـد كيفت هذه الجمعيات بحيث تناسب عبادة الحاكم ، غير أن أغسطس لم يسمح لنفســه أن ينال وحده شرف التأليه إذ لابد لاسمه أن يقترن باسم روما واللارات Lares . فمن روما أخذ لقب Divi Filius أي ابن الإله (يوليوس) . ويوحى هذا بأنه يشبه هرقل Heracles[3] الذي هو إبن إلـه أيضًا وضمـه مجمع الآلهة إليه نظـرا لخدماتـه في سبيل الإنسانيـة . وهذا هـو السبب في تقريع «تبريوس Tiberius » لأحد رجال حاشيته المنافقين عندما تحدث عن «واجبات الإمبراطور المقدسة» إذ عنَّـف الإمبراطور ذلك «المجتهد» وكان توبيخه لنفاقه الذي يشير إلى ألوهية المستقبل لا ألوهية الحاضر.

أما المصابون بجنون العظمة من أمثال «كاليجولا Caligula » ، ونيرون ودوميتيان Domitian فهم وحدهم الذين طالبوا بأن يعبدوا في حياتهم ، وأنْ يُنظر إلى كل منهم

(١) طـــرود Troad مدينة قـديمة في آسيا الصغرى جنـوب مدينة طرواده ويـرى البعض أنها المنطقة المحيطة بمدينة طروادة القديمة (المترجم) .

(٢) قائد رومانى (١٠٦ ـ ٤٨ ق . م) أدى خدمات جليلة في ساحات القتال فمنح لقب (الأكبر) عام ٨٩ ق . م ولعل هذا هو ما يعنيه المؤلف من أن بومبى حاكى الإسكندر الأكبر (المترجم) .

(٣) أشهر الأبطال في أساطير اليونـان والرومان ، كانت شجاعته خارقة وقـوته جبارة ، فهو ابن الإلـه زيوس من الكمينا ، قام باثنى عشر عملا خارقا رفعته إلى مصاف الآلهة الخالدة . (المترجم) .

بوصفه سيدًا وإلها Dominus & Deus أي مالك للعبيد وإله للفانين[1]. ومن هنا كـان رد القديس يـوحنا (صـاحب الإنجيل المعـروف) على إدعاءات «دوميتيـان» أن جعل «تومـا» يؤكد أن المسيح هو السيـد الحق، وهو الإله الحق[2]. وكما أن بنيـة السماء تعكس، في الأعم الأغلب، بنية الأرض، فقد كـان مجمع الآلهة يصوَّر على أنه نوع من مجلس الشيوخ السماوى الأعلى، مضافًـا إليه أعضاء مختارون لجدارتهم. ومن ثَّم ظهرت عمليـة تأليه الأبـاطرة الممتازين بعـد وفاتهم، حتى أن «فسبـازيان Vesp asian» القـــائد المتبلد عندما شعر بسكرات الموت تقترب. وكان قد احتفظ لآخر لحظة بروح الدعابة[3] ـ صاح «آه يا عزيزى، وا أسفاه! أظن أننى صائر إلى أن أكون إلهًا» . . . !

ولقد كان ذلك بالطبع دينًا سياسيًا، فلم يكن في استطاعة آلهة الأولمب أن يقيموا إمبراطـورية مـوّحـدة، أعنى إمبراطوريـة مقـدسـة قويـة. أمـا في روما فقـد أصبح الإمبراطور إلها لأنـه إمبراطور، وهو مـركز العبـادة على نحو ما كـان اينياس Aeneas مركز الانيادة بوصفـه رمزًا لروما[4]. ومعنى هذا أن العبادة تحصل على أهميـة خاصة من أطراف الإمبراطـورية: من بـريطانيا حيث ظهـرت منذ البدايـة عبادة كلـوديوس Claudius، ومن آسيـا حيث تنازعت المدن حول أحقيتها في لقب راعية المعبد Neo Koros في العبـــادة الرسمية للمقاطعة. واستمرت عبادة الإمبراطور في القرن الثالث إلى أن غَّير أورليـان Aurelian[5] مبدأ الحكم مضيفـا إليه نعمة من الله، ممـا مهدَّ

(١) نادى «دوميتيـان» بتأليه أبيه وأخيه وزوجتـه وأخته وطلب إلى الموظفين ألا يذكـروه في وثائقهم إلا بلقب «سيدنا وإلـهنا» (المترجم).

(٢) انظر إنجيل يوحنا «أجاب توما وقال له ربى وإلـهى» ٢٠ : ٢٨ (المترجم).

(٣) قال هـذه العبارة ثم وقف على قدميه وهـو يكاد يغمى عليه وقال «إن الإمبراطـور يجب أن يموت واقفا»!! (المترجم).

(٤) المفروض أن «آينيـاس» ـ بطل الاينـاده ـ هو أحـد أبطال طـروادة، ظهر لـه شبح هكتور القتيل، ومدينة طـروادة تحترق، وطلب منه أن يستعيد من اليونـان ما كان في طرواده من «أشيـاء مقدسة وآلهة منزلية» ويـركب مع أبيه وابنه سفينة تقف بهم في أمـاكن مختلفة ويقوم بمغامراتـه أشبه بأوديسيوس في الأوديسـه ـ وهـو يصل في النهـاية إلى نهر التيبر. ولهذا ينظـر إليـه الرومـان على أنـه مؤسس مـدينتهم (المترجم).

(٥) أورليـان (٢١٢ ـ ٢٧٥) إمبراطـور رومـانى خلف كلـوديـوس الثـاني ودافع دفـاعـا مجيـدا عن الإمبراطورية (المترجم).

الطريق أمـام الإمبراطورية المسيحية على الرغم مـن أن شخصية الإمبراطور قسطنطين ظلت تتلقى التوقير والتبجيل[1].

٧ ـ مقاطعات الإمبراطورية :

بعد أن اتسعت الإمبراطورية الرومانية استـوعبت كل ما تصادفه ، وكان ذلك هو سرها . وكانت هذه العملية تسمى من الناحيـة الدينية «التأويل الروماني» ، أو الفهم الرومـاني لآلهة الأجانب واعتبـارها آلهتهـا الخاصة . ولابـد أن نتذكـر أنه كانـت هناك عملية تنـاظر هـذه العملية ، وهي قيام المقـاطعات بـاستيعاب آلهة الـرومان لتصبح آلهتها الخاصة .

وتقدم لنا مقـاطعة بريطانيا مثـالا جيدا على هذا ، فقد كـان هناك عدد كبير من الآلهة الكلتيـة ، بعضها آلهة محليـة تماما ، وبعضهـا الآخـر عرفتـه عن طريق أوربـا . وهذان النـوعان من الآلهة متشـابهان في ذاتها وفي إتحادهما مع مجمع الآلهة الـروماني . ففي باث[2] ، اتحدَّت آلهة الينابيع الحارة سوليز Sulis مع منيرفا Minerva ، وكان التصميم الهنـدسي لمعبدهـا كـلاسيكيا ، أمـا النحت فلم يكن كـذلك . وفي مدينـة «ليدنـى» على نهر سفرن Severn نجد أن نودنز Nodes الذي حفظته لنـا الأساطير بـاسم الملك لير ، كان مـن نصيبه معبـد جميل في القـرن الرابع الميـلادى . وأصبحت برجنتيـا Brigantia في الشمال حورية البحـر «مابونس Maponus» ، أو «مابـــون Mabon» واتحدَّ إله الشبــــــاب مع الإله أبوللو ، وكان من الطبيعي أن يقدم الإله «مارس» ليكون ربا للجنود بهويات مختلفة . وكـان الرومان أحيانا يمجدّون إلهًا محليًا مثل «جنيوس Genius » أو روح المكان . وتحولت الإلَهة الكِلْتية الأم إلى ربات القدر . أمـا جوبتر أفضل الآلهة وأعظمهم فقـد أصبح لـه مكـانة هـامـة في العبادة الكلتيـة الـرسمية ، وكـان من الطبيعي أن تـوجـد عبـادة للإمبراطـور ، ولا يـزال من الممكن

(١) الإمبراطور قسطنطين ، إمبراطور رومـانى أصدر منشور ميلان الذي أقـر التسامح مع المسيحية ، اعتنق المسيحية وهو على فراش الموت فأصبحت لأول مرة الديانة الرسمية لروما (المترجم) .

(٢) مدينة في جنوب غرب إنجلترا (المترجم) .

مشاهدة مبانى معبد كلوديوس في «كولشستر Colchester »[1] . وفضلا عن ذلك فقد جلب الجنـود والتجار معهم أنواعـا مختلفة من عبـادات الشرق مثل عبادة الإلهة «مترا» والإله أبوللو من «دولخي Doliche » وايزيس و«سيبيل» والآلهة السورية . أما كيف وصلت إليهم الديانة المسيحية فهذا ما لا نعـرفه ؛ لكن ثلاثة أساقفة بريطانيين حضروا المجمع الكنسي في آرليـس Arles[2] عام ٣١٤ ميلاديـة ، كما أن هناك نصبًا تذكاريا رائعًـا في كنيسة ليلنجستون Lullingstone ومربع الكلمـة في مدينة سرنستر Crencester والفسيفساء في هنتون سان مارى Hinton St. Mary .

٨ ـ السحر والخرافة :

جاء التنجيم إلى الغرب من بابل، وشجّع عليـه الموسوعى الرواقي «بوزيد ونيس Posidonius»[3] فقد كـــان الرواقيون والأفلاطونيون في صف التنجيم في حين كان الأبيقوريـون والمسيحيون ضـده، وتفترض نظريـة التنجيم وجـود علاقـة بين الناس والنجـوم «فنحن نشارك الكـواكب في القـدرات والمشاعـر» . ولما كان مســار «زحل» بطيئـا ، فقد اعتقـدوا أنه يجعل النـاس كسالى ، أمـا كوكب الـزهرة فهـو المشرف على الحب ، في حين أن كـــوكب المشترى Jupiter يهب النـاس القوة ، وعطـارد يبـارك التجارة . وارتبطت الأفعى بـاله الشفاء ، والبرج الذي يحمل هذا الاسـم يساعد على الشفاء . وكـان التنجيم شبـه علم ، كما كان حسـاب خرائط البروج عمـلا معقدا . وكان يطلق على المنجمين لقب الرياضيين Mathematici .

وانفجـرت الحركة في عهـد تبروس Tiberius[4] الذي اعتكـف في كابـرى ومعه «حشد من البابليين» . وفي ذلك الوقت كتب مانيليوس Manilius الرواقي قصيدة

---

(١) مدينة جنوب شرقي إنجلترا في مقاطعة اسكس (المترجم) .

(٢) مملكة قديمة شرقي فرنسا (المترجم) .

(٣) فيلســوف يـوناني رواقي في بـدايـة القـرن الأول ق . م ، ولد في سـوريـا وتعلم في رودس وكتب في التاريخ العام ، والفلسفة الطبية ، كما كتب مقالا عن الآلهة (المترجم) .

(٤) تبروس (٤٢ ق . م ـ ٣٧) إمبراطور رومـانى ابن أغسطس بالتبنى خلفه على العـرش واتخذ كابرى مقرا له (المترجم) .

في التنجيم؛ وربما اعتبر التنجيم بما فيه من إيمان بالقضاء والقدر ركيزة للوضع القائم، وربما شجع كذلك على الطموحات الخطرة، ولقد كان المنجمون يقعون بين الحين والحين، وإن كان التنجيم لم يمنع أبدا لفترة طويلة. وفي عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس كتب فيتس فالينز Vettius Valens وهو في حالة وجد، عن مشاركة المنجم للآلهة. واستخدم ستفانوس Stephanus البيزنطى اللغة نفسها، تقريبا، في القرن الخامس الميلادى.

لقد كان التنجيم خرافة منتشرة على نطاق واسع، لكنه لم يكن سوى خرافة واحدة بين خرافات كثيرة. ويكفينا أربعة أمثلة:

أ ــ استخدم السحر لأغراض طبية، فكتب الحجاب السحرى للوقاية من المرض، ولدينا تعويذات مثل «اهرب يا عفريت داء الكلب من حامل هذا الحجاب». وكان بلنى يؤمن إيمانا غريبا بالخرافات، من ذلك أنه كان ينصح لعلاج الصداع أن تلتقط حشائش نمت فوق رأس تمثال ثم تلفها في قطعة قماش وتربطها حول عنقك مع قطعة من خيط أحمر.

ب ــ اللعنات التي تنقش في الأعم الأغلب، على رقائق معدنية ثم تدفن في التراب وهي تصلح لمناسبات متنوعة: فأحيانا يكتبها أولئك الذين يفشلون في الحب، وأحيانا المقامرون الذين يريدون إضعاف جياد السباق التي لم يراهنوا عليها. وهناك مثال نموذجي وجد بجانب عين ماء بالقرب من أريزو Arezzo يصب اللعنات على شخص يدعى ك. ليتوريوس بويوس Q.Leturius Lupus ويسمى أيضا كوكاديو Caucadio ويستعدى عليه عرائس البحر أو المياه المغلية لتقضى عليه خلال عام.

جـ ــ ويروى المثال الثالث عن اكتشاف ممتع في برجامم Pergamum[(١)] عبارة عن عدة المشعوذ، وهي منضدة برونزية ذات ثلاث أرجل منقوش عليها باتقان صورة

---

(١) مدينة إغريقية قديمة على بعد ١٦ ميلا من بحر إيجه، وجدت منذ القرن الخامس ق.م لكنها لم تصبح ذات أهمية إلا في العصر الهلنستي (٣٢٣ ــ ٣٣٠ ق.م) وكانت مدينة مزدهرة اشتملت على أسواق وملاعب ومعابد لاسيما معبد الإلهة هيرا ومعبد آخر للإله دمتر (المترجم).

ألهة الظلام هيكاتي Hecate، وطبق مستدير عليه علامات سحرية، وخاتمان. وواضح أن الخاتمين يعلقان بخيط فوق الوعاء ليشيرا إلى الرموز المناسبة كلما اهتزا. ولقد وقفنا على قضية أثارت الرأى العام في القرن الرابع شملت أدوات مماثلة استخدمت لتحديد خليفة «فالنز VaLens».

د ـ في استطاعتنا في النهاية أن نذكر أبيليوس Apuleius[1]، فقد كانت قصته «الحمار الذهبي» مليئة بالسحر والشعوذة، وقد يكون ذلك مجرد جانب من تراث رواية القصص، ولكن إقبال القراء عليها في ذلك الوقت أمر له مغزاه. بيد أن هذا الأديب نفسه تزوج من أرملة ثرية اتهمته أسرتها بأنه سحرها، وكانت التهمة مضحكة لسخافتها، وتمكن أبيليوس بمرافعته الحاذقة من السخرية منها أمام المحكمة، ولكن وصول هذه القضية أصلا إلى المحكمة يكشف عن سيطرة الخرافة على هذا العصر.

ولـــ «بلنى» الأكبر[2] هنا أهمية خاصة، ففي شخصيته جانب من الرجل العقلاني الذي يهاجم استخدام السحر، ولكنه مع ذلك يؤمن بالعين الشريرة والتخفي، وبتغيرات الجنس (أى التحولات من جنس لآخر)، وتأثير القمر، والقوة المرعبة لدماء الطمث، والأعداد الوترية، وبالدوائر السحرية، وبقوة الحديد، والتأثير الوقائى للبصق، واستخدام الوصفات السرية أو السحرية الغامضة.

٩ ـ الحياة بعد الموت:

كانت المعتقدات العـــامة عن الحياة بعد الموت في المجتمع الروماني معقدة بنفس درجة تعقيدها في معظم المجتمعات الأخرى، فقد كان الأسلاف في التراث الروماني على نفس درجة الأهمية التي كانوا عليها في التراث الأفريقي، فكان الرجل

(١) أديب متفلسف من القرن الثانى الميلادى اشتهر بكتابين هما «التحولات» و«الحمار الذهبي» وهى قصة يتحول فيها البطل إلى حمار، ويقوم بعدة مغامرات ثم يستعيد شخصيته في نهاية القصة بمساعدة الإلـهة إيزس (المترجم).

(٢) بلينوس الأكبر (٢٣ ـ ٧٩) عالم نبات رومانى مات مختنقا عندما ذهب لرؤية بركان فيزوف، كتب عن التاريخ الطبيعى (٣٧ جزءا) تكلم فيه عن الكون والجغرافيا وعلم الأجناس والحيوان والنبات مما يدل على سعة الاطلاع وتنوع المعارف مما أثار دهشة النقاد وإعجابهم (المترجم).

الأرستقراطي يحتفظ بتماثيل أو أقنعة لأسلافه لكي ينتج منها نسخا في الظروف المناسبة. وكانت اللاريات Lares تعبر بصفة عامة عن أرواح الأسلاف. وكان المعيار الأخلاقي لروما هو الـ Mos Maiorum أي طريق الأسلاف. أما «الدى مانز Di Manes» فهي أرواح الموتى التي يشعر نحـــوها الرومان بالهيبة والاجلال. وكان عيد الوالدين الذي يقع في شهر فبراير Parentalia هو في الواقع عيد الأموات أي عيد جميع الأرواح. ويحتفل به أساسا داخل الأسرة أكثر مما يقام في مكان عام.

وامتدت المعتقدات الشعبية إلى «الأشباح» (وهناك قصص ممتازة عن الأشباح عند شيشرون وبلني) ـ وإلى السحرة القادرين على استحضار أرواح الموتي.

واجتمع الإيمان بالشياطين والعفاريت عند الأتروسكين، والإيمان بالأسطورة اليونانية لتعزيز الخوف من العقاب بعد الموت الذي سخر منه شيشرون وسينكا؛ لكن الأبيقورين شعروا أنه مفروض على الآخرين؛ غير أن النقوش على شواهد القبور لا تكشف بصفة عامة عن خوف ولا عن رجاء، وإنما يعبر بعضها عن الأسف لأن المتوفى ترك متع الدنيا، بينما يعبر بعضها الآخر عن الرضا لأنه أفلت من متاعب الحياة، والصيغة الشائعة للتعبير الأخير هي «أنا لم أوجد، ولست بموجود، ولا أبالى». وبعض النقوش الأخرى تتحدث عن «النوم الازلى»، والدليل الرئيسى على الأسف مرتبط بالقبور التي كانت تقع على جانبى «طريق ابيا Via Appia »[1] الذى كان قد صمم أساسا ليكون «دار الموتى». وكان يلحق بهذه القبور أحيانا غرف طعام ومطابخ حتى يستطيع الأحياء المشاركة في مأدبة تقام لتكريم الميت بمناسبة الاحتفال بذكرى يوم ميلاده وفضلا عن ذلك فمنذ عصر هدريانس حتى القرن الثالث ونحن نجد سلسلة من التوابيت الفخمة التى تصور مناظر ترمز إلى الفنانين الذين دخلوا دار الخلود. ويتخذ ديونسيوس من «اريان» عروسا له[2]، أو يظهر في هيئة المنتصر. ويجتاز «كاستور Castor » وبولوكس Pollux[3] مع بنات «لويكبوس

(١) «طريق ابيا» نسبة إلى القنصل الروماني «أبيوس كلوديوس» وكان هو الذي بدأ في إقامة هذا الطريق الذي يؤدى من روما إلى كابوا Capua ثم امتد أبعد من ذلك. (المترجم).

(٢) إريان ابنة مينوس Minos ملك كريت (المترجم).

(٣) كاستور ابن تينداروس Tyndarus ملك طروادة وليدا Leda وتوأم بولكس وشقيق هلن، وكان آدميا. أما أخوه بولكس فكان خالدا. ولما مات الأول حصل الأخير على تصريح من جوبتر أن يتناوب الشقيقان الحياة معا (المترجم).

«Leucippus»[1] الباب إلى حياة جديدة. وترمز ربات الفنون Muses إلى لمسة الإلهام الإلهى، أما برومثيوس فيخلق الإنسان ويهبه الحياة. ويظهر هرقل Hercules وهو ينجز المهام التى من أجلها وهب الالوهية مكافأة له. وتتحدث مناظر المعارك والصيد عن الانتصارات، وأندميون Endymion أيقظته سيلين Selene بقبلة[2]. أما دورة الفصول فتنبىء بميلاد عام جديد، وأما الناريدات Nereids أو التريتون[3] Tritons فتصور الرحلة إلى جزر البلست Blest بأسلوب اعتمد على زخرفة الأمواج وأصبح بعد ذلك نمطا ثابتا، في حين تؤكد الزهور والأكاليل وجود الحياة.

١٠ ـ الشمس:

كانت الشمس في أجزاء متعددة من الشرق موضوعا بارزا للعبادة ففي بلاد إليريا Illyria[4] وجد تراث قديم لعبادة الشمس، وفي مصر كانت الشمس على المدى الطويل الإله الرئيسي بين الآلهة، وفي سوريا كانت المدينة التي تسميها مدينة «بعلبك[5]» معروفة عند اليونان باسم هليوبوليس أو مدينة الشمس[6]. أما في فارس فقد كانت الشمس أحد الضباط الأساسين لأهورامزدا، في صراعه مع الظلام. وكان لـ«سول Sol» إله الشمس عبادة قديمة في روما، ولكن في عصر الإمبراطور أغسطس حل أبوللو محله. وكان من الطبيعى مع تحرك مركز الجاذبية للإمبراطورية الرومانية تجاه الشرق أن تزداد عبادة الشمس قوة. ولقد كانت قوية بالفعل في الدعاية للإمبراطورية فكان بيت نيرون الذهبي مسكنا ملائما للشمس

---

(١) لويكبوس: والد فويب Phoebe وهيليرا Hilaia اللتين فاز بهما كاستور وبولكس (المترجم).

(٢) اندميون Endymion الراعي هو أجمل شباب الميثولوجيا الرومانية، أحبته سيلين إلهة القمر وأيقظته من نومه بقبلة (المترجم).

(٣) الناريدات مجموعة من حوريات البحر والتريتون تصفه إله من آلهة البحر بجسم رجل وذيل سمكة. وقد سبقت الإشارة إليها (المترجم).

(٤) منطقة قديمة لم تتضح معالمها أبدا بتميز وهى تمتد على ساحل البلقان (المترجم).

(٥) مدينة بعلبك على سفح جبل لبنان الشرقي على بعد ٨٥ كم شمال بيروت وشيد بها معبد الإله بعل (المترجم).

(٦) من Helios في اليونانية بمعنى الشمس وPolis بمعنى مدينة (المترجم).

المجسدة كما أضفى أنطونينوس Antoninus على الشمس احتراما خاصا[١].

ولقد أصبحت عبادة الشمس مهيمنة في عهد أسرة سيفروس Severus[٢] فكان إله الشمس يصور مع لحية «سيفروس Severus» المتميزة، واتخذ الإمبراطور لقب الذى لا يقهر Invictus» وكان هو اللقب الخاص بإله الشمس، وكان ذلك تطورا طبيعيا، فالشمس رمز توحيدى رائع ونقطة تجميع للإمبراطورية بأسرها. فقد إنحطت قيمة الدين القديم. كما أن اغتصاب العروش جعل من الصعب أن يعامل الإمبراطور بوصفه نقطة مركزية للعبادة. وحتى مبالغات الإمبراطور هليوجابولس Heliogabalus[٣] لم تستطع تدمير قوة الرمز، ففي عـــام ٢٧٤م نصب أورليـــان Aurelian[٤] إله الشمس إلها أعظم للإمبراطورية الرومانية.

وقال إرنست رينان[٥] ذات مرة لو أن المسيحية انهارت لكان العالم من أتباع مترا Mithraist[٦]، لكن هذا غير صحيح فلو إنهارت المسيحية لسادت عبادة الشمس ولكن في صورة أخرى غير صورتها الفارسية. والواقع أن مسيحية الإمبراطور قسطنطين كانت مسيحية مبهمة غامضة، فأسرته كانت تدين بالولاء التقليدى لإله الشمس، ولقد جاءته الرؤية الشهيرة للصليب من الشمس وهو في طريقه إلى روما، وواصلت الشمس ظهورها على ماسكه من نقود خلال عشرة أعوام، وعلى قوس

---

(١) إمبراطور رومانى من (٢٠٦ ـ ٢٢٢) وكان في شبابه كاهنا في معبد إلّه الشمس (المترجم).

(٢) سيفيروس Severus أسرة من أباطرة الرومان، ولهذا فاسم سيفيروس يطلق على أربعة منهم هم فلافيوس (٣٠٦ ـ ٣٠٧)، وليفيوس (٤٦١ ـ ٤٦٥) ولوشيوس (١٩٣ ـ ٢١١) ثم ماركوكوس (٢٢٢ ـ ٢٣٥) (المترجم).

(٣) هليوجابوس هو نفسه الإمبراطور الرومانى السابق ذكره أنطونينوس فقد نصبه الجنود إمبراطورا تحت اسم ماركوس أورليوس أنطوينيوس عام ٢١٨ (المترجم).

(٤) اسمه اللاتينى بالكامل لوشيوس دوميتوس أورليانوس كان إمبراطورا لمدة خمس سنوات (٢٧٠ ـ ٢٧٥) كان في الأصل جنديا ثم ارتقى إلى أعلى المناصب العسكرية اختاره الجيش إمبراطورا عام ٢٧٠ (المترجم).

(٥) إرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) مؤرخ وناقد ومستشرق فرنسى اهتم بالدين من الناحية التاريخية لا من الناحية العقيدية فكتب «تاريخ نشأة المسيحية»، «وتاريخ شعب إسرائيل» وألف رسالة عن ابن رشد والرشدية.. إلخ (المترجم).

(٦) إله الشمس أو النور عموما وقاهر الظلام عند الفرس (المترجم).

النصر الذي أقـامه في رومـا. ويحمل تمثالـه المقام في القسطنطينيـة التاج المشـع لإله الشمس مصنوعا، كما اعتقد هو نفسه، من مسامير الصليب الحقيقية. لقد كان إلهه إلها للقـوة، لكنـه لم يكن أبـدأ إلها للحب، ومعنى ذلك أن الشمس لم تهزم هـزيمـة كاملة.

١١ ـ الديانة الشخصية :

تحول النـاس من أجل الـديـانــة الشخصيـة إلى «ديـانـات الأسرار» التى لم تكن طقوسها السريـة معروفة إلا للمنتمين إليها وأشهر مـا هو معروف من هذه الـديانات ديانة «اليوسس Eleusis والتي كانت لا تزال قوية عند شيشرون وبلوتارك. وتنكشف قوة ديونسيوس بصورة طاغية، في فيلا Villa الأسرار في بومبى Pompii[(١)]، حيث تـوجد السلسلـة الفخمة من الـرسوم الجداريـة التي تبين عملية الترسيم كلهـا والتي يشرف عليها الإله، من قراءة لتراتيل الطقوس الدينية، إلى تقديم للقرابين، ورضاعة الرضيع، والتنبؤ بـالغيب، وكشف النقاب عن القضيب الغامض، والجلـد بالسوط أو طقوس الموت، ورقصـة البعث، والإعداد للزواج المقـدس وكلها تعبر عن سجل رائع للعبادة.

ولقـد جاءت أسرار «إيـزيس» و«أوزريس» من مصر حيث كـانت إيـزيس هي الإلهة المنفذة، بينما كان أوزريس هو الإلّـه الذي مزق أشلاء ثم ولد من جديد، وكان المتوفى في مصر يتحد مع أوزريس في هوية واحدة ويخاطب على إنه أوزريس. كانت إيزيـس واوزريس يقدمـان الحماية في هذا العـالم، وكذلـك في العالم الآخر. وكـانت رواية أبوليوس «الحمار الذهبى» التى كانت مغـامراتها الحية تخفى وراءها هدفا حادا ـ هي شهادة واضحة على افتنان كاتب رومانى من أصل أفريقي بعبادة إيزيس.

وكان لسبيل Cybele، الإلّـهة الأم العظيمة في آسيا الصغرى، بدورها أسرارها. فدخول العضو في الجماعة يتم عن طريق التورويوليوم Taurobolium أو التعميد بدم

---

(١) مدينة بـومبى جنوب شرق نابلي دمرت في إحـدى ثورات بركان فيـزوف واكتشفت آثارها في ق١٦ (المترجم).

الثور الـذي اعتقد البعض أنه يجلب حياة أبـدية[1] في حين أن البعض الآخـر كـرر الاحتفال نفسه بعد عشرين سنة، وقد سجل وجود التعميد في بوتيولى Puteoli[2] في بداية القـرن الثاني الميلادي. وصلتنا الصـورة الحية التي وصفها لـه برودنتيوس -Pru dentius[3] في القرن الرابع. وفي الأصل كان أولئك الذين وهبوا أنفسهم للأم يتوقع الناس منهم إخصاء أنفسهم، مضحين بخصوبتهم مـن أجل خصوبة العالم. لكن ذلك لم يعـد قـائما منذ عصر كلـوديـوس Claudius، وانتشرت العبـــادة في عصر الإمبراطورية بين جماهير الشعب وكانت هذه العبادة شائعة في الإمبراطورية.

وكان الإله «مترا» هـو الإلّه المخلّص عند الفرس وهو إلّه القبـة الزرقاء، وحليف «أهورا مـزدا». وكان الترسيم يتم على سبع خطوات، فالمراتب الـدنيا أو الخدم -Ser vitors كانت هي الغـراب، والعـــريس، والجنـدي. والمراتب العليا أو المشاركون كانوا: الأسد، و«الفـارسى»، ورسول الشمس والأب. ويتضمن الترسيم اختبارات حقيقية أو رمزيـة للقدرة على التحمل. ولم تتطلب الديانة «المثـرية» أعدادا كبيرة على الإطلاق فالمعابد (المزدانة بنقش بارز على الحجر لمترا وهـو يقتل الثور الذي يرمز بدمه للحيـاة) كـانت صغيرة باستمـرار، كما أن أعضـاء الـديانـة في معظمهم من الجنـود والتجار مع بعض الخدم المدنيين، واختلط التنجيم بـالعبادة التي فـرضت متطلبات أخلاقية ووعدت بالنعيم المقيم بعد الموت.

لقـد كانت المسيحيـة إحدى ديـانـات الأسرار الشرقية. وكـانت عوامل تأثيرهـا متعددة: شخصية مؤسسهـا القوية الساحرة، نوع الحيـاة والصحبة، وكل ما كانت تعنيه الكلمة الجديـدة «أجابى Agape » أى المحبة (الحب المسيحى) والمراكـز التي أعطيت لنساء مثل (بـريسيكا Prisca وفـوبي Phoebe، نيمفـا Nympha). وقـد أعقبهن في القرن الثـاني شهيدات مثل بلانـدينا Blandina وبـريتـوا Perpetua

---

(١) عَبَدَ الفرس القدامى الثور الذي مـات ثم بعث حيا ووهب الجنس البشرى دمه شرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود وسموه «هوما» (المترجم).

(٢) مـدينـة على السـاحل في كمبـانيـا شهيرة بـالمياه المعـدنيـة وهى منتجع مفضل عنـد الـرومـان (المترجم).

(٣) شاعر مسيحى لاتينى في القرن الرابع كتابه الشهير «الصراع بين الفضيلة والرذيلة» (المترجم).

فيليسيتــاس Felicitus . كما كان هنـاك التنظيم القوى للكنائس، والاقتنـاع الذي قضى على الخيارات الكثيرة في العالم القديم وواجـه الاستشهاد بشجاعة (واعتبر الدم المسيحى بذورا) ورسالة الأمل لكـل البشر. ولقد عبر الباحث أ. د. نوك A.D.Nock عن هـذه الفكـرة تعبيرا جيـدا بقـولـه «لقـد تُـرك للمسيحيـة أن تجعل هـذه الأسرار ديمقراطية» .

الفصل الخامس

«إيران القديمة»

إيـران، أو فارس كما كـانـت تـدعى في يـوم من الأيـام، تنغلق داخل مثلث من الجبـال، ويقع في قلبهـا اثنان من الصحـارى الملحيـة تبـدوان قاحلتين لـدرجـة أن صحراء جوبى Gobi تبدو خصبة بالقياس إليهما[1]. وبسبب الجبال الشاهقة التي يبلغ ارتفاعهـا ٥٥٠٠م (١٨ ألف قدم) تعتبر إيـران أرض تقابلات عظيمـة. فهناك أدغال استوائية بـالقرب من بحر قزوين، وهناك أيضا منـاخ البحر المتوسط في وديان الأنهار في الجنوب الغـربي. ولقد أظهرت هـذه الاختلافات ثقافـات مختلفة، كما أن الجبال جعلت الاتصال بينها صعبا. وعلى حين يخضـع غرب إيران لتأثير بلاد ما بين النهـرين، واليونـان، وروما، فإننـا نجـد شرق إيران يخضع لتأثير الهنـد بل و لتأثير الصين. وهكذا تقف إيران كجسر بين الشرق والغرب، وهي حقيقـة لم تؤثر في دينها فحسب، بل جعلت من إيران أيضا ملتقى روافد تاريخية عديدة.

تحركت موجات من الآريين، وهم شعب بدوى مولع بالقتال ـ حوالى عام ١٠٠٠ ق. م إلى داخل إيـران من الشمال، ومن الشمال الغـربى، وبحلول عـام ٨٠٠ ق. م كانوا قد احتلوا الأرض. ولقد كشفت ديانات الهند وإيران معا ـ تحت التأثير الآرى ـ عن عدد من الخصـائص المتماثلة. فهناك عـدد من الآلهة يظهر في كليهما (على سبيل المثال الإله مترا)، وهناك تصـورهما المتشابه لنظام الكون، كما كان لطقـوسهما الدينية الكثير من السمات المشتركة.

وتكشف ديانة الآريين عن طـريقة حياتهم، فهى ديانـة شعب يعيش على مقربة من الطبيعـة، ويجد فيها المتعـة ويخشـاها في آن معـا. إنه مفتـون بـالحياة التي تهبهـا الطبيعة الخيرة، ومع ذلك فهو يخاف من قسـوتها المدمرة للحياة. وتوحى أسماء الآلهة

---

(١) جوبي Gobi صحراء رملية تقع في الصين ومنغوليا جردتها الرياح من معظم تربتها (المترجم).

بالطابع المجرد لهذا الديـن : العقد (مترا) ، القول الحق (فارونا Varuna) ، والضيافـة (آرياماني Aryaman) وهكذا .

١ ـ الزرادشتية :

قيل إن زرادشت أو «زور آستر Zoroaster » (وهو الاسم الذى شاع أكثر عند اليونان) قد مارس نشـاطه في شمال شرق إيران . ويؤرخ لـــــه مـن الناحية التقليدية بـــ (٦٢٨ ـ ٥٥١ ق . م) . والـواقع أنه ربما عـاش في فترة مبكرة عن ذلك التـاريخ ، ونحن لا نعرف عن تفـاصيل حياته إلا أقل القليل ، رغم أن التقوى ـــ وهذا شيء لا مفر منه ـ قد جمَّلت الحكايات التى تـروى عنه بعاطفة الحب . لقد أثار تعليمه المبكر عـداوة خصومـه مما اضطـره إلى الهرب . وفي موطنـه الجديد ، وجـد تلميذا في صـورة حاكم محلى هـو فشتاسبا Vishtaspa . وأصبح زرادشت منذ ذلك الـوقت شخصية على درجة كبيرة مـن الأهمية في الأمور المحليـة . وتزوج وأنجـب بنتا وولديـن . وتقول وثائق التراث إنه قتل في سن السبعين .

وصلتنـا تعاليـم زرادشـــت في سبـع عشرة ترنيمة من ترانيمه المسماة «جاثا Ga- thas »[١] . وعلى الرغم من أنه يصعب ترجمتها ، فإن حماسه ، وحبه لله ، وحكمته كانت أمـورا مذهلة . إن الله عنـد زرادشت هو السيد المهيمن الحكيم ، أهـورامزدا ، خالق السمـوات والأرض ، وهو الأول والآخر . ومع ذلـك فهو أيضا الصـديق الذى دعاه من البداية ، ولا يمكن أن تكون لله علاقة بالشر ، فروحه المقدسة هي التى تقيم الحياة ، وتخلق الـرجال والنساء . وتعارضـه الروح الشريرة أو القـوة المدمرة التى تتسم بـالنـوايـا الشريـرة ، والتكبر والكـذب ، وعلى البشر أن يختـاروا بين هـاتين القـوتين المتعارضتين أو بين التـوأم من الآلهة ، فإن سلكوا طريق الشر ، فسـوف تمتلىء حياتهم بـالأفكار الشريـرة والكلمات الشريـرة ، والأعمال الشريـرة . وإن سلكوا طـريق الحق فسـوف يشـاركـون في العقل الخير ، و يبلغـون الكمال والخلـود ، والـورع ، وملكـوت السماوات ، وكلها جوانب من الطبيعة الإلهية .

---

(١) كلمة «الجاثا» معناها الغناء أو الإنشاد وهى أهم أجزاء الابستاق وأكثرها قداسة (المترجم) .

ومع ذلك فالصراع بين الحق والباطل ليس أزليا، إذ سوف تأتى «لحظة التحول الأخيرة في العالم» عندما يلتحم الجيشان العدوان الكبيران، وسيكون على الرجال والنساء أن يخضعوا للاختيار العظيم «عن طريق النار» و«سوف تتحقق العدالة»، ويتجدد «الكل من جديد» بواسطة «المحسنين» أو المخلصين للدين الخير الذين يقمعون الهوى بأعمالهم العادلة، وبنشرهم للتعاليم الحكيمة. وكل من يعمل على قمع الباطل فهو «المخلص»، وهو لفظ ينطبق على زرادشت نفسه بصفة خاصة.

وعلى الرغم من أن زرادشت أدان معظم التراث القديم فإنه لم يتخلص منه تماما، فهو بوصفه كاهنا قد وضع عددا من ترنيماته في الشكل التقليدى المأثور، ورأى أن طقوس النار القديمة هى رمز النور والقانون الكونى لله، فاستخدمها في صلواته، كما أن بعض صفات الإله - على أقل تقدير - هي تعديلات للأفكار الآرية القديمة، كفكرة الحق مثلا. ولقد كان على استعداد، كذلك، لاستخدام الصورة المعتادة لمحاسبة الفرد بعد الموت. لكن كل ما أخذه من أفكار قد عدَّله وشكَّله من جديد بطريقة فريدة، فحبه لله تطلب منه أن يعمل من أجل العدالة، والوفاق الاجتماعى، وأن يعارض الأعمال المدمرة التي يقوم بها الغزاة من البدو، لاعتقاده بأن الحياة الريفية المستقرة هى نموذج للسلام والحق.

لا مندوحة لتعاليم مؤسس أى دين من أن تتطور وأن تتعدل عن طريق أتباعه، ولم تكن الزرادشتية استثناء من هذه القاعدة. فأفكار زرادشت قد قننت وعدلت وتلاءمت مع أفكار العصر وحاجاته. ولم يفسد اتباعه تعاليمه عمدا، ولكن يبدو أنه حدث «تلاق والتحام» بين تعاليمه وبين الإيمان التقليدى في التراث، وكانت النتيجة إيمانا عميقا يعبر عنه بطريقه أسطورية.

٢ - المصادر:

الكتاب المقدس عند الزرادشتين هو الأبستاق Avesta[١]. وليس من المرجح أن يكون قد تم تدوينه قبل القرن الخامس الميلادى. لكن جزءا من مادة هذا الكتاب

(١) «الأبستاق» هي الترجمة العربية القديمة لكلمة Avesta الفارسية التي تعنى الأصل أو المتن. (المترجم).

يرجع إلى ما قبل هذا التاريخ بفترة طويلة[1] ، وربما يرجع لما قبل الحقبة الزرادشتية. ولسوء الطالع لم ينج الأبستاق كله من تخريب الزمن. وكل ما بقى منه هى ترنيمات زرادشت «أو الأناشيد Gathas » ونصوص الطقوس الدينية الرئيسية (اليسنا Yasna [2] و الونديداد Vindidad)[3] وترنيمات أخرى (هى اليشتا Yashts) والصلوات[4] . وفي القرن التاسع الميلادى تم تدوين عدد من الكتب الزرادشتية للدفاع عن «ديانة الخير» ضد الدعاية المسيحية والإسلامية ولشرح الإيمان لرجل الشارع. ولما كانت قد كتبت باللغة الفارسية الوسطى، أو البهلوية، فقد كانت ملخصات موجزة، وشروحات على الأبستاق، وهى تتحول، في كثير من الأحيان، إلى رصيد مثير للمعتقدات القديمة.

لكن ذلك ليس كل شيء، فالفلكلور، والنقوش، والعملات، وتقارير الملاحظين الأجانب، وإيمان الزرادشتين المحدثين ــ كل ذلك يضيف إلى معرفتنا بالديانة الإيرانية.

٣ ـ تصور الإلـه :

والتعاليم الشفهية للديانة الزرادشتية تعلم الناس أن «النسق» والنظام، والمبدأ، والقاعدة، وهو ما نراه في السموات والأرض، تجعلنا نتعرف على الوجود اللامتناهى للإله القادر على كل شيء كما تجعلنا نؤمن به. والزرادشتيون يحبون العالم، ويؤمنون بأن الحياة تعلمنا «أن الله هو الموجود الأعظم، والأفضل، والأسمى من حيث

(١) فقدت جميع نسخ الأبتساق بعد غزو الإسكندر لفارس عام ٣٣٠ ق.م وفقدت معها تفاسيره والمؤلفات التى كانت تشتمل على شيء من أجزائه. ثم بدأ ملوك فارس في القرن الأول الميلادى في تدوين ما بقى من حوافظ الناس من الأبستاق، وأكملوا هذا العمل في القرن الثالث ثم في القرن الخامس وهكذا (المترجم).

(٢) سفر «اليسنا» ومعناها العبادة أو التسبيح، يشمل أدعية وصلوات كان يتجه بها إلى الله وملائكته والكائنات المقدسة (المترجم).

(٣) «الونديداد» تعنى حرفيا القانون المضاد للشياطين، وهو يشبه سفر اللاويين في العهد القديم من حيث أنه يوضح التعاليم التي يخضع لها رجال الكهنوت من الزرادشتيين كما يتضمن وجهة نظر الزرادشتية في الموت والزواج وغيرها من المشكلات الاجتماعية (المترجم).

(٤) إحدى وعشرون ترنيمة تتلى في مديح الملائكة المشرفين على أيام الشهر (المترجم).

الفضيلة والاستقامة والخير» (ج.ج. مودي J.J.Modi » التعاليم الشفهية للديانة الزرادشتية، بومباى ١٩٦٢ ص٦ وما بعدها).

الكلمة الأولى في الديانة الزائفة هى القول بأن الشر يأتي من الخالق[١]، فالله لا يمكن أن يكون مسئولا عن الشر، لأن الشر جوهر، مثله مثل الخير، وكل منهما يرجع في النهاية إلى سبب أول هو الله، و«الشيطان: أهرمان Ahriman » الموجود بصفة مستمرة، والمسؤول عن كل شرور العالم، وعن الأمراض، والموت والغضب والتهم[٢]. وبما أنهما جوهران متعارضان تعارضا أساسيا فهما لا محالة يشتبكان في صراع.

ولكل منهما في هذا الصراع قوى خاصة، وتصبح صفات الإلّه كالاستقامة والخلود... إلخ التى عرضها زرادشت أفرادا متميزة، إن لم تكن كذلك بالفعل، فهم الخالدون الستة (الملائكة المقربون «أمهراسباند Amahraspands ») وهم يجلسون أمام عرش الآله، ولهم مكانة خاصة في طقوس الزرادشتيين، لأنهم يحرسون العناصر التى يتألف منها العالم (النار، والتراب، والماء... الخ) ومع ذلك فليسوا هم الكائنات السماوية الوحيدة، فهناك أيضا الظاهرون أو اليازات Yazata أو الموجودات المعبودة، وكثيرا ما تمت المقارنة بين وضع هذه الموجودات ووضع الملائكة والطبقات العليا من الملائكة في الديانة المسيحية. وعدد «اليازات» من الناحية النظرية عدد هائل، ولكن من الطبيعى أن تكون بعضها شخصيات مهيمنة، وقد كانت في العادة هى الشخصيات الآرية القديمة، وبغض النظر عن الأساطير، فإن الطابع المجرد للقوى السماوية يبقى على حاله، إذ لا تزال تمثل: النية الطيبة، والحقيقة والسلام... إلخ.

وفي معارضة القوى السماوية توجد حشود الأرواح الشريرة، وجماعة الشياطين، ونادرا ما تمثل في صورة أفراد كمقابلاتها السماوية، لكنها تعبر عن طبيعتها على نحو

(١) «تعاليم المجوس» ترجمها ر. ك. تسنير ونشرها د. م. مارن، لندن ١٩٥٦ ص١٩٤ (المؤلف).
(٢) «أهورامزدا» مركبة من ثلاث كلمات هي «هو» ـ «را»، «مزدا» ومعناها على التوالى «أنا الوجود خالق» أو أنا خالق الكون ولقد أطلق الله على نفسه في سفر الخروج اسم الوجود أيضا إصحاح ٣ : ١٤، أما أهرمان فهي تعنى الخبيث أو القوى الخبيثة (المترجم).

فعال. وتتجمع التفصيلات الكبرى في صورة الشياطين الرئيسية الذين يعارضون «الامهارسباند» أو الملائكة المقربين، فهم رؤساء الشياطين في الارتداد عن الدين، والفوضى والأفكار الشريرة، والعصيان، والجوع والعطش، وقيل ذلك كله: في الكذب.

٤ ـ فهم العالم:

تاريخ العالم هو تاريخ الصراع بين الله والشيطان، وينقسم هذا التاريخ إلى أربع فترات تمتد كل منها ثلاثة آلاف سنة. في الفترتين الأولى والثانية كان الله والشيطان يجهزان قواتهما. أما في الفترة الثالثة فقد اشتبكا في الصراع. وفي الفترة الأخيرة سوف ينهزم الشيطان في النهاية. وفي بداية الخلق اخترق الشيطان استحكامات السماء، وهاجم الإنسان الأول والحيوان الأول بالمرض والموت، فهو لا يقدر إلا على التدمير. ولكن في اللحظة التي يحقق فيها انتصاره الظاهري تنبعث من الإنسان والحيوان معا بذور تؤدى إلى ظهور الحياة الإنسانية والنباتية، وكما ظهرت الحياة من خلال موتهما، كذلك تدب فيها الحياة حتى يتأكد دوام الخلق الطيب وهزيمة الشيطان. إن العالم ينتمى إلى الله نفسه، ولذلك فإن الزرادشتيين، على خلاف أتباع بعض الديانات الأخرى، لا يعتقدون أن المادة شر. والواقع أن الشيطان، لا الكائنات البشرية، هو الذي يوجد في عالم مادى غريب، وهو لا يستطيع أن يتخذ شكلا ماديا وإنما يبقى في العالم متطفلا محاولا عبثا تدمير أعمال الله.

٥ ـ الرجال والنساء في العالم:

إن الناس، أو الصور البشرية لذاته السماوية أي الفرفاشى Fravashi(١)، هم ذوات حرة في استطاعتهم أن يختاروا أتباع الله أو أتباع الشيطان، فإذا ما اختاروا الحق فإنهم يساعدون الله على نصره النهائى. واختيارهم للحق يعنى قبولهم للعالم على نحو ما هو عليه، أعنى عالم الله. لكن الزرادشتيين لم يقابلوا بين الروح والجسد

(١) الفرافاشى أرواح مرشدة نقية للبشر، فهى تقود الإنسان في هذه الحياة الدنيا ثم ترشد الميت إلى مستقره الأخير. ولقد جاء في الأبستاق أن هناك فرافاشى لجميع الأشياء الطبيعية، لكن لا يوجد للأشياء المصنوعة، فمثلا يوجد للأشجار ولا يوجد للكرسى أو المنضدة (المترجم).

كما فعل القديس بولس، لأن النفس والبدن عندهم وحدة واحدة، و إذا ما انسحب المرء من العالم كما يفعل الناسك، فإنه بذلك ينبذ عالم الله، ومن هنا كان الزهد خطيئة كبرى مثله مثل الانغماس في الشهوات. وعلى الرجال واجب ديني يفرض عليهم أن تكون لهم زوجة وأطفال وبذلك يزيدون من أتباع ديانة الخير، أو من المؤمنين بالأفعال المقدسة. كذلك حرث الأرض وفلاحتها، ورعي الماشية. ولما كانت الصحة هبة من الله، فإن على جميع البشر أن يسعوا إليها لكي تصح أجسامهم «فالعقل السليم في الجسم السليم، وهذا بدوره يمكن الإنسان من القيام بالأعمال الصالحة»[1].

والديانة الزرادشتية في جوهرها ديانة مرحة، فمثلا في اليوم المخصص من أيام الشهر لإله يوم الحساب، لا ينصحون المرء أن يكتئب. . «أما في يوم رشن Rashn[2] فالحياة مرحة ولك أن تفعل ما تشاء في قدسية»[3]. إن عدم احترام الآخرين والعادات السيئة، والشعور بالملل يعدُّ من الخطايا! في حين أن استمتاع المرء ذاته بالحياة ومساعدة الآخرين على أن يفعلوا ذلك مسألة أساسية في الدين، ولا بد للزرادشتي أن يسلك باعتدال في كل ما يفعله سواء أكان رجلا أم امرأة، فبذلك يقضي الأمر الإلهي.

للزرادشتية، إذن، أخلاق اجتماعية قوية، وفي مقابل الهندوسية، نجد أخلاقياتها في أساسها إيجابية فعّالة، «فالعمل هو ملح الحياة. لكن خلق الشخصية لا يعبر عنه فقط فيما يفعل المرء ويقوله رجلا كان أوامرأة، بل بأفكارهما. ولابد للناس أن يقهروا بعقولهم الشكوك والرغبات السيئة، وأن يقهروا الجشع بالرضا، والغضب بالصفاء والسكينة، والحسد بالإحسان والصدقات، والحاجة باليقظة، والنزاع بالسلام، والكذب بالصدق» (نصائح الحكماء القدامى)[1].

---

(١) مودي ـ المرجع السابق ص٢٩ وما بعدها (المؤلف).

(٢) رشن: اسم اليوم الثامن عشر من كل شهر شمسي ـ المعجم الذهبي للغة الفارسية ص٢٩٧ د. محمد التونجي (المترجم).

(٣) انظر كتاب تسينر «تعاليم المجوس» السالف الذكر ص١٠٨ (المؤلف).

(٤) المرجع السابق ص٢٥ (المؤلف).

٦ ـ التعبير الشكلي للإيمان الزرادشتي :

للزرادشتية، كالهندوس والسيخ، رموز تذكرهم بدينهم كجزء من زيهم اليومي : الرمز الأول (الكوشتي Kushti) وهو خيط مقدس به اثنان وسبعو ن خيطا، ترمز لأسفار «اليسنا Yasna »، وهي تُعقد وتربط مرات عديدة في اليوم تعبيرا عن التصميم الديني والعزم الأخلاقي معا. والرمز الثاني: يرتدون قميصا Sandre[١] يرمز إلى الدين. ويرتدى الكهنة أردية بيضاء، ويضعون عمامة على الرأس، وقناعا على الفم أثناء تأديتهم لبعض الطقوس ليتجنبوا تلويث النار المقدسة بأنفاسهم.

وهناك صلوات بعدد أقسام اليوم الخمسة[٢]، كالصلاة مع غروب الشمس، واحتفالات لجميع المناسبات الكبرى في الحياة: في الميلاد، والبلوغ، والزواج، وإنجاب الأبناء والموت.

والموت من عمل الشيطان، وكذلك كانت الجثة مستقر الشياطين، وكلما كان الميت صالحا ازدادت قوة العمل الشيطانى، ولما كان إحراق الجثة أو دفنها يدنس العناصر المادية، فلابد أن تعرض الجثث فوق «أبراج الصمت» لتلتهمها الطيور الجارحة. ومادام ميلاد الطفل يمكن أن يجلب الموت بسهولة، فلا بد من إحاطته بالوصفات الطبية، والحرمات، ولا بد للرء أن يمر بطقوس التطهر قبل أن يقوم بأى عمل رئيسى من أعمال العبادة، وكثيرا ما يتم الاعتراف بالخطايا التى ارتكبت عن طريق التفكير أو الكلام أو العمل. وهناك نوعان من الطقوس المركزية، طقوس النار وطقوس القربان (الهوما Haoma). والنار رمز «أهورامزدا» وابنه، ولا بد أن تحفظ بعيدا عن أى تلوث، فلا ينبغى أن تراها الشمس ولا عيون غير المؤمنين، ولا بد أن تحفظ في معبد للنار. وهناك عدد من النيران المقدسة يسهر على خدمتها الكهنة بحب وبصفة مستمرة. والنار الرئيسية هي بهرام Bahram أو ملك النيران الذي

---

(١) تسمى بالفارسية سدرة وهي «مريول يلبسه الزردشتيون منذ سن البلوغ» المعجم الذهبى في الفارسية ص٣٢٨ (المترجم).

(٢) فرض على اتباع الزرادشتية أن يؤدوا خمس صلوات في اليوم هى صلاة الصبح «كاه هاون»، وصلاة الظهر «كاه رقون» وصلاة العصر «كاه إزيرن» وصلاة الليل «كاه عيوه سرتيرد» وصلاة الفجر «كاه إشهن» وهناك صلوات خاصة أخرى (المترجم).

يتـوج ويوضع على العـرش، ولا يكتفى بتنصيبه فحسب. وعنـدما يـزور البارسيـون Parsis[1] النار يضعـون على جباههم علامة بـالرماد رمزا للتـواضع، والمساواة، وكمصدر للقوة.

والهوما Haoma[2] نبات، لكنه أكثر من ذلك، فهوالإلـه «هوما» على الأرض. وفي طقـوس الهومـا يُسحق الإلـه ومـن العصير يستخرج شراب الخلـود. وفي هـذه القرابين الخالية مـن الدماء يكون القربـان في آن معا هو الإلـه والكـاهن والضحية. ويقوم المؤمن بالتهام هذا القربان الإلـهى مستبقا بذلك القربان الذى سيقام في نهاية العالم ويجعل جميع البشر خالدين.

٧ ـ غاية التاريخ:

توزن أفعال الإنسـان بعد الموت بميزان، فمن رجحت حسناتـه سيئاته انتقل إلى السماء، ومن رجحت سيئاته حسناتـه ذهب إلى الجحيم حيث ينال العقاب المناسب للجـريمة. لكن ذلك لا يعنى النهـايـة، فالجحيم الأبـدي في نظـر الزرادشتيـة هى التعـاليم الـلاأخلاقيـة. والإلـه الطيب لن يسمح لعبـاده أن يعـانوا إلى الأبـد، لأن الغرض من العقاب هو الإصـلاح، حتى إذا جاء يوم البعث أمكن أن يقوم الجميع، بفضل المخلص، لمواجهة الحسـاب الأخير، عندئذ، وعندمـا يصبح الجميع أنقياء في النهاية، فإن الشيطـان وجميع أفعاله سيتم تدميرها في النهايـة. أما التفرقة بين السماء والأرض فسـوف تقهـر ويتم التغلب عليهـا، بحيث يتمكن الجميع من عبـادة اللـه والحياة معه في مجده الكامل.

٨ ـ الحركات الدينية الأخرى في إيران:

(أ) الزرفانية Zurvanism[3]

كان إله زرادشت عند كثير من الإيرانين إلها غير مقنـع، فرغم أنه خيرّ تماما فهو

---

(١) البارسيون هم أتباع الديانة الزرادشتية أو المجـوس كما أطلق عليهم اليونانيون عندما فتحوا فارس (المترجم).

(٢) هوم: نبـات بدون أوراق ثمـره يشبه عنب الثعلب وهو سُمِّي «المعجم الـذهبي» السالف الـذكر (المترجم).

(٣) زرفان هو إله الزمان المتناهى والقدر المسيطر الذى يؤثر من بعيد في مصير البشر. والزرفانية صورة معدلة من الزرادشتية بعد أن أصبحت الأخيرة ثنائية (المترجم).

محدود بقوة الشيطـان . والإلـهان «أهـورامزدا وأهرمـان» عند زرادشت أصبحـا عند الزرفـانيين شيئا واحدا صـدر عن واحد لا تمايـز فيه يجاوز كل ثنائيـة ويسمى زرفان Zurvan وهـو لا متناه من حيث الـزمان والمكـان . فزرفـان هو الإلـــه ذو «الوجـوه الأربعة» وتمثل هـذه الأوجه أو الصفـات : الإنجاب والميـلاد ، والشيخوخـة والعودة إلى اللامتنـاهي ، كما تمثل عصور العـالم . وهكذ نرى داخل «الـواحد» جميع مظـاهر الحياة : النور ، والظلمة ، والحرارة ، والبرودة .

وتخبرنا الأسطورة الأساسية في هذه الديانة أن «زورفان» أراد أن ينجب ولدا ، وبعد أن ظل يقدم القرابين لمدة ألف عام تشكك في إمكان تحقيق رغبته ، وفي اللحظة التي شك فيهـا تم الحمل في توأم : «أهـورامـزدا» وهو التجلى الـواضح لكل ما هـو خير ، «وأهرمان» (الشيطان) وهو التجلى لشك «زفـران» . وبسبب أن «أهرمان» كان الأول في الدخول إلى العـالم ، فقد أصبح حاكما لمدة تسعة آلاف سنة . أما «أهـورامزدا» فقد أعطى سلطـة الكهنوت والنصر النهـائى . وهـذا الوضع المتسـاوى للشخصيتين من النـاحية النظـرية أدى إلى تقـديم القرابين إلى «أهـرمان» بـوصفه قـوة عليا لا بـد من استرضائهـا ، وقد تفسر لنـا السر في تقديم القـرابين إلى الإلـه آرمانيـوس في الديـانة المترية .

ويمكن أن نتبين عدة مـؤثرات مختلفـة في الزرفـانية بعضهـا بابلي والآخـر هندى وإغريقى . والنتيجة وجود أكثـر من مدرسة فكرية : المدرسة القـدرية التى تؤمن بأن العالم تحديد للزمان (زرفان) وتـرى الموجودات البشرية دمى في يد القدر ، وبهذا تنكر مفهوما أسـاسيا عند زرادشت وهو الإرادة الحرة . كما ينكر آخرون أن يكـون العالم قد خلق من عدم بفعل من أفعال الإرادة ، ويقبلون الحركة التطورية للمادة ، وهم بذلك ينكـرون الإلــه الخالق عند زرادشت . كـذلك تنكـر هـذه الـزرفانيـة المادية الإيمان بالثواب أو العقاب المقبل في الجنة أو النار ، وربما كان هذا «التحديث» للزرفانية مجرد حركات ثانوية فحسب .

أما الأخلاق الزرفانية فنحن لا نعرف عنها إلا القليل ، وربما آمن الزرفانيون بتأثير البوذية أن الشر الأسـاسى في الجنس البشرى إنما يكمن في الانحراف أو الخطأ العقلى

(أو ضيق الأفق) أو الجشع الـذي يتجلى مـاديـا في صـورة الشهوة وعقليـا في صـورة الجهل. ويرى هذا المذهب أن النساء هم المصادر المباشرة للكثير من الشرور في العالم بغـوايتهن للرجـال للسير في طريـق الانحراف أو الخطأ العقلي. وهكـذا تبتعد هـذه الأخلاق عن الأخلاق الزرادشتية وتقترب من ديانات أخرى متنوعة.

غير أن تجديد الإيمان في الزرفانية غير واضح، فليس ثمة نصوص إيرانية تشير إلى هذه الفرقـة، دع عنك أن تشرح معتقداتها. والشواهد التي لدينـا عنها مستمدة من مـؤلفين أجانب يـرجع تـاريخ مصادرهم إلى القـرن الـرابع قبل الميلاد ومن نصـوص غربية يمكن أن تؤخذ كتطويع لـلإيمان التقليدى لكى يتلاءم مع الزرفانية. وليس في استطاعتنا أن نقول متى بدأت هذه المدرسة، فبعض الباحثين يذهب إلى أن الإلـهين التوأم في الزرادشتية هما تعـديلان لإلـهى الزرفانية، في حين يـوحد البعض الآخر بين التمثال البرونزى في القرن الرابع عشر ق. م وبين صورة زورفان Zurvan، لكن ذلك مجرد تخمين. ولا شك أن الحركات نمت في عهد الأخمينيين (٥٥٠ ـ ٣٣٣ق. م)[١]. وعصر البارثيين (٢٥٠ق. م ـ ٢٤٧ب. م)[٢]، وربما شهد العصر الساسانى (٢٤٧ ـــ ٦٣٥م)[٣] الصراع بين الكنيستين: الزرفـانية والزرادشتية. بل ربما كـانت هناك حركات مختلفة داخل الزرادشتية، تمارس كلها طقـوسا واحدة. وربما كانت الزرفانية حركة أكثر منها فرقة متميزة، ولو صح ذلك لكانت قوة مؤثرة.

(ب) الديانة المترية Mithraism

كـــــان مترا Mithras، الإلــه الآرى الأصل، يُعبـد في إيـران كإلـة للعقـود والاتفاقيات (وكلمة مترا، تعنى فعلا العقـد أو الاتفاق). وهو يحفظ الحق والنظام. ويقضى على القـوى المفـرقـة: قـوى الشر والغضب والجشع، والتكبر، والمماطلـة، وجميع الأشرار من الآلهة والبشر. وهـو يوصف بأنـه محارب قوى جبـار. وهو الـذي

(١) الأخمينيـون أسرة حكمت فارس أكثر من قرنين (٥٥٠ ـــ ٣٣٠ ق. م) ويرجع اسمهـا إلى جدهـا الأكبر أخمينيس الذى كان حاكما على قسم جبلى بجنوب غربى إيران (المترجم).

(٢) هي الفترة التى خلفت السلوقيين في فارس في منتصف القرن الثالث ق. م (المترجم).

(٣) هى الفترة التى تلت عصر البارثيين حيث قامت إمبراطورية جديدة حوالى ٢٦٦ ق. م تحت حكم الأسرة السـاسانيـة وازدهرت حتـى استولى العـرب على حضارة فـارس وحل الإسـلام مكان مـذهب زرادشت حوالى عام ٦٤٢ (المترجم).

يتعبد له المحاربون وهم على ظهور جيادهم(١). قبل ذهابهم إلى المعركة. وبوصفه حارسا للحقيقة فهو قاضى الأرواح بعد الموت، وبوصفه الحافظ للاتفاقات والعقود، فهو الذى يحدد متى تنتهى فترة حكم الشيطان. وينتظر قدومه «وسط مظاهر الخنوع والذل» في أيام النصر.

ولقد ذكر بعض الكتاب المسيحيين عرافة هستاسبيس Hystaspes المتأخرة ووحدوا بينها وبين عرافة «ميترا» التى تتنبأ بمقدم الإلّه في نهاية العالم لتدمير الأشرار بالنار، ولإنقاذ الأبرار. وهناك عدد من النصب التذكارية الرومانية التى تصور مولده. كما تتضمن بعض النصوص المسيحية في القرن الخامس وجود «أسطورة عن مترا» تنبىء بظهور نجم يقود المجوس إلى المكان الذي سيولد فيه المخلص(٢).

كان «مترا» إلّها شعبيا هاما في تاريخ إيران، وكان الملوك (الأخمينيون) يتضرعون إليه في النقوش التى بقيت لهم، كما كانت الملوك والعامة معا يركبون أسماءهم من اسم مترا (مثل ميترادئيس)، وهو لا يزال يشغل مكانا هاما في الطقوس الزرادشتية.

من الصعب أن نحكم إن كانت هناك على الإطلاق عبادة مستقلة لمترا في إيران. غير أنه من إيران انتشرت عبادته كعقيدة متميزة شرقا إلى الهند وغربا إلى بلاد ما بين النهرين، وآسيا الصغرى. والحكايات الأرمينية و كذلك الأسماء التى تحمل صفات إلّهية، والنقوش البارزة، والكتابات المصرية والأناضولية، تشهد على انتشار هذا الإلّه ومدى شعبيته في الشرق الأدنى القديم في العصور السابقة على ظهور المسيحية.

لقد دخلت «المترية» روما لأول مرة عام ٦٠ ب.م؛ وفي القرن الثانى الميلادى كانت قد انتشرت داخل الإمبراطورية حتى بريطانيا، وقد نقلها الجنود أساسا فكانت

---

(١) انظر جبرشفتش «أنشودة أبستاقية لمترا» ص١٤٥ (المؤلف).

(٢) كانت هناك نبوّات من هذا النوع بمولد السيد المسيح إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق..؟! وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبى، فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا. إنجيل متى الإصحاح الثاني ١ ـ ٢ و٩ ـ ١٠ (المترجم).

ديانة للذكور بصفة خاصة. وفي أثناء التعميد عندما كان العضو الذي يتم ترسيمه يخضع لاختبارات بدنية وروحية معا، فإنه كان يعلن ارتداده عن جميع الآلهة ما عدا «مترا»، كما كان يتوقع منه أن يخلص الولاء لدستور أخلاقي دقيق. وبالمقابل كان يوعد بالمشاركة في البعث أو القيامة.

وكان الاعتقاد الأساسي في هذه العبادة هو التضحية بثور يقوم بها مترا. وكان هذا عملا خلاقا وفداء في آن معا، فالمتعبد ينظر إلى الوراء حيث تمت التضحية في البداية عندما خرجت الحياة من الموت، ثم ينظر إلى الأمام فيجد أن التضحية النهائية هي التي سيقوم بها مترا عندما يكون على آخر الحيوانات أن يموت ليعطي للناس أكسير الخلود. ويمكن تذوق هذه الهبة الإلهية مقدما عن طريق المشاركة في التناول المنظم لوجبة الخبز والخمر التي يمثل فيها الكاهن الإله مترا[١].

(جـ) المانديون Mandeans

المانديون أو النازوريون Nazoreans، فرقة صغيرة لا تزال موجودة في جنوب العراق، ومجاورة لإيران، ويدعى أعضاؤها أنهم من سلالة يوحنا المعمدان، ويعتقدون أن أسلافهم فروا إلى بارثيا Parthia[٢] عندما سقطت أورشليم. ومفرداتهم اللغوية ومذهبهم الرمزي خليط من العناصر السامية والإيرانية التي يغلب عليها المضمون الغنوصي. وأول إعداد لطبع نصوصهم المكتوبة بالماندية كان في القرن الثامن الميلادي، وإن كانت محتويات هذه النصوص أقدم من ذلك بكثير. وهم جماعة سرية خفية للغاية، والكهنة هم وحدهم المسموح لهم بقراءة أكثر النصوص الدينية أهمية.

والمانديون يخشون اللغة التشبيهية (التي تشبه الإله بالبشر) ـ ولهذا يصفون «المطلق» بأنه الكائن الأعظم الذي لا شكل له، ويلقبونه «بملك النور»، و«سيد

(١) هذه الطقوس موجودة في الديانة المسيحية فيما يسمى بالتناول أو العشاء الرباني الذي يتناول فيه الشخص المسيحي مع القسيس خبزا وخمرا ليتحد مع المسيح، وذلك اعتمادا على ما قاله السيد المسيح «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه» إنجيل يوحنا ٦ : ٥٦ (المترجم).

(٢) أرض أو بلاد البارثيين أو الفرثيين شمالي إيران، وقد حكموا من ٢٥٠ ق.م إلى ٢٤٧ بعد الميلاد (المترجم).

العظمة»، و«مـانا العظيم». وملك النـور يقاتل ضـد مملكة الظلام. ولقـد تم خلق العالم عن طريق فيوض صـدرت عن ملك النور، ومن أهم الموجودات التى صدرت عنه هو المخلص «مـاندا هايي Manda d'Haye » (أو معرفة الحيـاة) ومن هنا جاء اسم هذه الفرقة.

وكل شيء في هذا العالم المادى له ما يقابله في العالم السماوى، والكون نفسه شبيه في شكله بخـالقه وهـو نموذج الإنسـان. وكما هي الحال في كثير من الديـانات فإن المانديين يعتقدون أن قصـور البدن من الناحية الطبيعيـة لا يعبر عن الموجود البشرى في طبيعته الحقـة، ويعتقدون أن الـروح عندمـا تكون في العـالم فهى في المنفى، وأنها شعـاع من النـور سجين المادة منـذ بـدايـة الخلق. وعلى حين أن البـدن خلقتـه الكواكب، فـإن الحياة والتنفس جاءا مـن عالم النور. غير أن الـروح لا تتخلص من أسر البـدن عن طريـق خضوع هـذا الأخير وإذعـانه، كما تـذهب مـذاهب النسك والـزهد. إذ يمكـن للناس أن يستمتعـوا بطيبـات الحياة في اعتـدال. إن الكـواكب والنجوم هى التى تعـرقل تحرر النفس، وهذا مـا تفعله أيضا تلك الـديانات الـزائفة كاليهوديـة والمسيحية. وفي نهاية العالم عندمـا يتم التخلص من الأرض والكواكب، فإن أرواح الأتقيـاء الأبرار سوف تتحـرر، ويمكن كـذلك أن يتـم التحـرر هنا والآن نتيجـة لعمل هبيل زيوا Hibil-Ziwa وهو مخلص اقتحم العالم السفلى وهزم أرواح الشر. والتعميـد يحرس الإنسـان ويحميـه من الأرواح الشريـرة، وهـو جـوهـرى للخـلاص، فهو تطهـر للنفس والبـدن في آن معـا وبعث جديـد للحيـاة. وتشكل الوجبة المقدسة جانبا من العماد كغيره من الطقوس الهامة.

وهناك طقـوس أخرى أسـاسية منهـا «الماسيكتا Massiquta » أى الارتقـاء أو الصعود حيث تعبر الروح إلى عالم النور، عن طريق ممارسة شعائر التطهر الشهيرة عند وفـاة الشخص. وكما كشفت أعداد من النقـوش الإيـرانية، فإن مصـافحة الأيـدى عموما، فعل له مغـزاه الدينى، فهى تقوم بدور هام في العبادة المانـدية حيث تعرف بـاسم «كوشتـا Kushta ». وهنـاك وصف تفصيلى مسهب لجميع الطقـوس يجب الانتبـاه إليه لأن أى خطأ في تأديتهـا يمكن أن تكـون له نتـائج رهيبة إلى أقصى حـد بالنسبة للكاهن وعضو الجماعة الدينية في آن معا.

لقد تفشى الطـاعون في القرن التـاسع عشر وقتل جميع الكهنة تقريبـا، ورغم أنه تشكلت طبقـا كهنوتيـة جديـدة ذات مـراتب مختلفة فإن الكهنـة هم الآن جميعهم، تقريبا، من الشيوخ، ويبدو أنه لن يتم استبدالهم في المستقبل القريب.

(د) المانوية :

ولد مانى (٢١٦ ـ ٢٧٤م)[١] من أسرة بارثية ملكية، وقضى شبابه في بلاد ما بين النهرين التى كانـت في ذلك الوقت بوتقة تنصهر فيهـا كثرة من الديانـات الرئيسية. وكـانت أول رؤيـة لـه في سن الثـانيـة عشرة، وشرع في سن العشرين في إقـامـة دينـه الجديد. ولما كـانت له حرية دخـول البلاط الملكى، فقد استطـاع أن يقنع عددا من القادة المؤثـرين بالدخـول في دينه، وأن ينال حظـوة الملك الساساني «شـابور الأول» الذى رافقه في حروبه في الغـرب. وتجددت الحظوة الملكية حتى الأيام الأخيرة للملك «بهرام» الأول عندما عارضة كهنـة زرادشت المجوس بقيادة كارتير Kartir، وعندمـا خشوا نجاحه تآمروا عليه لإسقاطه، ومات مانى وهو في الأغلال.

أعلن مانى أنه هو الذى جـاء ليتمم عمل زرادشت وبوذا والمسيح، فهؤلاء جميعا شذرات ناقصـة من الحقيقة، لكن حتى هذه الشذرات قد أفسدهـا أتباعهم. ولقد وحد مانى آلهته بوصفه «رسول النـور» مع آلهة المستمعين إليه، فإذا ما وجه خطابه إلى المسيحين فهـو المخلص يسـوع، وعنـدما يخاطب الـزرادشتيين فهـو الإنسـان الأول «أهورامزدا». أما إله العهد القديم فقـد كان مانى يبغضه. ولقد مكّن ذلك المانويين في عصـور الاضطهـاد أن يقـدمـوا أنفسهم بـوصفهم مسيحيين أو زرادشتين، وربما كانت هذه الخصلة هى التي استحسنها الملك شابور. وتكمن الثنائية Dualism في قلب تعاليـم مانى: فاللـه، أب العظمة، يعـارضه أمير الظـلام، والاثنان عنصران أوليان، والعالم مخلوق من أجسـاد حكام الظلام أو الأرشونتيين Archontes أما مـا

(١) معنى كلمة مانى بـالفارسية «الفريد، النادر»، وهـو مانى بن فاتك مؤسس الديانـة المانوية التى كانت مـزيجا من الزرادشتية واليهـودية والمسيحية. وكـان أبوه من رجـال همدان «هاجر إلى بـابل وولد مانى هنـاك، ادعى النبوة بعد أن اطلع على الأديـان الموجودة وسمى نفسه «فارقليط» الـذى أخبر عنه المسيح ومن أقواله «يبشر الأنبياء بأوامر الإله أحيانا من الهند بواسطة زرادشت والآن أرسلنى الله لنشر دين الحق في بابل» و«أرسلنى الله نبيا من بابل حتى تصل دعوتى العالم أجمع» (المترجم).

سجن داخل المادة فهي ومضـات من نـور، أوشـذرات من الإنسـان الأول الـذى سحبتـه الشيـاطين إلى أسفل، وتسعى الـروح، في عـالمنـا الحالى المؤلف من عنـاصر مختلفة، إلى الفرار من الموت، وهو عدوها الذي يشبه النسر الكاسر الذى فصلها عن موطنها الحقيقى، ويتحقق الانعتاق بواسطة الـزهد، ومعرفة الطبيعة الحقه للنفس، وهزيمة الشيـاطين عن طريق المخلص الذي تم إنقاذه هو نفسه بـواسطة الإلـه من بـراثن الشياطين. وعنـدمـا تنعتق الروح، فإنها تصعـد إلى الفـردوس الجديد الـذي يحكمـه الإنسـان الأول. وفي نهاية العـالم، عنـدمـا تتحرر كل ومضـات النـور التي سجنت في المادة، يعود الجسد كله إلى جنة الخلـد. وأثناء ذلك يتعرض أولئك الذين لم يتمكنوا من تحقيق الانعتاق في هذه الدنيا للميلاد من جديد.

وينقسم أعضـاء الجماعة المانـوية طبقتين: «السماعيـون» (وهم الطبقـة الدنيـا) الذين يجمعـون الطعام والضرورات التى يحتاجهـا «الصفوة» (الطبقة العليـا) الذين يتبعون قواعد دينية أعلى. لقد خلق مانى، عن وعى، دينا جديدا، وزوّده بالطقوس والآداب الدينية، وحرم الأوثان، ولكنه كان يؤمن بالقيمة التربوية للفن، لهذا قرر أن تجلـد الكتب تجليدا فـاخـرا، وأن تـزين بالـرسـوم، وأن تصاحـب الطقوس تـراتيل وموسيقى جميلة. وليس من الواضح إن كان لدى المانويين نظام من الطقوس السرية أم لا.

انتشرت المانوية في كل مكان من الإمبراطورية الرومانية، وفي بلاد العرب، والهند والصين. ورغم أن الاضطهاد النفسى والبدنى دمر هذا الدين من قرون مضت، فقد كان مصدر تأثير في عدد من الحركـات مثل حركتها الالبيجنيز Albigenses(١) في فرنسا في العصور الوسطى.

٩ ـ تاريخ موجز للديانة الإيرانية:

هناك ركنـان أساسيان في الديـانة الإيرانية هما: الإيمان الآرى التقليـدى وتعاليم

(١) مجموعة من أعضاء فرقة دينية انشقت عن المسيحيـة وبشرت بتعاليم مانى الثنائية في جنوب فرنسا في الفترة الممتدة من القـرن الحادى عشر حتى الثالث عشر. وجـاءت التسمية من أن الحركـة بدأت في مدينة Albigensis في مقاطعة آلبى Albi شمال شرق مدينة تولوز (المترجم).

زرادشت . والتاريخ الـديني لإيران هو قصة تفـاعل هذين الضربين من الإيمان تحت تأثير قوى خارجية . ففي عصر الأخمينيين (٥٥٠ ـ ٣٣٣ق . م)ـ وهو من أزهى فترات التـاريخ السياسى في إيـران ـ ازدهـرت الزرادشتيـة عندمـا تسللت إلى ديانـة الدولـة التقليدية . ويكشف عـدد من النقوش الملكية أن الزرادشتيـة كانت مصدر تأثير على البلاط خصوصا خلال حكم الملك دارا والملك اكسيركس .

كان الكهنـة الرسميون في إيـران هـم المجوس Magi[(١)] وهـم طبقـة مغلقـة من الكهنة يتوارثون المناصب ، ومهمتهم خدمة الدين . وأيا ما كانت الطقوس التى تؤدى فهم الذين يقومون بها . وعندما أصبحت الـزرادشتية ديانة شعبية ، تولى المجوس فيما يبدو مهمة تعليمها للناس ، ربما دون أن يضعوا في أذهانهم أنها ديانة أو عبادة متميزة عن الدين القديم . وكلما عمل المجوس على نشر الديانة الزرادشتية في إيران ، تآلفت تعـاليم النبي الجديـد مع الإيمان التقليـدى القديم في مـركب واحـد ، اتسم بسماتـه العصر الأخمينى والعصور التى تليه . لقد كانت الإمبراطورية الأخمينية هائلة الاتساع ، ولهذا كـان لاقتران الثقافـات أثـره على الدين ، فـدخلت التماثيل اليـونـانية في هـذه العبادة ، وأصبح التنجيم البابلى عاملا رئيسيا فيها .

أصـاب غـزو الإسكنـدر الأكبر لإيـران عـام ٣٣٣ ق . م ، ثم مجىء الهلنستيـة ـ الإيرانيين بصدمـة مروِّعة ، رغم المحاولات التى بذلها الإسكنـدر للتوحيد بين الشرق والغرب وتبنيـه لكثيرمن العادات الإيرانية . وعنـدما استقلت إيران مرة أخـرى كانت تحت حكـم البـارثيين Parthians (٢٥٠ ق . م ـ ٢٤٧م) . وكان البـارثيون أصحاب حضـارة أقل تقـدمـا ، ولهذا كان من الطبيعـى أن يحتفظوا بكثير من التكنـولـوجيـا الهلنستيـة ، ومن فن العمارة ، ونظام العملـة . . . إلخ ولكن في القرنين الثـاني والأول قبل الميلاد ، عـادت الثقافـة الإيرانيـة بالتـدريج من جديـد لتحتل مركـز الصدارة ، ويمكن ملاحظـة ذلك في الفن والعملة ، وربما بصفة رئيسيـة في تأثير الإيرانيين على غيرهم . وإذا كانت الديـانة المترية الرومـانية قد تطورت عن الصورة الإيـرانية لعبادة

---

(١) كلمة المجوس Magi كلمة يونانية الأصـــل Magos أطلقها اليونانيون على كهنة زرادشت عندما دخلوا فارس بقيادة الإسكندر الأكبر ، والكلمـة معناها العظيم أو الهائل ، وذلك لأنهم برعـوا في السحر Magic ولهذا اشتقت الكلمة الأوربية التي تعني السحر من اسمهم (المترجم) .

(٢) إله البحر في الأساطير اليونانية وليست له ملامح محددة (المترجم) .

الإله مترا، وليس من أحد التوابع الإيرانية مثل بونطس Pontus[٢] (الدردنيل)، فقد انتشرت في روما نتيجة لتوسع البارثيين نحو الغرب. والمعتقد أن المانديين جاءوا إيران في عهد البارثيين.

على الرغم من أن الزرادشتية كانت الديانة الرسمية للدولة في فترة إيران الساسانية (٤٧ ـ ٦٣٥م)، فقد كانت هناك أقليات مختلفة من ديانات أخرى منها: البوذية واليهودية والمسيحية، والماندية، والمانوية. وعندما تحول الإمبراطور قسطنطين الكبير من الوثنية إلى المسيحية، كانت هناك حاجة سياسية ملحة لإيمان يعمل على توحيد الإمبراطورية الشاسعة ضد روما المسيحية وغيرها من التهديدات. لكن سيكون من الخطأ أن نتصور الصراع بين الديانات الإيرانية المختلفة في صورة سياسية فحسب، لقد دخلت إيران منذ عصورها المبكرة في صراع مع مشكلة الشر في العالم، وكانت هذه هي المشكلة الرئيسية لكثير من الحركات. رفض المانويون المادة بوصفها أصل الشر، أما المانديون والزرادشتيون فقد أكدوا أن الحياة هبة من الله، وبالمثل انقسم الزرفانيون والماثريون. صحيح أن الزرادشتية كانت هي الديانة الرسمية للدولة الساسانية، ولكن الاختلافات اللاهوتية واصلت وجودها تحت سطح العقائد والطقوس التقليدية.

أما الوحدة التى سادت فربما كانت نتيجة للتهديد العام من جانب الإسلام. فالإمبراطورية الإسلامية ضمت إيران عام ٦٣٥م، وبعد انتهاء القتال لم يكن هناك، فيما يبدو، سوى القليل من الاضطهاد المنظم، ورغم ذلك فكل من أراد أن يتقدم من الناحية المادية ـ كان عليه أن يصبح مسلما، وكانت هناك جوانب نقص عديدة. غير أن الزرادشتية ظلت باقية محليا، لاسيما في فارس Fars. ولقد ظهرت في ظل الحرية العقلية في القرن العاشر كتب كثيرة تدافع عن «الدين الحق».

وأصبح الموقف في إيران صعبا للغاية في الوقت الذي هاجرت فيه جماعات من المؤمنين إلى الهند وهناك شكلت جماعات زرادشتية، ثم تمركز «البارسيون» أو الفرس بعد ذلك في بومباى، وعلى الرغم من أنهم محافظون أساسا فقد خضعوا لمؤثرات مختلفة أدت إلى تعديل بعض العقائد والممارسات. أما وضعهم في الوقت الحالى فهو بالغ الصعوبة، لقد أصبح كثيرون منهم أثرياء من خلال العمل الشاق، ولكن ذلك

ليس ميزة باستمرار، لاسيما في البلدان ذات الميول الاشتراكية القوية، وقد احتفظوا بهويتهم على نطاق واسع بإنشاء مدارس خاصة بهم، وإن كانت هذه المدارس تقبل الآن غير البارسيين، ولا أحد يعلم تماما ما الذي يخبئه القدر.

ولا يعنى ذلك أن جميع المؤمنين من الزرادشتيين هاجروا إلى الهند، فقد بقى الكثيرون منهم في إيران، ورغم أن الظروف كانت صعبة فلا تزال جماعات منهم موجودة بصفة رئيسية في يازد Yazd، «وكيرمان Kerman» وطهران. ومُنحوا حرية العبادة، ولا يزالون يمارسون طقوسهم في معابد النار، وهياكل الإيمان القديمة. بل يبدو أن بعض المزارات أو المعابد التى تزعم أنها إسلامية، إنما هي أشكال معدّلة من الزرادشتية، كما أن آخر شاه قد استخدم ألقابا إيرانية قديمة، ولا يزال وضع الزرادشتيين صعبا للغاية، فهم مشتتون مع عدد قليل من الكهنة(١).

١٠ ـ أثر الديانة الزرادشتية:

على الرغم من ضآلة عدد الزرادشتيين الذين يمارسون اليوم في العالم طقوسها عمليا ــ فقد يزيدون قليلا عن ١٥٠ ألف فى الهند، كما يبلغ عددهم في إيران طبقا للاحصاء الرسمى لعام ١٩٧٦ حوالى ٢٥ ألف نسمة ـ فإن الديانة الإيرانية في الواقع، لا سيما الزرادشتية، أدت دورا رئيسيا على مسرح التاريخ الديني للعالم.

لقد عرف اليونانيون زرادشت، واحترموه في عصر أفلاطون. وانتشرت عبادة «مترا» في كل مكان من الإمبراطورية الرومانية حتى بلغت شمال إنجلترا، فإذا ما انتقلنا إلى الشرق وجدنا أن الفن والدين الإيرانيين كان لهما تأثير عريق على الهند. فانتشرت عبادة «مترا» من إيران إلى ماجس Magas في الهند، في القرن السادس وما بعده. لكن ربما أثارت الزرادشتية قبل ذلك ظهور فكرة المُخلِّص في الديانة البوذية في صورة «مترىابوذا»، كما قامت إيران بدور هام بصفة خاصة في الدين الإسلامي

(١) لا نعرف شيئا اسمه «المعابد» في الإسلام لأن مكان العبادة هو المسجد، كما أن تكيف هذه المعابد الإسلامية المزعومة مع الزرادشتية كلام لا معنى له، لأن الزرادشتية ثنائية في حين أن الفكرة المحورية في الإسلام هي التوحيد «إن الله لا يغفر أن يُشرك به، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» النساء: ٤٨. أما كلمة «شاه» الفارسية فهى تعنى ملك أو سلطان، وكذلك كملة «بهلوى» التى تعنى ملكى، ولا علاقة للإسلام بهذه الألقاب فهى مجرد كلمات فارسية! (المترجم).

فساعدته على الانتقال من الجزيرة العـربية ليكون ديانة عالمية[١]، كما ساعدت على نمـو الحركة الصـوفيـة. وربما كانـت فكرة المُخــلِّص مـدينة إلى حـد مـا للأثـر الإيراني، لكن ربما كـان التأثير الإيراني الأعظم قد حـدث في تطور الإيمان المسيحي ـ اليهودي. فقد اتفق الأحبار، على نطاق واسع، على أن التصورات اليهودية المتأخرة عن الشيطان والجحيم والحيـاة الأخرى، والبعث ونهايـة العالم، وصـورة المُخلِّص قد صبغتها الزرادشتيـة بصبغتها، وهي معتقدات كان لها أثـرها بغير شك، في المفاهيم المسيحية. لقـد كانت إيران من النـاحية اللاهوتيـة ومن الناحية الجغـرافية جسرا بين الشرق والغرب وأسهمت في مجال الدين مساهمة هائلة.

---

(١) مرة أخرى لا نستطيع أن نفهم ما الذى يقصده المؤلف بهذه العبـارة الغريبة، فالمعروف تاريخيا أن الفتوحات الإسلامية بدأت في عهد الخليفة أبى بكر عندما بعث بأربعة جيوش إلى الشام عام ٦٣٣م، وبجيش آخر بقيادة خـالد بن الوليد إلى العـراق، ولم ينته عام ٦٣٤م حتى سيطر خـالد على شاطىء الفرات الغربى ثـم اتجه إلى فلسطين، وانتصر على البيزنطيين في موقعة أجنادين ٦٣٤م، ودخل دمشق ٦٣٥م وقضى على أعدائه في معركة اليرموك ٦٣٦م. واستمرت الفتـوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب في الميـدان الفارسي بقيادة سعـد ابن أبي وقاص، وأحرز العرب نصرا بـاهرا في القادسيـة عام ٦٣٧م، وسار عمـرو ابن العاص من فلسطين لفتـح مصر عام ٦٣٩م وآلت البـلاد كلها للمسلمين بمقتضى معـاهـدة الإسكنـدريـة عـام ٦٤٢م. واستـؤنفت الفتـوحـات في عهـد معـاويـة فهـاجم القسطنطينيـة وغزت جيـوشه أفـريقيا. . . إلخ دون أن نجـد أثرا لإيـران، كما يقول المؤلف، في هـذه الفتوحات ولا فيما بعد ذلك من انتشار للإسلام. ! وفضـلا عن ذلك كله فالإسلام بطبيعته دين عالمى شامل، ولم ينتظر مساعدة إيران لينتقل إلى العالمية (المترجم).

الفصل السادس

« الهندوسية »

الهندوسية موضوع واسع ومفهـوم محير. ولكى نصف ديناً بلغ تاريخه ما يقرب من ثلاث آلاف سنـة (وربما أكثر من ذلك) وتعتنقـه اليوم مئات الملايين ، وهـو فضلا عن ذلك دين بـلا عقيـدة محددة [(١)] ، أو جماعة مـن الأتباع تختص بـه ، أو هيئة مركزية ذات ترتيب هرمي ـ لكي نصف دينـاً على هذا النحو ، فإننا نقوم بمحاولة لا تختلف عن محاولة الأعمى أن يصف فيلاً ؛ بل إن محاولة تعريفه ذاتها مشكلة عسيرة. فـالحكومـة الهنـدية تُعـرف الهندوسي ، بـالنسبـة لقانـون الأحـوال الشخصية ، بأنـه الشخص الهندي (ولابـد أن نضيف كذلـــك البـاكستاني والنيبـــالي والسنغـالي . . . الخ) الذي ليس مسلماً ولا مسيحياً ولا زراد شتياً ولا يهودياً ! وينبغي علينا من أجل أهداف الـدراسة أن نستبعـد كذلك البـوذي والجيني والسيخي، لكن ذلك لا يخبرنا إلا بما لا تكونه الهندوسية [(٢)] .

أما مـن الناحيـة الإيجابية فيمكن القـول إن الهندوسية هـي اتباع أو عبـادة الإلّـه «فشنو Vishnu »أو «شيفاShiva» أو الإلّـهة «شاكتي Shakti» أو تجسيداتهم ، أو مظاهـرهم أو أزواجهم أو ذريتهم . وهكذا يندرج ضمن الهنـدوسيين عدد كبير من أتباع عبادة « راما وكرشنا Rama & Krishna» (وهما تجسيدان لفشنو) وأتباع عبادة درجا Durga وسكاندا Skanda وجانيشا Ganesha وهم على الترتيب زوجة شيفا وابناه) لكن ينبغى أن نستبعـد براهما Brahma وسيريـا Surya أى الشمـس ،

(١) الهندوسية بالفعل ليست عقيدة محددة لأنها أسلوب في الحياة أكثر منها مجموعة من العقائد، ولهذا فليست لها صيغـة محددة المعـالم . ومـن هنـا كـانت تشمل من العقـائد مـايهبط إلى عبـادة الحجـارة والأشجار، وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة (المترجم).

(٢) هذا هو مايسمى في المنطق التعريف بالسلب وهو أضعف أنواع التعريفات كلها (المترجم).

اللذين كان لهما من قبل عبادة خاصة ومعابد خاصة ، كما ينبغى كذلك أن نستبعد قلة هم أولئك الذين يعتبرون التراث الفيدي Vedic [1] هو التعبير الرئيسي عن الدين ، وهو تراث أسبق من التراث الهندوسي . لكن الأهم من ذلك أننا لابد أن نستبعد أيضاً بحكم هذا التعريف العدد الغفير من الأشخاص الذين يعجزون عن إخبار مندوبي التعداد الرسمي بما إذا كانوا من الفيشناويين Vaishneva أو الشيفتاويين Shaivite وإنما يعبدون في الأساس، آلهه محلية ، هذا فضلا عن أتباع الديانات القبلية الخالصة من شعوب الأدغال والتلال في مناطق عدة من شبه القارة الهندية الباكستانية .

ولعل أفضل ما نستطيع أن نفعله هو أن نتبع فيلسوف العصر الوسيط الذي ذهب إلى أن أية تعاليم تكون قوية مادامت لا تعترض طريق الفيدا، أعنى مادامت لا تنكر سمو أقدم النصوص الدينية في الهند أو فعاليتها أو أزليتها . والواقع أن مثل هذا التعريف واسع بما فيه الكفاية، ذلك لأنه على حين لا تُقرأ الفيدا اليوم إلا قليلا، وليس لها إلا عدد قليل من الأتباع، فإن كل هندوسى يوليها قدرها من الإجلال ولا ينسب صفة الهرطقة إلا إلى أولئك الذين ينكرونها صراحة (من أتباع الجيثية أو البوذية أو السيخ) فهم وحدهم الذين يُنظر إليهم على أنهم هراطقة .

وعلى كل حال فالهندوسية تشتمل على كثرة من العبادات والفرق التي تقترب قليلا أو كثيراً من الاندماج في تراث بالغ القدم . وعلى حين أن المفاهيم والممارسات العملية التي يرعاها هذا التراث القديم تؤثر في هذه العبادات والفرق وتُضفي عليها طابعا هندوسيا مميزاً، فإن هذا التراث القديم ذاته هو الحصيلة النهائية لمؤثرات ثرية أتت من القارة ، بحيث استوعبت في داخله جميع الآلهة المحلية ، وآلهة القبائل وكثرة من الطقوس والفلسفات . ولو ركزنا انتباهنا على هذا التراث القديم العهد، ولا سيما على الأمناء عليه ، وهم سدنته من الكهنة والعلماء البراهمة ، ومؤلفاتهم الغزيرة ، لأصبح من الممكن أن نقدم عرضاً مترابطاً للهندوسية .

---

(١) نسبة إلى الفيدا Veda كتاب الهندوس المقدس، وهي كلمة سنسكريتية معناها العلم أو المعرفة (المترجم).

١ - ديانة الغزاة الآريين المحلية :

في جيوب مبعثرة من شرقي الهند يعيش أناس يتحدثون لغات الموندا Munda أي لغات من العـائلة الآسيويـة الاسترالية التي تشمل كذلك بعض اللغـات من جنوب شرقي آسيـا واستراليـا . وفي جنوب الهنـد ، وأجـزاء من وسطها ، ومـن باكستـان ، يتحدث الناس لغات من الأسرة الدرافيدية [١] . وفيما تبقى ، أعنى كل الهند شمال جبال بندهيا Vindhya وهبوطا إلى الجانب الغربي من شبه الجزيرة حتى جوا Goa ، تسود اللغات الهندو - آرية ، وهي لغات قريبة من الفارسية ومن اللغات الأوربية ، بما في ذلك اللغة الإنجليزية .

ومساهمة «الموند Mund » في حضارة الهنـد وفي الهندوسية مجهولـة تماما ، وعلى الرغم من أنه لا يحتمل أن يكون إسهاماً عظيماً ، فهو على الأرجح كاف لمكافأة جهود علماء اللغات والأنثروبولـوجيا الصبـورين الذين نحتاج إلى جهـودهم للكشف عن هذه المسـاهمة . وفي مقابل ذلك فإن مسـاهمة «الدرافيـديين» أساسيـة بغير جدال ، وإمكانات تحديـدها تبشر بمزيد من الأمل ، وذلك لأن أربع لغات دارفيـدية تراث مكتوب ، وإحداها ، وهـي اللغة التاملية Tamil ، تعود إلى مـا يقرب من ألفين من السنين . ومع ذلك فإنّ الدراسات الـدرافيدية لا تزال في مـرحلة مبكرة ، ولا يمكن أن نجـزم حتى الآن إلا بـالقليل في مسألـة تأثير العنـاصر الـدرافيـديـة في الـديـانـة الهندوسية . أما بالنسبة لـلآريين فالأمر مختلف ، لأن مساهمتهم في تشكيل الهندوسية هائل ، وهو واضح جدا في معظم الحالات .

لقد غزا الأريون الهنـد إبان تحركات الشعوب الناطقة بـاللغات الهندو- أوربية في جميع أرجاء غرب آسيا وأجزاء من منطقـة البحر الأبيض في الألف الثانية قبل الميلاد . ولقد كانوا متفوقين في العديد من المميزات العسكرية الحاسمة على السكان الأصلين في شبه القارة ، فكانت لـديهم أسلحة برونزية متفوقـة ، ثم امتلكوا بعد ذلك بوقت

(١) الدرافيديون ، اسم أطلق على أكبر مجموعة من سكان الهند قبل مجيء الآريين إليها . ويطلق اليوم على مجمـوعة بشريـة كبيرة تعيش بجنوبي الهنـد ، ويفترض أنهم من سلالة درافيـديي ماقبل التـاريخ ويتميزون بخصائص زنجية واضحة (المترجم) .

قصير أسلحـة حديـدية ، وعـربات تجرهـا الخيل ذات مكابح للعجـلات ، ومن ثَّم كـانت أخف وأسرع من عربـات السكـان الأصليين ذات العجلات الجامـدة والتي تجرها الثيران . لقد كانوا شعباً قادراً على الحركـة بسهولة ، عسكرى الطابع مجهزاً لغزو أى شعب زراعي وحكمه ؛ فضـلاً عن أنهم هم أنفسهم كانـوا منخرطين في الـزراعة ورعي الماشيـة . على أن حضـارة وادى نهر السنـد التي سبقت الآريين كـانت من جوانب كثيرة أرقى منهم ، ومن الجائز أن الهنـد لم تستعد حضـارة مدنية ، تضـاهيها من حيث المستـوى والنطاق إلا بعـد حوالي ١٥٠٠ سنـة من انهيار تلك الحضـارة . ولكننا على أية حال ، سنعود إلى الحديث عن حضارة وادي السند فيما بعد .

٢- ريج فيدا Rig-Veda (١)

في وقت مـا بين عامي ١٥٠٠ و١٢٠٠ قبل الميـلاد غـزت قبائل الآريين الهنـد ، واستقـرت في البنجاب وأنشأت مجمـوعة مـن التراتيل التي تألفت منها «ريج فيـدا» وهي وثيقة ذات أهمية تاريخية لاتُقدّر ، فهي ليست أقدم عمل أدبي في لغة من لغات الهند - أوربيـة فحسب ، وإنما هى أقدم الكتـابات الدينيـة الحية في العـالم . وينفرد الهنود بين الشعوب الناطقـة باللغات الهند -أوربية ، بأنهم يـدينون بعقيدة انحدرت بشكل مباشر من ديانة الثقافة الأم ، كما أن كتابـاتهم الدينية القديمة بدءاً من «الريج فيدا» غنية على نحو مذهل بالقياس إلى ذلك الغياب شبه الكلي للكتابات الدينية من اليونان وروما القديمتين .

وتحتوى المجموعة على ١,٠٢٨ ترنيمة لآلهة الفيدا ، أما المجموعات الأخرى (أو السامهيتـا Samhitas) فقد كُتبت لخدمة احتياجات الإنشاد Sama-Veda(٢) أو كدليل موجز لعمليـات الأضاحي أو تقديم القـرابين (وهـي ياجورافيدا Yajura

(١) الريج فيـدا ـ سنسكريتيـة معناها الفيـدا النـاريـة أو المنسوبة إلى النـار وهي قسمان : الأول أدعية وصلـوات وأوراد منظومـة تتلى في بعض المناسبـات نثـرا والآخر يشتمل على تعـاليم تتعلق بالعبـادات والواجبات الدينية ويسمى براهمانا (المترجم) .
(٢) ساما فيـدا ومعناها الفيدا الشمسيـة أي المنسوبة إلى الشمس ، وهي أيضـاً قسمان أحدهما مزامير دينيـة يتغنى بها في بعض المناسبـات (منترا) ويشتمل الآخر على تعـاليم متعلقـة بالعبـاد والواجبـات الدينية براهمانا (المترجم) .

veda) [1] التي تؤدي فيها الترانيم دوراً حـاسماً . وعلى حين أن هذه المجموعات الثانوية تكرر كثيراً من مواد «الريـج – فيدا» وتعيد تنظيمها لأغراضها الخاصة ، فإن مجموعة رابعة هي المسماه بالـ «أثارفا – فيدا Atharva-Veda» [2]– وهي تتميـز عن المجموعات الأخرى من حيث إنها تشتمل على العديـد من الرقى والتعاويذ لأغراض طبيـة ، وعلى طلاسم سحـرية تسـاعد على الانتصـار في المعـركة ومـا شابـه ذلك . وتكتمل مجموعات «الفيدا» بسلسـلة من الكتب تسـمى «البرهمانا Brahmanas» (٨٠٠ – ٦٠٠ ق . م) وهي مخصصة لشرح الترانيم وتطبيقهـا في الطقوس الـدينية ، والميثـولوجيـا وتأمـلات في التشـابه الصوفي بين العـالم الكبير Macrocosm والقربان نفسه . وتكتمل كتابات الفيدا بسلسلة ثالثة من الكتب هو أرانياكا Aran-yakas (٦٠٠ ق . م) [3] واليوبانيشاد (٦٠٠ ق . م– ٣٠٠) [4] اللذان يصوران هذه التأمـلات ويسيران بها إلى حافـة الفلسفة الواحـدية . وأخيراً هنـاك سلسلة من الكتب الفرعيـة التي فقد معظمها الآن – وهي تُقـدّم الوجه العملي الدراسـة الفيدا ، وهي جميعها مستمدة من القرابين ومتطلباتها ، مثل علم النحو ، وعلم الصوتيات ، وعلم العروض ، وعلم الفلك والطقوس . الدينية والأخيرة تشتمل على القرابين العامة الكبرى والطقوس المنـزلية في آن معـاً ، ومن هـذه الطقوس ظهـرت فيها بعد كتـابات قانونية .

وعلى الـرغم من أن الديـانة الآريـة المنـزلية لم يخدمهـا إلا قسم ضئيل من مجمل

(١) ياجـورا فيدا و معناهـا الفيدا الهوائية أي المنسـوبة إلى الهواء ، وهي مجموعتـان يطلق على أحداهما اسم ياجورا فيدا البيضاء وعلى الأخرى ياجورافيدا السوداء (المترجم) . ،

(٢) ربما جـاءت التسمية نسبـة إلى حكيم من حكماء الهند يـدعى «أثارا» . وهي أيضـاً قسمان ، الأول يحتوي على أوراد وأدعية للاستغفار والرقى ضد السحر والأرواح الشريرة المدمرة والخبيثة (تترا) ويشتمل الأخر على طائفة من شرائع الديانة البرهمية (براهمانا) (المترجم) .

(٣) الأرانياكـا أو نصوص الغابـة ، وهي خاصة بـالقديسين الرهبـان أساساً ، لكنهـا يمكن أن تكون هدايـة للشيوخ والمعمرين الـذين تركـوا أهلهم ليقيموا في الكهوف والغـابات . وهي تهديهم إلى أعمال سهلة يقومون بها بدل القرابين التي أصبحوا يعجزون عن تقديمها (المترجم) .

(٤) اليوبانيشاد مؤلفة من مقطعين «يوبا» ومعناها : «بالقرب من . . » وشاد معناه اجلس أو مجلس ، فهي حرفيـاً تعني «الجلوس بـالقرب من المعلم» ثم أصبحت تطلق على المذهب الغـامض الذي أسره المعلم إلى خيرة تلاميـذه . وفيها ١٠٨ محاوره مما جـرى بين المعلم وتلاميذه ، ألفهـا كثير من القديسين والحكماء فيما بين سنتي ٨٠٠ و ٥٠٠ ق . م (المترجم) .

كتابات الفيـدا ، فإنها أكثر أهمية للهندوسية التى انبثقت عنـد نهاية عصر الفيدا من مذاهب القرابين الكبرى الموروثـة ، بل من غنوص اليوبانشـاد، التي تفترضها سلفاً معظم هذه الكتابـات الكهنوتية . هذه الـديانة المنزليـة تتشابه بوضـوح ، في معالمها الأساسيـة ، بل في بعض تفصيلاتها ، مع ديانة الشعـوب الأخرى الناطقة بـاللغات الهند - أوربية ، لا سيما قدامى اليونـان والرومان . وهذا الميراث الهند أوربي الذي نما في تربة الهند ، وتحت ظروف هندية، هـو الجزء الذي بقى حتى اليوم من ديانة الفيدا متمثلا في احتفالات الزواج والقرابين المقدمة للموتى .

٣ - إشعال النار المقدسة :

يوجد في البيت الآري نـار مقدسة تشتعل منذ بدايـة إنشائه ، أعنى خلال حفل الزواج ، وهى ليست ناراً عاديـة : فينبغى ألا تستخدم في إعداد الطعام أو الأغراض المنزلية الأخـرى . وكذلك ينبغي إشعالها بأنواع خاصة من الخشب، وبطـريقة معينة هى حكّ العصى ببعضها ، وينبغى ألا تُترك حتى تخمد. ولابد أنه يتقدم رب الأسرة لهذه النار يومياً بقرابين للآلهة . بل إنه في الـواقع ملزم بالقيام ثلاث مرات في اليوم بما يسمى « بالتضحيات الخمس الكبرى » : عبادة براهمان Brahman ، روح العالم ، وقوامها تعليم الفيدا أو تلاوتها ، وعبادة الآباء بتقديم الطعام والماء لتغذيتهم [١] ، وعبادة الآلهة باحراق القرابين ، وعبادة بهوتاس Bhutas (وهي الموجودات الحية أو الأرواح) بنثـر الحبـوب في الجهـات الأربع والمركـز ، وفي الهواء ، وعلى أواني المنـزل ، ووضع الطعام على عتبـة الدار للمنبوذيـن والحيوانات والطيـور والحشرات ، وعبادة الرجال عن طريق تقديم الضيافة إلى الآرى ، ويُفضّل البرهمي العليم بالفيدا .

أمـا أهـم الـواجبـات التي يلتـزم بها رب الأسرة فهى واجبـات نحـو الآبـاء أو الأسلاف، فهـو ليس مُلزمـا فقط بأن يُقدّم القـرابين من الماء والطعام يـوميا إليهم ، وإلى روح البيت التي تسكن الـركن الشمالي الشرقي من المنزل ، بل إن عليـه أيضاً أن يُقدِّم لهم البندا Pinda أى كرة الأرز Rice-Ball في يوم ظهور القمر الجديد من كل

(١) كان الهنود يقدمون طعاماً لأرواح الأسلاف آنا بعد أن حتى لاتفنى أرواحهم إذا امتنع عنها الطعام (المترجم).

شــــهـر .

وتُسمى العناصر الرئيسيـة في هذا الاحتفال «شراذا Shradha » وهي كما يـأتي : يجلس فقهـاء البراهمة - الـذين هـم على خُلق لا يـرقى إليـه الشك - في مكـان مكشوف، على مقـاعد منسـوجة من العشـب المقدس [1] . ويفتتــح رب الأسرة الاحتفال (وينهيه) بحـرق قرابين للآلهة في النار المقدسـة . لكن الحدث الرئيسي هو التقـريب للآبـاء ، فهو يصنع ثـلاث كرات أرز ويضعهـا فوق سجـادة ، منسوجـة بالعشب المقدس بعد رش المكان بالماء، وتذهب هذه إلى الموتى الثلاثة من أسلافه : الأب ، والجد ، وأب الجد، ثم يمسح الأرز العالق بيده في العشب، وهذا هو تقديم القرابين لـلأسلاف الثلاثـة الأسبق : جد الجد . . إلخ . ثم يسكب ماء مبـاركاعلى الأرض بالقرب من «البندا Pinda » ومن شأن ذلك أن يرضى الأسلاف الأكثر بعداً . ثم يقسم «البندا» أو كـرات الأرز على ضيوفه من البراهمة الذين يأكلـونها ، وما تبقى من « شراذا Shradha» يصبح الوجبة الأساسية للضيوف.

٤ - رابطة مع الأسلاف :

إنّ النظـريـة الخاصـة بـالشراذا (Shradha) هي أن يُقـدم الأحيـاء الطعـام إلى الأسلاف الذين يقطنـون «عالم الآباء» ، وذلك بأن يُقدمـوا لهم قرابين من كرات الأرز والماء ، بينما يضفى الأسـلاف النعم على أحفـادهم الأحياء بمنحهم إيـاهم النجـاح والازدهار والذريـة وما شابه ذلك . وهكذا تكـون «شراذا» هذه هى همزة الوصل بين الأحيـاء والأموات ، وهى التعبير عـن التعاون المتبـادل بينهم. غير أن هـذه العلاقـة يمكن أن تنقلب رأساً على عقب إذا لم تؤد الطقوس الجنـائزية المناسبة للميت ، فما لم يستقر أرواح الموتى في عـالم الآباء ، تظل عـرضة لأن تصب البـلاء على رءوس نسلها الذين لم يقوموا بإطعامها عن طريق القرابين أو ضمان انتقالها إلى عالمها المناسب.

وهكذا تُحمل الجثة - بعد الوفـاة بقليل - إلى أرض المحرقة في موكب من الأقارب يتقدمـه الابن الأكبر الذي يسير على رأس المحـزونين ويخلف المرحوم كـرب للبيت .

---

(١) لم يكن للديـانة الفيديـة في أولى مراحلها معـابد، بل كـانت المذابح التي تقدم أمامهـا القرابين، تنصب لكل قربان يراد تقديمه (المترجم).

وتحرق الجثة بينما يطوف أهل الميت حول المحرقة ، لا في اتجاه عقارب الساعة الذي يبشر بالسعادة وإنما في عكس اتجاه سيرها . وبعد ذلك يغتسلون ويعودون إلى البيت في موكب يتقدمه هذه المرة أصغر الأبناء سناً . وفي اليوم الثالث من حرق الجثة تُلقى العظام في النهر ، ويُفضّل أن يكون نهر الكنج حيث لا يزال يوجد على ضفتيه أدراج الجوط Ghat[1] والتي تُيسّر الحركة إلى النهر ، كما فعلتْ منذ آلاف السنين ، ولمدة عشرة أيام يواصلون سكب الماء وتقديم القرابين من كرات الأرز وقوارير اللبن للمرحوم. وفي هذا الوقت أو بعد تمام السنة يتم القيام بما يسمى بالسبندكرانا Sa-pindikarana التي تجعل الميت يتناول البندا (أقراص الأرز) مع أسلافه أو أسلافها فيما يُسمى «الشرذا » كل شهر، وهم يعتقدون أن الروح تكتسب بذلك بدنا رقيقا بمكنها من القيام بالرحلة إلى «عالم الآباء»، أو يمكنها طبقا لأفكار لاحقة من الميلاد من جديد. ولا ينضّم المرء إلى هذه الديانة المحلية بحكم الميلاد وحده ، ولا كان كل الموتى الآريّون مرشحين للعبادة ولدخول عالم الآباء ، فعندما يكون الميت طفلاً صغيراً أو فتاة غير متزوجة، أوناسكاً ، فإن الجثة في هذه الحالة تُدفن ، أو تلقى في النهر، ولكنها لا تُحرق ولا تُقدم لها قرابين . فالشرط الأساسي هو الدخول في الآرية الكاملة عن طريق الترسيم ، ويتّم ذلك بالنسبة للصبى بأن يُمنح الخيط المقدس و«المنترا Mentra» . أما بالنسبة للفتاة فيتّم عن طريق الزواج ، وأما الناسك فينظر إليه على أنه أصبح ميتاً بالنسبة لعالم رب البيت ولدينه ، وهكذا ينظر إلى الترسيم أو دخول «العضو في الجماعة » على أنه ميلاد جديد بالنسبة للحياة الدينية ، حتى إن الطبقات العليا التي ترتدي الخيط المقدس يُطلق عليهم لقب «المولود ين مرتين» .

٥ - الترسيم Initiation[2]

الترسيم هو واحد من سلسلة الطقوس التي تسمى « سمسكار Samskara أو ما يمكن أن يطلق عليه أحد الأنثروبولوجيين عبارة «طقوس المراحل الحاسمة في

(١) الجوط Ghat درج يهبط عليه الناس إلى أحد الأنهار في الهند لاسيما الأنهارالمقدسة مثل نهر الكنج (المترجم).

(٢) الترسيم هو مجموعة من الطقوس التي يتم بواسطتها دخول فرد ما في جماعة دينية، فهي تعني الاحتفال ـ بطريقة ما ـ بدخوله سلك الديانة المعنية (المترجم).

الحياة. وتتم ثـلاثة من هـذه الطقوس قبل الولادة لتشجيـع الحمل، وإنجاب طفل ذكر ، وضمان صحـة الجنين . وفيما بين الاحتفال بمـولد الطفل والاحتفـال بتسميته تُراعى الأم والطفل طقوسا تستمر لمدة عشرة أيام وتسمى طقوس النجاسة. والمراحل الأخـرى من تطـور الطفل التي تتميـز بها «السمسكارا» هي خـرم الأذن لأول مـرة ، واللحظـة التي يخرج فيها الطفل من البيـت ليرى الشمس لأول مرة، . وكـذلك المرة الأولى التي يتناول فيها طعـاماً جافاً، وإذا كـان ذكراً فهى المرة الأولى التي يحلق فيها شعر رأسه، فيما عدا خصلة من الشعر في قمة الرأس يتركها طوال حياته.

ويُـعدّ الترسيـم الخطوة التـالية في «السمسكارا» ، وهـو يتم عـادة عندمـا يكون الطفل بين سن الثـامنـة والثانيـة عشرة . ولب الاحتفـال هو أن يـرتـدي المرشح زيَّ الناسك ويُمسك في يـده صولجاناً مع خيط مقدس يـوضع على كتفه اليسرى ويتدلى من ذراعه الأيمن ثم يتلو الكاهن الرسمي من «جيتري - منترا Gayatri-Mentra » وهي أبيات من « الـريج - فيدا» يتلوها الهندوس - وهـم الطبقة العليا في المجتمع - في جميع طقوسهم. :

«فلنفكر في روعة وجلال

الإ لّـه سافترى،

حتى يلهم عقولنا».

رعلى العضـو المرشح ، في هـذه الحالة ، أن يستجـدى الصـدقـات ، وأن يضع نفسه تحت وصاية براهمي مُـتفقه في الدين ليصبح معلّـمه الروحى (Guru) ليعلمه ويهذبه بالكتب المقدسة لا سيما الفيدا. وعلى التلميذ أن يُظهر لمعلمه أقصى درجات الاحترام والخشوع ، بل أعظم ممـا يظهره لوالـديه ، لأنه إذا كـان الأب والأم يمنحان الحياة ، فإن المعلم من خلال معرفته الدينية يهب الخلود.

وعلى الطـالب أن يظـل أعـزب تمامـاً ، وأن يحترس بـاستمـرار من السقـوط في الدنس، أي في تدنيس الطقوس ، وأن يُـخضع نفسه لكل أوامر المعلم أثناء متابعته المقرر الـدراسي الذي قـد يستغرق عنـد البرهمي اثنتى عشرة سنـة أو أكثر ، وعـلامة انتهائه الاغتسال طبقاً للشعائر ، وعندئذ يُتوقع أن يتزوج الآري في الحال.

ولم تكن العزوبية طوال الحياة تلعب أي دور في التصورات الدينية الآرية المبكرة ، بل إنها في الواقع كانت بغيضة عندهم ، فالسماح بالعزوبية يعني تدمير عبادة الأسلاف، كما أن إنكار طعامهم ، قد يجعل الآباء يصُبون انتقامهم على الأحياء. وهكذا نجدهم في زمن متأخر ، عندما انتشر مذهب النسك والزهد ولاقى استحساناً وقبولاً من الأفكار الدينية الآرية ، قد عبّروا عن تصورهم لدورة الحياة كسلسلة مؤلفة من أربع مراحل : الطالب ، ورب الأسرة ، وناسك الغابة ، والناسك المتجوّل . والمرحلتان الأولى والثانية فقط إلزاميتان لكل الذين ولدوا ولادة ثانية ، و ذلك نوع من التوفيق بين نمطين متصارعين من أنماط الحياة . ولقد رأوا فيما بعد أن الناس تولد وهي مدينة بثلاثة ديون : دين للآلهة ، ودين للآباء ، ودين للحكماء. وهي ديون لابد لهم من سدادها قبل أن يهجروا العالم من أجل الزهد والتنسك ، وتوفّي هذه الديون بتلاوة الفيدا ، وإنجاب الابن ، وتقديم أضحية . وهكذا يستطيع المرء ، نظرياً على الأقل، أن يصبح ناسكا بعد أن يكون قد تزوّج وأصبح رب أسرة.

٦ - قوانين الزواج :

ليس الزواج ضرورة مقتصرة على عبادة الأسلاف ، بحيث ينبغي على الرجل أن يتزوج لينجب إبناً يواصل العبادة ويُقدّم «البندا» (أقراص الأرز) لكي تستريح روح أبيه ، وإنما الزواج ضرورة مطلوبة لذاتها أيضاً ، فليس ثمة ما يبرر الاعتقاد بأن الرجل المتزوج هو وحده القادر على تقديم «شراذا » (قرابين الطعام) للأسلاف ، وعندما يصبح أرملا فإنه يتخلى لابنه عن رئاسة الأسرة ، وعن القيام بدور الكاهن المسؤول عن نارها المقدسة ويقرر التقاعد (١) .

على أن الزواج لم يكن يترك لأهواء الفرد يختار من يشاء، فهو لا يستطيع أن يتزوج كيفما اتفق ، لأن الزوجة الكفء المساوية له في المولد والمنحدرة من أسرة آرية أتمت عملية الترسيم وغيرها من الطقوس ، هي وحدها القادرة على ممارسة الطقوس المنزلية دون أن تدنسها ، وهي وحدها القادرة على إنجاب الابن الطاهر النقي المؤهل

(١) الزواج في النظام الهندي إجباري للجميع ، والرجل الأعزب طريد الطبقات ليس له في المجتمع مكانة ولا اعتبار، وكذلك الفتاة، إن طال بها الأمد وظلت عذراء بغير زواج (المترجم) .

لمواصلة عبادة الأسلاف بعد والده ، وفضلا عن ذلك فعلى العريس المنتظر أن يبحث عن عروس ليست قريبة له ، لا من ناحية أبيه ولا من ناحية أمه ، أعنى عروساً لم تُقدم أسرتها «البندا» أو قرابين الماء لأى من الأسلاف ، ومن ثم فلابد أن تكون العروس غريبة عنه ؛ ولكن ينبغي كذلك أن تدخل في أسرة العريس عن طريق الترسيم لكي تشارك الأسرة في دينها، ولتنجب لها ابناً ، ومن ثم تكف عن أن تكون عضواً في أسرتها الأصلية.

وحفل الزواج يرمز الي هذا التصور للزواج على أنه هبة أو أمر مقدس، أو ترسيم. وينتقل العريس وصحبه في موكب إلى بيت العروس حيث يستقبلهم والدها مرحباً، ثم يجلس العروسان في سرادق مؤقت على جانبيه ستارة صغيرة ، ثم تُفتح هذه الستارة بمصاحبة العبارات المقدسة التي يتمتم بها الكاهن الذي يتولى مراسيم الزواج.

عندئذ يقدم والد العروس، رسمياً ، ابنته للعريس ، ويقوم العروسان متشابكي الأيدى بتقديم حبات من القمح للنار المقدسة ، ثم يطوفان حول النار وأطراف ردائيهما معقودة ، ويخطوان معاً سبع خطوات ثم يُرش عليهما من الماء المقدس، وتؤدى المزيد من الطقوس عندما يعود موكب الزوجين إلى بيت العريس ، وبذلك يكتمل الزواج. أما الطقوس الجنائزية التي وصفناها فيما سبق فتكمل سلسة «السمسكارا Samskaras» .

٧ - قانون الأسرة الهندوسية :

هناك سمات أساسية معينة في قانون الأسرة الهندوسية يمكن أن نتعقبها إلى هذه الديانة المنزلية . فرب الأسرة هو كاهن دينها ، أعني عبادة الأسلاف فيها . وهذا المنصب وراثي ، أعنى أن هذه الخاصية تؤول إلى أولئك الأكفاء القادرين على تقديم القرابين إليه بعد الموت ، وإلى أسلافه ، أعنى إلى أبنائه المتزوجين قبل غيرهم . وفي حالة نقص النسل في نوع الذكور يؤول الإرث إلى أولئك الذين قدموا «البندا» إلى واحد أو أكثر من الأسلاف الذين قدم لهم المتوفي «البندا» كذلك ، أعنى أن يكون سابندا Sapinda أو مشاركا في البندا، ذلك لأن الإرث يحمل معه الالتزام بتقديم البندا إلى

المرحـوم .

ولهذا السبب فإن البنت لا يمكن أن تـرث مادام الـذكـور وحدهم قـادرين على تأديـة «الشراذا Shradha» . ويستطيع الرجل الـذي لا أبناء لـه أن يتبنى ابنا قطع صلتـه بأبيـه الطبيعى أو يُعيّن بنتـاً ، لـو كان لـه ابنـة ، لتنجب حفيـداً يصبح هـو الـوريث . وليس في استطاعـة أحد أن يخدم نـارين منزليتين ، أو أن يعبـد فئتين من الأسلاف ، أو أن يرث من أسرتين مختلفتين . وهكذا فإن العروس والابن بالتبني وابن الفتاة التي حددها الأب ، يفقدون حقوقهم وعضويتهم في أسرتهم الأصلية ليصبحوا أعضاء ذوى حقوق جديدة في أسرتهم بالتبنى .

لقد امتـلأت الديانـة المحلية الآريـة بالعنصر البرهمي ، ولا تزال تتبعهـا في الهند الطبقـات العليـا على نطـاق واسع . ولقـد سقط كثير من الجوانب الثـانـويـة في «السمسكارا» في زوايـا الإهمال ، وأصبح تقديـم قرابين « الشراذا» نادراً ، وتعـدّلت في نظريـة عبادة الأسلاف والعبـور إلى «عالم الآباء » عـن طريق نظريـة تناسخ أرواح الموتى ، بل الـواقع أنها ألغتها . لكن المظـاهر الأسـاسية لهذا الـدين ظلت باقيـة . ونظـام الطبقات المغلقـة قد شـدّد من الاهتمام الآري بطهـارة الطقوس والمعـايير التي يجب أن يتمسك بها المرء ليصونها ويحفظهـا ، وقد ظلت مضامينهـا الشرعية إلى وقت قريب تتحكم في الإرث الهندوسي والتبني .

٨ – ديانة الفيدا والتضحية :

أى تحليل للمجتمع الآري المبـكر يقسّـمه أربع طبقـات Varna هي : طبقة البراهمة (الكهنة) وطبقة الكشاتريـة(الجند – الملك) ، وطبقة الفيزيا Vi-shya(التجار) وطبقة الشـودرا (الأقنان) . وكلمة Varna (طبقة) التي تعنـى اللون وتستخـدم للدلالـة على أن لهذا التقسيم الوظيفي أسـاسـاً عـرقياً على الأقل بمقـدار ماتكـون طبقة الأنـوار الآريين المولودين مـرتين متميّـزة عن طبقـة السكان الأصليين المظلمـة الـذين جعل الآريـون من بعضهـم أقنـانـاً . وهنـاك تقسيم وظيفي ممـاثل للمجتمع قدّمه أبناء عمومتهم من الايرانيين يذهب إلى أن الهنود – الآريَين كانوا منذ البدايـة ، هم الكهنة ، كما كـانوا يقومـون بألوان من القرابين التـي كانت من حيث

الرعاية والصيانة تجاوز الطقوس المحلية.

أما الديانة التي يتحدث عنها معظم الأدب الفيدي فهى ديانة عامة وكهنوتية وليست محلية، وموضوعات العبادة فيها ليست تأليه الآباء وإنما هي الديفاز Devas أو آلهة السماء المشرقة، ويبدو أنها كلمة مشتقة من نفس جذور الكلمة اللاتينية «ديوس Deus» (إلـه).

ولقد استمدت بعض هذه الآلهة من العصور الهندو-أوربية القديمة، فمثلا السماء الأب (هوديوس بيتر Dyaus Pitar [1]) وهو زيوس الأب عند اليونان، وهو جوبتر عند الرمان) وهي آلهة ترتبط أساساً بالسماء وبالظواهر الجوية (أو الآثار العلوية، ومعظمها ذكور، ويستثنى من ذلك «الأرض الأم»، وابنتها «الفجر (واسمها أوشاش Ushas، وهي عند اليونان إيوس Eos) وهما معا إلـهتان هندو - أوربيتان، وكذلك عدد قليل من الآلهة الأخرى. لكن الغياب النسبي للإلهة الأنثى في مجمع آلهة الفيدا هو أحد الاختلافات الملفتة للنظر بين ديانتها وبين الهندوسية المتأخرة.

أصبحت شخصية السماء الأب في عصر «الريج فيدا» باهتة. إذ سرعان ما حلّ محلها إلـه الفيدا الأصيل وهو الإلـه «إندرا Indra» وهو بصفة رئيسية إلـه حرب، وملك الآلهة، وقائدهم في المعارك، وهو الذي دمّر المدن الحصينة لسكان البلاد الأصليين مستعيداً خبرة المقاتلين الآريين إبّان غزوهم للبنجاب. وإندرا، مثله مثل نظرائه البشريين يهتم بتناول الطيّب من الطعام والشراب، كما يحب المشاكسة، وهو يركب السماء على رأس جيشه من الماروث «Maruts» وهم آلهة العاصفة الأقل شأناً، وهو هنا يرتبط بالبرق بصفة خاصة، سلاحه الذي مزّق به بطن التنين فريترا Vritra عندما أعتق هطول المطر الذي يبعث الحياة.

أما آلهة الشمس فهي كثيرة منها: سريا Surya واسمها هو الكلمة الدارجة التي تعنى «الشمس» وهي تقود عربة نارية بعجلة واحدة تجرها سبعة جياد عبر

(١) أب السماء أو إلـه السماء في أساطير الفيدا، وهو يقابل «زيوس» عند اليونان، و«جوبتر» عند الرومان (المترجم).

السماء . أما فشنـو Vishnu فهو إلّـه صغير لـه خواص الشمس ، وسوف يصبح فيما بعد أحد الإلّهين الـرئيسيين في الديانة الهنـدوسية . والإلّـه فيشنو الـذي يتحدث عنه «الفيـدا» قـزم صغير عبر الكـون بثلاث خطـوات عمـلاقـة ففـرحت الآلهة وغيظت الشياطين .

أمـا آجني Agni فهو إلّـه النـار أو المحور الذي يربط عـالم الناس وعالم الآلهة . وهـو الذي يحمل القـرابين المحترقة إلى الآلهة ، ويعيـش مختبئاً في أمـاكن عدة مـزودا الفلاسفـة الأول بموضـوع لتأملاتهم النظريـة ، فهو يختبىء في ميـاه السماء ويظهر في صورة البرق ، وفي عيدان النار ، فهى أبواه التي تشتعل بها النار المقدسة ، وفي أماكن أخرى .

والبراهمة بوصفهم القيِّمين على تقديم الأضـاحي والقرابين مغرمون بـالنار بصفة خاصة ، إلا أنهم مغـرمون أكثر من ذلك بشراب السـوما Soma [١] (الهومـا الإيرانية) [٢] ، وهو أرقى ألوان الشراب المسكر المعدّ من عصير نبات غير معروف نوعه ، لكنه على الأرجح يشبه القُنَّب الهندي أو أي نبات آخر مخدر. ويستلزم إعداد «السوما» طقوسـا معقدة ، لا سيما أن شخصية إلّـه السوما المتميـزة وعلاقته بالبراهمة الذين يطلقون على « السوما» لقب «مليكهم» قد جعـلت «الريج فيدا» تخصص كتابا كاملا لأنـاشيد هذا الإلّـه . ثم توحَّـد إلّـه السوما فيما بعـد مع إلّـه القمر ونال حق السيـادة القمرية في الإشراف على نمو المحاصيل وصحة الأجنة .

٩ - فارونا ومترا Varuna & Mitra

هناك إلّهان آخـران أصلهما هندو- إيـراني إن لم نقل هندو- أوربي وهما «فـارونا ومترا» ولهما تداعيـات شمسية مثل العديـد من آلهة الفيدا ، فإحدى وظـائف الإلّه

---

(١) السومـا هو الشراب المقـدس عند الهنود ، وهـو يتلازم مع تقـديم الأضاحي والقـرابين . ويعد في الأساطير الهندية سبب خلود الآلهة . وهو يستخـرج من نبات القنب الهندي بأن يعصر باليد أو يطحن بحجر ثم تسيل منه العصارة نقطة نقطة ليتجمع في قنينة ثم تخمر (المترجم) .

(٢) كـان الفـرس يحتلفـون بشرب عصير «الهومـا» المقـدس مـع مـلاحظـة أن حـرف «سي في اللغـة السنسكـريتية يقـابل «الهاء» الفارسي . ومن هنـا نجد أن «سـوما» كما أصبحت «هـوما» : مـا أبحت السند ، هي الهند عند الفرس (المترجم) .

مترا الرئيسية ضمان القسم والاتفاقات [1] . وهذا هو الوجه الإيراني المقابل والمتبقى من إصلاح زرادشت للديانة الإيرانية ، وكان يُعبد في الإمبراطورية الرومانيةفي العهود المسيحية باسم مترا Mithras[2] » ، وعرف فارونا باسم آزورا Asura (وكان في الأصل مجموعة من الآلهة ثم أصبح فيها بعد مجموعة من الشياطين تعارض آلهة السماء ديفاز Devas) ، وهو لفظ ، في صورته الإيرانية ، عبارة عن الجزء الأول من اسم إلّه النور في الديانة الزرادشتية «أهورا مزدا» . وربما كان« فارونا» أقدم من «إندرا» ومثل ديوس Dyaus حجبه إله الحرب العاصف عن الظهور في «الريج فيدا» . غير أن شخصية «فارونا» الأخلاقية الرفيعة جعلته يتقدم كثيراً على الإلّه إندار الذي لا علاقة له بالأخلاق . لقد كان فارونا هو حارس الريتا Rita أو النظام الطبيعى والأخلاقي للكون ، وبدونه ما كان يمكن للفصول أن تتعاقب على التوالي ، ولولاه لا نهارت بنية المجتمع ، و«فارونا» عليم بكل شيء ، إذ تكتب له عيونه المنتشرة في كل مكان تقارير عن الرجال والنساء ، فما اجتمع اثنان معاً إلا وكان «فارونا» ثالثهما . ويتخذ مقاتل الفيدا الشجاع المتفائل وضعاً مختلفاً عندما يقف أمام «فارونا» عن الوضع الذي يتخذه أمام أى إلّه آخر من آلهته ، فهو يتخذ وضع الأثم التائب الذي يرجو إنقاذه من العقاب العادل «الفارونا» .

ويزخر مجمع آلهة الفيدا بمجموعة أصغر من الآلهة ، تبلغ من الكثرة حداً يجعل من الصعب وضعها في قائمة . وهناك إلّهان آخران لهما بعض الأهمية بوجه عام هما «ياما Yama» ، أول فانٍ يحرس عالم الآباء بكلابه الداكنة ، « وورودرا Rudra » وهو إلّه يخشاه الناس لأن سهامه تجلب معها المرض ، ويتضرعون إليه لأنه في وجهه الآخر هو إلّه الشفاء بالأعشاب ، وهو مثل شيفا Shiva ، الإلّه الصفوح المبشر بالخير ، يمثل مساهمة الفيدا في شخصية «الإلّه العظيم» » في الهندوسية رغم، أن دوره في الفيدا كان صغيرا مثل دور فيشنو.

---

(١) يقال إن الآريين جلبوه معهم إلى الهند وهو «ميتهرا» في إيران ، ووظائفه الرئيسية هي ضمان المعاملات التجارية والعقود والاتفاقات ونحوها وكلمة مترا تعني الصديق (المترجم) .

(٢) انتشرت ديانة مترا وعبادته في الإمبراطورية الرومانية في القرون الأولى للمسيحية وكات المنافس الرئيسي الخطر لها ، ولهذا ذهب رينان إلى أن العالم يمكن أن يصبح من أتباع مترا لو انهارت المسيحية (المترجم) .

١٠ - الأضاحي الملكية :

كانت الأضاحي كثيرة ومتنوعةو أعظمها الأضاحي الملكية : الراجاسويا Ra-jasuya والفاجابيا Vajapeya ، «الإشفاميذا Ashvamedha» . أما النوع الأول فهو تنصيب ملكي ، وتتمثل الذروة التي يصل إليها في رش رأس الملك بالماء وغيره من السوائل ذات القوة الروحية . وكان شراب القوة Vajapeya ، وهو النوع الثاني ، ضرباً من الاحتفال بتجديد الشباب الذي يشمل سباق العربة المصطنع و«صعود» الملك والملكة إلى السماء على سُلّمٍ . أما النوع الثالث فهو «التضحية» بالحصان Ash-vamedha وله أهمية خاصة نظراً لتاريخه الطويل بالهند ، ولما ينطوي عليه من مضامين سياسية ، إذ يُترك أحد الخيول المخصصة للتضحية في صحبة مائة من الجياد الأخرى مع حراس من المحاربين الفرسان - ويُترك الجميع يتجولون بحرية لمدة عام . ويحاول الأمراء الذين يتم التجوال في مقاطعاتهم الإمساك به أو قتله . وبذلك يعرضون المضحى لمكافأة إلـهية غير سارة أو يرغمون على الخضوع لسيادته العليا . ثم يضحى بالجواد في نهاية العام وتُنقل قوته المدخرة إلى الملكة ، وهكذا نضمن صحة المملكة والأسرة الحاكمة وازدهارهما .

وهناك إلى جانب ذلك أضاحي أقل تكلفة وطموحا متروكة لمقدرة رب الأسرة الآري . ولهذه الطقوس سمات مشتركة متعددة . فرب الأسرة الذي يدفع ثمن الأضحية ويتلقى بركاتها هو المضحى ، ولهذا يقوم هو وزوجته بدور رئيسي ، وإن يكن ضئيلا إذا ما قورن بدور الفنيين البراهمة في تقديم التضحية . ويزداد فريق الكهنة المطلوب كلما كانت الطقوس نفسها أكثر تعقيدا . وتتوقع «الريج فيدا» أن يكون عدد الكهنة ثمانية ، بما في ذلك الشخص المضحى . ولكن في عصور متأخرة كان العدد المطلوب يبلغ ستة عشر أو سبعة عشر كاهناً . وتبدأ الضحية بتنصيب المضحى فترفعه من الأرض الدنسة إلى عالم مقدس ، وهو عالم محفوف بالمخاطر بالنسبة لأولئك الذين لم يتحصنوا بالطقوس ، وتنتهى عملية تقديم التضحية بخلع التنصيب للهبوط من العالم المقدس .

وتتخذ الضحية نفسها مكاناً حول نار مقدسة مشتعلة في مذبح خاص بُنى من

الحجـر في الهواء الطلق ، والمباني الـوحيـدة التي تـرتبط به هـي في معظمها لـلأعمال المؤقتة ، ولكنها ليست معابد ، أمـا المواد التي تُقدّم فيمكن أن تكون : اللبن والزبد السائل ، وعناصر نبـاتية مختلفة ، وخمر ولحم حيوانـات بما في ذلك لحم الماشية ، في هذا التـاريخ المبكـر . وقد تكون المنـافع الناتجة كثيرة ، إذ يـوعد المضحـي على نحو نموذجي بالذهب ، والماشية ، والحياة المديدة و إنجاب الأولاد، والخلود ، لكن من الضروري أن يطعم الكهنة ويدفع لهم أجرهم على نحو مناسب .

١١ - الآلهة تشارك في الوليمة :

لاشك أن نظرية التضحية الأصلية كـانت أحد ألوان التبادل البسيط التي تكمن خلف تقديم القرابين للأسلاف . وعندما تم إنجازها على نحو مناسب هبطت الآلهة إلى ميـدان التضحية، وهبطـوا متخفين لا يراهم أحـد فجلسـوا فوق القش المقـدس واشتركوا في مـأدبة التضحيـة كضيوف شرف ، وتغذوا بـالقرابين التـى أحرقهـا الإلـه «أجني» . أما في صيغتها المتأخرة فكانت الناس «تصب إلى أعلى» بأن تصب القربان على النار فينقله «أجني» للآلهة، في حين «تصب الآلهة إلى أسفل » عندما يهطل المطر الذي تعتمد عليه الـزراعة والحياة البشرية . أما «قرابين الـذنوب» و«قرابين الشكر» ، وقرابين الاسترضاء أو الاستعطاف فهى ألوان من التقريب نادرة أو غير موجودة ، ولا مكان في أدب الفيدا إلا نادراً للصلاة التلقائية المباشرة .

وعندمـا تطورت القـرابين وزادت سيطرة طبقـة البراهمة Brahmin عليهـــا ، أصبحت نظريـة القرابين أكثـر إسهاباً ، واتسعت لتشمل طـرقا جـديدة ، واعتبرت الترانيم ، والصيغ الأخرى ذات قوة سحرية Brahman[١] نظر إليها كذلك على أنها قوة محايدة متغلغلة في الكون للحفاظ عليه . والصيغة المشتقة من اسمها هي براهمين Brahmin أو الكـاهن السـاحر صـاحب السيطـرة على الأقوال المقـدسـة . ويمكن الحصول على فاعلية القربان بالتلاوة الدقيقة المسهبة لتلك الصيغ . ولقد أدى التأكيد على أهمية دور الكـلام إلى تحليل صوتي دقيق ، وفي النهـاية إلى أقـدم علم للنحو في

(١) الاسم الـذي أعطتـه الأوبـانيشـاد للمـوجـود الاسمى، و«بـرهمان» محايـد من حيث الجنس (المترجم) .

العالم القديم ، تميز بنفاذ تحليلي لم يُعرف له نظير حتى العصور الحديثة .

كانت عناصر الأضحية تتوحد ، نظرياً ، مع أجزاء الكون ، كما كان ينظر إلى التضحية نفسها على أنها تمثل فعل الخلق مرة أخرى ، وتؤدى دوراً ، لا مندوحة عنه ، في تدعيم الكون والمحافظة على نظامه . وتبادل المنافع البسيطة لنظرية الأضاحي المبكرة، يُسلمنا إلى الفكرة التي تقول إن دقة الإنجاز تفرض الحصول على النتائج ، أما الموضوعات البسيطة للأضاحي المبكرة فهي تُسلمنا إلى الدعوى القائلة بأن الكون ككل ، ونظامه الأخلاقي ، يعتمدان على القرابين .

١٢ - المرتعدون :

يكتب شعراء الفيدا بوحي من الإلهام ، ويطلق عليهم أحيانا اسم «المرتعدون» لأنهم يكتسبون رؤاهم من خلال تركيز ذهني داخلي ، ومؤلفاتهم معقدة في أسلوبها وقديمة في لغتها وشكلها ، فأدبهم مقصور على فئة ضئيلة ، وملتو، وبعد مرور أكثر من قرن على الدراسة الحديثة للفيدا لايزال فهمها ناقصا . وتدور معظم الترانيم حول الثناء على الآلهة ، لكن بعض الترانيم النظرية قد بشرت بالفلسفة الهندية وتركزت حول مشكلة نشأة الكون .

وأقدم أساطير الفيدا عن نشأة الكون هي الأسطورة الهند - أوربية من اتحاد السماء الأب مع الأرض الأم، لينجبا آلهة السماء أو الديفاز Devas . غير أن الأسطورة السائدة في «الريج فيدا» هي أسطورة اندرا وفرتيرا Andra & Vritra . وطبقاً لهذه الأسطورة لم يكن هناك فيما سبق الخلق لا واقع (سات Sat) ولا غير واقع (أسات Asat) ولاانفصال بين السماء والأرض (١) .ولم يكن ثمة سوى موجودات تسمى أزوراز Asuras مقسمة إلي فئتين : فئة يقودها فارونا Varuna وهم الأديتاس Adityas (الذين يعنى اسمهم الانعتاق والتبرعم) ويشتبكون في قتال

(١) كان النشيد الذي يتغنى به نُسّاك الهنود :
«في البدء لم يكن ماهو موجود، أو مالم يوجد، ولم يكن هناك ماتثبته وماتنفيه .
«لا أجواء، ولا سماء وراء الأجواء . لم يكن موت ولم يكن خلود .
«لم يكن ثمة نهار ولا ليل . لم يكن سوى «الأوحد» يتنفس حيث لا أنفاس و«لاشيء سواه!»
(المترجم) .

مع الفئة الأخرى الدفافوس Davavas (التي تعني العبودية ، والقصور الذاتي) تحت قيادة فرتيرا Vritra (واسمه الذي يعنى الغطاء أو الغلاف ، يستدعى معنى مماثلاً) . وترتب «الأديتاس » لميلاد البطل « اندرا» من الأرض الأم والسماء الأب وتجعله ملكا عليها . غير أن «إنـدرا » المتحصن بشراب «السوما» المسكر ، والمتسلح بالصواعق التي أعدها تفشتري Tvashtri – الصانع البارع- ذبح «فريترا» وتدفق من بطن فريترا الممزقة سبعة جداول حبلى بجنين الشمس . وهكذا خرجت العناصر التي تدعم الحياة وهي الرطوبة والحرارة ، والنور ، ونشـــرت الأرض التي هى مستقر البشر ، أما السماء وهي عالم الآلهة ، فقد أصبحت مصانة ومقامة فوق الأرض . كذلك فصل «اندرا » نصف الكرة Sat (الأرض والسماء) عن نصفها الآخر Asat(العالم السفلي) وأقام النظام في العالم الأول ، وانحصرت الشياطين في العالم السفلي حيث العماء والفوضى . واتخذت الشمس مجراها ، وأرسلت المياه السماوية بأمطارها على الأرض ، وتحددت وظائف الأديتاس Adityas» وراح «فارونا» يراقب النظام الكوني من عل .

١٣- خلع أندرا

لا شك أن أسطورة «أندرا وفريترا» كانت في عصر «الريج فيدا» أسطورة قديمة ، إذ يمكن على الأرجح ، تعقبها حتى فترة الوحـــدة الهندية الإيرانية ما دام الإيرانيون قد عرفوا «ذابح فيرترا» و ربما قبل ذلك . فأندرا نفسه يستدعيه حاكم « ميتاني -Mi tanni» في معاهدة مؤرخة في القرن الرابع عشر ق. م من الشرق الأوسط [(١)] . ويظهر المستهزئون في «الريج فيدا» المتأخرة ، فمنهم من يقول «انـدرا» لا وجود له ! هل رآه أحد أبدا ؟ من هو حتى نضطر لمدحه ؟

ويقدم البحث عمــــن خلق الكــون وفي خلفية هذا الايمان المتداعي بأندرا . لقد خلع أندرا مـــرات عديدة : مرة بواسطة براجاباتي Prajapati إلـه المخلوقات [(٢)] ، ومرة بواســـطة فيشـــفكارمان «صـــانع كل شـــيء» ، وثالثـة بواســطة

(١) بعض آلهة «الفيدا مثل «اندرا» و«مترا وفارونا» مذكورون في معاهدة عقدت بين الحيثيين والآريين والميتانيين في بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد (المترجم) .

(٢) وهو رب كل حي . ويقال إنه الشمس التي تولد الحي من الحي ، وقد تحول إلى عظيم جديد اتخذ اسم «برجاباتي» وحل محل إندرا . (المترجم) .

برهمانســباكس Brahmanaspati «إلـه قوى السحر» التي تمسـك بالكون ، ورابعة بواسطة «فاش Vach» «أو الكلمة». وفي ترنيمة بالغة الأهمية نجد أن الخلق ينسب إلى تضحية الإنسـان الأول بنفسه بأن مـزق جسده[1] . ومن رأســه خرجت طـائفة البراهمة ، كما خرجت طبقة المقـاتلين من ذراعيه ، أما طبقة التجـار فقدانحدرت من فخذيـه ، وطائفة الخدم (الشودرا) من قـدميه ، وبذلك حددت وظـائف الطبقات الأربع ومراتبهـا ، بالطريقة نفسها خُلقـت الحيوانات والأرض ، والهواء ، والسماء ، والقمـر ، والشمس ، والترانيم، والتراتيل وأشكال الشعـر والنثر، كما خلق أنـدرا ، وآجني ، وفايو Vayu (إله الريح).

ومع ذلك فأعظم التأمـلات نفـاذا في «الـريج فيـدا» هي تلك التي تصنع مبـدأ محايـداً مثل «الواحـد الحق » الـذي يقال لنـا أنـه يتسمى بأسماء مختلفة مثل : انـدرا ومترا، وفارونـا وأجني. . إلخ على نحو ما يقال إن الآلهة هي مظـاهر للمطلق ، وفي مكان آخر ينسب الخلق إلى هـذا «الواحد» الذي يُشرف على الكـون والذي لا يُعرف إلا ببصيرة القديسين لا من التراث ، ولا من الآلهة . والواقع أن الشاعر نفسه لم يكن على يقين مما إذا كـان هذا الإلـه نفسـه يعرف وقـائع الخلق . وهكذا تحقق ضرب من الواحدية الحقة في نهاية الفترة التي تم فيها تأليف «الريج فيدا» . وواصلت النصوص التالية البحث عن «المبدأ الواحد » الذي يكمن خلف الكون .

١٤ - ديانات الغنوص والانعتاق :

مشكلة الموت هي بـداية الفلسفة . ولقـد كانت السعـادة القصوى التي يبحث عنها الآرى الفيـدي من خلال القرابين التي يقـول بها الدين هي أن يعثر لـروحه على مكان بين الموتى الأبرار في «عالم الآباء » في قمـة السماء . وتظهر فكرة الموت مرة أخرى في الأدب البراهماني الذي يمثل الطور الذي يعقب مبـاشرة المجموعات الأربع (ريج

(١) هناك أسطـورة هندية تـرى أن «الروح الكونى» تشكل في الوجـود الإنساني، لكن خاف الـوحدة والعزلـة فمزق نفه قطعتين، قطعة تحولت إلى امـرأة فكانت زوجته وقطعة بقيت كما هي. وهكـذا بدأ تسلسل خلق الإنسـان. ولكن هناك أسطورة أخـرى ترى أن الإنسـان الأول كان رجـلاً هائلاً ضحى بنفسه وجسده على مذبح الآلهة فحول جسده ذرات صغيرة عادت جزئياتها تتحد ومنها تكونت الأرض وكل مايحيط بها (المترجم).

فيدا، وسامافيـدا وياجور فيدا ، إزافيدا) وهو يسبق «الأرانيكـا» و «اليوباينشاد» .
ويبـدو أن الاقتناع المزعج بأن سكينـة النفس في السماء ليست مضمـونـة ، كان هـو المصدر لكثير من التأملات المثمرة في اليوبانيشـاد المبكرة. فنحن نجد في اليوبانيشاد لأول مرة ثـلاث عقائد مترابطـة ، ذات أهمية كبرى لكل التـاريخ الديني المتـأخر في الهند. :

(١) العقيـدة التي تقـول إن النفس تموت على نحو متكـرر وتـولد مـن جديـد، وتتجسد على نحو متكرر في كائن حي جـديد، وهي العقيدة المسماة سمسارا Sam-sara» . [1] (٢) والعقيدة التي تقول إن المرء يتحمل نتـائج أعماله في هذه الحياة الدنيا أو في الحياة المقبلة (وهي تسمى الكرما Karma) [2] (٣) والعقيدة التي تقول إن هناك فـراراً من التكرار الممـل لتجدد الموت ، وتجدد الميلاد وتسمـى « الموكشا» أو « النرفانا».

والعقائد الكلاسيكية لم تصغ على نحو لا لبـس فيه ، ولم تشرح بطريقة نسقية في « اليوباينشاد » . ويستمد هذا الأدب سحره الدائم من افتقاره الشديد إلى النظام في مقابل الأدب الفلسفي الذي تـلاه . فنحن نجد في اليوبانيشاد المبكرة إلحاحـاً نظرياً جريئا لتجـربة أفكار جديدة لم يسمع أحـد عنها من قبل، دون اهتمام كبير بالتحقق الـدقيق من صـدقها أو تحديـد عـلاقـاتها بعضها ببعض. ولقـد وردت بعض هـذه الأفكار على لسان شخصيات مـرسومة بطريقة حية ، وممـاله مغزى أن أولئك الذين يعلمون الأفكار الجديدة ليسوا جميعا من البراهمة . وتستخدم فيها بحرية أساليب من المجاز كـالأمثولات والاستعـارات . ورغم أن فلسفة هـذه الأعمال لاتزال في مـرحلة التكوين والتجريب، فقد أصبح ينظر إليها فيما بعد على أنها القاعدة والأساس الذي تقـوم عليه شروح الفـلاسفـة وتفسيرهم لها بطريقـة تـؤيد هـذا المذهب الفلسفي أو ذاك .

---

(١) سمسارا حلقة مفرغةرهيبة تعبر أولاً عن الصـورة في العالم الحادث ثم الانبعاث من جديد بشكل متتابع (المترجم) .
(٢) الكرما تعنى حرفياً قانون الجزاء على نحو مايتمثل في عملية التناسخ في الهندوسية (المترجم) .

١٥ – الآلهة لابد أن تموت :

توضح العقائد الثلاث السالفة الذكر توضيحاً جيداً الاتجاه الجديد الذى يتخذه الدين الهندي في هذه الفترة ، فقد كان لدى الآري الفيدي الأمل في الحصول على السعادة المادية – في هذه الحياة الدنيا – وفي السماء بعد الموت . لكن ظهر أن الآلهة نفسها لابد أن تموت ثم تولد من جديد مرة بعد مرة ، وأن ميلاد «الشخص» كاله أو برهمان ، أو إنسان عادي ، أو حيوان أو نبات ، إنما يتوقف على الفضائل أو الآثام التي اقترفها في التجسد السابق. وهكذا كان تصور الكون على أنه عادل ومنصف تماماً ، والفرد وحده هو المسؤول عن مصيره أو مصيرها إن كانت أنثى ، من خلال اختياراته الأخلاقية التي تحدد هذا المصير.

وهاهنا تكون الاستجابة الفردية النشطة ممكنة ، ولكن لم تكن هذه هي النتيجة بصفة عامة . فسعادة الحياة أو شقاؤها هما المحصلة النهائية لأعمال قام بها الإنسان في حياة سابقة ، وهذه الأعمال لا تغيير فيها ولا فكاك منها . ومهما امتدت الفترة الزمنية التي تعبر فيها روح الفرد من ميلاد إلى ميلاد ، ومهما ثقلت خطوات الهرب ، فإن المرء لابد أن يخطو خطوات حاسمة ليحقق الانعتاق – نابذا كل شراك العالم من أجل حياة التأمل الزاهدة ، إذ ينفتح أمام الزاهد وحده درب من الايجابية والفردية النشطة ، وهذه الحيوية النشطة هي نفسها السكينة، على ما في ذلك من مفارقة .

وينشأ إمكان الانعتاق من العقائد التي تدور حول وحدة الذات الباطنية العميقة أو الروح Atman مع المطلق Brahman. ولقد عبرّوا عن هذه العلاقة بأشكال مختلفة في «أقوال » اليوبانيشاد الكبرى : أنابراهمان ، وبرهمان هو أنت ، ومن صفات المطلق أنه «لاهوهذا، ولا هو ذاك » أعنى أنه لايقاس به أى عنصر من عناصر العالم الظاهري. والوسائل التي يتم بها الانعتاق من التناسخ واتحاد الروح من جديد مع براهمان هى أيضا متنوعة في اليوبانيشاد ، ولكن المطلوب باستمرار هو معرفة العلاقة نفسها ، وهذه المعرفة تكون في بعض الفقرات من النصوص كافية، كما أنها سر مصون إلى أقصى حد. وفي نصوص أخرى تضاف إليها صفات هامة مثل التأمل وزهد الناسك، والعمل الصالح.

١٦ - الناسك المتجّول :

تتحدث « الريج - فيدا» عن «الأشخاص الصامتين » و«أصحاب الشعر الطويل»، والتركيز الداخلي الذي يستطيع شاعر الفيدا بواسطته أن يبلغ رؤيته، هو بلاشك نموذج الناسك الذي يبحث عن «الغنوص Gnosis» . غير أن الناسك نمط ديني ضئيل الشأن جداً في الفترة الفيدية المبكرة . ونحن نسمع في عصور تالية، على نحو متزايد ، عن «الشارمان Sharman» وهم النساك المعلمون المتجولون . وهذا المصطلح يشمل مؤسسي « الجينية Jainism» و«البوذية Buddhism» وغيرها من الفرق المنشقة. وعندما وصف عالم النحو «باتانجالي Patanjali » ، « البراهمة » و«الشارمان» بأنهم أعداء طبيعيون كالأفعى والنمس، فيبدو على الأرجح أن مذهب الزهد تطور خارج التراث الفيدي البرهمي ، وربما كان في الأصل غير آري.

انبثق مذهب الزهد ، منذ عصر اليوباتشاد، بوصفه الصورة العليا للحياة الدينية، وبينما ذهب «براهمة - الفيدا» إلى أن تقديم القرابين يدعم النظام الكوني ويحفظه ، فاننا نجد الهنود المتأخرين يعزون استقرار الكون إلى الكفارات الأزلية «لشيفا» وهو في عزلته بجبال الهملايا . وهم يعتقدون أن القوى التي تولدها عملية التكفير تبلغ من الضخامة حدا يجعل الآلهة يرسلون ، من غيرتهم وخوفهم ، فتيات سماويات لغواية الناسك ، وصرفه عن تأملاته وحمله على تبديد طاقته المدخرة . ذلك أن فضيلة الناسك العظيم يمكن أن تحمى مدينة من الأعداء ، ولهذا كان من العبث الاشتباك في معركة قبل إفساد الناسك بهذه الخدعة أو تلك . وقد كان تكفير الناسك عن خطاياه قاسياً إلى أقصى حد بالاضطجاع وسط النيران ، والتحديق في الشمس ، والوقوف على ساق واحد، أو الجلوس جلسة غير مريحة لفترات زمنية طويلة . هذه التغيرات العميقة في الحياة الدينية في الهند من عصر اليوبانيشاد أثناء حياة مؤسسي البوذية والجينية (حوالي ٥٠٠ ق.م) لا يمكن أن تكون مقطوعة الصلة بالتغيرات العميقة التي طرأت على المجتمع الهندي في الشمال . فمع تضاؤل قوة ومكانة قبائل الكورو Kuru والبنشلا Panchala الفيدية القديمة في منطقة «دلهي» - نهضت ممالك قوية على طول نهر الكنج في الدول الحديثة مثل مملكتي «أتار برادشي

Uttar Pradesh » وبيهار Bihar وذلك تحت حكم أريين ليسوا من أتباع الفيدا ، بل وربما كانوا غير آريين ، وإنما ينتسبون للبرهمانية بصورة ضعيفة ، هذا إن كانوا برهميين على الإطلاق . فقد ولت مملكة القبيلة ، وحلّت محلها دولة إقليمية تدمج في سكانها غير الآريين من أهل البلاد الأصليين .

تداعت الارستقراطية الفيدية القديمة عندما أقام محدثو نعمة لا جذور لهم ممالك ناجحة ذات طموحات إقليمية عدوانية ، وظهرت المدن من جديد في شبة القارة . وأدى إدخال سك النقود إلى تكوين التجار وأصحاب البنوك ثروات تفوق أي معدل للمرتبة التي يحددها لهم مولدهم طبقاً لفكرة الطبقات الأربع . لكن الشعور العميق بعدم الأمان الذي جلبته هذه التغيرات لقطاعات عريضة من السكان عبّر عنه تعبيراً بليغاً أحد الملوك الذين ذكرتهم اليوبانيشاد كما ذكرت مقتطفات من أقوالهم : (عظماء الملوك والأبطال في الماضي) تخلوا عن مجدهم وانتقلوا إلى العالم التالي : جفت المحيطات وهوت قمم الجبال ، وارتعد النجم القطبي ، وتدلت النجوم وانهارت الأرض ، تخلت الآلهة عن عروشها ، وفي هذا الطوفان كنت كالضفدعة في بئر جاف .

١٧ - خطط زمانية كثيرة :

بقى من حركات نساك هذا العصر التي لا حصر لها ، حركتان هما : الجينية والبوذية . وسوف نناقشهما في مكان آخر من هذا الكتاب . وقد أصبحت المعتقدات الكلاسيكية عن تناسخ الأرواح ، والثواب والعقاب والانعتاق ، التي كانت في نصوص اليوبانيشاد في فترة تكوينها ، أصبحت بديهيات ، بنيت عليها فلسفة لم تعد تخضع للشك . وهناك بديهية أبعد من ذلك كانت شائعة بين جميع المذاهب التالية وهي أن الزمان دائري . فالكون يطرأ عليه النمو و الانهيار أو الكون والفساد أو الدمار وإعادة الخلق على نحو لا نهاية له [1] . ويمكن أن نجد أحد تنوعات

(١) عملية ظهور الكون وزواله بشكل متكرر ومتتال لم تشرح إلا في الكتب التي ظهرت في بداية الهندوسية ، مثل قوانين «مانو» وكل حقبة من خلق جديد تسمى يوم براهما ، وتقسم إلى أربع حقب وسيطة تتراتب نزولاً من حيث عظمتها ، ومن حيث مدتها ، وكل حقبة متبوعة بإبادة جزئية للعالم (المترجم) .

دورات الزمن الكثيرة في «قـوانين مانـو» . فالحقب الأربع المتتـالية التي تنهـار خلالها نـوبـة الحيـاة والأخـلاق والـديـن هى على التـوالي حقب تستغـرق ٤٠٠٠و٣٠٠٠، ٢٠٠٠، ١٠٠٠ عام . وكل حقبة من هذه الحقب يسبقها ويعقبها «فجر» و«شفق» لعدة مئـات من السنين تبلغ ١٢,٠٠٠ سنة في مجمـوعها ، وفي نهايتهـا يدمـر العالم ويعاد بنـاؤه من جديد. غير أن الفترة بأسرهـا ليست سوى عصر واحـد من عصور الآلهة ، والألف سنة منها عبارة عن يوم واحـد من أيام براهما، الخالق الذي يتساوي ليله مع نهاره [1] ، وليس للحساب الدقيق أهمية كبيرة ، فالمهم أن الزمن يعمل على تصغير شأن الإنسـان ، وأن البشرية تظل في العصر الحديـدي ما بقيت العقيـدة في دور الصياغة والتكوين.

وهناك مبدأ أساسى آخر شائع بين حركـات النُساك، وهو مبدأ يتعارض تعارضاً تاماً مع أفكار «الفيـدا» ، ولم يذكر إلا على نحو باهت في «اليوبـانيشاد»، هذا المبدأ هو مبـدأ الأهمسا Ahimsa أو اللاعنف . والفكرة التي تقـول إن إزهاق حياة حيوان أو حياة بشرية تحت أي ظـرف من الظروف هو عمل آثم ويؤدى إلى ميـلاد جديد في كائن حى آخـر أدنى، هذه الفكرة لا يمكن أن تلعب دورا في دين يقـوم على أساس التضحية . وعلى العكس من ذلك فإنها تـرتبط ارتباطاً وثيقـاً بصفة خاصة بحـركات الزهد المعارضة للفيدا والحركـات المعارضة للتضحية وعلى رأسها الجينية Jainism . ومادام الرأي المتطـرف يقول إن أى فعل سواء أكان صالحا أم طـالحا يؤدى إلى التورط في شراك السمســارا Samsara (دورة الكون والفساد) فإن هـذه الحركات تتجه إلى السكينة واللاعنف. ولقد ورث المذهب النباتي الواسع الانتشار في الهند هذه العقيدة ذاتها ، كما ظهر بوضوح تحريم البقرة ، لأول مرة في هـذه الحقبة بصفة خاصة ، فقد كان الآريون الفيديون يستخدمون البقرة ليولموا لضيوفهم وليضحوا بها لآلهتهم.

١٨ - أصول الهندوسية :

لـو قارنـا الهنـدوسيـة في الألفين الماضيين من السنين مع ديـانة «الهنـد- آريين»

(١) «عندئذ يـأتي ليل براهما المسـاوي في طولـه للنهار الـذي سبقه »كما جـاء في النصـوص الـدينيـة (المترجم).

المبكرين على نحو ما نعرفها من الفيـدا لوجدنا بينهما اختلافات مثيرة ، فعلى حين أن الهندوس عبدوا «أيقـونة» (١) ، تمثل الإلّـه أو الآلهة التي اختـاروه ، أو اختاروها ، واعتبروها إلآلــه الأعظم - فإن آريي الفيـدا لم يكن لديهم أيقـونات ، ولا عـلاقات شخصية مع إلّـه واحد أعظم . وبينما تقام عبادة الهندوس في معبد، نرى ديانة الفيدا تتركـز حول النـار المقدسـة في مـوقد المنزل أو في المذبح خارج الـدار. وعلى حين أن الهندوس يقدمـون قرابين من الأشياء والتسابيح بروح محبة متفـانية ، آملين في النعمة الإلّـهية التي تخفف، بل تتجاوز وتتخطى العدالة القاسيـة الموجودة في نظرية الكرما Karma (تناسخ الأرواح)، فـإننا نجد الآري الفيـدي ينظر إلى قـرابينه (في البـداية) على أنها تحقق رغبته في المشـاركة الكونية بين ذاته وبين الآلهة الأسـلاف (ثم فيما بعد) كوسيلة تضطر الآلهة عن طريقها إلى التسليم برغباته .

كان مجمع الآلهة الآري كله ، مع استثناءات قليلة- يمتلىء بالذكور ، وهى ، في الأعم الأغلب ، آلهة سماوية ، على حين أن مجمع الآلهة الهندوسي يضيف إلى أعضائه الإلّــهة الأم ، إلّـهة الأرض ، وآلهة تتخـذ شكل الحيـوانات ، مثـل أفعى الكوبـرا، وأرواح الأشجار. و«الفيـدا» تلعن الذين يعبدون قضيب الـرجل، في حين أن عبادة شيفـا Shiva في صورة حجـر «اللنجا Lingam» (٢) ، ظلت عبـادة منتشرة لفترة طويلة ، بل يمكن للمرء أن يهبط إلى أمور أصغر ، فآلهة الفيدا يركبون عربات تجرها الجياد ، في حين أن آلهة الهندوس يمتطون ظهور حيوانات خاصة بهم .

هذه الاختـلافات تنفـع في التمييز بين الهندوسيـة وماسبقهـا من حركـات يطلق عليهـا عـادة اسم البرهمانيـة Brahmaanism (دون أن ننسى الجينيـة ، والبـوذيـة والحركات الأخرى غير البرهمية) وهي اختلافات تتطلب بدورها تفسيرا.

والفشل في العثـور على تفسير مقنع لأصــول هـذه البـدع في أدب الفيـدا أو في

(١) الأيقونة Icon كلمة يونانية الأصل Eikon وهي تعني حرفياً «التشابه أو المماثلة، ثم أصبحـت مصطلحاً دينيـادل على أي صورة أو رسم أو تمثـال لشخصية مقـدسة للطبيعـة أو للإلـه . ولهذا نجد أيقونات أو صوراً مزخرفة لقديسين يكرمهم المسيحيون الشرقيون (المترجم) . ،

(٢) كان الهنود يعتقـدون أن شيفا هو القوة البـاعثة على النشاط الجنسي، ويمثلونها في أوثـان يطلقون عليها اسم «اللنجـا» «وهو عضـو التناسل عنـد الرجل. وأصبحت أحجـار اللنجا ملقـاة في عرض الطريق يغسلونها بماء نهر الكنج ثم تباع للمتدينين (المترجم) .

المؤثرات الأجنبيـة ، مثل وجود الإغـريق الآسيويين الـذين حكموا شمال غـرب الهند في القرن الثاني قبل الميلاد، هذا (الفشل) يجعلنـا ننظر إلى الريف حيث يعيش اليوم ٨٠ ٪ من سكان الهنـد، وهى نسبة مئويـة لم يكن من الممكن أن تكون أقل من ذلك في العصـور الغابـرة ، فهاهنـا يعيش مـلايين الفلاحين الـذين يؤمنـون بما يمكن أن نسميه «بهندوسية الريف» ، وهي مجمـوعة من العبادات التي ترتبط- إن فعلت على الإطلاق - ارتباطاً ضعيفاً بالفيدا ، والعبادة الشعبية للأفاعي وأرواح الأشجار يشهد عليها الفن البوذي المبكـر كما تشهد عليها هندوسية الريف. وأكثـر الآلهة أهمية عند الغالبية العظمى من الفـلاحين ليس هو «فشنو أو شيفا Vishnu Shiva » بـل إلهة القريـة Gramadevata التي غالبا مـا تسمى إلَـهة الأرض أو الأم ، وهى دائما أنثى على نحو لـه دلالته ، كما تشرف على خصـوبة الحيـاة الحيوانيـة والنباتيـة ، و تشرف كـذلك على الأوبئـة والأمـراض، وصلوات التـوسل والاسترضـاء عنـد الفـلاح هي صلوات طبيعية . وهيـاكل وعبادات هذه الآلهة المحلية الخالصـة التي تفكك فكرها الضيق وانحل في أنواع عامـة شديدة التناثر ، كثيراً ما يسهـر على خدمتها كهنة غير براهميين ، بل كهنة من الطبقة الدينا .

١٩ - هندوسية الريف :

إن صمت الأدب الديني الهنـدي المبكر عن هندوسية الـريف ، ليس دليلا على أنها لم تكن موجودة منـذ أقدم العصور. ومن الأهمية بمكان أن نتـذكر أن هذا الأدب كان أدباً بـرهمياً، بمعنى أنه أدب كهنـة أو نُساك . ومما له مغـزى أن عبادة الأسلاف الآرية وطقوس المراحل الحاسمة في الحيـاة ، وهي المصدر المباشر لما يمكن أن نسميه الهندوسية الآريـة المحلية ، لم تبلغ مستوى التعبير الأدبي إلا في مرحلة متأخـرة عندما سقطت تحت السيطرة البرهمية ، رغم أن أصولها ترتد إلى فترة الاتحاد الهند - أوربية . ومما له مغزاه أيضا أنه على الرغم من أن بعض البراهمة أصبحوا فعلا كهنة معابد، فقد كـان يُـنظر إليهم في الأعـم الأغلب على أنهم أدنى من البراهمة الآخـرين ، كما أن «قوانين مانو» تحظر وجودهم في الاحتفالات الجنائزية .

لدينا، إذن ، ما يبرر الاعتقاد بأن الأوثان أوالمعابـد وماشابه ذلك هي إسهامات

غير آرية ، أو على الأقل غير برهمية للهندوسية . ونظراً لصمت النصوص فإننا أحرار في أن نفترض أن هندوسية الريف كانت تمارس باستمرار ولفترة طويلة قبل أن تصبح برهمية وبالتالي قبل أن يكون لها أدب ، وعلينا أن نلاحظ أن حريتنا هذه تعنى أنه ليس ثمة وقائع تدحض هذه الوجهة من النظر أو تؤيدها ، بل ربما جاز لنا أن نعتبر أن الهند كانت هندوسية لفترة طويلة قبل وصول الآريين .

كان للهند ، قبل الغزوات الآرية ، أعظم حضارة مدنية واسعة الانتشار عرفها العالم حتى ذلك الوقت ، ألا وهي حضارة وادي نهر السند التي استمرت حوالى ٥٠٠ سنة من (٢٣٠٠ حتى ١٨٠٠ ق.م) . وكما هو معروف الآن امتدت مدن هذه الحضارة على طول نهر السند في باكستان حتى وصلت إلى راجستان الهندية Ra-jasthan والبنجاب وامتدت شرقا حتى أعالى نهري يمني والكنج دوب Gans- Jum-na Doab لكي تتفرع على ضفتي مصب النهر بطول ساحل مكران Makran متجهة إلى الغرب و «جوجارات Gujarat إلى الجنوب بحيث تفصل ألف ميل من أبعد المواقع . هذه المدن بمنازلها المبنية بالآجر المحروق وقلاعها وحصونها وشوارعها ، وهي على نمط الملاعب ، وكذلك نظم الصرف المحكمة ، قد كانت أعجوبة العالم القديم ، كما أن حضاراتها المادية باستثناءما يتعلق بالتكنولوجيا الحربية والتعدين ، كانت أكثر تفوقاً من حضارة الآريين الذين وصلوا بعد زوالها (إن لم يكونوا هم سبب هذا الزوال .) .

٢٠ - آلهة وادى السند الذكور والإناث :

إنّ سيرجون مارشال Sir John Marshall أحد المنقبين عن الآثار في مهنجو - دارو [1] ، في السند (وهي تعد مع مدينة هاربا Harappa في البنجاب من أكبر مدن نهر السند) قد صاغ الدليل على مساهمة السند في الهندوسية المتأخرة ، بل هندوسية نهر السند صياغة ممتازة ، ولعل أفضل ما نفعله هو أن نلخص نظريته .

يعتمد دليله على أختام من أحجار ناعمة وتماثيل صغيرة من مواد مختلفة ، رغم

(١) مدينة «همنجور ـ دارو» والاسم يعني مدينة الموت (المترجم) .

أن بعض المباني التي كشف عنها التنقيب يظن أنها كانت أضرحة أو معابد خالية من الصور. وتأتي على رأس اكتشافاته «الإلـهة الأم الكبرى» ، وبعض تماثيلها عبارة عن تماثيل صغيرة لأنثى حامل ، أما الغالبيـة العظمى منها فشخصيات نسـائية عـارية ذات ياقات عـالية وأغطية للرأس ، وهي من نفس فئـة تماثيل الأنثى التي عثر عليها في الحضارات الريفية في تلال وسفوح جبال «بلخستان Baluchistan» بالإضافة إلى التي سبقت حضارة نهر السند وعاصرتها ، وهى تماثيل مشابهة مـوزعة في آسيا الغربية كلهـا حتى بحر إيجه تـرجع للعصر الحجري . ثـم يأتي «الإ لـه الـذكر» الـذي يمكن التعرف عليه في الحال كنمـوذج لشيفا التاريخي ، جالساً وباطن القـدمين متلامسان في (وضع اليوجـا) ، وصورة عضو التنـاسل (الذي يذكـرنا بعبادة اللنجـا) تحيط به الحيوانـات معبرة بذلك عن شعار «شيفـا» وهو «إله الحيوان» . وثمـة عدد كبير من التمثايل الحجرية لعضوى التناسل عند الرجل والمرأة ، إما في صورة رمزية أو واقعية ، وهي تشير إلى عبادة «اللنجا Linga» و «اليوني Yoni»[1] ، عند شيفا وزوجته . والأحجار التي تمثل عضو الـذكورة قد ترتبط تاريخيا بحجـر شلجراما Shalagrama شعار فشنو Vishnu . وتوحي عبادة الأشجار والأفاعي والثيران (مثل ثور شيفا) - رغم أن البقرة ليست من بينها - على اتصـال هندوسية العصور التـاريخية المختلفة ، كما أن الأفكـــــار (الموجـودة) عن طقـوس التـدنيس والتطهير بـالماء ربما تكـون متضمنة في وجود مغطس ضخم وربما تفسر تصورات الهندوس عن الدنس .

هذا الافتراض الجذاب قد يفسر وجود عبادات غير فيدية متمركزة حول شخصي الإلـه شيقا والإلهة الكبري في الهنـدوسية ، سـواء في صـورتها الريفيـة بوصفهـا إلهة الأرض ، أو صورتها التترية Tantaric[2] وصفها شاكتى Shakti زوجة شيفا . لكن لابد لنا أن نتذكر أن ألف وخمسمائة سنة من صمت السجلات الأدبية والأثرية تفصل بين إنتهاء حضارة نهر السند وبين الشواهد الـدالة على ظهور هذه العبادة (أو عودة

---

(١) كلمتان هنديتان تشيران إلى عضوي التناسل عنـد الرجل والمرأة . ويرى البعض أن الكلمة الهندية «Linga» (عضو الذكر» هي الأصل الذي اشتقت منه الكلمة الإنجليزية Link بمعنى صلة أو رابطة (المترجم) .

(٢) مشتقـة من «تنتراس Tantras» وهي صورة من صور البوذية تعيـش في التبت وتؤكد أهمية السحر (المترجم) .

ظهورها) في الهندوسية ، ولقد أضافت حضارة نهر السند فصلاً جديداً كاملاً إلى التاريخ الهندي منذ التنقيب المنظم في عشرينات هذا القرن ، ولكن لايزال الأمر مبكراً جداً للحكم على مدى اتفاق هذا الفصل مع الفصول التالية في تاريخ الهند. والمسألة متروكة لعلم الآثار، الذى طرح المشكلة منذ البداية ، ليقوم بحلها.

٢١- الفلسفة والميثولوجيا والأخلاق :

هناك ثلاثة ملامح هامة للهندوسية تعطيها شكلاً متميزاً واتساقاً وهى : المذاهب الست Darshanas أو الانساق الست للمستويات العقلية [١] ، والملاحم والبوراناس Puranas بالنسبة لحكايات الخوارق والأساطير ، ونظام الطبقات المغلقة في مجال السلوك اليومي . والمذاهب الست هي مذاهب عقائدية تؤدى كل واحدة منها بطريقتها الخاصة إلى الانعتاق من أغلال الوجود الأرضى . وهناك ستة منها تقع في أزواج متكاملة هى Nyaye Vashesika(نيايا وفيشيسبكا)& Sankhya Yoga (سانخيا ويوجا) وMimamsa & Vedanta (ميمسا والفيدانتا) . أما «نيايا» فهى مدرسة في المنطق ونظرية المعرفة ، وأما فشسكا فتذهب إلى أن الطبيعة مؤلفة من ذرات أزلية متميزة عن الروح، وبمعرفتها تستطيع الروح أن تحقق الانعتاق . وأخيراً فإن سانخيا تعارض بين المادة «براكريتي Prakriti وبورشا Pursha أي الروح . لكن الأرواح الفردية - كما هي الحال في الديانة الجينية Jainism - لا متناهية ومتفردة ، ويعتمد الخلاص على استعادة الطهارة الأولى للروح بعيداً عن المادة . ومذهب سانخيا ذات الجوناز Gunas الثلاث (القوى ، وتسمى حيوانات) أو الخصائص

---

(١) المذاهب الستة في الفلسفة البرهمية هي (١) - مذهب نيايا وهو مجموعة من النظريات المنطقية تمتد طوال ألفى عام وكلمة نيايا تعنى «التدليل والبرهنة» أو طريقة لهداية العقل ، ومؤلفه يدعي «جوناما» وهو يقول إن هدفه هو تحقيق النزقانا عن طريق التفكير الواضح المتسق . (٢) - والمذهب الثانى هو مذهب فشسكا ويقول ديورانت عن مؤلفه «كانادا» إنه يشبه ديمقريطس في الفلسفة اليونانية، وأن معنى اسمه «آكل الذرات»، وهو يذهب إلى أنه ليس في العالم إلا «ذرات وفراغ» (٣) - والمذهب الثالث هو سانخيا وهو أقدم المذاهب الستة . (٤) - مذهب اليوجا والمعنى الحرفي للكلمة هو «النير» والمقصود إخضاع الإنسان لنير النظام التقشفي الزاهد حتى يبلغ طهارة الروح من أدران المادة وقيودها . (٥ - ومذهب ميمسا عبارة عن تفسير خاص للفيدا . (٦) - ومذهب الفيدنتا الذي يعنى خاتمة الفيدا (المترجم) .

الأساسية التي تسبب الخير والانفعالات الطاغية والكسل أو البلادة في الأشياء والموجودات، مذهب مؤثر غاية التأثير في جوانب كثيرة من الفكر الهندي.

ولليوجا Yoga (١) ، ميتافيزيقا مماثلة مع إضافة «أشفارا Ishvara (٢) ، وهو إله عال وبعيد يجاوز دائما حدود المادة . ويؤدى نظام «اليوجا» وهو ممارسة قانون أخلاقي صارم من خلال أوضاع تفضى إلى التأمل وضبط النفس ــ إلى « الاستغراق في التأمل » . و«اليوجا» المعروفة عند المتحمسين من الغربيين ، هي تطوير متأخر لهذه الممارسات المبكرة مع التركيز الشديد على أوضاع بدنية أكثر صعوبة تسمى « هاتا يوجا Hatha Yoga وعلى نظرية فسيولوجية يسعى بمقتضاها اليوجي المستغرق في التأمل إلى زيادة الـ «كوندا لينى Kundalini » وهي قوة روحية متصورة ، على هيئة أفعى ترقد ساكنة في قاع النخاع الشوكي حتى الوريد الرئيسي الكائن في العمود الفقري، «خلال ست دوائر للقوة السيكولوجية بطول العمود حتى اللوتس Lotus (٣) في قمة الرأس بحيث إذا اكمل (أى اليوجي) هذه الدورات فاز بالخلاص (لايايوجا Laya Yoga) ويتميز مذهب ميمسا Mimamsa عن المذاهب الأخرى بأنه مدرسة لتفسير الفيدا واستمرار لمذهب القربان البرهمي ، والواقع أن مذهب الفيدانتا Vendanta هو أكثر المذاهب الستة أهمية ، لأنه يشكل التراث الفلسفي الهندوسي الرئيسي حتى يومنا الراهن (٤) . وكان شارحه الأكبر من جنوب الهند هو الفيلسوف الهندي شانكارا Shankara (٧٨٨-٨٢٠م) (٥) الذي بلور الاتجاه

---

(١) يرى بعض الباحثين أن كلمة «اليوجا» سنسكريتية وهى تعنى «الاتحاد» وليس النير، و تطلق على الحياة الصوفية في الهندوسية وهي حياة يراد بها في هذه الحالة تخلص الإنسان من أوهام العالم الحسى ليتحد مع روح الكون، ويلجأ معتنقو هذا المذهب عموما إلى التدريب القاسي كسبيل للوصول إلى هدفهم الروحي (المترجم).

(٢)أشفارا هو الإلـه في مذهب اليوجا وهي فكرة يجوز للإنسان تأملها لتكون وسيلة للمعرفة (المترجم).

(٣) اللوتس في الأساطير القديمة نبات من يأكله يشعر بالنشوة أو الاسترخاء. وقد ورد في أوديسة هوميروس وصف شعب من الكسالى يأكلون اللوتس، وهي هنا زهرة ذات ألف بتلة (المترجم).

(٤) كلمة «فيدانتا» تعنى في الأصل ختام الفيدا أعنى اليوبانيشاد. أما اليوم فيطلقها الهنود على المذهب الفلسفى الذى يدعم فكرة اليوبانيشاد عن الله والروح وبراهما (المترجم).

(٥) فيلسوف وقديس ألف أشهر ما كتب عن الفيدانتا من شروح، ولهذا قيل عنه أنه أعظم فلاسفة الهنود جميعا. تجول في جميع أنحاء الهند ثم استقر في كشمير وكان في قمة مجده حوالى عام ٨٠٠ ميلادية (المترجم).

الـــواحـــدي لليوبانيشاد في مذهب يعالج الروح كوجه للمطلق غير المشخص (براهمان) . والعالم كوهم أو خداع (مايا Maya) . ومن هذه المعرفة تستطيع الروح أن تحقق وحدتها مع المطلق . ولقد نما العديد من هـذه المذاهب في الأصل لا سيما مذهب «شانكارا »و «اليوجا» بعيداً عن تراث الفيدا ، وفي فترة مبكرة للغاية ، وربما كانت منضمة إلى حركة شرامانا Shramana [١] .

٢٢- الشعر الهندوسي والأسطورة :

تُعد الملاحم الأعمال الأسطورية العظيمة في الهندوسية ، وأقصد بها ملحمة المهابهاراتا Mahabharata (وهي قصيدة بطولية تتألف من ١٠٠ ألف زوج من أبيات الشعر التي تصف صراع وقتل الأخوين بين اندافاس Pandavas وكورافاس Kau-ravas ، وهما حاكما منطقة دلهى في زمن (الفيدا) ، وملحمة الرامايانا Ramayana (وهى قصيدة أسطورية طويلة تحكى أعمال الملك راما ملك أيوذا Ayodhya) مع ملاحق عن أساطير الخلق وقوائم بالملوك وحكايات خارقة ومذاهب دينية تسمى بوراناس Puranas (مأثورات قديمة) .

وهذه الملاحم لا تُعبّر عن فرق معينة ، وإنما هى أعمال مركبة تختلط فيها ، بسهولة ، الآلهة المتنافسة مع العقائد ، وهي ملكية عامة لجميع الهندوس ، إذ يمكن لأى فرد أن يجد فيها إلهه المختار، وطريقته المفضلة في الخلاص، وعلى الرغم من أنها كتبت باللغة السنسكريتية ، ومن ثم فهى في حماية البراهمة بصفة خاصة ، فان لغتها متنوعة أكثر في شعبيتها ، كما يدل مضمونها على أن الديانات الشعبية صبغت بصبغة برهمانية . والقانون الأخلاقي الذي يلزم بالعفة التي قد تصل إلى حد الزهد، هو الشرط الذي لا غنى عنه لجميع مذاهب الخلاص، ولمعظم الفرق الهندوسية ، ورغم أن الديانات التي تسعى إلى الانعتاق من العالم تكافح لكى تصل إلى حالة تختفى فيها التميزات المتعارف عليها بين الخير والشر، فان الأخلاق تقوم بدور المقدمة الافتتاحية، أو الحركة الأولى ، في الحياة الدينية . وللأخلاق في حياة الهندوسي

(٢) المعلمون الروحيون القدماء ـ وهي حركة تميزت عن البراهمة بعقيدتهم في الخلاص عن طريق الزهد والإلحاد (المترجم).

اليومية، من ناحيـة أخرى ، أهمية فائقة ، ويمكن أن نوجـزها إلى حد كبير في كلمة واحدة هى اجتناب النجاسة .

ومع بـداية العهـد المسيحي، وربما قبل ذلك بكثير ، وصل المجتمع الهنـدى إلى الحد الذى تألف فيه من آلاف من الطبقات المغلقة Castes التي تضع قيودا صارمة على الأكل والشرب والـزواج والأخـوة ، ثم على التـدخين فيما بعـد – مع أعضـاء الطوائف المغلقة الأخرى . وخرق هذه القواعد يجلب النجاسة ويستوجب الكفارة ، عن طـريق التطهـر ، وفي الحالات القصـوى قـد يبعـد الإثم عن الجماعـة . بل أن النجاسة التي يتعرض لها المرء بغير قصد لابد من علاجها ، لأن المرء قد يصبح نجسا ، بارادته أو رغما عنه ، في بعض الظروف التي لا يمكن تجنبها كأن تكون هناك حالة وفـاة في الأسرة . ونظام الطبقـات المغلقـة الذى يـرتب هذه الطبقـات تبعـا لنقائهـا الـداخلي، وإمكان تعـرضهـا للنجاسـة بـدءا من الأنواع المختلفـة من البراهمة حتى الطوائف التي لا يجوز لمسهـا في أسفل السلم ، كما ينظم واجبات كل طائفـة ، هذا النظام قـد منح الهندوسية والمجتمع الهنـدي امكان دوامه ونزعتـه المحافظة ، وقبـوله للخصائص التي تنفرد بها الجماعات الأخرى .

٢٣ – الفرق الهندوسية :

تبدو الفـرق الهندوسية كجزر صغيرة تمثل معـالم بارزة في محيط الهندوسيـة الواسع . والواقع أن عدد الهندوس الذين ينتمون للفرق قليل نسبياً ، وليس من الضروري أن يكون الهندوسي عضـوا في إحدى الفرق لكي يمكنه أن يقدم القـرابين لآلهة القرية أو يغتسل في أماكن الحج أو يتعبد في المعابد . ولما كانت الفرق أكثر ملاءمة للدراسات التاريخية مـن الملاحـم ، والتراث القديـم ، مثلا ، ولما كان ظهـورها في القرون الأخيرة قبل المسيح مباشرة، فقد أصبحت تشكل جانبا هاما من تطور الهندوسية، لهذا فإنه ينبغى علينا أن نتعقب ظهورها .

أن الهنـدوس المنتمين للفـرق يمكن التعرف عليهم مـن العلامـات المميـزة التي يحملونها ، فـاذا كانوا من أتباع فشنـو فلهم علامتان متوازيتـان من وشم ترابي أبيض ينحدر من خط الشعـر حتى قصبة الأنف مع خط رأسى يـربط بينها في الأسفل مع

اضافة علامة مميزة خاصة بالفرقة التي ينتمون إليها . كذلك سيميزهم عقد ومسبحة حباتها مصنوعة من شجيرة مقدسة عند فشنو . أما إذا كانوا من أتباع شيفا فهم يضعون ثلاثة خطوط أفقية متوازية من وشم ترابي على جباههم . ويلتحق الهندوسي بفرقته الدينية عن طريق الترسيم الديني ، والعنصر الحاسم فيها هو اتصال العضو بالصيغ المقدسة Mantra لفرقته عن طريق المعلم الروحى Guru . وهذا الترسيم نسخة من الترسيم البراهمي، مع إضافة بعض التعديلات الخاصة بالطائفة . وصيغة المانترا Mantra بصفة عامة هى «أوم Om» يبايع س، حيث ترمز «س» إلى اسم الإلّه الذي تعبده الفرقة. ولما كانت المعرفة (المانترا) هى العلامة الحقة للعضوية وكانت ذات فعالية مخلِّصة ، فان «المانترا» لا يصح أن يكشف عن سرها لأحد خارج الجماعة . ولكن لو أن أحداً من خارج الجماعة تصنت على « المانترا» أو قرأها في كتاب، فلن تكون لها أدنى قيمة ، لأن قوتها الخاصة لا يكون لها تأثير إلا عندما يتصل بها المعلم الروحى المدرب مشافهة ، وهكذا يفترض الانتماء إلى الفرق علامات مميزة ، وترسيما خاصا ، وأنواعا من المانترا ، والمعلمين الروحين Gurus ، وذلك يتضمن تسلسلا للمعليمن الروحيين ومجموعة محددة تحديداً جيداً من الأتباع الذين مروا بعملية الترسيم ، أى تتضمن جماعة دينية . وأخيراً فان للفرقة «بطبيعة الحال» ، تعاليمها الخاصة ، وطرقا وأوقات خاصة للعبادة ، وإلها معينا أو وجها للإلّه يتجه إليه المتعبدون ويأملون أن يستمدوا منه الخلاص. ويمكن أن تصنف الفرق الهندوسية تبعا لموضوع العبادة بحيث يكون لدينا فرقا لـ شيفا ، وشاكتي ، وفشنو.

٢٤- شيفا :

أيا ما كانت حقيقة النظرية المتعلقة بأصله المنحدر من حضارة السند ، فان شيفا أو بالأحرى « رودرا Rudra كما يسمى هناك ، موجود في «الريج فيدا» وله وظيفتان في الفيدا المبكرة ، فهو «المولول أو الصارخ Howler » المصحوب بآلهة العاصفة أو «الماروت» Maruts التي تبعث البرق ، وله القدرة على التحكم في المرض، ومن ثم في الأعشاب الشافية ، وهو إله مرعب صاخب ، ولهذا ينبغى إسترضاؤه . وحين لا يضرب البرق قطيع الماشية نتيجة للصلاة المقدمة إليه ، فإن هذا الإلّه يسمى «باشوبا Pashupa» أي حامي القطيع . وعندما يتقي شر المرض ،

تنسب له قوى الشفاء . وفي نصوص الفيدا المتأخرة نجد أن صفات «رودرا» Rudra قد امتدت فأصبحت له رقبة زرقاء ، وبشرة حمراء ، واتسعت دائرة اختصاصه فشملت الغابات واللصوص والمنبوذين ، والأعشاب الطبية والقطعان . وهو المهلك ذو الشعر الأشعث ، ولكنه حين يسترضى يصبح شامبهو Shambhu وشانكارا Shankara وشيفا Shiva (أي الرءوف ، المحسن ، المبشر بالخير) ويعبده المرء لكي يتحاشاه ، وحتى يتفادي أوبئة قطيع الماشية ، فإنه يقدم ثورا قربانا للإله «رودرا» خارج حدود القرية مصحوبا بكل علامات شعيرة النحس . والواقع أن شيفا المرعب المزدوج الدلالة لم يختف أبدا اختفاء تاما .

وكان «رودرا» شخصية صغيرة في «الريج فيدا» ، وجاء ارتفاع «شيفا» إلى مكانة مرموقة بالتدريج بحيث أصبح مركزا للعبادة . ومع حلول القرن الثاني ق . م بدأنا نسمع عن المتعبدين لشيفا الذين يبدو أنهم كونوا فرقة دينية . وهناك شاهد واضح على أن «اللنجا» (الحجر القضيب) الذي تشكل فيه شيفا ، وعُبد على نطاق واسع ، قد جاء بعد ذلك . ولكن بالاضافة إلى « اللنجا» المفترضة في حضارة نهر السند ، نجد في «الريج فيدا صلاة لاندرا Indra يقصد بها ألا يسمح لأولئك الذين يعبدون القضيب بتدمير طقوس التوسلات الآرية .

وأقدم فرقة «لشيفا» في التاريخ هى باشوباتا Pashupata التي أسسها لاكولا La-kula الذي عاش تقريبا في القرن الأول أو الثاني الميلادي والذي كان يعتبر تجسيدا لشيفا نفسه . ولقد مرت فترة تكوين باشوباتا بعدة مراحل ، طبقا لما ترويه آداب هذه الفرقة ، لتحقيق الخلاص ، ففي المرحلة الأولى اغتسل وعاش في الرماد المتخلف من المحرقة ، وقام بشعائر العبادة في المعبد ، كالضحك ، والرقص ، والغناء والنطق بالصوت ، «هودوك Huduk» مثل خوار الثور ، وترد يد التعاويذ .

وفي مرحلة أعلى من مراحل الجدارة الروحية ، تخلى عن العلامات المميزة للفرقة أو الطائفية الدينية ، وهام على وجهه وحيداً وراح يثير غضب الإنسان العادي لغطيطه إذا نام ، واهتزازه كمن أصيب « بداء الريح» ، والقيام باشارات غرامية للنساء ، وبالسلوك الغبي ، ولغو الكلام ، ثم يلي ذلك مراحل أعلى أكثر إحتشاما حيث يحتل التأمل مكان الصدارة . ويفسر السلوك الغريب الذي مارسه في المرحلة

الثانية نظرية تقول أن الكرما Karma السيىء لباشوباتا قد حل محله كرما خير صالح يلومه على سلوكه . ولكنه إلى جانب ذلك تعبير أقصى تغبير عن رفض الناسك للعالم وإنعزاله عنه .

ونحن نعرف عدة فرق للشيفا ظهرت في قرون تالية مثل فرقة الكابليكاس Kap-alikas (حملة الجماجم) التي توضح من جديد التقييم المتجاوز لكل القيم عند الناسك ، وهو في ذلك قد يحملون عن قصد علامات «زايج براهمان « أعني وعاء التسول على هيئة جمجمة ليجلب على نفسه الخزى والعار ، إضافة إلى الافراط في شرب الخمر وأكل اللحـــــــوم والممارسة الجنسية المحظورة أثناء تأدية الطقوس الدينية بحيث يمكن تميزهم والتعرف عليهم بوصفهم الجناح اليساري في التانترية Tantrics[1] (انظر فيها بعد) . وقد بقيت أمثال هذه الحركات من النسك المتطرف حية على الرغم من حط الكثيرين لشأنها ، فازدهرت لعدة قرون . والواقع أن نساك «شيفا» المتوحدين المنعزلين أو ما يسمى « السيدها Siddhas قد انتشروا في شمال الهند كله في القرون السابقة على الفتوحات الإسلامية ، وأسهموا مساهمة كبيرة جداً في الحركات الفلسفية والدينية في التبت والهند .

٢٥ - طرق الخلاص :

إن قبول الشيفية Shaivism من قبل المجتمع المحترم ولدينا شواهد تؤكد وجودها في القرن السابع -- وكذلك بين عدد غفير من الناس العاديين - يدل على تطور فرق تخلت عن أنواع من الطقوس الغريبة التي كانت تمارس في فرق سابقة ، والالتزام بأساليب سلوكية أقل إلتباسا وفظاعة . وإحدى هذه الطرق هو مذهب «شيفا» الذى انتشر على نطاق واسع في جنوب الهند . وكانت طرقه لبلوغ الخلاص- وهي الأوراد والتأمل الدوري ، والتأمل اليوجي ، والكفارة ، وعبادة «اللنجا» وما شابه ذلك ، قد اعتبرت برهمية ولم تثر أى اعتراض عليها . ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن شيفية كشمير ، ولكليهما آداب لاهوتية شاقة أو ذات أهمية ملحوظة .

---

(١) نسبة إلى تانترا Tantraوهي صورة من صور البوذية تؤكد السحر وممارسته لاسيما في التبت، والتانتريزم Tantrism هي البوذية في التبت (المترجم) .

وتشكل الكلاموكاس Kalamukhas فرقة ازدهرت في جنوب الهند لبعض الوقت ثم اختفت من يـومها . ورغـم إساءة خصـومهم من « الفشنـافيين» لهم ، فقد واصلـوا دراسة الفيـدا كما درسوا نصوص الفرق التي تخالفهـم في معابدهـم الواسعـة وأديرتهم الكبيرة ، وتحاشوا ألـوان السلوك البشـع الذي كانـت تقوم بـه فرق شيفـا الأخرى ، وقطعـوا على أنفسهم عهداً ألا يـؤذوا أحـداً وأن يقولـوا الصـدق ، ويتجنبوا السرقـة ويتمسكوا بالعفة والفقر. وقد تأسست فرقة «الفيراشيفاVirashaiva» أو «اللنجايات Lingayat» في القرن الثاني عشر [(١)] ، وربما كانت نسخة معدلة من «الكلاموكاس» التي اختفت في ذلك الوقت تقريبا وآلت بعض معابدها الآن إلى فرق «الفيراشيفا» . ولقد أدت التعـاليم السنسكريتية وعبادة «اللنجـا» دورا هاما فيهما معـاً ، والواقع أن الفرقتين «الكلاماكاس» و«الفيراشيفا» وصفا بأنهما «جنجامسJangames» (تحريك اللنجا أو تجسيـد اللنجا) ويقضى الترسيم الدينـي عند الفيراشيفا بأن يـوضع «لنجا صغير» في صندوق من الفضة يرتديه كل عضو من أعضاء الفرقة حول رقبته . وكان «باسافا Basava» مؤسس هذه الفرقة وزيرا في عهد الملك بيجالا Bijala الكلاشورى Kalachuri (١١٤٥- ١١٦٧م) ويقـال أنـه جـرَّ على نفســه غضب الملك وأثـار حفيظته عندمـا استنفذ خزانة المملكـة في التصدق على « الجنجامس Jangames» ودبـر بمســاعـدة الشعـب لاغتيـالــه بعـد فترة من الاضطهــاد الملكي . ويشكل «الفيراشيفيون» اليوم طبقـة مغلقة أو بالأحرى جماعة من الطبقـات لها كهنتها الخاصة «براهمة اللنجا»بطقوسها التي تشبه على نحو مثير وهام الطقوس البرهمية الأصلية .

وفي تأميل نادو Tamil Nadu في أقصى جنوب الهند أناشيد دينية لقديسى شيفا تسمى « نايانارسNayanars» تشهد بنفاذ الأوراد الشيفية الشعبية إلى أقصى حدود شبـه القارة منـذ القرن السـابع أو الثـامن على وجه التقـريب حيث سبقتهـا البوذيـة والجينية كما تشهد بأنها لازالت مزدهرة هناك .

٢٦- شاكتي والتنترية Shakti&Tantricism :

لقد رأينا أن هناك مبررا قوياً للاعتقـاد بأن ربة الخصب كانت تعبد في الهند منذ

---

(١) يقول ديـورانت «اللنجايات» هم أخلص عبـاد اللنجا عقيـدة ، وهم يمثلون أشد مـذاهب الهند تزمتا وطهرا» . قصة الحضارة جـ٣ ص٢٢٤ (المترجم) .

بـداية العصر الحجـري الحديث ، وأن عبادتها تشكل جـانباً هـاماً من الخلفيـة غير الآرية للهندوسية . ويخبرنـا «بانا Bana» أحد كتاب القرن السابع ، أن قبائل جبال فينذا Vindhyas في وسـط الهنـد قدمـوا قرابين من اللحم وجرحوا أنفسهم ليقدموا دمائهم الخاصة للربـة شانديكا Chandika وفي فقرة أخرى نجـد أن ملكة «أوجاين Ujjain» في غـرب الهند ، قـامت بعبادة هـذه الربـة نفسها لكي تنجب إبنـاً ، وان كـانت هـذه العبادة أقل بشـاعـة من العبـادة الأخـرى . وهكذا نجـد أن السكـان الأصليين يشتركون مع عليـه القوم في عبادة هـذه الربـة - الأم . وأيا ما كـانت عبادة «الربة الكبرى» أو الإلهة العظيمـة «شاكتى» [1] ، فإننا نستطيع القـول أن عبادتها ازدهرت من القرن الخامس ، وهـو العصر الذي أقيم فيه معبد «يحتشد بـالشيطانات ، المقـدسـات عند الأمهـات الـلائي يصحن بأعلى صـوت في الظلام» حتى يـومنـا الراهن .

أما من الناحية الأسطورية فقد تصوروا أن «الإلَهة الكبرى » هى زوجة شيفا ، ولها مثله جـوانب مسالمة وأخرى مـرعبة في آن معـاً ، فهى «بارفتي Parvati » « سيـــدة الجبال»، وهى عـروس شيفا الجميلة ، وهى «كـالى » القبيحة المتعطشة للـدماء التي تطلب ضحية من الحيوان قرباناً، وفي بعض الأحيان تطلب قرباناً بشرياً . وبوصفها ساكنـة جبال فينـدياس Vindhyas [2] فانها تتربص بـالمسافـرين كما أنها راعية اللصوص وقطاع الطرق ، وبوصفها «دورجا Durga» فقد ذبحت الشيطان ماهيشا Mahisha الـذي تجسد في صـورة جـامـوسة . ولقـد أصبحت بـذلك مقـاتلاً رهيبـاً ومخلصـاً للبشرية في وقت واحـد ، وعبادة «دورجـا» هى الآن عبـادة متميزة جـداً في البنغـال ، حيث يحتفل كل عام ، احتفـالا مؤثـرا، بعودتها كعـروس شابـة إلى بيت والدها . والواقع أن «دورجا» هو شيء يرمز للقومية البنغالية والهوية المحلية .

أما من الناحية الفلسفية فإن الإلَهة الكبرى هى شاكتي Shakti أو قوة شيفا Shiva التي تمثل القطب المضاد للذكورة والوعى والسكـون . والواقع أن الفاعلية الخاصة بأى إله هـى «شاكتى» ، وهي تتشخص في زوجتـه . أما الارتباط الـذي يبعث على

(١) شاكتى معناها القوة التى تبعث النشاط (المترجم) .
(٢) سلسلة من الجبال في شمال الهند موازية لنهر ناربادا Narbada (المترجم) .

قدر من الـدهشة بين الأنـوثة وبين الطاقـة والمادة من ناحيـة وبين الذكـورة والسلبية Passivity من ناحية أخـرى في هذه القسـمة الثنائية، فيمكن أن تكـون له جذور في ميتافيزيقا سانخيا Sankhya القديمة التي نشأ فيها العالم نتيجة لإتحاد بركرتي -Prak riti(المادة - جنس الأنثى) وبروشا Purusha (أرواح الأفراد - جنس الـذكر) التي هى المتفـرج السلبي. لكن الخلاص عند «سـانخيـا» يعتمد علي تخليص الـروح من اشتباكهـا مع المادة ، بينما تحاول التـانترية Tantricism التغلب على الاستقطـاب الجوهري بهذا الإتحاد، وبدون «شاكتي» فإن شيفا يصبح جثة هامدة.

والتانترية هى ديانة تانترا Tantras . وأى قانون كهنوتي لشيفا أو فايشنافا يمكن أن يسمى «تانترا» تميزا له عن شاستراس Shastras الخاصة بالديانة البرهمية أى العلم والقانون، غير أن مصطلح التانترية Tantricism يشير الى تلك الديانة التي تتألف نصوصهـا من حوار بين شيفـا والربة . . وأتبـاع التانترا Tantrasيسمـون في الأعم الأغلب شاكتاس Shaktas مع المتعبدين للربة الكبرى . و«التانترية » بالمعنى الواسع ، سمـة تتسم بها البـوذيـة في التبت ، ولقد تغلغلـت عناصر التـانتريـة في مـذهب «الجينية» و «الفشينافية Vaishnavism » إلى حد ما . لكن شيفا وزوجته شاكتي هما الإلهان الرئيسان بين التتريين الهندوس.

والعتاد الفلسفي للمذهب التنتري ليس استثناء بين الـديانات الهندية ، فمعظم أركان الحيـاة الدينيـة فيه يمكن أن نجـدها كـذلك عند الفـرق الهندوسيـة الأخرى. فهناك الترسيم المعتاد الذي يقوم به المعلم الروحى Guru ، والاتصال بمنترا Mantra والطقوس الدينية ، والصلوات ، والتأمـل . والملفت للنظر هو درجة تعدد «المانترا» والطقوس الـدينية ، ومـدى تعقد النتيجـة التي تترتب على ذلك، ومما يلفـت النظر أيضا عملية العكس المنظم والمتعمـد للطعام والمحرمات الجنسيـة في طقوس قلة من الفرق التنترية على نحو ما لاحظنا من قبل عن فرقة الكاباليكاس Kapalikas .

٢٧ - مراحل الغبطة القصوى :

يصنف الأشخاص تبعاً لكفاءتهم الروحية إلى باشو Pashu (أي الحيوان) وفيرا Vira (أي البطل) ، وديفيا Divya (الإلـهي) ، ولكل كفاءة طريقتها المناسبة ،

وبعبارة أخرى فإن هذا التصنيف الثلاثي للأشخاص يقابله ثلاث مراحل على طريق بلوغ الغبطة القصوى التي يمر بها المبتدىء على التوالي، فبين الكاولاس Kaulas مثلا عند المرحلة الأولى من مذهب القربان الفيدي تكون «باكتي Bhakti» الشفناوية ، وغنوص Gnosis شيفا على التوالي هما الطريقتين اللتين تحققان التسامي والارتفاع ويعقبها التكريس و«النيسا Nysa » مع الإشارة إلى الجوانب المختلفة من الجسد والنطق بـ «مانترا» الخاصة بالآلهة التي تتمكن بذلك من الدخول في المتعبد بشرط أن يتم هذا باتجاه داخلي نحو العبادة . أما مرحلة البطل فتشمل معظم طرق التانترا المتميزة ، وهي التي تسمى بطقوس «الميات الخمسة» (البانشاماكارا) التي يشارك فيها البطل على التوالي ، في الخمر والسمك ، واللحوم والحبوب الجافة والمعاشرة الجنسية [1] . وفي المرحلة العليا يصبح السالك الطموح ميتاً بالنسبة للعالم ومتناقضاته ومتحرراً ، رغم استمرار وجوده في الجسد. والواقع أن الطريقة المرموقة في جميع صور مذهب التنزية هي «لبايوجا Laya-yoga» .

وتتجه ممارسات الطقوس مثل طقوس الميات الخمسة إلى الشخص البارع أو المجرب فقط ، وهو الذي يُسيطر علي انفعالاته العنيفة سيطرة حازمة ، ولذلك لم تستطع ان تسير عليها سوى قلة محدودة من الفرق يُسمّون بالأتباع اليساريين ، وذلك يميز طرقهم عن العديد من الطرق التنترية والأكثر تقليدية لجناح اليمين [2] ، الذي يستبدل رموزا لا ضرر منها بالأشياء المحرمة أو ببساطة يتجاهلها تماماً. وتستمد طقوس الطرق اليسارية قوتها من العكس المتعمد للأخلاق المستقرة . والهدف الواضح لطقوس الميات الخمسة هو الارتفاع بالمتعبد فوق الثناء والذم والخجل والتفاخر بالأسرة والطائفة كخطوة نحو التحرر من القيود التي تعوق المرء عن بلوغ الغبطة القصوى، وفي الوقت نفسه تشهد الطقوس بأن الأخلاق السائدة تمنع

---

(١) هذه الطقوس كلها تبدأ بحرف الميم ولهذا تسمى بالميات الخمسة وهي على التوالى Madya أي الخمر و Matsya أي السمك ومسا (اللحوم) Mamasa ثم الحبوب Madia واخيرا العملية الجنسية Maithuna (المترجم).

(٢) الأتباع اليساريون هم الذين ينظمون عبادتهم عن طريق طقوس سرية بعيدة عن الأخلاق. أما الأتباع اليمينيون فهم الذين ينظمون عبادتهم التى تتركز في تقديس الآلهة والحياة والصحة (المترجم).

بقـوة أشياء مثل : الخمـر، وتنـاول أكل اللحوم وكـذلك الممارسـات الجنسية خـارج الزواج الشرعي.

٢٨ - فيشنو Vishnu

إن فيشنو بصفـة عامـة على خلاف شيفـا وشاكتي اللـذين نجد فيهما بـاستمرار وجها مرعبا للإلـه - هو الإله المحسن على الدوام، وهو أشبه بأبوللـو بالنسبة لشيفا أو ديونسيوس وهذا يتناسب مع إله ذى أصول شمسية.

وهنـاك إشارات قـليلة في « الـريج فيدا» إلى تـدبير فشنـو للكون ، لكن هنـاك نسخة كـاملة ذات شكل آخـر للحكايـة موجـودة في برهمانـا شاتـابات Shatapath Brahmana.

ولقد وافق الاشوراز Asuras على إعطاء أعدائهم من الديفاز Devas مساحة من الأرض لتقـديم القـرابين عليها شريطـة أن لا تـزيـد عن المسـاحة التي يغطيهـا قـزم بجسمـه، واختار الآلهة فشنـو الـذي رقد وانتفخ حتـى أصبح يُـغطى الأرض كلهـا وبذلك نقلها إلى حوزة الديفاز Devas.

بعـد بدايـات متـواضعة إلى حـد مـا ، احتال فشنـو لينمـو قوامـه حتى يضم في شخصه عبـادة العديد من الآلهة المختلفة وتعـرّف عليه ملايين كثيرة في الهند بـوصفه الإلـه الأعظم ، وتبعا للمأثورات الشعبية الهنديـة الكلاسيكية فإن فشنو يرقد نائما في الميـاة الأولى فـوق لفـات أفعى الكـوبـرا ذات الألف رأس . ومن سرتـه تنمـو زهـرة «لـوتس» حاملـة براهما الـذي خلق العالم ، وهنـا يتجسد فشنـو في شخص الخالق «نارايـانا Narayana»وقد اندرجت تحتـه آلهة أخرى بوصفها (أفـاتارا) أو تجسيدات أرضية له .

وتبعاً لنظرية الأفاتارا Avatara (تجسد الآلهة) فإن الإلـه فشنوا اتخذ شكلا أرضيا لكى ينقذ العـالم عندما هددت قـوى الشر بتدميره . ويمكن بصفة عامـة أن نتعرف على عشرة تجسدات هى :

١- السمكة Matsya التي أنقذت مانو Manu (أو الإنسان الأول) والحكماء ،

والفيدا من الطوفان العظيم .

٢ـ السلحفاة Kurma التي ركب الآلهة فوق ظهرها واستولوا على قمة جبل مندارا Mandara ، ومن هناك مخضوا محيط اللبن كيما يستردوا «طعام الآلهة » الـذي فقدوه في الطوفان .

٣- الخنزير البري Varaha الذي قتل «هيرانيكاشا Hiranyaksha وأنقذ الأرض من المحيط الكوني الذي ألقاها فيه الشيطان .

٤ - الإنسـان الأسـد Narasimha فالشيطان «هيرانيكـاشايبو» نال بـركة إلـهية تجعلـه لا يُـقتل في داخل البيت أو خـارجه أثنـاء النهار أو الليل لا بـواسطة إلـه ولا إنسـان ولا وحش. واندفع فيشنـو من عمود في قصر الشيطـان على صورة الإنسـان الأسد في الغسق عندما لم يكن ثمة نهار أو ليل وقتل الشيطان على عتبة القصر .

٥ - القـزم Vamana وهو صورة مختلفة من حكايـة الفيدا، إذ يظهر القزم أمام الشيطان بـالي Bali وُيمنح بركة عبور أى مكـان في ثلاث خطوات واسعة ، فهو في خطوتين يغطى الأرض والهواء والسماء . وكرما منه أحجـم عن أن يخطو الخطوة الثالثة إلي عالم الموتى ، وتركه للشيطان بالي .

٦- راما صاحب الفأس (أو بـارشو راما Parashu Rama) الـذي نظف أرض الكشـاتريـة Kshatriyas إحدى وعشريـن مرة على التوالي دفـاعا عـن البراهمة ضد النهب الملكي .

٧ - راما ، ملك أيـوذيا Ayodha بطل الرامايانا الـذي قتل الشيطان رافانا Ra-vana الذي يقطن سري لانكا .

٨ - كرشنا (انظر فيما بعد) .

٩ - بـوذا Buddha ، وربما أضيف إلي هـذه التجسدات لكي يجذب العنـاصر المارقة إلى المذهب الفشنوي .

١٠ - كالكين Kalkin وهو يجسد المستقبل ، وقد وصف في صور مختلفة على أنه حصان ، أو إنسان برأس حصان ، وإنسـان يمتطى صهوة حصان أبيض ، في يده

سيف ملتهب ، وسوف يحكم الأرض بالعدل، ويستعيد العصر الذهبي .

وهذه الشخصيات ليس لها أتباع اليوم فيما عدا، راما ، وكرشنا ، وبوذا . ولم تظهر عبادة راما إلا في عصر الفتوحات الإسلامية . وهو يمثل في «ملحمة الرامايانا ، الفروسية الكشائرية والبطولة ، أما زوجته الملكة سيتا Sita فتمثل العفة والوفاء ، وقد رفعت إلى أعلى مكان ولكنها لم تؤله بعد . هذا إلى أن كرشنا من ناحية أخرى كان موضوع عبادة مبكرة .

٢٩ - كرشنا Krishna

ابتهج كرشنا وهو طفل بالفكاهات الماجنة ، وأدهش الكبار بها حققه من معجزات كثيرة . أما وهو في سن البلوغ فقد كان راعيا للبقر ولهان يعزف على الناى، ويدعو زوجات وبنات المنطقة ليعبث معهن لا سيما «راذا Radha» محبوبته [١] . فلما بلغ مبلغ الرجال أصبح بطلا يذبح خاله أو ابن خاله الملك كمشا Kamsa[٢] ملك ماتورا Mathura كما تنبأت النبوءة التي قالت أن كمشا أمر بذبح الأبرياء يوم مولد كرشنا، ولقد حكم كرشنا ماتورا بعض الوقت ، لكن التقلبات السياسية أجبرته على أن يقود أتباعه من اليادفا Yadava إلي دفارجا Dvaraka على الساحل الغربي حيث تزوج روكمين Rukmini وأقام مملكته ، ولكن المملكة انهارت بعد قليل بسبب عداء مستحكم بين أسرتين ، وقتل ابنه ومات كرشنا نفسه عندما أخطأ صياد كان يهيم حزينا في الغابة وحسبة غزالا فرماه في الكعب ، وهو المكان الوحيد الذي يسهل منه إصابته في مقتل .

وتتألف قصة كرشنا من عناصر أضيفت إلى القصة الرئيسية في عصور مختلفة . ومن مصادر متنوعة . واسمه نفسه يعنى « الظلام أو «السواد » ويوحي بإله بطل للسكان الهنود الأصليين المائلين إلى السواد ، ومجموعات قبلية مختلفة ومتميزة تربطه في الحكاية التي تروى عنه . ويظهر كرشنا في البداية كبطل وقاتل لـ «كمشا

(١) تروي القصة أن الشاب كرشنا راح يغازل فتاة بكرا تحلب اللبن من بقرة، ثم وقع في حبها وهذه الفتاة هى راذا (المترجم).

(٢) كان كمشا ملكا ظالما يقتل كل طفل ذكر وفقا لما تقوله النبوءة (المترجم).

Kamsa» ومغامراته الشهوانية مع الجوبي Gopis أو «راعيات البقر» تلعب دورا هاما في الأسطورة وفي الأدب الديني في العصور الوسطى فحسب ، أما كموضوع للعبادة فلم يولد الطفل كرشنا إلا بعد أن تحدد نضجه وبلوغه .

ويظهر كرشنا في ملحمة « المهاباراتـا » كسائق لعربة أرجونا Arjuna في الصراع بين الأخوة . وفي اليوم الأول من المعركة يرفض أرجونـا - عندما يرى عددا من أقاربه بين صفوف الأعـداء - أن يقاتل أو أن يقترف خطيئـة قتل الأخـوة ، بالغا مـا بلغت عـدالة القضيـة . وحواره مع كـرشنا الـذي اقتنع خـلاله بـوجوب القتـال يسمى بها جـافاجيتـا Bhagavad Gita (وهي تعنى على وجه التقـريب «أنشودة (المبارك» ، وهي من أوسع الآداب الكلاسيكية انتشاراً عند الهندوس ، وأوفرها نصيباً من الرعاية والاعزاز[1] .

٣٠ - ورطة أرجونا :

نشأت حيرة أرجونا ، باختصار شـديد ، من السؤال عن دارما Dharma (وهـي الاستقامة ، الدين ، القانون ، الواجب) الذي يأمره بوصفه محارباً أن يقاتل ، ولكن يمنعه بوصفه قريباً أن يقتل ذوي قرباه أو عدوه كورفاس Kauravas . وحل الأزمة من زاويتين : فمن ناحيـة يذكره كـرشنا أن من واجبه المقـدس بوصفه أحـد المقاتلين الكشـاتريـة أن يقـاتل دفاعـا عن الخير ، وأنـه من الأفضل في الواقع أن يـؤدى المرء واجبه الخاص تجاه الطبقة التي ينتمى إليهـا ووضعه في الحياة ، حتى ولو كـان متديناً ، بدلا من أن يـؤدى الواجب نحـو الآخرين ، بـالغا مـا بلغت قيمته ، ومن نـاحية أخرى بالنسبة لقتل الأقارب ، أشار كرشنا إلى أن الروح Atman لا تقتل أبداً ، وإنما تطرح الجسد بالموت وتتخـذ جسداً جديداً في ميلاد تلو ميـلاد . وتحمل الفكرتان معا نظام الطبقـة المغلقة نوعـا من الالتزام الـديني ، وتجعلان من تأديـة الطبقة لوظـائفها وأعـرافها واجبـاً دينيـاً . لكن هناك مضـامين أبعـد من ذلك : ألم يكن من الأفضل لأرجونا أن يطـرح سلاحه ، وأن يترك المجتمع وواجباتـه ويسعى لبلوغ الخلاص بأن

(١) يقول «ديورانت» إنها بمثابة العهد الجديد في الهند (وأن الهنود) يبجلونها بعد كتب الفيدا نفسها ثم يستعملونها لحلـف الإيمان في المحاكم كما يستعمل الإنجيل والقـرآن . قصة الحضـارة جـ٣ ص٢٩٨ (المترجم) .

يحيا حياة الناسك في زهد وسكينة ؟ ومادام الفعل يقود إلى التناسخ Karma ، فيبدو أن تجنب الفعل هو السبيل الأوفق ، ويعلن كرشنا أن هذا صحيح : فأولئك الذين يسعون إلى الخلاص من خلال أفعال تقديم القرابين الفيدية يواصلون التناسخ ، بينما يتفوق عليهم أولئك الـذين يسعـون إلى التحـرر عن طـريق التأمـل الـزاهـد ونبـذ الفعل.

إلى هذا الحد تكون الحجة يوبانشادية ، لكننا لو فحصناها عن كثب لوجدنا أن النـاسك يخدع نفسه لـو تصور أنـه قد تـوقف عن كل فعل (إذا لابـد له أن يـواصل التنفس والأكل . . . إلخ) وعلى ذلك فـالامتناع الكـامل عن كل فعل لا يمكن أن يتحقق، ومع ذلك يمكـن تجنـب نتائـج الفعل التي تُـحدث التناسخ المتعاقب عن طريق التخلي عن ثمار الفعل ، وذلك بأداء الواجب بنـزاهة ، لأن الرغبة لا الفعل في حد ذاته Per Seهي الفاعل الذي يربط الروح بهذا العالم الوهمي الفاني. وهكذا فإن رب البيت ليس بحاجة إلى أن يصبح زاهـداً ليبلغ درجة التحرر من Samsara(أي دورة الكون والفساد» ، بل انـه بحاجة فقط إلى نبذ ثمار الفعل ، والقيـام بواجبه دون أن يبالي بالنتيجة سواء كانت سارة أو ضارة.

تلك هي التعاليم الـرئيسية «للجيتا Gita» ، والاجابـة علي حيرة أرجونـا. ولكن هنـاك تعليم أخرى اتفقت إضـافتها إلى مـا سبق ، وهي بالغـة الأهمية : إنها تعـاليم بختـــي Bhakti(أو محبة اللـه)، فمن يعبد الإلّـه كرشنـا بروحه كله هـو الناسك الأعظم، وأولئك الذين يتأملونه عند الموت يتحـدون معه بحيث لا يكون ثمة تناسخ إذا ما وهب الإنسـان قلبه كلـه لله ، بل إن الإنسان الشريـر إذا ما عبـد الإله يصبح مقدساً ، وحتى النساء من الفيزيا أو الفايشيا Vaishyas (١) والشودرا Shudra (٢) يبلغن الخلاص إذا لجأن إلى الله.

٣١ - الحركة الفشتاوية :

إن ديانة التفاني والمودة هذه التي جذبت إليهـا النساء وأعضاء الطبقات الدنيا ،

(١) طبقة الزراع والتجار (المترجم).
(٢) طبقة الخدم (المترجم).

قد أعلن عنها لأول مرة في الجيتا Gita، ثم كان لها دور طويل ومثمر في تاريخ الهند ومن الأمور التي لها مغزاها أن قديسي فشنوفي «تاميل نادو» من القرن السابع حتى القرن الثاني عشر (الألفار Alvars الاثنى عشر) قد دخل في صفوفهم أعضاء الطوائف الدنيا، وأنهم كتبوا شعرا صوفيا في تمجيد الإله باللغة العامية ، وهي ظاهرة تكررت في شمال الهند تحت حكم سلطنة دلهي والمغول القدامى .

أعطى «رامانوجا Ramanuja لحركة «بختى فشنو» في جنوب الهند في القرن الحادي عشر أساسها النظري، وقد ذهب المذهب الواحدي لشنكارا العظيم ، الذي تبلور في تراث «اليوبانشاد» ، إلى أن الروح متحدة في هوية واحدة مع براهمان غير المشخص ، وأن العالم هو خدعة أو وهم براهما ، ولا يكون واقعيا إلا بالمعنى العملي المشروط . ولم تترك هذه الفلسفة المهيبة أدنى مجال للبختى (محبة الله) إذ أن الروح العظيم عندها ليست مشخصة ولا موضوعا للحب أو التفاني . والروح الفردية جزء منها ، بحيث أن معرفة هذه الهوية، لا محبة الله ، كان في نظرها وسيلة الخلاص . وقد رجع راماجونا إلى تراث اليوبانشاد ووجد تبريرا للواحدية المشروطة (الفيششتادفينا) التي يكون عندها الروح الأعظم إلها شخصيا محبوباً صدرت عنه المادة والفرد ، وإن بقى متميزا عنهما ويعود المرء من خلال (بختي - أو محبة الله) إلى كنف الله ، ومع ذلك تحتفظ الروح بهويتها المنفصلة .

ويضفى «رامانوجا» على « البختى» سمات برهمية بأن يحصر ممارستها العملية فيمن ولد مرتين من الطبقات الثلاث كتتويج لمعرفة طقوس الفيدا والفلسفة الفيدانتية . لكنه يضيف طريقة جديدة مفتوحة للجميع ، وهي طريقة براباتي Par-apatti أي إلقاء المرء بنفسه تماما بين يدى الله أو التسليم الكامل لإرادة الله . وقد انقسم أتباع «راماتوجا» حول مسألة طبيعة التسليم ، وشكلوا من أنفسهم جماعتين : مدرسة الشمال التي تقول إننا نبلغ الخلاص إذا ماتشبهنا بالقردة التى تحمل صغارها ملتصقة ببطنها ، أعنى أن على الفرد أن يبذل شيئاً من الجهد لينال الفضل الإلـهي أو النعمة الإلـهية . واستخدمت مدرسة الجنوب التشبّه بالقطة التي تحمل صغارها من رقابها ، أعنى أن الفضل الإلهي لا يحتاج إلى جهد بشري .

وقد سار مادهفا Madhva وهو برهمي من القرن الثالث عشر ، باللاهوت الفشنوي صراحـة إلى الثنائيـة Dvita فقد ذهب إلى أن فشنو ، الأرواح الفـردية والعالم المادي متمايزان إلى الأبد ، فالأخير يعتمد إعتماداً تامـا على إرادة فشنو، والرب ينقذ من يشاء وأن كان لا ينقذ إلا الأنقياء فحسب. أمـا الإنسان العادي فمصيره إلى التناسخ بغير تـوقف، والأشرار بطبيعتهم مصيرهـم إلى الظـلام الخارجي ، ولا يستبعـد التأثير المسيحي في نظريات مهاديفا.

وتسمى الفرق الفيشنية المبكرة، التي نسمع عنها بهجافات Bhagavates وأقدم ما نعرفه عنها من نقوش هو الموجود على عمود مرتفع يعلوه جارودا Garuda الطائر الغامض الذي ركبه فشنو ودونه رجل يوناني من أتبـــاع هذه الفرقة اسمه هليودورس Heliodorusوهو سفير مملكة الهنداليـونانية « تكسيلا Taxila لدى الملك شـونجا Shunga في شمال الهند في أواخر القرن الثاني قبل الميـلاد ويبدو أن أتباع هذه الفرقة عبدوا فاسـود ايفا Vasudeva (كرشنا) وأخاه سنكـارشانا Sankarshama ، وابنـه بـراديما Pradyumma وحفيـده «أمـورذا Amurudha» بوصفهم آلهة صـدرت عن فشنو. وعلى أية حـال فنظرية الصدور هذه بوصفهـا أقانيم للعقل والروح . . إلخ . كانت السمة التي تميـز بها مذهب بنشارتا Pancharatru الذى اتخذ منه «رامـاجونا» نقطة الانطلاق.

٣٢ - آلهة أخرى :

هناك آلهة أخـرى لها عبادات خاصة ، أو كـان لها عبادات خاصـة ، مثل براهما Brahma الخالق (الذي يتميز عن براهمان Brahman المطلق غير المشخص) الذي كانت له معابد ، لبعض الوقت ، أنشئت لتكريمه ، وأشرفت زوجته سارسفاتي Sa-rasvati على الموسيقى والكلام وعبـدها الموسيقيون والكتاب والطلاب الـذين يؤدون الامتحانات . وكان الإلـه سيريا Surya أو الشمس يُـعبد لبعض الوقت علي نطاق واسـع في غرب الهند ويقـوم على خدمته . «ماجـــــا- براهمين Maga-Brahmins (المجـوس البراهة) الـذين يجب الـربط بينهم وبين مجوس فـارس. أما ابن «شيفـا» واسمه «جانشا» Gansha» وله رأس فيل ، فهو رب العقبات الذى يصلى له الناس

في بداية أى مشروع ، أو قبل القيام بطقوس دينية ، على الرغم من أنه لم تكن له عبادة خاصة . وهناك ابن آخر لشيفا هو «سكندا Skandu» (كراتيكايا سوبراهمانيا) وكان محبوبا إلى أقصى حد عند التاميل Tamilnad«حيث اتحد مع الإلّه موروهان Muruhan» أحد آلهة الفترة السابقة على وجود الآربيين. أما لاكشمي Lakshmi زوجة فشنو فهي ربة الحظ وهي شخصية شعبية محبوبة ، رغم أنها بغير عبادة خاصة. وأما هانومان Hanuman الإلّه القرد مساعد راما ، فهو الروح الحارس الذي يعبده القرويون على نطاق واسع ، ولهذا كانت للقردة حماية واسعة في الهند بوصفها ممثلة لهذا الإلّه.

٣٣- هندوسية العصر الوسيط :

في القرن الثامن الميلادي ، أو القرن الثاني الهجري - امتدت السيطرة العربية حتى وادى نهر السند ونجحت في إقامة منطقة صغيرة مستقلة [(١)] وفي القرن الحادي عشر الميلادي، القرن الرابع الهجري ،عادت الفتوحات الإسلامية بقيادة الأتراك الأسيويين في وسط آسيا، الذين أسسوا ، بقيادة عبد عسكري (أي مملوك) هو قطب الدين أيبك ، سلطنة لهم في دلهي عام ١٢٠٦ [(٢)] . ومع بداية القرن الخامس عشر كانت السلطنة ، قد وضعت معظم جنوب شبه القارة تحت سيطرتها ، وسرعان ما انفصل حكام المقاطعات ، وأصبحوا قوة مستقلة . وفي القرن السادس عشر أذعنت سلطنة دلهى لحكم صفوة أخرى من العسكريين الأتراك في وسط آسيا هم المغول.

وقفت الهند ، لأول مرة في مواجهة غاز لا تستطيع أن تتمثله ، فحكامه وطاقمه الإداري الفارسي قد انتهوا إلى تراث خاص بهم ناضج من الناحيتين الثقافية والدينية، كما أنهم أغلقوا على أنفسهم مدنا ذات أسوار عالية ، وكان اتصالهم الوحيد بالهندوس- باستثناء حالات قليلة جداً - وملحوظة - من خلال جهاز تحصيل

(١) كانت أول هجمات المسلمين على ملطان غرب البنجاب عام ٦٦٤م ثم قاموا بغارات مختلفة على مدى القرون الثلاثة التالية حتى انتهى بهم الأمر إلى توطيد سلطانهم في وادى نهر السند. على أن الفتح الإسلامي الحقيقى لم يقع إلا بعد نهاية الألف الأولى من التاريخ الميلادى. (المترجم).

(٢) لعله يقصد محمود الغزنوى سلطان وادى غزنة التى تقع في الجزء الشرقي من أفغانستان وقد غزا الهند عام ٩٩٧م ثم قامت قبيلة تركية من الأفغان عام ١١٨٦ بغزو الهند والاستيلاء على دلهي بقيادة السلطان قطب الدين أيبك (المترجم).

إيرادات الدولـة ، وهو جهاز بقيت مستوياتـه الدنيا في يد أبنـاء البلد ، وكذلك من خلال القمع العسكـري للعصيان أو التمرد الذي قد يعني رفـض الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ، أو العجـز عن دفعها أو المطالبة بتخفيفهـا . والواقع أن أي تكهن بتبادل مثمـر للأفكار قد أصيب بـالإحباط ، وربما عملت المفاهيم الدينيـة الأجنبية نفسهـا للإسـلام السني على زيادة عـزلـة الحاكم عن المحكومين التي فـرضوهـا على أنفسهم . ومع الأيام اعتنق الإسلام أكثر من خمس سكان شبة القارة وهو أمر لايجوز إرجاعه إلى المؤسسة الرهيبة في سلطنة دلهي ، فالحكام المسلمون لم يفكروا قط في وضع خطة لتحـويل عقيدة السكان إلى الإسـلام ، ولم يهتموا بتشجيعـه ، رغم أنهم أعطوا أنفسهم مـا يبرر تخريب المعـابد وقمع التمـرد بحجـة تحطيم الأوثـان القديمـة ونشر العقيدة الإسلامية .

ولابـد أن يكون التحـول إلى الدين الجديـد قد جـاء من مصدر آخـر مختلف أتمَّ الاختلاف ، وأعنى به صوفيـة فارس أو الشيوخ الذين جابوا الـريف مبشرين بديانة الحب الصوفي للـه ، وللبشر ، وأقاموا صـوامع (أوخلوات) مفتوحـة لجميع طبقات المجتمع للعبـادة الجماعيـة والتأمل الصـوفي . ولقـد ضربت الصـوفيـة على كثير من الأوتـار الحساسـة عنـد الهنـدوسية ، لا سيما حـركـة بختي (محبة اللـه) في مـذهب الفشنية : على ضرورة وجـــود مرشـد (بير – جورو Pir- guru أو الشيـخ – المعلـم الـروحي) [1] والانصياع له ، والاقتراب من اللـه عن طريق الحب والاعتماد على النعمة الإلـهية ، وأهميـة الاستغراق في التأمل ، ومراحل الطريـق للاتحاد مع الله . وفي الأماكن التـي لم يتم فيها التحول الـديني (إلي الدين الجديـد وهو الإسـلام) أثَّـر شيوع الأفكار الإسلامية ورواجها بقوة في الفكر الهندوسي من خلال الصوفية .

٣٤- الاتجاة نحو الوحدانية :

في استطاعتك أن تجد شعراً مسهبا لقديسى «بختي الفشنوين » في هذه الفترة بين أقدم الآداب الشعبيـة في اللغة القوميـة لشمال الهند ، فقد أنضجـوا اتجاهات التراث

(١) يستخدم المؤلف هنـا لفظ Pirs وهي كلمة فارسية معناهـا مشايخ الطرق، انظر المعجم الفارسي السابق (المترجم) .

الهندوسي في المناخ الديني الذي أوجده الإسلام ، ولهذا نجد أن كثيرين منهم يهاجمون الأوثان بصراحة ، كما يهاجمون العقوبات الدينية الموجودة في نظام الطوائف المغلقة ، وفاعلية الطقوس الدينية أيا كان نوعها . ولقد كان عدد كبير من هؤلاء القديسين متواضعين من الناحية الاجتماعية كما أن تعلميهم كان بسيطاً ، وكانت أداة التعبير عندهم هي الشعر لا الفلسفة النسقية أو المنهجية وكانت ديانتهم هي البختى (محبة الله) (وليس الغنوص Gnosis ، فاتجهوا إلى الوحدانية ، وإلى الإله الشخصي ، لا إلى المطلق غير المشخص ، يحدوهم الأمل في الاتحاد بالله وليس مجرد الاستغراق في الألوهية .

وكان رامانندا Ramanda في القرن الرابع عشر شخصية نموذجية لهذه التطورات . ورغم أنه برهمي فقد تحول في شمال الهند ليعظ هناك باللغة القومية كل أنواع البشر وفي كل الأوضاع ، وكانت فكرة الموائد المشتركة والعبادات المشتركة بين أتباعه من جميع الطوائف مبتكرة وجرئية . ونحن نجد بين القوائم التقليدية لتلاميذه أسماء حلاّق هو «راجبوت Rajput» وآخر صانع جلود ، وامرأة ، ونساج مسلم ، وهذا الأخير اسمه «كابير Kabir» وقد ازدهر في القرن الخامس عشر في الأيام الأخيرة من عصر سلطنة دلهي . ويُستبعد أن يكون الاثنان متعاصرين ، أما تعاليم كابير، فقد عبر عنها صاحبها في أبيات قوية من الشعر الهندوسي ، وكان لها تأثير كبير، وظلت باقية بين أشياء أخرى محفوظة في كتب السيخ المقدسة وهي الفرقة التي أسسها ناناك Nanak الذي كان شابا يعيش في تلك الفترة ، والداديوبتبز Dadupunthis وهى فرقة هندوسية كان زعيمها دادو Dadu منظف قطن مسلم من جوجارات Gujarat في القرن السادس عشر.

لقد وجه كابير انتقادات بالغة العنف للوثنية ، وللطقوس الدينية للبراهمة ، كما انتقد مميزات المولد (في نظام الطبقات)- وذلك كله يعكس الجانب الإسلامي من تعاليمه ، ولقد أمدته الهندوسية بخلفية أفكاره ومعالمها البارزة ، كما أن ديانة القلب ضمت الاثنين . ويروى عنه أن أتباعه من الهندوس والمسلمين اعتركوا حول جسده بعد موته وتنازعوا الرأى : أيدفن ذلك الجسد أو يحرق ؟ وبينما هم في تنازعهم ذاك رفع أحد الحاضرين الغطاء عن الجثة فاذا بهم لا يرون تحته إلا كومة من الزهور

تقاسمها الفريقان، فأحرق الهندوس نصيبهم من ذلك الزهر ، ودفن المسلمون نصيبهم . وبقيت حتى اليوم مؤسسات إسلامية وهندوسية تحيي ذكرى «كابير»، أما شعره فهو تراث مشاع بين هنود الشمال ، يتخطى الحدود الضيقة للفرق التي ظهرت بعد وفاته . ولقد كان «تلسيداس Tulsidas» في القرن السادس عشر شخصية أخرى بارزة بين الذين يعبدون راما Rama وصياغته «للرمايانا» تشغل مكانة مركزية في أدب الأوراد الهندوسي .

٣٥ - مراهقة كرشنا :

وبجانب عبادة راما التي ظهرت لأول مرة في ذلك الوقت تطورت العبادة العتيقة لكرشنا في اتجاهات جديدة، وطوّقت العبادتان معاً «الفيشناوين Vaishnava [1] في شمال الهند . كان العنصر المشترك بينهما هو الميل إلى تفضيل عبادة الإلّـه الأعظم على تجسيد فشنو الذي لم يعد يذكر إلا نادرا . وخلال هذا العصر احتلت مراهقة كرشنا ومداعباته الغرامية مع حالبة البقر ، ومع راذا Radha بصفة خاصة ، مركز الصدارة وفي منطقة «فرندا فانا Vrindavana » (بريندابان Brindaban) قرب مدينة «مأثورة »التي كانت مسرحا لطفولة كرشنا ومغامراته الغرامية، تلقى أحد البراهمة في أواخر القرن الخامس عشر ، وأوائل القرن السادس عشر ، أمرا آلـهيا من كرشنا يوجهه إلى إقامة ضريح ، وأن يجمع تجسيدات رفاق كرشنا في أيامه الأخيرة لعله يلعب معهم مرة أخرى ، وتقوم مدرسة «فالابها Vallabha »[2] بتدريس الفكرة القائلة أن أعلى صور «البختي» هي صور لا إرادية ،وهي تأتي من الله مباشرة . ويتجمع أكثر أعضاء الجماعة تقدماً لكي يعيدوا مرة أخرى ألعاب كرشنا . وأتباع «فالا بها» الآن في غرب الهند هم المعلمون الروحيون للفرقة ، ولهم سيطرة كبيرة على جمهور المؤمنين .

توطدّت عبادة كرشنا بسرعة كبيرة في شرق الهند خصوصا في البنغال ، وأحد

---

(١) طائفة الفيشناقا معبودها الأعلى «فشنو» وبعض أتباعها يجدشبها بين التجربة البشرية والعشق البشري (المترجم) .

(٢) «فلابها» من شراح الفيدا، عاش في القرن السادس عشر، وقد جمع حوله عددا كبيرا من التلاميذ فكوّن مدرسة، ثم تولى ابنه فيتهال هذه المدرسة من بعده (المترجم) .

الأعمال الأدبية للكرشنيين ومن أكثرها رقة هو جيتا جوفيندا Gitagovinda الذي كتبه باللغة السنسكريتية شاعر القرن الثاني عشر «جياديف Jayadeva» ولا يزال أسلوب نظم التراتيل عند شعراء البنغال والميثال اللاحقين هو أساس الغناء الديني عند أتباع «فشنا» . اما كيتانيا Chaitanya» - وقد كان معاصرا لـ «فلابها» فهو نموذج للقديس راعي مذهب فيشنا البنغالي ، وينظر إليه أتباعه- على أنه تجسيد لـ «كرشنا» . مثله في ذلك مثل «فلابها» . ولقد كان المظهر الرئيسي الذي ساد حياته هو جلسات الإنشاد التي كان يعقدها والتي جذب من خلالها الأتباع له ولعبادة كرشنا .

٣٦ - الاتحاد بالله :

تستخدم آداب رادها - كرشنا تعبيرات مجازية شهوانية لشرح علاقة البشر بالله ، ولتشجع «البختي» (محبة الله) بطريقة الأسرار الصوفية ونشيد الإنشاد في الكتاب المقدس ، فها هنا تكون الروح مؤنثه في علاقتها بالله الذي تشتاق إليه ، وهي تصف ألم الانفصال عن المحبوب وغبطتها بالاتحاد معه ، ويركز «كيتانيا» وأتباعه على الانفصال والأمل في الاتحاد ، وهكذا يظل التعبير المجازي مجرب مجاز فحسب . وهناك فرقة أخرى أصغر هي «السهاجيا Sahajiyas تذهب إلى أن غبطة الاتحاد بالله يمر بها المرء خلال الممارسات الشهوانية ، وربما تأثرت في هذا بالتنترية Tantaric وجاءت موازية لحركة «فلابها» . اما في «المهارشترا Maharashtra » فتسود عبادة فيتوبا Vithoba(أو عبادة فشنو - كرشنا) وزوجته «روكمينى Rukmini) ونادرا ما نسمع عن عشيقته راذا . ومؤسس هذه العبادة وهو جيننشفارا Jna-neshvara وخليفتاه نامديف Namdev في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، و«توكارام Tukarm»[١] . في القرن السابع عشر ، هم أعظم قديسي بختي (محبة الله) المارثيين العظام .

ولقد كان قديسو «ماراثا» كغيرهم من القديسين في ذلك العصر ، يذهبون إلى أن التجربة العليا متاحة لأى إنسان بغض النظر عن طبقته ، وأن الخطاة الذين تابوا

(١) كان توكارام من الصوفيين المارثيين الذين يكتبون باللغة العامية (المترجم) .

وأحبوا اللـه يطهرون أسرهـم جميعاً ، وأن بختي (محبـة الله) وحدهـا هي الطريق إلى الخلاص . ولقد كتب هـؤلاء القديسـون كذلك ، كغيرهـم في ذلك العصر ، أنـاشيد دينية فائقة القوة ورائعة الجمال ، وقـد ظلت أساساً للإنشاد الديني في منطقتهم حتى يومنا الراهن .

ومع تطـور العصر المغـولي انقضـت الفترة الخلاّقـة «البختي» في شمال الهنـد ، وبحلول القـرن الثامن عشر انتهى الإصلاح والتجديـد تماما . ولكن في الفترة الأولى من حكم المغول دخلت الهند صور من وحدة الوجود الصوفية جديدة وجريئة . وفي حكم الإمبراطـور العظيم أكبر (١٥٥٦-١٦٠٥)(١) ، لا سيما في تعاليـم حفيده داراشيكـــو Dara Shikoh بلغ الاتجاه إلى دمج الصـوفيـة الإسـلاميـة في البختي الهندوسي ، بل مع الغنوصية اليوبانشادية حدّة الأقصى ، فنبه ذلك المسلمين السنة وحـذرهم تحذيـرا شـديـدا . وتمثل رد الفعل عنـد خلفـائه مـن الأبـاطـرة ، لا سيما «أورنجزيب» (١٦٥٨-١٧٠٧) (٢) ، في سيطرة جماعة العلماء Ulama(وهـم مجموعة من الباحثين يمكن أن نصفهم بأنهم أسـاتذة الشريعة) الـذين أصبحت لهم الكلمة على نحـو لم يحدث أبدا في الماضي . أمـا في الجانب الهندوسي ، فإن القـديسيين من شعراء « البختي» جمعوا أتباعا لهم تحولوا تلقـائيا إلى تكوين فرق وأصبحوا ، مع مرور الوقت ، طوائف مغلقـة ولا يدهشنا أن يحدث ذلك ، لأنه مـا أن يضيف أتباع أحد القـديسيين العشاء المشترك إلى العبـادة الشعبية ، وتـرتيل الأناشيـد الدينيـة ، حتى يصبحـوا عرضـة للطرد من قبل زمـلائهم في الطبقة ، وهـم يضطـرون إلى البحث بين أعضاء آخرين في فرقهم عن أزواج لبنـاتهم ، وما أن تنعقد موائد العشاء المشترك ، . ويتم الزواج المشترك حتى يصبح الفـارق بين الفرقة والطبقـة بسيطا للغايـة . وهكذا أحبط المجتمع الهنـدوسي بوجـه عام إمكـان القيام بـاصلاح اجتماعي داخل الفـرق

(١) إمبراطـور المغول الـذي حكم الهنـد من ١٠٥٥ ــ ١٦٠٥م واسمه الأصلي جـلال الـدين ولقب بالأكبر لما قام بـه من جلائل الأعمال ، لكنه كان مستبدا شـديد القسوة ، أمكنه شن حـروب متواصلة لتوسيـع رقعة إمبراطـوريته . وكـان أكبر أميا لكن بـلاطه كـان مقصد العلماء ورجـال الأدب والفنون (المترجم) .

(٢) إمبراطـور المغول (١٦١٨ ــ ١٧٠٧) والتاريـخ الذي يـذكره المؤلف هـو فترة حكمـه . كان محبـا للاطـلاع والعلم . وتشدد في إقامـة العدالة بين رعيتـه والتمسك بأهداب الإسـلام . كان عصره أزهى عهود الأباطرة المغول في الهند (المترجم) .

الـدينية ، كما أحبطت هـذه الفـرق نفسهـا التعاليم المعـارضـة للطقـوس الدينيـة ، والمعارضـة للمعتقدات الـوثنية التي قـال بها مؤسسـوها القـديسيون وذلك بتطـوير طقوس دينية متميزة تجعل من القديس وأتباعه أو كتاباته موضوعا للتوقير.

٣٧ - القومية الهندوسية :

في عصر «أورنجزيب» رفع أمير من مارثا Maratha اسمه شيفاجي Shivaji (١) لواء الـدفاع عن الـدين والوطن ضـد حكام الهنـد المسلمين . وأنشأ دولة «مـارثا» في هضبة الدكن وسرعان مـا فتت هذه الدولة من عضد القوة المغـولية . وهكذا ظهرت القومية المارثية والقومية الهندوسيـة في معارضة الوجود الإسلامي . وعلى الرغم من أن دولـة «مارثـا »أصبحت ، في ظل حكامهـا المتأخرين ، تمثل سيطـرة ماراثـا على غير المارثين سـواء من الهنـدوس أو المسلمين على حد سـواء ، فقـد وضعت سـوابق كثيرة للقومية الهندوسية المتأخرة قبل سقوطها تحت السيطرة البريطانية .

٣٨ - الهندوسية في العصور الحديثة :

كما تطورت الهندوسية في العصر الوسيط مرتبطة بوجود الدين الإسلامي ، وتحت حكم أجنبي ، فقد بزغت الهندوسية الحديثـة ، مع بداية القرن التاسع عشر كرد على وجود البعثات التبشيرية المسيحية ، والحكم الإنجليزي. ولا شك أن الطرق الجديدة في العبادة وبـرامج البعثـات التبشيرية ، وبعض التصـورات اللاهـوتية والأخـلاقية للحـركات الهنـدوسيـة الجديدة ، في القـرن التـاسع عشر ، قـد استوحت النمـوذج المسيحي ، كما سار الاهتمام الاجتماعي المنظم لهذه الحركـات موازيـا للشعور الأوربي والنمـوذج التبشيري . وقد قـدّم المستشرقـون الأوربيـون مصدراً خـارجيـاً للتأثير في استعادة ماضي الهند على قواعد علمية .

كان الجواب الهندوسي على هذه المؤثرات وعلى خطر التهديـد بالتحوّل إلى الديانة المسيحية هـو محاولة تجاهلها على أنحـاء شتى ، والقيام بمحـاولة لإحياء الهنـدوسية

---

(١) المارثيون شعب يقطن في وسط الهند ويتكلم اللغة المارثية أعلن زعيمهم الكبير سيفاجي (١٦٢٧ — ١٦٨٠) استقلالـه عن إمبراطورية المغـول في القرن ١٧ ثم حل المارثيـون مكان إمبراطوريـة المغول بوصفهم القوة التى عقدت لها الزعامة في الهند حتى أخضعتهم بريطانيا عام ١٨١٨ (المترجم).

وبعثها ، أو إصلاحها بطرق تناسب حاجات العصر والنظرة الإنسانية في وقت واحد . والحقيقة البارزة في هندوسية القرن التاسع عشر هي أن الإصلاح الجذري للدين ظهر أولاً ، بينما الحركات التي انتشرت انتشارا واسعاً وكانت أكثر صراحة في الدفاع عن الديانة التقليدية ، ظهرت في النصف الثاني من القرن تحت الضغط المتزايد للتحديث الذي أثر على أعداد متزايده من الهنود . ولعل أعظم أحداث ذلك العصر خطورة هو العصيان الذي حدث عام ١٨٥٧ وكان شعاره «الدين في خطر» . ولقد وقع الدين في القرن العشرين ، وحتى استقلال الهند وباكستان ، بطريقة لا فكاك منها ، في شراك القومية والمشكلات الملتهبة التى تطرحها يوما بعد يوم . وقد ظلت القومية الدينية حية بعد الاستقلال ، وكذلك ثمار الاحتكاك المبكر ، مع الإدارة البريطانية وبعثات التبشير المسيحية وردود الفعل عليها .

٣٩ - رام موهون روي Rammohun Roy :

أطلقت الأجيال المتأخرة على رجارام موهن روى (١٧٧٢ - ١٨٣٣) [(١)] بحق لقب «أب الهند الحديثة » . فقد كان رجلاً مرموقاً ، في عصر رجال مرموقين . درس الفارسية ، والعربية ليكون في خدمة الحكام المغول ، كما واصل الدراسة الدينية باللغة السنسكريتية ، وأتقـــــن اللغة الإنجليزية إتقاناً تاماً أثناء عمله في خدمة شركة الهند الشرقية ، وعندما ظهر اهتمامه بالمسيحية تعلم اللغتين العبرية واليونانية من إرساليات سرامبور Serampore قرب كلكتا .

لم تكن علاقات «رام موهون روى » بالإرساليات ودية على الدوام ، فقد تعاون معهم بعض الوقت في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغتين البنغالية والسنسكريتية . غير أن كتابه مبادىء «يسوع : مرشد للسلام والسعادة» الذي نشره عام ١٨٢٠ وامتدح فيه التعاليم الأخلاقية للمسيح ، قد أغضبهم برفضه لعقيدة التثليث ودفاعه

(١) كلمة Raja تعنى الأمير في الهند ، وكان «رام موهن روى» (١٧٧٤ ـــ ١٨٣٣) أحد المصلحين الدينيين الهندوس ومؤسسى فرقة «براهمو سماج» ولد في البنغال ، ونشر عام ١٧٩٠ كتاب ضد الوثنية وعمل في الخدمة البريطانية (١٨٠٠ — ١٨١٤) ثم استقر في كلكتا عام ١٨١٤ وكرس نفسه للإصلاح الديني فكون جماعة روحية عام ١٨١٦ تطورت فيما بعد عام ١٨٣٠ إلى «براهمو سماج» . لعبت دورا بارزا في إلغاء عادة «سوتي Sutte» عام ١٨٣٠ (دفن الأرملة) ومنحه إمبراطور دلهى لقب راجا أو أمير ثم زار إنجلترا عام ١٨٣١ حيث توفي هناك عام ١٨٣٣ (المترجم) .

عن الهندوسية ، ضد الهجمات الجاهلة وغير اللائقة التي كان يشنها عليها الصحفيون المسيحيون . قدّم «رام موهون روي» دعما قويا للعديد من إجراءات الإصلاح الاجتماعى التي كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالمفاهيم الدينية ، كتحريم عادة دفن الأرملـــــة Sutte ، وإدخال التعليم باللغة الإنجليزية وهما إجراءان تما في حياته ، ويدينان بالكثير لجهوده ، فضلا عن أنه أثر في تنفيذ العديد من الإصلاحات الأخرى التى ألح على المطالبة بها .

وفي عام ١٨٢٨ كوّن رامهون جمعية «براهمو ـ سماج»(١) من مجموعة من مثقفي البنغال كانت تجتمع أسبوعيا لقراءة «اليوبانشاد» وتلاوة المواعظ والأناشيد والتراتيل الدينية ولا تختلف في صورتها عن الخدمات الدينية البروتستانية ، وما كان لهذه الجماعة أن تستمر طويلا بعد وفاة مؤسسها في برستون عام ١٨٣٣ ، لو لم يعد تنظيمها دابندرانات طاغور عام ١٨٤٣(٢) ، وهو ابن أحد الأعضاء الأثرياء المتميزين . ولقد أصبح للجماعة ، تحت قيادته ، طابع «تأليهى» مختلف عن الفرق الأخرى ، كما أسس مدرسة للتبشير «ببراهما» بدأت الآن تجذب أعضاء جددا بأعداد وفيرة . أما تحت القيادة الساحرة لرئيسها الثالث «كيشاب شادراسن Keshab Chadra sen »(٣) فقد وصلت الجماعة إلى الذروة ثم بدأت تنحدر ، ذلك لأن كيشاب راح يبشر عام ١٨٧٩ بشريعة جديدة زعم أنه تلقاها من الله لتتويج الشرائع القديمة لليهودية والمسيحية والإسلام ، وبذلك أحدث انقساما داخل الجماعة .

وفي الوقت الذي تأسست فيه «جمعية براهما» أو براهمو سماج ظهرت حركات مماثلة في الساحل الآخر من المدن الرئيسية في الهند البريطانية ، مدراس وبومباى ، انضم الكثير منها إلى التراث كما بقى اتحادها حيا بعد الانقسام الذي حدث بين صفوف «جماعة الشريعة الجديدة» .

---

(١) معناه الحرفي «جمعية براهما» ، واسمها الكامل هو جمعية المؤمنين ببراهما الروح الأعلى . (المترجم) .

(٢) هو والد الشاعر العظيم رابندرات طاغور (١٨٦١ ـ ١٩٤١) الذي نال جائزة نوبل في الآداب لعام ١٩١٣ (المترجم) .

(٣) كشاب شادرا سن (١٨٣٨ — ١٨٨٤) مصلح دينى هندوسى تعلم في كلكتا وعمل في أحد البنوك في البنغال ثم كرس نفسه للدين والفلسفة من عام ١٨٦١ والتحق بجماعة «براهمو سماج» وأصبح قائدا نشطا له كتب «مرآة الهند» وغيره (المترجم) .

٤٠ ـ أريا سماج Arya Samaj[1]

كانت «أريا سماج» في أصولها وتوجهها أقل نصيبا من الحضارة المدنية من جماعة «براهمو ــ سماج». وقد تأسست هذه الجمعية عام ١٨٧٥ على يد متسول ديني هو «ديننـدا ســارسفتى Dayananda Sarasvati»[2] الذي كـان من أتباع شيفـا منذ ميلاده في «جـوجارت Gujarat» على الجانب الغربي من الهنـد. واتخذ ديننـدا شعارا «العودة إلى الفيـدا»، ويتضمن هـذا الشعار رفض عبـادة الأوثان، ونظـام الطبقات المغلقة الذى كـان مزدهرا في ذلك الوقت. وكان الشعار يستهـدف الإصلاح الدينى فسمح لجميع الطـوائف في المجتمع الهندى بدراسـة الفيدا، وهى التى كـانت حتى ذلك الوقت حكـرا على المولودين مرتين. وفضـلا عن ذلك فقد وقفت هـذه الجمعية في صف التكنولوجيا العلمية لصالح الهند، واستطاعت بتفسير خاص للنصوص أن تعثر على خطـوط السكك الحديديـة والتلغراف في ثنايـا النصوص القـديمة. كما أن الحركة الدينية التي قامت في العصر الحديث لحمايـة البقرة كانت. من ناحية أخرى، مستمدة من «ديننـدا» وإنْ ظلت موضوعا سياسيا قابلا للانفجار. أما الاتجاه السائد في تعاليم «ديننـدا» فهو الإصلاح الدينى للهندوسيـة، والدفاع عنها دفاعا شرسا ضد من يهاجمونها، وتقوية الهند بتزويدها بالتكنـولوجيا الحديثة، ورفض السيطرة الغربية في الفكر والدين والتقاليد، وعلى الأقل ضمنا في السياسة أيضا.

إذا كـان ديننـدا قـد جمع بين التحـديث والتقليد، فـإن راما كـريشنـا برامهمسـا (١٨٣٤ ــ ١٨٨٦) Ramakrishna Paramahamsa كان نموذجـا نمطيا لقديس العصر الوسيط. فهو بنغالى غير متعلـم عاش في معبد الإلّهة كالى Kali في كلكتـا، وكثيرا مـا راح في غيبوبـة خلال تعبـده وتأمله لـلإلّهة. وقد ظل في إحـدى المرات في غيبوبـة لا تنقطع حوالى ستـة أشهر، ولم ينقذه مـن الموت جوعا سـوى رفاقـه الذين

(١) معنـاهـا الحرفي «الجمعيـة الآريـة» وهي جمعيـة إصـلاح دينى أخـرى أسسهـا واحـد من البراهمة (المترجم).

(٢) ديننـد اسار سفتى (١٨١٧ ـ ١٨٨٣) أحد البراهمة، أسس جمعية لإصـلاح الحركة الدينية في ديانة الفيدا عـرفت باسم الجمعية الآرية، وكـانت تعاليمها تتلخص في أن هنـاك ثلاثة جواهـر أزلية هي: الله، والـروح، والمادة، كما تذهب إلى أن الترانيـم الفيدية هـي وحدهـا الكتب المقدسـة الملهمة، كما دعت إلى إصلاح نظام الطوائف ونشر التعليم وإلغاء زواج الأطفال (المترجم).

أدخلوا الطعام في جوفه بالقوة خلال فترات وعيه المحدودة. وقد مرّ بتجارب روحية صوفية سواء كان موضوع تأمله هو الأم الكبرى أوسيتا Sita، أوكرشنا أو محمد أو يسوع ومن هنا ذهب في تعاليمه إلى القول بصحة جميع الأديان.

عاشت هذه الشخصية البسيطة حياة زهد وتقشف متطرف مستخدما في أحاديثه الأمثال البسيطة الساذجة. وسرعان ما جذب اهتمام عدد من المتعلمين والمصلحين من علية القوم في كلكتا لاسيما «البراهمة» وذلك من خلال «كيشاب شاندراسين» ـ الذين نظروا إليه بإعجاب شديد. التقى به، ذات مرة، شاب متشكك اسمه «نارندرا نات داتا Narendra Nath Datta فلم يلبث أن غادره وقد تحول إلى العقيدة الجديدة وأصبح ناسكا باسم «سوامي فيفيكانندا Swami Vi-vekananda[1]» وأسس إرسالية «راماكرشنا» للتبشير التى ساهم رهبانها في الأعمال الخيرية والبحث العلمى ونشروا تعاليم أستاذهم في جميع أنحاء الهند، كما كان لها مراكز في أوربا وأمريكا.

٤١ ـ لابد من تعاون الهند والغرب:

بذل «فيفيكانندا» من الجهد أكثر مما بذل أى شخص آخر في سبيل ذيوع الهندوسية في الغرب، كما عمل في الوقت نفسه على تجديد صورتها بين المثقفين في الهند وذلك أثناء حضوره في عام ١٨٩٣ لاجتماع برلمان الديانات في شيكاغو. ولقد قضى السنوات الأربع التالية في أمريكا في تعليم مجموعة من المعجبين، وعندما عاد إلى الهند ببعض التلاميذ الغربيين عُدّ في الحال بطلا قوميا. ويعتقد «فيفيكانندا» أن من واجب الهند أن تتعلم العلم من الغرب، وأن الغرب يجب عليه أن يتعلم الجوانب الروحية من الهند لكى يتغلب على ماديته، وقد كان لهذه الأفكار تأثير واسع المدى. ومادمنا نتحدث عن انخراط الهندوسية في الحركة القومية الهندية، فلا بد أن

(١) كان فيفيكانندا (١٨٦٣ ـ ١٩٠٢) في البداية تلميذ «براهما كرشنا» لكنه أعطى للعقيدة الجديدة منحى فلسفيا ويقال أنه أصبح ناسكا بعد موت أستاذه عام ١٨٨٦ وألقى محاضرات في الولايات المتحدة وبريطانيا أدهشت الكثيرين نشرت مؤلفاته في ٨ مجلدات عام ١٩٧٢ (المترجم).

نشير إلى دور الثيوصوفية Theosophy[(١)] ـ وهي حركة وصلت إلى الهند عام ١٨٧٩ بعد أربع سنوات من تأسيسها في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، ولقد تبنت الثيوصوفية فكرة تناسخ الأرواح أو الكرما Karma كما قال بها «أساتذتها القدامى» ودافعت عن الهندوسية، وبوذية «سري لانكا» ضد نقادها الأوربيين. وبعد موت مؤسسة الجمعية الثيوصوفية «مدام بلافتسكي»[(٢)] في نهاية القرن التاسع عشر، انخطرت الثيوصوفية على نحو مباشر أكثر من ذي قبل في السياسة القومية تحت زعامة آني بزنط Annie Besant[(٣)] التى أصبحت عام ١٩١٧ رئيسة المؤتمر الوطنى الهندى.

لم يلجأ أول جيل من القوميين الهنود صراحة إلى الدين في نشاطهم السياسى، فقد كانوا رجالا لهم وضعهم ومكانتهم وكانوا في حياتهم الخاصة ذوي نزعة إنسانية ومتدينين في الغالب، وسعوا إلى الإصلاح الاجتماعى وإلى قيام حكومة مسؤولة، كما تطلعوا إلى قيام حكومة مستقلة استقلالا ذاتيا داخل الإمبراطورية البريطانية، من هؤلاء القوميين جوبال كرشنال جوكهال Gopal Krishna Gokhal الذي عمل في المجلس التشريعي في بومباى، ثم في المجلس التشريعي الهندى. وأسس «جمعية خدام المجتمع» الهندى عام ١٩٠٥ لتدريب ومؤازرة العمال الذين وهبوا أنفسهم لحياة البساطة وللنهضة الاجتماعية العملية، وكان أعظم هؤلاء «الخدام» شهرة شاب

---

(١) حركة روحية حديثة نشأت في الولايات المتحدة عام ١٨٧٥ وبنيت في المقام الأول على أساس التعاليم البوذية والبرهمية (المترجم).

(٢) بلافتسكى Blavatsky (١٨٣١ ـ ١٨٩١) رحالة روسية ابنة نبيل ألماني، تزوجت جنرالا روسيا لكنها هجرته وزارت التبت والهند واهتمت بالحياة الروحية، ثم سافرت إلى الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ وأسست الجمعية الثيوصوفية عام ١٨٧٥ ثم فرعا لها ـ في الهند ـ بومباي عام ١٨٧٩. أصدرت جريدة خاصة هي الثيوصوفي، وعندما ماتت كان لها أكثر من مائة ألف من الأتباع في مختلف أنحاء العالم. كتبت الكثير من المؤلفات مثل «إيزيس بلا قناع» في مجلدين عام ١٨٧٧ والمعتقدات السرية، في مجلدين عام ١٨٨٨ والطريق إلى الثيوصوفية عام ١٨٨٩ و«صوت الصمت» عام ١٨٨٩ (المترجم).

(٣) «آني بزنط» ١٨٤٧ ـ ١٩٣٣ ثيوصوفية إنجليزية وزعيمة سياسة في الهند تزوجت من فرانك بزنط عام ١٨٦٧ ثم انضمت إلى الجمعية الثيوصوفية عام ١٨٨٩، وأصبحت تلميذة مخلصة، «المدام بلافتسكي» رئيسة الجمعية، أسست كلية هندية في بنارس Benares ورأست المؤتمر القومى الهندى عام ١٩١٧. كتبت الكثير من الكتب منها «تناسخ الأرواح» عام ١٨٩٢ «والكرما» والثيوصوفية وعلم النفس الجديد ١٩٠٤، والمشكلة الدينية في الهند ١٩٠٢ (المترجم).

اسمه موهنداس كراماشاند غاندي (١٨٦٩ ـ ١٩٤٨).

٤٢ ـ الفوضى والاغتيالات :

في العقد الأول من القرن العشرين طفا على السطح انقسام سياسي حاد خصوصا في معارضة تجزئة البنغال إلى منطقتين واحدة للمسلمين وأخرى للهندوس عام ١٩٠٥ تحت قيادة «لورد كيرزن Lord Curzon»[1]، وأصبحت مسألة طرد البريطانيين واجبا مقدسا في هذا الصراع مما أدى إلى الفوضى والاغتيالات، كانت الهندوسية قد اندمجت مع القومية. وعلى الرغم من أن هذا الخليط المؤثر الفعال أحدث شغبا يكفي لإعادة توحيد البنغال المنقسم بالقوة عام ١٩٦١ فقد أسهم كذلك في تجزئة ثانية عام ١٩٤٨ عندما انفصلت باكستان عن الهند، وهكذا دفع التوحيد بين القومية والهندوسية بالعلاقات بين المسلمين والهندوس إلى أقصى حد من العداء. كان للقومية الهندوسية كذلك مناطق ومقاطعات غلبت عليها النعرات المحلية والإقليمية لاسيما البنغال التى كانت تحميها «الآلهة الأم»، وفي دولة بومباى حيث كان بال جانجادهر تيلاك Bal Gargadher Tilak (١٨٥٦ ـ ١٩٢٠) يقيم احتفالات سنوية على شرف جانيشا Ganesha، وهي احتفالات تزامنت مع احتفال المسلمين «بالشهر الحرام» وبشفاجى بطل ماراثا الذي أحيا «تيلاك» ذكراه كرمز للقومية الهندوسية للشعب الماراثي. ولقد حملت شروح تيلاك على «الباجفادجيتا Bhagavad Gita» رسالة تقول إن العمل السياسي كان من تعاليم كرشنا، كما تضمنت القول بأن للعنف في تدعيم هذا العمل أهمية مقدسة.

كان القادة الثلاثة العظام للهندوسية في النصف الأول من القرن العشرين هم «المتطرف السابق أوربندو جوز Aurobindo Ghose (١٨٧٢ ـ ١٩٥٠) والمعتدل

---

(١) جورج كيرزن (١٨٥٩ ـ ١٩٢٥) سياسي إنجليزي وعضو البرلمان عن المحافظين عام ١٨٨٥ سافر كثيرا إلى آسيا، وعين بالخارجية لشؤون الهند (١٨٩١ — ١٨٩٢) ثم حاكما عاما للهند (١٨٩٩ ـ ١٩٠٥) وهو الذي نظم العلاقات المالية بين المقاطعات الهندية والحكومة، وتقاعد بسبب خلافه مع لورد كتشنر، وعاد إلى مجلس اللوردات ١٩٠٨ فوزيرا للخارجية عام ١٩١٩. له الكثير من المؤلفات منها مشكلات الشرق الأقصى عام ١٨٩٤ وكتاب «لورد كيرزن في الهند» ١٩٠٦ . . . إلخ (المترجم).

رابندرانات طاغور (١٨١٦١ ـ ١٩٤١) والقيام بدور الوساطة بين هذين القطبين هو «المهاتماغانـدى» (١٨٦٩ ـ ١٩٤٨) وقد كانت حياة جـوز، ودوره كقومى متطرف، إبان اضطرابات الانقسام الأول حول البنغال حياة قصيرة، وبعد أن أفرج عنه وخرج من السجن هجـر العمل السيـاسي، وأسس صـومعـة دينيـة للنسـاك في مقـاطعـة بوندشيري Pondichery ـ وكانت آنذاك مقاطعة فرنسية ـ وأصبح معلما روحيا لعدد كبير من الأتبـاع الذين أطلقـوا عليه لقب سرى أوربنـدو Sri Aurobindo. أمـا رابنـدرانات طـاغور فلم يكن رجل سيـاسة على الإطـلاق، وإنما كان أعظم شعـراء البنغال على الإطـلاق، ونال جـائزة نوبـل في الآداب عام ١٩١٣، وقـد ولد في أسرة براهمة مشهورة وعرف بتـدينه العميق وثقافته العالية ونظـرته المستنيرة الواسعة الأفق. ولقد حذر «طاغور» في كتاباته ومحاضراتـه من أخطار النزعة القومية التي بدأت تنتشر في العالم، ولم يقبل تصـور غاندى لها إذ بـداله هـذا التصور تعبيرا عن الخوف المرضى من الأجانب، فضلا عن تخلفه ورجعيته.

٤٣ ـ مهاتما غاندي:

كان المهـاتما غانـدي مختلفا أشـد ما يكـون الاختلاف عن طـاغور، فبسـاطة حيـاته والتجاؤه إلى الديـن حركا الجماهير، كما أن كراهيته للعنف ورغبتـه في جعل الإصلاح والنهضة الأخـلاقية جـانبا تكميليـا لحركة التحـرر زادت نضالـه شرفا ونبـلاً. اعتقد غـانـدى مثل تـلاك Tilak ـ أن «البجفـاد جيتا» تعلمنـا أن الدين حيـاة ذات فعل هـادف. لكنه على خـلاف «تلاك» رفض العنف وجـاء بفكرة «الأهمسـا»[1]، ليستخدمها في الحياة السيـاسية. ولقد أحرجت طريقته في الـلاعنف وعدم التعاون ـ القادة الإنجليـز إحراجا لا مثيل لـه. كما جعلت سيطرته الفعليـة على المؤتمر القومى الهندى ـ بعد وفاة تيلاك ـ مهندس الاستقلال الهندي. والواقع أن فكر غاندي يعود،

---

(١) أهمسا أو أهمشا Ahimsa كلمة سنسكريتية معناها الحرفي «لا أذى» أو الامتناع عن إيذاء أي كائن حى وهي الفضيلة الأخلاقيـة الأساسية التي أذاعتها الهنـدوسية والبوذية في الهند عبر عصـور طويلة، ثم طورها المهاتماغاندى إلى نظريته المعروفة في المقاومة السلبية (المترجم).

بصور مختلفة إلى ثورو(١)، ورسكن(٢)، وتولستوي(٣)، وإنْ كان معظمه يعتمد على مذهبي «الفشنا» و«الجينية» اللذين أخذهما من موطنه الأصلي جوجارات Gujarat. لقد كان فعالا ونشطا في مسألة الذين لا يجوز لمسهم (أي الطبقات الدنيا في الهند) وهم الذين أطلق عليهم اسم «هاريجان Harijan» أي أطفال اللـه، وعمل على تحريرهم من العجز الاجتماعي، كما ساند بفكره حماية البقرة، وحظر الحرمات، واستخدام اللغة الهندوسية بوصفها لغة قومية. وكانت رؤية غاندي للهند هي رؤيته لبلد تتألف من مجموعة من القرى المكتفية بنفسها، لا تلوثها شرور الصناعة الحديثة، إنما تغزل قطنها بنفسها، وتنسج منه ملابسها، وتوفر غذاءها بجهدها وتعيش في وفاق ووئام وقناعة. وكان النجاح الذي حققه هو قيام جمهورية هندية مستقلة.

ولقد سعى خليفته أكاريا فينوبابهاف (توفي عام ١٩٨٢) إلى التوسع في رؤية غاندي بمحاولة إقناع القرويين والأغنياء من ملاك الأراضي بالتعاون على رعاية أراضيهم والعمل فيها، والاشتراك في التمتع بمحصولها معا (وهو ما سمي بام بهودان Bhudan أو «سياسة منحة الأرض») ولقد نجح في تخصيص حوالي أربعة ملايين فدان تزرع على هذا النحو وكانت الخطة التي وضعها أقرب إلى شيوعية القرية، مع إحلال المحبة والإقناع القائم على أساس أخلاقي محل الصراع الطبقي.

---

(١) هنري ديفيد ثورو H.D.Thoreau (١٨١٧ ـ ١٨٦٢) أديب ومفكر أمريكي، عمل مدرسا في بداية حياته وتعرف على الشاعر الأمريكي امرسون «وأصبحا صديقين حميمين. اعتزل المجتمع في كوخ بجوار بحيرة والدن حيث كرس نفسه لدراسة الطبيعة والكتابة، كان يميل إلى العزلة والتأمل، والدفاع عن قيمة الفرد في مجتمع مادي مادي جمعت مؤلفاته بعد وفاته في عشرين مجلدا، ونشرت عام ١٩٠٦ (المترجم).

(٢) جون رسكن John Ruskin (١٨١٩ ـ ١٩٠٠) كاتب ومفكر وناقد إنجلزي، ولد في لندن ودرس في أكسفورد وأراد أبوه إعداده للكنيسة فتأثر تفكيره وذوقه بلغة الإنجيل في سن مبكرة. نشر كتابا بعنوان «الرسامون المحدثون» دافع فيه عن الرسام الإنجليزي ترنر وأسلوبه في الفن وأصبح أول أستاذ للفن في إنجلترا (أكسفورد ١٨٧٠)حيث كان يلقى محاضراته في حشد من الطلاب (المترجم).

(٣) ليون تولستوي (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) روائي وفيلسوف من أعظم أدباء العالم، مر بأزمة روحية عنيفة كانت نتيجتها ارتداده إلى الإيمان بالمحبة المسيحية، واعتناقه مبدأ المقاومة السلبية للشر، وأدت الاعتبارات الخلقية والاجتماعية دورا أخطر في مؤلفاته التي ألفها بعد ارتداده (المترجم).

حزن غاندي حزنا عميقا بسبب العداوة بين المسلمين والهندوس وما نتج عنها من تجزئة ساعدت النزعة القومية الهندوسية على تغذيتها فأضرب عن الطعام وأعلن الصيام، وقام بأعمال المصالحة ليثوب المتعادون إلى رشدهم، وفي ٣٠ يناير عام ١٩٤٨ اغتاله هندوسي من القوميين المرتبين، ولكن التيارات العميقة التي أثارها «تيلاك» واصلت التأثير في بعض فرق الهندوس ولا يحتمل أن يزول تأثيرها بسرعة.

طيف الهندوسية:

لا يزال طيف الهندوسية يُرى حتى اليوم في الهند على الرغم من أن الفرق التي لم تمسها المؤثرات الحديثة عددها قليل، ومعظم هذه الفرق قد فتح مدارس، وحقق النصوص المهملة وقام بطبعها ونشرها، وأدخل الإصلاحات على نظام الكهنة، وإدارة المعابد وممارساتها، وأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن الديانة وأعمال التبشير. وتقف مؤسسة «راماكرشنا» التبشيرية شاهدا وممثلا للهندوسية اللبرالية الحديثة، ومع ذلك فما تزال توجد بجانبها نظم وفرق أقدم منها تحافظ على خصائصها التقليدية. أما ما يكشف عنه المستقبل فذلك شيء لا يعرفه سوى نبي. وإن كان تفكك نظام الطبقات المغلقة سيغير الهندوسية تغييرا عميقا، وبطرق لايعلمها الا الله وحده. وفي استطاعة المذهب الإنساني اللاأدري، على المدى البعيد، أن يخفض للغاية من عدد أعضائها (أي الهندوسية)، ولكن سجل تاريخها الطويل في الماضي يقول إن فرصها في البقاء لا تزال جيدة.

الفصل السابع
«مذهب السيخ Sikhism»

السيخ، على نحو ما نعرفهم اليوم، هم حصيلة ثلاثة عناصر أولية :ـ

أولا: النظام الديني الذي علّمه للناس المعلم الروحى ناناك Nanak في البنجاب خلال العقود المبكرة من القرن السادس عشر ثانيا: بنية المجتمع في البنجاب لا سيما المجتمع الريفي البنجابى ثالثا: حقبة التاريخ البنجابى التى تمتد من زمن المعلم الروحى «ناناك» حتى يومنا الراهن. ولا يمكننا أن نفهم السيخ بغير الإشارة إلى هذه العناصر الثلاثة مجتمعة. لقد أضافت الأنماط الاجتماعية وضغط الظروف التاريخية إلى القاعدة الأساسية التى أقامتها تعاليم المعلم ناناك ـــ معتقدات وأعرافا وسلوكا اجتماعيا، شكلّت جميعها طريقا متميزا في الحياة. كما وجد هذا المجتمع تعبيرا دينيا متماسكا في المذهب الذى عُرف عند السيخ أنفسهم باسم الجورمات Gurmat والذي عرف عند الغرب باسم مذهب السيخ.

ولابد لنا أن نسوق هنا كلمة تحذير قبل أن نقوم بأية محاولة لوصف هذا المذهب: فمن الأهمية بمكان ألا نحدد الخطوط بدقة مبالغ فيها، لأن التقسيمات الواضحة الحادة سوف تكون مضلّلة في فهم الطبيعة الحقة لديانة السيخ ومجتمعهم. ولا شك أن هناك منطقة للعقيدة وللطقوس يتميز بها السيخ غير أن الحدود الأبعد من ذلك لمذهبهم تلقى ظلالا لا تدركها العين في المدى الفسيح للتراث الدينى في شمال الهند. ويتضح ذلك لأول وهلة من الناحية الاجتماعية حيث نجد خيوطا طبقية، مشتركة تجرى أفقيا خلال مجتمعى الهندوس والسيخ، ويصدق الأمر نفسه من الناحية العقائدية.

بيد أن مناطق المعتقدات والممارسات المشتركة، لا ينبغى أن تعمل على الخلط بين

التميـزات وتشويشهـا، فمذهب السيخ لا يتـوحّـد تماما مع التراث الهنـدوسى، ولا يتميز تمامـا عنه. وثمة مقيـاس للتوحد يعتد بـه ويمكن أن نجده في مقدمـات فكر المعلم نـاناك في القبـول العام لتصـورات مثل عقيـدة التناسخ، وفي مـراعاة أعـراف مرتبطة بها ارتباطا وثيقا. أما التميـزات فنجدها في رفض بعض المواصفات الهندوسية العامة مثل الدلالة الدينية لتقسيمات الطبقات المغلقة، وفي عقيدة الأخوة بين السيخ أو «الخلسا Khalsa »[1]، وإصرار السيخ أنفسهم على التميز.

١ ـ حياة المعلم ناناك:

تتوافـر مادة غـزيرة حول حيـاة المعلم الروحى «نـاناك»، ولا تـزال أعظم أشكال النثـر البنجـابى شعبيـة حتى الآن في القـرن العشريـن هي تلك التى تسمى «جنـام سـاخى Janam-Sakhi » أى «شواهد الميلاد» للمعلم، غير أن شـواهد الميلاد هذه إنما هى أقرب إلى سير حيـاة القديسين، وروايات تفيض بالورع وتُضفـى المثالية على «نانـاك» ولكنها لا تنقل لنا إلا النـزر اليسير عن حياته الفعليـة ولا نستطيع من هذه الكتـابـات ومن الإشـارات العـارضـة في كتب أخـرى. إلا أن نعيد كتـابـة مـوجـز بسيط.

ولد المعلـم الروحى ناناك Nanak عام ١٤٦٩م، والمكان الحقيقى الـذى ولد فيه موضع خـلاف، ولكن لا يمكن أن يكون هناك شك في أن والـديه ينتميان إلى قـرية تلفاندى Talvandi التى تبعد أربعين ميلا جنوب غربى «لاهور»، وتعرف الآن باسم ننكانـا ـ صـاحب Nankana-Sahib. ولقد قضى نـاناك طفولته، وشبـابه في هذه القرية ولم يتركها إلا بعد أن تزوج وأنجب غلامين.

ثم انتقل ناناك، وهو لا يزال شـابا، إلى مدينة «سلطانبور Sultanpur » وهنـاك دخل في خدمة «النواب» المحلى. وفي أواخر عام ١٥٠٠ غادر هذه المدينة وتبنى حياة الزهاد المتجولين. ويصـف كتاب «شواهد الميلاد»، تنقلاتـه وصفا مسهبا، ولكنه لا يقدم إلا أقل القليل ممـا يمكن الاعتماد عليه. ومن الـواضح على كل حال أن المعلم

(١) تعنى حرفيا الطاهر أو النقى (المترجم).

لابد أن يكـون قد أنفـق عدة سنوات وهـو يتجول داخل الهنـد بهذه الطريقـة. ومن الممكن أن تكـون تنقلاتـه وأسفـاره قد ذهبت بـه إلى مسـافات نـائيـة خارج حـدود الهند.

ويتضح من الإشارات التى ذكـرها في كتبه أنـه شهد جانبا من غـزوات إمبراطور المغول بابير Babur، كما يبدو أن سفرياته توقفت، إبان غزوات بابير Babur، وأن شخصا مـا تبرع له بقطعـة أرض تقع على ضفاف نهر رافي Ravi فأقـام عليها قـريته المسماه «كـارتـربـور Kartur pur». ومن الـواضح أنه قضى معظم سنـوات حياتـه المتبقية في هذه القـرية إلى أن مات هناك قـرب نهاية العقد الرابع مـن القرن السادس عشر حوالى شهر سبتمبر ١٥٣٩.

٢ ـ مقدمات فكر المعلم ناناك:

تعرض تعاليم المعلم الروحي «ناناك»، في العادة، على أنها مزيج ملفق من تراث الهندوس وإيمان المسلمين، وتلك مبالغة مسرفة في التبسيـط ينبغى رفضها رفضا تاما حين يعبر عنها بأنها «خليط مـن الهندوسية والإسـلام». صحيح أن تعاليم «نـاناك» تمثل بالفعل مـركبا، غير أن العناصر التى يتألف منها هذا المركـب لا يمكن تعريفها أبدا بأنها جمع بين الهندوسية والإسلام، مهما يكن هذا التعريف مرنا فضفاضا.

لقـد كـان المركب الـذي عبر عنه المعلم «نـانـاك»، مثل هـذا التعبير الـواضح، مذهبا System تطورت عناصره الجوهرية من قبل. فقد وجدت على عهده مجموعة متنوعـة من الايمان الدينى يشار إليهـا الآن باسم «نرجونـا سمبراديا Nirguna Sam- pradaye» أو باسـم «تراث سانت Sant Traditin» للهند الشمالية، وكان «كابير Kabir» هـو أعظم شراح هـذا التراث قبل نانـاك. ويتم الخلط في العـادة بين هـذا التراث وبين تراث «فشناقا بختى Vaisnava Bhakti» (المخصص لعبادة تجسيدات فشنو) ولا شك أن الأخير تقدم بعض المكونات الرئيسية «للتراث سانت» لكن الاثنين ليسا شيئا واحدا على الإطلاق.

لقد أضيفت إلى تـراث فشنافـا، عنصر أساسى، رغم تغيير شكلـه من عناصر

اليـوجا التنتريـة Tantric Yoga، بجانب قدر ضئيل من تأثير التصـوف (الصوفية الإسلامية). وكانت النتيجة نمطا من الإيمان يؤكد أهمية الخصائص الفشنافية -Vais nava في عبادة المحبـة، ولكنه يختلف عن «الفشنـافية بختى» في نقـاط هامـة. فقد رفضت نظرية الأفتار Avatar (التجسيد) الإلهي، واستخفت بعبادة الأصنام وذكرت أهمية التمسك بدقة بالعبادة الباطنية، وأعلن أن هذا النمط من التأمل الباطنى ليس هـو الطريق السهل للبختى التقليـديـة، وإنما هو طـريق ضيق لا يمكن أن يأمل في السير عليه سوى القلّة.

كـان هذا المركب هـو الذي ورثـه المعلم «نانـاك»، ونقله إلى أتبـاعه، لكن هـذا الاعتراف ينبغى ألا يوحى بأن تعـاليم «نانـاك» تنقصها الأصالـة أو أنها لا تمثل نقطة تحول جـديـدة. إذ الواقع أن أصـالـة المعلم«نـانـاك»تكمن في طرحـه الجديـد لمركب «سـانت» على ضـوء خبرتـه وبصيرتـه الخاصـة، وفي عبقـريتـه في تعبيره عنـه بجمال ووضوح.

٣ـ تعاليم المعلم ناناك:

مع بداية أول مـؤلف تم تسجيله من كتب السيخ المقدسة نجـد الرقم (١) الذي يمثل وحدانيـة الله، وهـو مفهوم فسّـره المعلم «نـاناك» تفسيرا واحديـا. فاللـه عند المعلم «ناناك» شخصـى وواحد، وهو الخالق، المفارق المتعالى الـذي يجب أن يرتبط به ارتباطا وثيقـا أولئك الذين يبحثون عن الخلاص. وهذا السعى من أجل الخلاص هو الذي يهم «ناناك» الذى يكـرر القول بأن طريق الخلاص هو الذي يشكل فحوى تعاليمه.

ويعبر المعلم «نـاناك» عن فهمـه للـه بعدد مـن المصطلحات المكـررة من قبل. المصطلح الأول هو نرنكر Nirankar أى «مالا شكل له» ومن أبرز ما يوصف به الله أنه هو «الواحد الذي لا شكل له». والصفة الثانية لله هي أكال Akal أى «الأزلى»، والثـالثـة هي ألخ Alakh أي «مالا يـوصف». وهناك تأكيد خاص على أهميـة هذه الصفـة الأخيرة. ولقــد استخـدم المعلم كلمات لا حصر لها للتعبير عنهــا: فكيف يمكن للمـرء أن يعـرف الله؟ الجواب الأول للمعلم «نـانـاك» أن المرء لا يستطيع أن يعرف الله، لأن الله في تمامه يجاوز كثيرا فهم الموجودات الفانية.

غير أن هنال إجابـة ثانية تقول: إذ كـان الله في تمامه «لا يمكن معرفتـه» فليس عدم إمكـان معرفتـه «تماما»، ذلـك لأنه أيضـا هو إلـه النعمـة الذي بعث بـوحى يمكن لـلإنسان العـادى محدود العقل فهمه، وهـو الوحى الـذي يتجلى في الخلق. فاللـه «حـاضر في كل مكان» (سـاراب فيابـاك Sarab Viapak)، وهـو محايـث في كل مخلوقـاته، ويمكن لعين الشخص اليقظ روحيـا أن تراه في كل مكـان. ولهذا الوحى العام بؤرة مركـزية معينة هى القلب البشرى. ولا بد للمرء أن يكـون قادرا على الرؤية بعينه الخارجية، ولابد لـه كذلك، أولها، أن يكون قادرا على الرؤيـة بعينه الداخلية. ولابد للتأمل أن يتم في الباطن، وسوف تتـاح للشخص المتأمل بهذه الطريقة استنارة تدريجيـة تؤدى في النهـاية إلى الخلاص. ولـلوحى المتجلى في الخلق أهميـة بالغـة عند المعلم «نانـاك» إذ يمكن عند هـذه النقطة أن يتم الاتصال بين اللـه وبين الموجودات البشريـة. ولا يمكن لطـريق الخلاص الـذي يهبـه اللـه أن يـوجـد إلا إذا فهم هـذا الاستبصار وطبق بصرامة.

٤ ـ طريق الخلاص:

إن العقبة الـرئيسية التى تعـوق عملية السعى إلى الخلاص هى الـوضع البشرى، فالناس في ضلالهم واقعون في عبودية العالم، لأن ولاءهم للعالم ولقيمه، وهذا التعلق بالعـالم يسجنهم داخل دورة تناسخ لا نهاية لها من الميـلاد والموت. إن العدو العظيم هو «المايا ـ Maya» (الـلاواقع)[1]، و«المايا» عند المعلم ناناك لا تعنى نظرية عن اللاواقعية المطلقة عن العالم ذاتـه، بل هى بالأحرى عن لا واقعية القيم التى تمثلها. أن العالم يقدم كيفيات يقبلها الناس على أنها خيّـرة ومرغوبة في آن معا، مع أنها وهم «وخـداع» وأولئك الذين يقبلـون العالم على هـذا النحو، ويسعـون بالتـالى إلى تحقيق الخلاص عن طريق التعلق بالقيم الدنيوية هم ضحايا «المايا»، ضحايا الوهم الذي يصور لهم أن هذه التعلقات، إن لم تكن هى الحقيقة في ذاتها، فهى على الأقل ليست معاديـة للحقيقة. ونتيجة هذا التعلق أو الـولع بالعالم هى التنـاسخ أو عذاب الموت بعد الموت، بدلا من الفرح الأزلى بالرؤية السعيدة، ذلك لأن مصير الضال الذي لا

(١) المايا Maya هي أيضا الوهم أو العدم أو اللاوجود (المترجم).

يتوب ولا يندم هو الانفصال الدائم عن الله .

إن وضع الضال (الجاحد) وضع يائس ، ولكنه لا يعدم الأمل . ذلك لأن الله بفضله ونعمته قد كشف عن نفسه في خلقه ، ويمكننا أن نظفر بالخلاص عندما نحوز على هذا الكشف . والمصطلحات الرئيسية التى يستخدمها ناناك ليعبر بها عن هذا الكشف الإلهي هي : نام Nam، سهاباد Shabad ، وجورو Guru وحكام Hukam وأول مصطلحين ، وهما Nam «الاسم الإلهى» وShabad الكلمة الإلهية ـ مترادفان ، وكل مصطلح منهما يصلح لتلخيص الكشف أو التجلى الإلهى في شموله . وكل ما يقال عن الله هو جانب من الاسم الإلهى أو الكلمة الإلهية . لكن الناس ، في حالة الضلال وعدم التوبة ، تفشل في إدراك تجليات الحضور الإلهي . وهذه التجليات هي التي يوضحها لهم المعلم الروحى Guru (المصطلح الثالث) ، أو المرشد الإلهى الذي يدل في استخدام ناناك على صوت الله الذي ينطق بطريقة غامضة داخل الجانب الباطن من فهم الساعى اليقظ المتهيىء للخلاص . أما لفظ حكام Hukam أو النظام الإلهى ، فهو يعبر عن طبيعة الكشف الالهى أو التجلى . ويتحتم على الناس أن تفهم النظام الإلهى للكون ، ماديا ونفسيا ، وأن تكافح لكى تصل بأنفسها إلى الانسجام معه ، وبلوغ هذا الانسجام معناه الخلاص .

٥ ـ نظام العبادات :

لكى يحقق الساعى إلى الخلاص هذه الغاية عليه أن يدخل في نظام للعبادة ، وأن يثابر على تطبيقه بانتظام حتى يبلغ الانسجام النهائى . وهذا النظام كما أوضحه ناناك لا علاقة له بالشعائر الخارجية : كطقوس المعبد أو صلاة المسجد أو الحج أو الزهد . إن المقصد الوحيد المقبول للحج «والبيت الوحيد الذي يمكن قبوله للعبادة هو القلب البشرى الذي ينطق فيه المعلم الروحى بالكلمة الإلهية» .

والمصطلح الذي يستخدم ، في الغالب ، للتعبير عن النظام الذي يعلمه المعلم «ناناك» هونام سمرام Nam-Simram (تذكر الاسم الإلهى) . وقد كان التكرار الآلى لكلمة معينة أو لمقطع من كلمة مقدسة يعني ممارسة محددة للعبادة ، لكن المعنى الذي يضيفه المعلم ناناك إلى المصطلح يتجاوز ذلك بكثير. فهناك أولا إصرار

على الجانب الباطني المطلق للنظام. ثم توسع في الكلمة الواحدة لتصبح نظرية متطورة عن التأمل. وحتى هذا التأمل لا يكفى وصفا للممارسة، فالمثل الأعلى هو التعرض الكامل لكيان المرء أمام الاسم الإلّهى، والتطابق الشامل لكل ما يكونه المرء ويعمله مع النظام الإلّهى الذى يجد التعبير عنه في الاسم الإلّهى.

٦ ـ النمو في اتجاه الله:

ونتيجة التطبيق المنظم لمصطلح «تذكر اسم الله» (نام سيمران) هو النمو نحو الله، والنمو في الله. وهى عملية متدرجة شبهها المعلم ناناك بسلسلة من المراحل الصاعدة، وخامس هذه المراحل وآخرها هى المسماه «عالم الحقيقة» (ساخ كهاند Sach Khand» وهي الإتمام النهائى أو الإنجاز الأخير حيث تجد الروح اتحادها الصوفي بالله. وفي هذا الوضع الذي تشعر فيه بسعادة لا يمكن وصفها تتنسخ أغلال التناسخ وتبلغ الروح مرحلة الانعتاق المطلق باندماجها في الله.

٧ ـ أول خلفاء المعلم ناناك:

عين المعلم ناناك قبل وفاته تلميذا يخلفه وانعقد لواء القيادة في الجماعة الجديدة لأكثر من قرن ونصف قرن لسلسلة من المعلمين الروحيين. وانتهت هذه السلسلة بموت المعلم العاشر وهو «جوبند سنج Gobind Singh» عام ١٧٠٨. وكان أتباع المعلم يسمون في البداية «ناناك بانتيز Nanak-panthis» (المتحدون مع ناناك) ثم سرعان ما حملوا اسم «السيخ» Sikh وهي كلمة تعنى بالمعنى الحرفى «المتعلم» أو «التلميذ».

لم تكن لفترة المعلم الثانى «أنجاد Angad» أية أهمية نسبيا، ولكن بعض التطورات الهامة طبعت عهد خليفته المباشر المعلم «عمار داس Amar-Das» ففي خلال عهده نجد علامات لا يخطئها البصر على مجموعة دينية متحررة من الأتباع تتبلور في جماعة متميزة، والظاهر أن تأكيدات المعلم «ناناك» قد انحصرت تقريبا في السعى إلى الخلاص وأساليب الحصول عليه. ومن الواضح أن «المعلم أنجاد» قد حافظ على هذه التأكيدات، ولكن في عصر المعلم «عمار داس» تزايد الشعور

بـالحاجة إلى قـدر أكبر من التماسك، ولقـد لبى المعلم «عمار» هـذه الحاجـة بإقامـة احتفالات متميزة للميلاد، والـزواج والموت، وبتأسيس نظام مبدئى للرقابـة الرعوية (وهـو نظام مـانجى Manji) وحددت ثلاثـة احتفالات هندوسية باعتبـارها كذلك احتفالات للسيخ، كما أن إقـامة المعلم في مدينة جـوندفال Goindval جعـل مـن المدينة مركزا لحج السيخ.

وهناك عامل آخـر له أهمية أولية ويبدو أنه ظهـر في عهد المعلم «عمار» وذلك هو الأساس الريفى لتطور جماعة السيخ، فالمعلمون الروحيون أنفسهم كانوا جميعا ينتمون إلى طـائفـــة الخاتـرى Khatri المتمـركـزة في المدينة (والتى تشتغل بـالتجـارة والإدارة والكهانة) وكـان كثير من تلاميذ المعلمين الروحيين (الجورو) من «الخاتـرية». ولكن خلال الفترة نفسهـا بدأ اتباعهم القـادمون من «جـاتز Jats» أو المنـاطق الـزراعيـة يتزايـدون، وفي النهاية صـارت الغلبة للفـلاحين داخل الجماعة. وعند هـذه النقطة أصبحت سيادة النماذج الاجتماعية الريفيـة لا سيما النماذج الثقافية المتميزة للمزارعين واضحة للغايـة، ولقد كانت التطورات السيـاسية والعسكرية التى جـرت بعد ذلك داخل الجماعـة، في جانب منهـا استجابـة لهذه العوامل الأسـاسية، ووجـدت هذه التطــورات إبـان القـــرن الثـامن عشر التعبير النظــرى عنهـا في معتقـــدات السيخ المتطورة.

أما المعلـم «عمار داس» فقد خلفـه زوج ابنته «رام داس Ram-Das » مـــؤسس مدينة «عمرستار Amristan »، وقد خلفه هو نفسه أصغر أبنائه «أرجان Arjan». وسار هذا التسلسل في خط ذكور أسرة معينـة (هي سوذى خاترى Sodhi Khatri) فكـان جميع المعلمين الذين تـولوا الخلافـة من نسل هؤلاء المعلمين الثـلاثة. أمـا فترة المعلـم «أرجـان» فكانت هـامة لسببين: فـالمعلم أرجان هـو المسئول عن جمع كتـاب مقدس بعينه وهـو المسمى (آدي جرانت Adi-Granth أو جرانت صاحب Grant-Sahib) وفي عهده لفت تزايد قوة الحركة أنظار السلطات المغولية المتنمرة لأول مرة.

وفي خلال حكم الإمبراطـور «جهانكير» قُبض على المعلم الروحى أرجـان ومات في السجن عام ١٦٠٦[1].

---

(١) الإمبراطـور جهـانكير Jahangir ١٥٦٩ ـ ١٦٢٧ الملقب «بقـاهر العالم» إمبراطور هنـدوستان ورابع إمبراطور مغولى وهو ابن أكبر العظيم (المترجم).

٨ ـ التورط السياسى والعسكرى :

كان مطلع القرن السابع عشر هو حقبة الرجعة النقشبندية(١) في الهند المغولية التى تصدت للقوة المتنامية لجماعة السيخ، ومن الطبيعى أن يؤدى ذلك إلى اهتمام رسمى متزايد بهم، وتدهور مناظر في العلاقات بين معلمى السيخ والدولة. وكان موت المعلم الروحى أرجان، ووقوع سلسلة صغيرة من ثلاث مناوشات مع القوات المغولية ـ هي الأسباب التى دفعت المعلم الروحى السادس «هاروجوبند Hargobind» إلى ممارسة قدر من السلطة السياسية والعسكرية، وبذلك طرأت على جماعة السيخ تغيرات هامة في الاتجاه السياسى والعسكرى، ولكن هذه التغيرات لم تكن على حساب التخلى عن النظام الدينى الذى وضعه المعلم الأول. ولقد أدت التغيرات التى جاءت نتيجة لزيادة التورط العسكرى والسياسى للجماعة ـ إلى توسعات ذات مغزى في مذهب السيخ، وإن لم تؤد إلى تخليه عن أسسه الأصلية.

وتجدد الصراع بين السيخ والسلطات المغولية خلال فترة تولى المعلم التاسع تيغ بهادر Teg Bahadur ثم تزايدت شدته خلال فترة المعلم العاشر والأخير «جوبند سنغ» Gobind Singh (٢) ـ وفي فترة هذا المعلم الأخير امتد الصراع أيضا إلى أمراء Rajahs تلال شفاليك، وهي مشهورة بسيادة الإلهة شاكتى Shakti وتصورات القوة المرتبطة بها، ولقد قضى المعلم جوبند سنغ معظم حياته في هذه المنطقة كما اتخذ داخل إطار هذه الأحداث قرارات بالغة الخطورة.

٩ ـ «الخلسا Khalsa»(٣)

كان قرار المعلم الروحى «جوبند سنغ» نتيجة واضحة لاقتناعه بأن

---

(١) النقشبندية طريقة من طرق الصوفية أسسها بهاء الدين النقشبندي (١٣٦٧ ـ ١٣٨٩) في فارس وألف فيها مجموعة من الكتب «كالانوار البهائية» و«سلك الأنوار» و«هدية السالكين» واهتمت بالذكر وكان لها أفرع في الصين والهند وتركستان وتركيا (المترجم).

(٢) أسس جوبند سنغ (١٦٦٦ ـ ١٧٠٨) قوة عسكرية وأصبح قائدا عسكريا وأضاف إلى اسمه سنغ أو أسد وكون قوة أخوية تحمل اسم «خلسا» الطاهر (المترجم).

(٣) كلمة الخلسا تعنى حرفيا الطاهر أو النقى، والمقصود بها هنا «جماعة الأبرار الأنقياء» وتلك صورة جماعة السيخ في أواخر القرن السابع عشر على يد المعلم العاشر الذى أسس من ناحية أخرى قوة عسكرية للجماعة! (المترجم).

أتباعـه يحتاجـون إلى تنظيم أكثر قـوة ورسوخـا، وكان من بين القـرارات التى اتخذها تأسيس الخلسـا Khalsa عام ١٦٩٩ . وأفضـل وصف للخلسا هو أنها نظـام من الأخوة ـ تنـدمج فيه الواجبات الدينيـة والعسكرية مع الواجبـات الاجتماعية في نظام واحد، ونحن لا نعرف مـاذا حدث بالضبط عند تأسيس هذا النظـام بالفعل في عام ١٩٦٩، وإن كانت بعض الكتابات المتأخرة تسهب في وصف الاحتفال. لكن ليس لذلك سوى أهمية ثانوية، أما الأهمية الأولى فهى أن جماعة الخلسا أو الأخوة في القرن الثـامن عشر، أصبحت بـالنسبـة لمجتمع السيـخ هي بـؤرة الحاجـات والمثل العليـا والطموحات التي تطورت سريعا خلال ذلك القرن.

وكان القـرن الثامن عشر المضطرب بـالنسبة لجماعـة السيخ حقبة تميزت بـاتساع الآمال والتوقعات، فقوة المغول في البنجـاب تنهار تحت تأثير الضربات المتلاحقة من قائد جماعة السيخ «بندابهادر Banda Bahadur» (توفي عام ١٧١٦) ومن نادر شاه في فارس، وأحمد شاه عبـدالله الأفغانستانى، وتحت وقع هذه الضربـات المتلاحقة، تداعـت قوة المغول في النهاية، وقامت على حكـامها القوة العسكرية للسيخ، وظهر السيخ في أواسط القرن كجماعة مهلهلـة من المحاربين غير النظامين تسمى «مسلس Misls». وقـرب نهايـة القرن تمكن واحـد من قـادتهم اسمـه «رانجت سنغ Ranjit Singh» من السيطـرة الشـاملة على الفـرق الأخـرى، وأسس مملكـة للسيخ شملت معظم البنجاب.

وخلال هـذا القرن المضطرب الممتد من عـام ١٦٩٩ حتى ظهور «رانجت سنج» وقع التحول الرئيسى، فمن الأحداث الأساسية التى تعزى لهذه الفترة ظهور مصطلح السيخ Sikhism ودخول جماعة السيخ في هذه الفترة بتنظيم مهلهل ونظام بدائى ثم خروجها منه بتنظيم محكم ونظام متميز للخلسا Khalsa (أو نظام الأبرار).

ومن السمات الرئيسية في هـذا النظام ظهور عدد من المحرّمـات وبخاصة تحريم «تدخين الغليون» والإصرار على الالتزام «بـالكافات» الخمس[1] وهى: ١ ـ كيش Kesh أى عدم قص الشعـر. (٢) وكانجا Kangha مشط لتصفيف الشعـر. (٣)

---

(١) المقصود أنها كلها تبدأ بحرف «ك» مما يصعب نقله إلى اللغة العربية على هذا النحو (المترجم).

وكيربان Kirpan خنجر أو مدية . (٤) وكارا Kara سوار من الصلب أو خلخال من الفولاذ. (٥) والكاخ Kachh سروال قصير لا يتجاوز تحت الركبة. ولم يكن لبس العمامة مطلوبا بصراحة، لكنه أصبح ضروريا بعد الإصرار على عدم قص الشعر. وعلى جميع السيخ الذكور الذين انتظموا في جماعة الخلسا (الأبرار) أن يحملوا اسم سنغ Singh(١) واسم كور Kaur في حالة النساء. أما السيخ الذين تطهروا «بالخلسا» وانضموا إليها ثم هجروا طقوسها، فأولئك يشير إليهم إخوانهم أعضاء الجماعة على أنهم باتت Patit (أي الساقطين). والآخرون الذين لم يتطهروا قط وإن أعلنوا أنهم من أتباع المعلم يسمون «السيخ بطيىء التبنى».

أما إلى أي حد كانت هذه التطورات قائمة في نية المعلم الروحى «جوبند سنغ»، فذلك موضوع لم يسبر غوره بعمق، ولا شك في وجود سمات معينة قام هو نفسه بإذاعتها ونشرها، ولكن لا شك أيضا في أن هناك سمات أخرى ظهرت استجابة للأحداث التى وقعت عقب وفاته. وقد أصبح النموذج واضحا مع نهاية القرن الثامن عشر، وسيطر منذ ذلك الوقت على تاريخ السيخ وديانتهم. وكان هناك عدد كبير من «بطيىء التبنى» الذين يدعون أنهم من السيخ دون أن يقبلوا الانضمام إلى نظام «الخلساء». غير أن المثل الأعلى للخلسا قد زعم منذ ذلك الحين أنه هو الصورة الحقة للإيمان عند السيخ.

١٠ ـ كتب السيخ المقدسة:

هناك مجموعتان من الكتابات التى ترتفع إلى مرتبة الكتب المقدسة لجماعة السيخ، رغم أن إحدى هاتين المجموعتين واسمها «آدى جرانت Adi-Granth» هى التى تتمتع بوضع تشريعى لا خلاف عليه، أما الأخرى اللاحقة لها «داسام جرانت Dasam-Granth» فلها أهمية متميزة.

والمجموعة الأولى آدى جرانت Adi-Granth والاسم يعنى حرفيًا المجلد الأول، جُمعت خلال عامى ١٦٠٣ و١٦٠٤ بواسطة المعلم الروحى «أرجان Arjan»

(١) يتخذ كل سيخى ينتمى إلى جماعة المحاربين أو ينتسب إلى طائفة الخلسا لقب سنغ أي أسد (المترجم).

ويستخدم المعلم الروحى في هذه المجموعة تصنيفا آخر كان قد تم إعداده في فترة مبكرة تلبية لوصية المعلم «عمار داس» ثم أضاف إليه مؤلفاته الخاصة ومؤلفات والده المعلم «رام داس»، وبعد ذلك لم تضم للمجموعة سوى أعمال قليلة أضافها المعلم الروحى «تاج بها دوره»، ثم اكتمل التشريع أثناء فترة المعلم الروحى «جوبند سنغ» أو بعدها بقليل. وفضلا عن ترنيمات المعلمين، فقد أضيف عدد من مؤلفات شخصيات مبكرة في «تراث سانت San t ». وقد اشتهر من بينهم كابير Kabir، ونامديف Namdev، ورافيداس Ravidas، كما أضيفت مجموعة من المقاطع الشعرية المزدوجة (الكوبلية أو السدويت) تعزى إلى الشيخ فريد الباك بتانى Pak Pattan.

ويصنف المجلد كله تبعا للوزن الشعرى (راج) وداخل كل وزن أو بحر تقسيمات فرعية أخرى تبعا للمؤلف ووفقا لحجم القصيدة. ومعظم المادة تتألف من الترانيم التى استخدمها المعلمون من قبل في إرشادهم الدينى، وهى كلها ـ تقريبا ـ مكتوبة بلغة «سانت بهاشا» Sant Bhasha وهي لغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بكل من اللغتين الهندوسية والبنجابية. كما أنها لغة استخدمها أصحاب الديانة الشعبية على نطاق واسع في أواخر العصر الوسيط في شمال الهند كلغة مشتركة عامة والنص المكتوب هو «جرميخى Gurmukhi» الذي لا يستخدمه اليوم إلا أهل البنجاب.

ويمثل الوضع الحالى لـ «آدي جرانت Adi-Granth» (أى المجلد الأول) ـ الوضع الأخير في تطور عقيدة السيخ على يد «الجورو» أو المعلمين الروحيين. فقد كان المعلم الروحى في التراث الهندى معلما إنسانيا على الأصالة، ثم أصبح في «تراث سانت Sant » وعند ناناك Nanak هو صوت الرب أو كلمة الله، وسرعان ما تحول دوره داخل جماعة السيخ إلى الرجال الذين قدموا التعبير المعتمد عن تلك الكلمة الإلـهية، وهكذا اكتسب مرة أخرى مفهوما شخصيا. ولقد أعلن المعلم الروحى «جوبند سنغ» قبل وفاته كما يقول تراث السيخ أن خط الجورو (المعلم الروحى) الشخصى قد انتهى، وأن وظائفه تتمثل في جانبين معا هما جانب الجماعة المتماسكة وجانب الكتب المقدسة.

وبيدو أن هذا التفسير قد استمر فترة من الزمن، لأننا نجد عنه إشارات قبل

المعلم «جوبند سنغ» كما أن الفراغ من القيادة (أو الفـراغ القيادى) الذى أعقب موته شجع تشجيعا قويا على إيجاد صيغـة محددة لهذا المذهب. غير أنه لا يمكن أن يكون ثمة شك في أنه اكتسب أهمية أساسيـة إبان القرن الثامن عشر، ومع ظهور «رانجيت سنغ» Ranjit Singh أهمل جانب الجماعة المتماسكة وارتفع جانب الكتاب المقدس فاحتل مكانة السلطة المطلقـة التى احتفظ بها منذ ذلك الوقت. ونحن نجد لـ «آدي جرانت» (أو المجلد الأول) دلالة مركزية مطلقة في الحياة اليومية للسيخ المؤمنين، وفي احتفالات السيـخ جميعا حيث يعـرف بصفة عامـة باسم «جـورو جرانت صـاحب Guru Granth Sahib».

وفي مقابل ذلك نجد أن رفيقه الذي جاء بعـده لا يقرأ إلا قليلا في يومنا الراهن. ولقد جمع هذا الرفيق وهـو «داسام جرانت Dasam-Granth» في القرن الثـامن عشر من أعمال متنوعـة تنتسب إلى المعلم «جوبنـد سنغ»، وظهرت صحة هـذه النسبة في بضع مـؤلفـات قليلـة، لكن الجانب الأكبر مـن المجمـوعـة يتألف من حكـايـات هندوسية، وروايات عن حيل النساء، ولا يمكـن أن يكون مما كتبه هذا المعلم. غير أن أهمية «داسام جرانت» الخاصة تكمن في الشهادة التى تقدمها عن المثل العليا عند السيخ في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما ترجع كذلك إلى أنها مصدر ذو قيمة كبرى لتاريخ السيخ في هذه الفترة.

١١ ـ عبادة السيخ:

تعبّـر العبادة المنتظمة للسيخى المخلص عن نفسها في ثلاثة طقوس:

أولا: التلاوة اليومية لفقرات معينة من كتـاب العلم «جرانت صاحب» خصوصا الجابجي Japji للمعلم ناناك الذي ينبغى تلاوته من الذاكرة بعد النهوض من النوم والاغتسال مباشرة. ثانيا: الطقوس اليومية للأسرة رغم أنها ليست عامة على الإطلاق فتتجمع كثير من الأسر كل صباح ومعهم نصوص المعلم «جرانت صاحب» ويقرأون فقرات يتم اختيارهـا عشوائيا. ثالثا: هنـاك لقاء مع الأسرة الأكبر وهى أسرة الخلسا (الأخوة الأبرار) في الجوردوارا Gurdwara[(١)] أو المعبد.

(١) الجوردوارا: هو المعبد عند السيخ (المترجم).

ومنذ أيام المعلم الروحى ناناك و«الجوردوارا» ـ أو البنـاء المناظر له ـ يشغل مكانة ذات أهميـة ملحوظـة في حيـاة جماعة السيخ. ونمـط العبادة المتبع في «الجوردوارا» يعتمـد أساسـا على إنشاد فقـرات من نصوص «المعلم جـرانت صاحـب». وعندما يـدخل السيخى هـذا البناء لأول مـرة فإنه يتجـه نحو الكتاب المقـدس وهو الجورو جـرانت صـاحب، ويلمس الأرض بجبهته ويقـدم قـربانـا. وفي أوقات معينـة يشترك جميع الحاضرين في تـــلاوة الأرداس Ardas أى صـــلاة السيخ، وهى شكـل معين من الابتهـالات للنعمـة الألهيـة، وتذكـر الآلام الماضيـة التى مـرت بها الجماعـة وكـذلك أمجادها. وقـد نشأت هذه الصـلاة إبان القرن الثـامن عشر ولم يطرأ عليهـا منذ ذلك التاريخ سـوى تعديـلات عرضيـة طفيفة، وهى تختتم بـالإشارة إلى «جـورو جرانب صاحب» بـوصفها التجلى الجسدى للمعلم، بالإعلان الشهير بـأن: «الخلسا سوف تحكم»! («راج كاريجا خالسا Raj Karega Khalsa»).

١٢ ـ السيخ اليوم:

يبلغ تعداد السيخ الـذين يعيشون اليـوم في الهند حوالى ١٢ مليـون نسمة، و هم يمثلون بنسبة ٣٪ من سكان البلاد، وحـوالى ٩٠٪ من هذا العدد الإجمالى يعيشون في مقاطعة البنجـاب التى تركت للهند بناء على تقسيم عـام ١٩٤٧ (أعنى المنطقة التى تشمل الآن ولاية البنجاب Punjab وهارايانا Harayana)، وحوالى ٤٪ يعيشون في المنطقـة المتـاخمة لشمال راجستـان ودلهى، ولا يبقى سـوى ٦٪ فقط ينتشرون في بقيـة أنحـاء الهند. ولقـد هاجـر عدد كبير منهـم إلى بـلاد أخـرى، ولكن لا تتوافـر لدينـا إحصاءات عن عدد هؤلاء المهاجرين.

لم ترجح كفة السيـخ العددية في أي مكان من الهند فهـم حتى في ولاية البنجاب يشكّلون حوالى ٥٠٪ من السكان، وإن كان لهم تأثير كبير يزيد عن حجم تعدادهم لا داخل ولا ية البنجاب وحدها، بل كذلك داخل ميادين واسعة من الحياة الهندية. وهـذا التأثير يشمل القـوات المسلحة، والنقـل والمواصلات، والنشـاط السيـاسى، والنشاط الـرياضى. وتنعم جماعـة السيخ أيضا بـوضع اقتصادى ممتـاز نسبيا، وهم يبلغون في التعليـم درجة أعلى من المتوسط في كل أنحاء الهند.

وهناك أسباب متعددة يمكن أن تفسر هذا الوضع المميز وأحد هذه الأسباب وأكثرها أهمية، هو أن الغالبية العظمى من السيخ يعيشون في مناطق عالية الخصوبة. وقد تحالفت البيئة مع وسائل التقنية الزراعية المتقدمة فانتجت الكفاية الاقتصادية وجلبت في حالات كثيرة رخاء ملموسا إلى طبقة المزارعين من السيخ الجات Jat[١]. وليس في عقيدة السيخ أو إيمانهم ما يعوق هذا التقدم، بل إن تحررهم بصفة عامة من العادات والتقاليد المعوقة قد أعطاهم على العكس من ذلك ميزة كبرى لم يتوانوا عن استغلالها.

أما طائفتا الخاترى Khatri والأرورا Arora (وهما من الطوائف الدنيا في المدنية) فهما تنعمان كذلك بقدر وافر من النجاح الاقتصادى في الصناعة والحرف والمهن المختلفة. ويمكن أن نفسر ذلك من ناحية، بأنه يرجع إلى المهارة التجارية الموروثة، كما يرجع، من ناحية أخرى، إلى تأكيد السيخ على أهمية التعليم. والسيخ في أيامنا هذه هم وحدهم الذين ينتمون إلى الجماعات المنبوذة التى تعانى من عدم الأمان الاقتصادى الواسع النطاق، وإن كان وضعهم، بصفة عامة، أفضل من وضع الهندوس أو الطبقات المسيحية المقهورة.

وقد ظلت العلاقات المتواصلة بين السيخ والهندوس، عموما، علاقات صداقة وزواج متبادل عبر خط حدود الطبقات المغلقة ـــ وهى علاقات ليست مجهولة على الإطلاق. صحيح أن قادة السيخ يعلنون بين الحين والحين عن وجود نوايا سيئة عند الهندوس، غير أن هذه التصريحات تكون عادة لأغراض سياسية ولا تؤثر في العلاقات إلا قليلا. غير أن خلافا أكثر خطورة نشب في مجتمع البنجاب أدى إلى تصدع الجماعة والانشقاق بين «الجات Jats» (الفلاحين والمزارعين) وبين بعض الطبقات المدنية. ولقد كان هذا الخلاف في أساسه خلافا اقتصاديا كما كان ارتباطه بالتميزات الدينية ثانويا.

ومن أهم مظاهر تحرر السيخ من العادات والتقاليد المعوقة استعدادهم للهجرة إلى بلاد أخرى. ويمكن أن نجد السيخ اليوم في كل ركن من أركان المعمورة، لاسيما

(١) أي إلى المزارعين أو الفلاحين من السيخ (المترجم).

في المملكة المتحـدة، وشرق أفريقيا ومـاليزيا، والسـاحل الغربى لكندا، والـولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان عدد كبير من المهـاجرين الهنود الذين جاءوا إلى المملكة المتحـدة من السيخ، وفي إنجلترا اليـوم خمسـون جـوردوارا Gurdiwara (معبـــدا للسيخ). أما القـول بأن عددا كبيرا من هؤلاء المهاجـرين أصبح من الصعب التعرف عليهم بوصفهم أعضـاء في مذهب السيخ، فإنه يشير إلى لون من ألـوان القلق الذى تعانى منه هذه الجماعة. ولقد أظهرت السنوات الأخيرة استعدادا لدى شباب السيخ للتخلى عن الـرموز الخارجيـة لعقيدتهم عنـدما يعيشـون خارج الهنـد، بل إننا نجـد علامات مميزة لهذا الاتجاه داخل البنجاب نفسها.



الفصل الثامن

البوذية Buddhism

إنَّ ما أصبح معروفاً اليوم في الغرب باسم مذهب البوذيـة ، بالمماثلة مع غيره من المذاهب ـ يُعرف في مـوطنه في آسيا باسم بوذا ـ سـاسانا Buddha-Sasana أعنـي طريقة حيـاة ، أو نظام «الواحد المتيقظ» وهـو البوذا . وهو يعرف أيضـاً باسـم «بوذا ـ داهما Buddha-Dhamma» ، وتعني في هذا السياق ـ بقدر ما يمكن أن يكون المعنى الإنجليزي مـؤدياً لكلمـة «داهما ـ الحقيقـة الخالدة» للـواحد المتيقـظ ، وهذه الترجمة بالطبع ملتبسـة الدلالة وغامضة . ويتمثل الغمـوض والالتباس في المصطلح الأصلي أو بـالأحرى في كثـرة معانيـه ، فـالحقيقة الخالـدة «للـواحد المتيقظ» تعني في آن معـاً الحقيقة التي تدور حول واقعة «المتيقظ» ، وكـون هذه اليقظة ممكنة . وكذلك الحقيقة التي يعلنهـا ذلك الشخص الذي ينظـر إليه على أنه المتيقظ ، على نحـو أصيل ، ألا وهو «بوذا» أو جـوتاما Gautama الذي عاش في شمالي الهنـد في القرن السادس قبل الميلاد .

ولابد هنا من شرح بسيط يساعدنـا على تجنب الخلط حول تنوع الأسماء والألقاب التي عُرف بها هـذا الرجل على مر التـاريخ . فكما عُرف كـاتب المسرح الإنجليزي في عصر الملكة إليزابيث باسم«شكسبير» فكذلك عُرف هـذا الرجل باسم «جوتاما» ، إذ كان هذا هو اسم عائلته، أما اسمه الشخصي فهو «سدهاتا» (وفي اللغة السنسكريتية سدهارتا) وكانت أسرتـه من عشيرة جمهورية تدّعى أنها من أصل نبيل وعريق ، وهي عشيرة سكيـاس Sakyas ، ولذلك كان اللقب الـذي عُرف به سدهـارتا هو لقب حكيم سكياس أو سكياموني Sakyamuni . وهناك أسماء وألقاب أخرى تُطلق عليه في الكتب المقدسة البوذية ، مثل «التتاجاتا Tathagata»[(1)] ، ومعناها غامض ، لكن

(١) تترجم أحيـانـاً بـالمستنير الكـامل أو الحكيم ، أو «المنقـذ المنتظـر» وهي تعني حـرفيـاً بـاللغـة السنسكريتية . . «الشخص الذي حضر» وهو أحد أسماء «بوذا» الثـلاثة إلى جانب باجافا أي السيد . (المترجم) .

أفضل اسم هو الذي عُرف به عموماً في الغرب وهو «بوذا Buddha». ولكن هذا ليس اسماً شخصياً، ولابد أن يكون القارىء قد تحقق من ذلك الآن، ولا ينبغي أن يُستخدم على أنه اسم شخص. فالواقع أن بوذا ــ طبقاً للتراث البوذي ـ قد ظهر من وقت لآخر طوال التاريخ البشري، وسوف يواصل الظهور على هذا النحو كلما فقد الناس معرفة الداهما Dhamma وتوقفوا تماماً عن ممارسة «الساسانا Sasana»، ويحدث هذا حسب مصطلحاتهم التقليدية تقريباً كل ٥,٠٠٠ سنة.

ويسجل التراث البوذي أسماء ما لا يقل عن ٢٤ بوذياً سبقوا بوذا جوتاما وليس هناك دليل على وجودهم كشخصيات تاريخية، وإنما وجودهم مؤكد «كحقيقة تجلّت» وأعلنها بوذا جوتاما. وهكذا يتصور التراث البوذي فترة زمنية تقدر بمائة وعشرين ألف سنة سبقت العصر الذي عاش فيه «جوتاما» في القرن السادس قبل الميلاد، غير أن هذه كلها ليست سوى أرقام رمزية.

إنَّ قياس الزمن عند الرجل البوذي، وفي الفكر الهندي عموماً، شاسع جداً، إذا ما قورن بمقاييس التاريخ الغربي، فهو يرتد في الماضي ارتداداً لا أول له، ويمتد إلى الأمام امتداداً لا نهاية له. ومسار زمان الساعة ليست له دلالة أولية، رغم أنه ليس بغير دلالة على الإطلاق، فإذا أمكننا أن نقول زمان الساعة أفقي الأبعاد يمتد من الحاضر إلى الأمام وإلى الخلف، فإن البعد الذي له مغزى مطلق عند الرجل البوذي، هو بعد رأسي أو عمودي. إنه يهتم بما حدث في هذا البعد داخل مسار الزمن المتقدم، ويرى من الضروري بصفة خاصة أن نوقظ في الناس بعض الوعي بهذا البعد مهما يكن هذا الوعي معتماً، لأنه سوف يؤدي إلى حالة اليقظة أو إلى عالم آخر من الوجود، غير أنّ في ذلك استباقاً لما ينبغي أن نقوله حول تعاليم جوتاما بوذا، ولهذا يتعّين علينا أولاً أن نقول كلمة عن حياته وتجاربه.

١ ـ حياة جوتاما:

إنَّ ما نعرفه عن حياة بوذا يقوم أساساً على شواهد من نصوص الشريعة، وأكثر هذه النصوص اتساعاً وشمولاً هي التي كُتبتْ بلغة بالي Pali، وهي إحدى لغات الهند القديمة. وتشكل هذه النصوص شريعة الكتب المقدسة لمدرسة

تـرافــادا Theravada (البوذيـون الترافيديون) في «سري لانكـا» و«بورما» وتـايلند، وكامبوتشـا، ولاوس، رغم أن البوذيين من مدرسة مـاهاينا Mahayana البـوذيـة في الصين وكوريا واليـابان ينظرون إليها كـذلك باحترام (وسوف نعالـج فيها بعد الفروق بين هذين النمطين من مـدارس البوذية). وتقـدّم لنا نصوص «بالي» كـذلك شهادة على الظروف العامة للحياة الاجتماعية والدينية والسياسية في شمال الهند في فترة مبكرة من التـاريخ البـوذي، وهي شهادة أيـدت بعض جـوانبهـا المكتشفـات الأثريـة في المنطقة.

كان البوذا جوتاما وفقاً لما يقوله التراث ـ ابناً لأحد قادة قبيلة سكيا Sakya التي كان موطنها مدينة على تلال الهمـلايا تسمى كابيلافاستو Kapilavastu ، وتقـع في الإقليم الذي يُعرف اليوم باسم نيبال. فها هنا في التلال الواقعة أسفل جبال الهملايا نشأ الشاب سـدهاتا Siddhatta وقضى فترة رجولته المبكرة، وتـزوج وأنجب ابناً هو «راهولا Rahula». وبدأ سدهاتا ينشغل ويقلق ـ ولايزل ابنه طفلاً ـ بمشكلات أزلية مثل: لماذا يولـد الإنسان؟ هل يـولد فقط ليعـاني المرض، ثم تنهكه الشيخـوخة وفي النهاية يموت؟

وتروي النصـوص كيف التقى، على التوالي، بـرجل يعذبـه المرض، ثم برجل في آخر مـراحل الوهن والشيخـوخة، ثم بجثـة محمولة إلى مكـان المحرقـة، ومن خلفها يسير الحزانى من الأقارب والأصدقاء. ـ وبينما هـو يتفكر في هذه الوقائع، وكيف أن هـذا هو مصير كل إنســان، إذ رأى شخصاً رابعـاً هـو رجل مقدس حليق الـرأس، جوّال متدين، وواحـد من الذين نذروا أنفسهم للسعي إلى حياة الـزهد، لكي يعثروا على طريق للتحـرر من عبث الحياة الظـاهر. وهـؤلاء الرجـال المتدينـون الجوالون هم الذين يعرفـون باسم «الشرمانيين Shramanas»، ولم يكونوا ظاهـرة غريبة على الهند القديمة. وهكذا تحول «سدهاتا» إلى هـذه الحياة، حياة الزاهد المتجول، آملاً أن يجد حلاً لمشكلات الوجود البشري.

٢ ـ القادة الدينيون في الهند في القرن السادس قبل الميلاد:

كثيراً ما يصور هؤلاء الشرمان Shramanas أو المتجولون المتدينون في صورة مخالفة

للشخصيات الدينية الرئيسة الأخرى في الهند في ذلك العصر، وأعني بهم البراهمة Brahmins، أو الكهنة، إذ يقوم الشرمان، في الأعم الأغلب، بتعليم بعض العقائد الدينية والنظريات الفلسفية، وهي عقائد متنوعة ومختلفة كانت تجعل الشرمان ينشغلون بالمجادلات الدينية، ولكن الشيء الذي كان يوّحد بينهم عموماً هو أنهم يمثلون بدائل للمذهب البرهمي وطقوس التضحية والقرابين. ولما كان نظام القرابين الذي يترأسه البراهمة معقداً ومكلفاً فإنه لم يقدم الكثير مما يلائم رب البيت العادي، أو المزارع أو صغار التجار. ولهذا كان هؤلاء ينجذبون بقوة إلى تعاليم الشرمان، وكان الدافع المسيطر على معتقداتهم المختلفة هي فكرة التحرر من متاعب الحياة، وذلك في أغلب الأحيان عن طريق التنظيم الصارم أو الزهد.

انضم «سدهاتا» إلى جماعة من النساك أو الزهاد، وظل فترة من الوقت يعمل بجدية تامة جاهداً في السعي وراء الحقيقة الروحية بمنهج الزهد، وأخيراً وجد أنه لم يتقدم كثيراً في سعيه على الرغم من أن نظام الزهد الذي اتبعه بلغ من الصرامة حداً جعله «جلداً على عظم»، واقترب به كثيراً من الموت، فقرر أن ما يبحث عنه لا يمكن الوصول إليه عن هذا الطريق، ولا عن أي طريق آخر من الطرق التي يمثلها القادة الدينيون المعاصرون له.

٣ ـ الصحوة :

ترك «سدهاتا» الزهاد، ومضى في حال سبيله حتى وصل إلى ضفة نهر جايا Gaya، وهو رافد يصب في وسط نهر الكنج، وجلس تحت شجرة البو Bo-Tree، وهناك بدأ في التأمل الجاد على طريقة الرجال المقدسين في الهند، عازماً على أن يظل في تأمله على هذا النحو حتى يصل إلى الاستنارة التي يسعى إليها. ويخبرنا التراث كيف هاجمه الشيطان مارا Mara وبناته الثلاث، وكيف حاولوا بحيلهم المختلفة أن يجعلوه يحيد عن تحقيق هدفه في أن يصبح بوذا (أي المستنير)، غير أن جهودهم كلها ذهبت هباء[١]. وبعد ليلة من الصراع الروحي أمكنه أن يتغلب على جميع العوامل

(١) تشبه جداً تجربة الأربعين يوماً في المسيحية حيث كان الشيطان يحاول غواية السيد المسيح «أخذه إبليس إلى جبل عالٍ وأراه جميع ممالك العالم، ومجدها. وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد «متى ٤ : ٧ـ٨ «المترجم».

الشريرة التي تربط الناس، في رأي البوذية، بهذا العالم الفاني الناقص ـ وهكذا استيقظ بوذا ودخل في نطاق الوجود الأزلي المتعالي.

ويوضح التراث أنه كان باستطاعته عند هذه النقطة أن يظل هكذا، دون أن ينشغل أو يهتم بالعالم الفاني الزائل، لكن بوذا رحمة منه، وشفقة على جماهير الجنس البشري ـ طرح هذا الإمكان لكي يكرس نفسه خلال الفترة الزمانية الباقية من حياته الفانية لإعلان الدهاما Dhama أو الحقيقة الأزلية التي أيقظته(١).

ومن ثمَّ ظل في تأمله لمدة أسبوع واحد آخر، ثم لبث فترة يتجول جيئة وذهاباً في المنطقة المجاورة لشجرة «البو»(٢). وخلال هذه الفترة عاد إليه الشيطان «مارا» من جديد وحثه ـــ وقد أصبح الآن بوذا ـــ أن يهجر عالم الفانين هذا، ويستمتع بغبطة النبانا nibbana، وإن كانت كلمة النرفانا Nirvana السنسكريتية أكثر شيوعاً، فأجابه بوذا بقوله: إنه لابد له أن يعلن أولاً الدهاما Dhamma للآخرين، ولابد أن يرى نظام الرهبان وقد استقر، وعندها فقط يغادر نهائياً هذا العالم الفاني.

ويقال إن أول موعظة ألقاها بوذا عن «الداهما» (الحقيقة الخالدة) كانت في الهواء الطلق في حديقة غزلان قرب «بنارس» وتعرف هذه الموعظة في التراث البوذي باسم «موعظة تحريك عجلة الداهما»(٣). ومن المرجح أن الشكل الذي حفظ به نص هذه الموعظة في لغة بالي Pali ـ كان نتاج فترة متأخرة، رغم أنها قد احتوت على بعض العناصر الأساسية في الفكر والممارسات البوذية المبكرة (وسوف نشرح المعالم الرئيسية لهذا المذهب المبكر فيما بعد).

---

(١) سمعت صوتاً بداخلي يقول بقوة: نعم في الكون حق أيها الناسك، هناك حق لاريب فيه، جاهد نفسك حتى تناله» (المترجم).

(٢) تسمى أحياناً «شجرة العرفان» التي تحتها أشرقت شمس الهداية على بوذا، ويرى البعض أنها شجرة من فصيلة التين وقد عنى البوذيون بأمرها عناية كبيرة. جعلوها موضع تقدير إلى درجة التقديس. ويرى البعض أنها كانت فصيلة التين. ويربطون بينها وبين الآية الكريمة «والتين والزيتون وطور سنين» فالتين رمز لبوذا الأكبر، والزيتون رمز لعيسى عليه السلام، وطور سنين لموسى ـ وتقديم التين على الزيتون إشارة إلى أن ظهور بوذا كان قبل ظهور عيسى.. إلخ.
راجع في ذلك كله الأستاذ حامد عبدالقادر في كتابه «بوذا الأكبر» ص ٥٤ ـ ٥٧. (المترجم).

(٣) أو موعظة دوران عجلة الحقيقة على اعتبار أن الحقيقة هنا هي فلسفة بوذا الأكبر التي تقدم تفسيراً لأسرار الحياة، وبداية دوران العجلة أو تحريكها يعني أن بوذا انطلق مبشراً بدياناته الجديدة (المترجم).

٤ ـ بداية الجماعة البوذية :

بدأ بوذا منـذ ذلك الوقت يجذب إليه التـلاميذ الذين كانـوا شغوفين لسماع المزيد من تعاليمه، والاسترشاد بالطريق (ماجا Magga) الذي يتحدث عنه. ولقد كانت تعـاليم بوذا تـوجـه إلى كل الناس بغير استثنـاء سواء كـانـوا من علية القـوم، أو من أراذلهم، كما عبّرت عنها بألفاظ ذات معنى حتى بـالنسبة لأبسط الناس ـ وذلك على خـلاف تعاليم البراهمة وغيرهـم من فلاسفـة الهنـد القديمـة، وهـم الـذين حفظت فلسفتهم في بحوث عـرفت باسم اليـوبانشاد (وهـو اسم يشير إلى حلقة خـاصة من التلاميذ)[١].

ولقـد عـرض بوذا هـذه التعـاليم في مجمـوعـة كبيرة من الحكايـات والأمثـولات والتشبيهات والطـرائف وأمثالها من أساليب التعليم الشعبي، وكان بـاستمرار يشرح ذلك بطريقـة تثير اهتمام الناس وتشجعهم على أن يلزمـوا أنفسهم على نحو شخصي «بالطريق» الذي عن طريقه وحـده، يمكن أن يأملوا في الوصول إلى فهم تام وعميق للحقيقة. وهذا التأكيد على أهمية الحاجة إلى التحقق الشخصي مما تم قبوله في البداية على أسـاس الإيمان قد ظلّ هـو السمـة الغالبـة على الممارسات البـوذيـة حتى يومنـا الراهن.

كان أتباع بوذا خلال الأربعين سنة التي قضاها في ممارسة نشاطه العام، من جميع الطبقـات ومن كافـة المهن والأعمال. وقـد احتقـر البوذيـون نظـام الطبقات المغلقـة الهندي المتـزايد، فعندما ينضم رجل إلى نظـام «السنغا Sangha»[٢]، وهـو نظـام أولئك الذين انشغلوا طول الوقت بالسعي وراء الحيـاة البوذية المقدسة، لايهم من أية طبقة أو طـائفة جـاء، لأن احترام أعضاء النظام إنما يكـون بناء على درجـة قداستهم فحسب، أعني بنـاء على عمق تجربتهم في نظـام «السنغا». وقـد كـانـت هناك كثـرة أخرى، إلى جـانب أولئك الذين دخلـوا النظام، ممن ظلوا أتبـاعاً عـاديين يمارسون

(١) سبق أن ذكرنا أنها تعني الجلوس بالقرب من المعلم (المترجم).

(٢) السنغا هي جماعة المتصوفة دعاة البوذية (المترجم).

قواعد الحياة البوذية لرب البيت، حتى يأتي الوقت الذي يقررون فيه الانخراط في حياة الرهبان البوذيين فيصبحون مثلهم بلا مأوى، ولا مقتنيات، مكرسين أنفسهم أساساً لحياة التأمل.

٥ ـ تطور النظام :

كان بوذا وتلاميذه في البداية يشكلون جماعة من« الشرمان» المتجولين، ولم تتبن هذه الجماعة طريقة مستقرة في الحياة إلا فيما بعد. وغطيت منطقة وسط وادي نهر الكنج كلها بمدنها المختلفة كبيرة أو صغيرة، بجماعة الرهبان البوذيين الجائلين ذهاباً وإياباً، حتى أصبح اسم «حكيم سكياس» (بوذا) معروفاً معرفة جيدة ومحترماً للغاية بطول هذه المنطقة وعرضها.

وكانت ظروف العصر مواتية لنمو الجماعة البوذية، فقد اختفت الاتحادات القبلية قبل قدوم النظم الملكية الأكثر قوة والأشد عدوانية كالنظام الملكي في منطقة مجاذا Magadda بعاصمته بتليبوتا Pataliputta (بتنا Patna). ومع اختفاء الجمهوريات اختفت كذلك طرق وأساليب الحياة القديمة المألوفة، وكان تنظيم النظم الملكية أوضح وغير شخصي أكثر، ولذلك سر الناس أن يجدوا في الجماعة البوذية التي نظمت على غرار الاتحادات القديمة، شيئاً من الحياة المشتركة التي فقدوها. وفضلاً عن ذلك فقد أدت الظروف المضطربة للعصر إلى ظهور أسئلة كهذه بمزيد من الحدة: لماذا نعاني نحن البشر؟ وما الغاية النهائية من الحياة البشرية؟.. وما إلى ذلك. وقد وجد الكثيرون إجابات شافية عن هذه الأسئلة في التعاليم البوذية.

لم يكن بوذا وتلامذته يتجولون طوال العام، إذ يصبح التنقل مستحيلاً لمدة ثلاثة أشهر، أو نحو ذلك، وهي فترة الأمطار الموسمية الغزيرة في شمال الهند، وكانت مجموعات الرهبان البوذيين تلجأ خلال هذه الفترة إلى أماكن أشبه بالمخابىء حيث يعيشون حياة جماعية، ثم يعودون بعد أن تنتهي فترة المطر إلى التفرق في أماكن شتى مرة أخرى. ولكن مع مرور الزمن امتدت هذه الممارسة للحياة المشتركة خلال

انحسار المطر إلى فترة ما بعد انتهائه حيث بدأت جماعات من الشرمان البوذيين في الاستقرار[1] .

٦ ـ استقرار البوذية في الهند :

لايتضح من الشواهد المتاحة طبيعة التسلسل التاريخي للكهانة البوذية . ويبدو من التراث المروي أنه عندما توفي بوذا في سن الثمانين كان قد أصبح شخصية شهيرة ومحترمة للغاية ، كما كان له أتباع ومؤيدون من الأغنياء والفقراء على السواء . فقد كان ملك «مجاذا» المسمى بمبزارا Bimbisara واحدا من أخلص تلاميذه[2] ، ويبدو أن موقف بوذا تجاه النظام الملكي كان يشوبه بعض الالتباس ، إذ تدل بعض الأقوال المنسوبة إليه ، على أنه نظر إلى ممارسة الملكية بوصفها عقبة في سبيل السعي إلى الحياة الدينية وأنها مصير ينبغي تجنبه إذا أمكن . ويبدو من ناحية أخرى أنه أخذ بوجهة النظر التي تقول إن الملك إذا كان لديه استعداد طيب نحو «الحقيقة البوذية» ، يستطيع أن يفعل الكثير لتيسير التطبيق المؤثر للحياة البوذية على رعاياه ، وذلك بأن يؤكد وجود عدالة اجتماعية داخل مملكته ، وأن أحداً لايعاني من الفقر أو الحاجة ، كما لا تسنح الفرصة لأحد لكي يزداد ثراء على نحو فاحش .

ونحن نجد هنا تطبيقاً للمبدأ الذي تميزت به البوذية ألا وهو «الطريق الوسط» ، وهو يعني الطريق الذي يقع بين حياة الحس والمتعة المسرفة ، وبين حياة الزهد والتقشف المتطرفة . ولقد رفض بوذا نفسه هاتين الحياتين المتطرفتين في مسار حياته وهو يدنو من البوذية . والظاهر أن خلق الظروف المثالية لتحقيق حياة بوذية بأكبر عدد ممكن من المواطنين ، كان في نظر بوذا هو المهمة الحقيقية للملك الورع . فالنظام الاجتماعي العادل تفترضه سلفاً تعاليم بوذا بدلاً من أن تأمر به ، على الرغم من أننا

---

(١) كانت جماعة الرهبان البوذيين ، وفقاً للتقليد البوذي ، تستخدم الكهوف منذ أقدم الأزمنة لاسيا كملاجىء في موسم الأمطار ، ومع أن هذه الملاجىء استبدل بها تدريجياً أديرة مبنية فقد استمر التقليد القديم في بعض أجزاء الهند ، حيث كشفت الحفريات عن عدد من الكهوف التي لم تكن تستعمل للسكن بل للعبادة (المترجم) .

(٢) تقول الرواية إن بوذا ومعه أتباعه ذهبوا إلى مقر الملك ، وألقى عليه بوذا مواعظ «ذاب لها قلبه» فقبل الدين الجديد وأصبح من أشد تلاميذه إخلاصاً ! (المترجم) .

لا نفتقر إلى الإشارات الكثيرة في تعاليم بوذا التي تقول بوضوح إنّ هذا النمط من الحياة الاجتماعية هو الذي تهدف إليه. ولهذا السبب فإن المؤرخين الهنود المحدثين من أمثال «د. د. كوزامبي D.D.Kosambi» و«روميلاتابر Romila Thaper» يعتبرون البوذية في بدايتها «فلسفة اجتماعية» يجد أي حاكم صالح أنه من الضروري أن يتوافق معها.

٧ ـ وفاة بوذا:

سُجلت الأسابيع القليلة الأخيرة في حياة بوذا، على خلاف السنوات السابقة، بشيء من التفصيل في مقال «حول الدخول في النرفانا النهائية» ماهابارينيبانا سوتا Mahaparinibbana Sutta، وها هنا نجد الشيطان «مارا» يواجه «بوذا» مرة أخرى على نحو ما فعل مرات عديدة خلال السنوات التي انقضت منذ أن أصبح «بوذا»، وإن كان دائماً قد تراجع مهزوماً مدحوراً. وفي هذه المرة أيضاً يلّح على بوذا أن ينسحب من الحياة الأرضية ويدخل النرفانا الأخيرة. ولقد تلقى الشيطان هذه المرة مايبدو أنها إجابة مقبولة، فقد أكد له بوذا أن هذه النهاية ستكون بعد ثلاثة أشهر من ذلك اليوم.

غير أن الرواية تُبين بوضوح أن الشيطان مارا لم يجد في هذه الإجابة أي لون من الراحة، فنظام الأخوة في البوذية، ونظام الأخوات فيها، وكذلك أنظمة العامة من التلاميذ من الجنسين، قد استقرت الآن تماماً. وبعد سبعة أيام من وفاة بوذا في مدينة كوشنجارا Kushingara (وفي السنسكريتية كوزنجارا Kusinagara)، وهي مدينة صغيرة (اسمها الآن كازيا Kasia) إلى الشمال الغربي من بتنا Putna وبالتحديد جنوب حدود نيبال، تم إحراق جثته. وأقيم احتفال مهيب بهذه المناسبة على غرار ما كان يحدث في حالة وفاة الملك في تلك الأيام، وقسم رفاته (ماتبقى من حرق الجثة) بالتساوي على ثماني مجموعات، ونقلت كل جماعة نصيبها حيث أقامت فوقه ضريحاً مقدساً على غرار أحد أشكال تخليد وتكريم الموتى المعروفة في الهند باسم «ستوبا Stu-pa». وأصبح هذا الضريح عند عامة البوذيين مركزاً لعبادتهم، ثم تطور إلى الصورة التي عُرف بها في سري لانكا وجنوب شرق آسيا إلى مايسمى الباغودا Pagoda على

نحو ما سنذكر فيما بعد.

٨ ـ مذهب بوذا:

سيكون من الحمق أن نفترض أن أيـة عقيدة دينية أصيلة يمكن تركيـزها في بضع صفحات مضغوطة، ثم تقـديمها كعينات للباحث المهتم ليأخذ منهـا ما يريد. ولا يصدق هذا على شيء كما يصدق في حالة العقيدة البوذية، لأنها ببساطة ليست نسقاً أيديولوجياً قُصد به التقييم العقلي. ويصر البوذيون، وهم على حق، على: «انك إذا أردت أن تفهم العقيدة البوذيـة فلابد لك أن تمارسها!». فتعـاليم العقيدة أريد لها، منذ البداية، أن ينفذها أولئك الذين ارتبطوا بالحياة البوذية، وأن ترتبط بمواقف الحياة عند التلميذ، خطوة خطوة، وهذا هو أسلـوب ممارستها في آسيا حتى يومنا الراهن. ومع ذلك فإن مـا يمكن نقله مطبوعـاً ومضغوطـاً هو الوصف العـام لوجهـة النظر البوذيـة من الموقف الإنساني، والحاجـات الروحيـة للإنسان، وهـي التي يعترفون أن بوذا بلّغهم عناصرها الجوهرية.

٩ ـ الحقائق الأربعة المقدسة:

يمكن لأي عرض لهذه العقيدة أن يبدأ بأي نقطـة من بين عدد من النقاط. ومن المناسب هنـا أن نبدأ بأفضل العـروض التمهيديـة المعروفة ــ وهي تبدأ بما عُـرف عند البوذيين «بالحقائق الأربعة المقدسة».

أولى هـذه الحقائق: التأكيـد على أن الـوجود الفـاني كلـه يتسم «بـالدوخـا . . Dukkha» ـ وهي كلمـة تشمل جميع المعاني التـي تحملها كلمات «المرض»، و«الشر» و«الضيق أو السخط» و«النقص» و«الداء أو العلة». فهناك أوقات في حياة الإنسان ـ قد تمتد فترات طويلة ـ لايدرك فيها المرء عن وعي هذه الخصائص كلها، ولكنها تؤكد نفسها في النهـاية. ويمـر المرء بتجارب مـرة فيشعر أن الأشيـاء ليست على نحـو ما ينبغي أن تكون عليه، ولا كما يتمنى لها المرء أن تكون، وكلما كانت حساسية الإنسان مرهفة ازداد وعيه بهذه الحاجة الأساسية لكل وجود فان.

الحقيقة الثانيـة هي مايسمى «بالسـامودايا . . Samodaya» أو «نشأة» هـذا

الإحساس بالضيق، وهو يأتي من الشهوة أو الرغبة، ويقصد بها عطش الروح البشري الدائم إلى استهلاك الأشياء أو التجارب أو الأفكار، وهو في الواقع ميل الفرد للتحكم في البيئة من حوله واستغلالها في إشباع ملذاته.

الحقيقة الثالثة هي «النيروذا Nirodha» أو «كف» الرغبة، أي وضع حد للرغبة الفردية، الأمر الذي يعني كذلك وقف تجربة «الدوخا»، وهذا التوقف يعادل «النرفانا» وهي الحالة المثالية للوجود، فأن تكون في هذه الحالة المثلى معناه أن تكون في حالة «النبوتا .. Nibbuta» ـ وهي كلمة تستخدم في الحياة اليومية في الهند، وكانت تعني في عصر بوذا «البرودة» بمعنى حالة البرودة التي تعقب الحمى، أعني حالة الصحة والعافية. ولقد كانت كلمة النبوتا تعني في الاستخدام البوذي الخاص وصفاً للإنسانية المثالية التي هدأت أو «بردت» من حرارة الانفعالات الرئيسية الطاغية؛ من الكراهية، والجشع، والوهم، (والأفضل من ظلام الروح أو عمى الروح).

الحقيقة المقدسة الرابعة: إن هناك طريقاً يمكن أن يسلكه المرء لإيقاف الرغبة، والوصول إلى مثل هذه الصحة، وإلى مثل هذه الحالة النقية من الوجود التي تحدثنا عنها فيما سبق. وهذا هو «الطريق Magga»، الذي أراده بوذا، والذي يمكن كذلك للآخرين أن يتعلموا كيف يسلكونه.

١٠ ـ الطريق البوذي:

(أ) الأخلاق:

إن الوصف الأساسي والقديم للطريق هو أنه ذو ثلاث شعاب هي: الأخلاق، والتأمل، والحكمة. وهي ليست ثلاث مراحل متعاقبة يمر المرء بالواحدة منها تلو الأخرى، وإنما هي شعاب أو دروب نسير عليها جميعاً في وقت واحد، بيد أن للأخلاق أولوية خاصة: فبدون الجهد الجاد في مراعاة المبادىء الأخلاقية، لن تكون ثمة ممارسة فعالة ومؤثرة للتأمل.

ويُعبر عن القواعد الأخلاقية الخمس الأساسية ـ بالنسبة للرهبان ولعامة الناس

على حد سواء - في صيغة تستخدم بانتظام في العبادات اليومية، ويمكن ترجمتها على وجه التقريب كما يلي: «أتعهد بالإحجام عن إلحاق أي أذى بالكائنات الحية، وأن لا آخذ شيئاً لم يعط لي (أي أن أمتنع عن السرقة)، وبأن أمتنع عن الممارسات الجنسية اللا أخلاقية، وعن الكذب، وتناول الخمر والمخدرات التي تذهب العقل». وهناك درجة أكثر تقدماً في النظام الأخلاقي يتبعها البعض من عامة الناس، وتعتمد على مراعاة ثلاثة مبادىء إضافية هي: أن أمتنع عن تناول الطعام بعد الظهر، وأن أمتنع عن الرقص والغناء وألعاب التسلية، وأن أمتنع عن استخدام أكاليل الزهور أو مستحضرات التجميل، وأن لا أتزين بأي نوع من أنواع الزينة. وهذه الإضافات إلى قاعدة الحياة لعامة الناس يؤخذ بها في الغالب أيام العطلات والأيام المقدسة كتعبير عن عمق الإيمان.

ومجموعة القواعد الثمانية هذه هي التي يشير إليها البوذيون الجادون، عندما يتحدثون عن «مراعاة المبادىء الثمانية في الأيام المقدسة في المعبد والدير» وهذه المبادىء الثمانية ينبغي ألا تختلط مع الطريق ذي الشعاب الثمانية، لأنها مجرد تطوير أبعد وأوسع للبنية الثلاثية الأصل للأخلاق والتأمل والحكمة، وسوف نعرض لها في القسم التالي. وينبغي على أعضاء النظام في جماعة «السنغا Sangha» مراعاة المبادىء الثمانية في جميع الأوقات، مع إضافة مبدأين هما الامتناع عن قبول الذهب والفضة، والامتناع عن استعمال فراش وثير. وهناك التزامات وواجبات أخلاقية واجتماعية أخرى يتعين على الرهبان والعامة مراعاتها، وسوف نشير إليها عندما نتحدث عن المسئوليات الاجتماعية.

قد يبدو حتى الآن أن طريق البوذية سلبي إلى حد كبير، أعني أنه يعتمد فيما يظهر على الامتناع عن أنواع مختلفة من الأنشطة التي تعتبر ضارة بالتقدم الروحي. وقد يبدو كذلك أننا لم نقل الشيء الكثير حتى الآن عن المذهب البوذي. والواقع أن النقطة الأولى الهامة في هذا المذهب هي أن الحياة الأخلاقية الطيبة هي الأساس الذي يجب أن يبدأ منه فهم الطبيعة الحقة للأشياء. وتقول تعاليم بوذا إن هذا هو نوع الحياة الأخلاقية الذي ينبغي اتباعه.

(ب) التأمل :

والجانب الرئيسي الثاني من الطريق الذي وضع بـوذا معالمه هو التأمل. فالسلوك الحق ينبغي أن يصحبه الفكـر الحق أو المواقف الحقة. والفكر والعمل معاً مـرتبطان بالوجود الحق، لأن تنمية الفكر الحق، أو المواقف الحقة (أو النصائح السديدة) ـ أي السليمة مـن الناحية الأخـلاقية ــ هي من أول أهداف التأمل. والتـأثير المتبادل بين الفكـر والعمل موجـود في الوصف المفصل للحيـاة البوذيـة بوصفهـا طريقـاً ذا ثمان شعب، والبنود الثمانية وعلاقتها بالتخطيط الثلاثي للأخلاق والتأمل والحكمة يمكن أن تعرض على النحو التالي :

١ ـ الفهم الحق	الإيمان	الحكمة
٢ ـ الفكر الحق	كبداية	كنهاية أو غاية
٣ ـ الكلام الحق		
٤ ـ الفعل البدني السليم	الأخلاق :	
٥ ـ المعيشة الحقة		
٦ ـ الجهد الأخلاقي الحق		
٧ ـ الانتباه العقلي السليم	تأمل	
٨ ـ التركيز الحق		

وسـوف نـرى أن مسلسل : الأخـلاق ــ التـأمل، الحكمـة، يسبقـه الإيمان بصـورة مبدئية. وفي بـداية الحياة البوذية نجـد أن الفهم الحق (أي فهم طبيعة العالم والموقف الإنسـاني) والفكـر الحق (أي الموقف الذهنـي الداخلي الحق)، يعتمـدان على قبـول التفسير الذي قـدمه بـوذا للأشيـاء. ولكن، في النهـاية، وبعـد أن نحيا حيـاة بوذا الأخلاقية والتأملية، يصبح ما سبق قبوله عن طريق الإيمان موضوعاً للمعرفة المباشرة أو الحكمـة. ويصبح الفهم الشخصي للحقيقـة ممكناً، حيـث كان ينبغي قبـولـه في البداية اعتماداً على ارتباطه بهذا التحقق النهائي من خلال مسار الحياة البوذية.

يكفي أن نقول هنـا، بالنسبة للتأمل، إنـه في حين أن تعاليم بـوذا كانت تشتمل على إشـارات كثيرة لممارسات التـأمل العملية، فإن مـوضـوع التأمل نفسـه من حيث مراحلـه المختلفة، وفوائده المتعـددة كان أحد الموضـوعات التي ينظر إليهـا في تراث البوذية على أنها تُعلَّم على أفضل وجه عن طـريق الإرشاد الشخصي من قبل أستاذ أو معلم للتأمل. ولابد أن يوضع في الاعتبار الموقف الشخصي للتلميـذ، ومزاجه، ونوع شخصيته، ومنهج التـأمل المناسب له. وبمقـدار ما يمكن بحث هـذا الجانب من البوذيـة بمساعدة الكتب، فيمكن أن نـوصي القارىء بـالاطلاع على كتاب ا. كـونز E.Conze عن التأمل البوذي.

(ج) الحكمة :

إن السمات الـرئيسيـة للحكمـة التي يصل إليهـا، في النهـايـة، من يحيـا الحيـاة البوذية، متخـذاً من وصايا بوذا مـرشداً، تعرضها تعاليم بـوذا. ولكن ينبغي التأكيد على أن وجهة نظر بـوذا هي أن الحقيقة حول طبيعة الأشياء التي أدركهـا بوذا وأعلنها لن تفرض على المتعلق بالـدنيا أن يقبلها مباشرة، فـالفهم الشخصي لهذه الحقيقة هو الحكمة: وهـو الهدف من الطريق البوذي، ولكن بلوغ هـذه الحكمة يقتضي الارتحال عبر هذا الطريق.

والسمات الرئيسية للحكمة التي أعلنها بوذا هي كالآتي: لقد لاحظنا فيما سبق أن الحيـاة كلها «دوخـا Dukkha» ولابد أن نضيف إليهـا خاصيـة عامة أخـرى للحياة الفـانية، وهي أن «الكل زائل» أو «أنيكـا Anicca» (وفي اللغة السنسكـريتية أنيتـا Anitya)، أي عـدم الـدوام، لاشيء يمكـن أن يبقى نفس الشيء، أو أن يظل على حـاله، فـالكون كلـه الذي يمثل أمـام الإدراك الحسي هـو في حالـة تدفق مستمـر. والناس لاينظـرون إلى الأشياء على أنها دائمـة إلا على سبيل الخطأ، وهم يخطئون حين يتصـورون أنها أساسـاً على مـاهي عليـه عبر جميع الأحداث العـارضـة التي تمر بها. ويقودنـا إدراك هذه الحقيقـة إلى حقيقة أخـرى، وهي «العلامـة» أو الخاصية الثـالثة للوجود الأرضي، وأعني بها «أناتا Anatta» (في اللغة السنسكريتية Anatman) وهي الحقيقة ذات الأهميـة القصوى التي تقـول إنه لاتـوجد روح دائمـة، ثابتـة وحقيقية

(Atman) داخل الفرد الإنساني.

ويرى بوذا أن الناس في حمقهم يعتقدون في وجود مثل هذا الكائن الحقيقي الذي لايتغير داخل كل فرد. إنهم يفكرون ويتصرفون على هذا الأساس فيحارب بعضهم بعضاً للدفاع عن تلك الأرواح الفردية الخالدة المزعومة أو لإنقاذها. ولقد أعلن بوذا، معارضاً بعض فلاسفة الهند المعاصرين له الذين يعلمون الناس أن الحقيقة الكونية النهائية (وهي برهمان Barahman) متحدة مع الروح (Atman) - أعلن بوذا أن الأرواح البشرية تتألف من التحام زمني مؤقت لخمس مجموعات من العوامل (أو الخندات Khandhas)[1]، أولاها عوامل بدنية والمجموعات الأربع الأخرى غير بدنية.

١١ - التدفق المستمر

يستغرق اتحاد هذه المجموعات الخمس إلا لحظات مؤقتة، فهي في تدفق مستمر، وفي النهاية، عند موت الفرد، يتوقف ارتباط هذه العوامل، ولايبقى منها شيء. وهذه المجموعات الخمس من العوامل هي ١ ـ الصورة البدنية. ٢ ـ الإحساس. ٣ ـ الإدراك الحسي. ٤ ـ الإرادة. ٥ ـ الوعي. وينبغي أن نلاحظ أن مذهب بوذا لا يؤكد أنه لاشيء خالد، وإنما يذهب فحسب إلى أن (هذا الشيء) لايمكن أن يوجد في الفرد البشري المنعزل.

لقد أنكر بوذا حقيقة الروح الفردي، وهذا الإنكار هو أهم مايميز مذهبه عن مذاهب الفلاسفة الدينيين الآخرين في الهند، ولهذا نظرت هذه المذاهب الفلسفية إلى آرائه على أنها هرطقة. وقالوا إننا إذا أنكرنا الروح، فإن السعي الأخلاقي سيكون بلا قيمة، ولن يكون هناك أساس للعدل الأخلاقي. وإذا لم تكن هناك روح باقية وثابتة، فلن يكون هناك مَنْ يستحق المدح أو الذم، والثواب أو العقاب، وإذا لم يجن الإنسان ثمار أعماله الصالحة أو الطالحة، فما الذي يجعله يهتم بطريقة حياته؟

هذا الالتجاء إلى المصلحة الذاتية كباعث محرك للحياة الأخلاقية، بدا عندئذ

(١) الخندات هي المجموعات، وهي خمس مجموعات رئيسية تنقسم إلى مجموعات فردية يتألف منها الفرد عند البوذيين (المترجم).

للكثيرين، ولايـزال يبـدو حتى الآن، وجهـة نظر صحيحـة كل الصحـة يقتضيهـا الحس السليم بـالأشيـاء، ولايمكن التخلي عنهـا إلا لصـالح الفـوضى الأخـلاقيـة والاجتماعيـة. وقـد كـانت هـذه الحجـة من القـوة بحيث نشأت حتى بين البـوذيين أنفسهم فرقة غير تقليدية عُرفت باسم «الشخصانيين Personalists» ذهبت إلى أنه على الرغم من أن بـوذا أنكر حقيقة الـروح، فلابد أنـه أكد حقيقة الشخص بـوصفه الأساس الدائم للوجود.

لكن بوذا في رفضه ما اعتقـد أنه وهـم «الذاتية Selfhood» الذي ينبغـي أن يبدد بـواسطة الأنظمـة الأخلاقيـة والتأملية للحيـاة البوذيـة، قد أكـدّ حقيقة عـالم أوسع للوجـود لاينحصر داخل حدود «الأنـا» أو ذاتي، أو ملكي mine، كما ألّـحَ على الناس مبيناً أهمية تدمير هذه النظرة المتمركزة حول الذات Egocentric، وهي النظرة التي تفرض بالضرورة أن تتألف الحقيقة الروحية من كثرة من موجودات متمركزة حول ذاتها، وذلك لكي يستطيع النـاس أن يعيشوا حياة أوسع وأكثـر حريـة، وهي الحياة التي تجاوز الحدود الضيقة لرغبات الفرد وشهواته، الحيـاة المتعالية المتحررة من الرغبة التي هي النرفـانا Nirvana. والسعي نحو هذه الحالة المتعالية هو الذي يزودنا بكل دافع ضروري للكفاح الأخـلاقي، طبقاً لوجهـة النظر البـوذية، وهو الطـريق الذي دعت الناس أن يسلكوه، ولقد كان بوذا يتكلم من موقع رجل خبر ما ماتحدث عنه. وفي مثل هذا الموقف الممتـاز لا نستطيع في الواقع أن نقول إلا مـا قاله بـوذا وهو إيهي باسيكوا Ehi Passiko أي «تعال وانظر!».

١٢ ـ جماعة بوذا:

كـانت الدعـوة في المقام الأول، دعـوة إلى أن يفقد المرء وجـوده الفردي في الحيـاة المشتركة لجماعة «السنغا Sangha» أو النظام البوذي «للبهخوس Bhikkhus» وهذه الكلمةالأخيرة تترجم عادة «بالرهبـان» أو «الراهبات» وهي بغير شك ترجمة أقرب إلى معناها من كلمة «كاهن» التي يستخدمها الأوربيون أحيـاناً استخداماً خاطئاً عندما يطبقونها على أعضـاء الجماعة البوذية في آسيـا في وقتنا الراهن. والكلمة تعني حـرفياً «المشـارك Sharer»، وكانت تشير في البـداية إلى واقعـة أن «البهخو Bhikku»

يعتمدون في قوت بعضهم على المشاركة في الطعام الذي يقدمه كل من يريد دعم الجماعة من أصحاب النوايا الطيبة، وهي تعني كذلك الشخص الذي يشارك في الرصيد العام من «الصدقات» التي تُقدم إلى الجماعة في أية منطقة معينة سواء أكانت أطعمة أم سلعاً.

وحياة «البهخو» كانت (ولا تزال) حياة تستلزم نبذ جميع المقتنيات والامتيازات الشخصية، والاستعداد للعيش في حياة مشتركة من الفقر والعفة. وداخل هذه الحياة المشتركة بأنظمتها المعترف بها، وبممارساتها التأملية، تنحل «أنا» الفرد، ويزداد وضوح المنظور البوذي الحق.

لقد طوّرت البوذية في مرحلة مبكرة وقنّنت قاعدة للحياة عرفت باسم الفينايا Vi-naya أي «النظام» وقد كانت البنود المنفصلة في هذه الشريعة البوذية في المقام الأول أحكاماً أصدرها بوذا، حول مشكلات نوعية تتعلق بالسلوك ظهرت في مواقف معينة. ثم قُبلت هذه الأحكام فيما بعد وأصبحت معياراً اتخذ شكل القانون في مجموعة هائلة تشغل الآن القسم الأول من الأقسام الرئيسية الثلاثة في شريعة الكتب البوذية المقدسة. وهذه الأقسام الثلاثة هي (١) النظام (٢) الأحاديث (٣) لب المذهب[(١)]. وكانت إحدى الوظائف الهامة لجماعة «السنغا» هي حفظ هذه المجموعات ونقلها في البداية مشافهة ثم في شكل مكتوب، ولا تزال هذه هي وظيفة السنغا حتى يومنا الراهن، وهي وظيفة يُنظر إليها بجدية تامة، لاسيما في مدرسة ترافادا Theravada البوذية التي تنتشر في «سري لانكا» وجنوب شرقي آسيا.

١٣ ـ انتهاكات ينبغي تجنبها :

أهم قسم بالنسبة للبهخوس من كل المجموعة المعروفة باسم «النظام» هو قسم يضم قائمة من ٢٥٠ بنداً تتعلق بالسلوك وتعرف باسم «الباتيموخا Pat imokkiha» وهي تتألف في الواقع من قائمة من الانتهاكات التي ينبغي تجنبها ابتداء من أكثرها خطورة، وهي التي تكون عقوبتها الطرد من النظام، يعقبها انتهاكات

(١) وهي على الترتيب: فينايا ـ بيتاكا Vinaya-Pitaka، سوتا ـ بيتاكا Sutta-Pktaka، وأبهيدهاما ـ بيتاكا Adhidamina-Pitaka (المترجم).

عقوبتها وقف العضو لفترة زمنية محددة، ثم انتهاكات تقل خطورتها بالتدريج حتى يصل الأمر إلى مسائل تتعلق بآداب السلوك واللياقة. وهذه القائمة تُتلى في الاجتماع الكامل الذي تعقده الجماعة كل ١٤ يوماً، ويطلب فيه الاعتراف بأي انتهاك لها. وهذه التلاوة ضرب من الممارسة القديمة للنظام البوذي، ولا تزال تراعى بإيمان وخشوع في أديرة الرهبان والراهبات على حد سواء، وهي تذكرة مستمرة للرهبان والراهبات بمعيار السلوك الملائم لأعضاء جماعة «السنغا».

هناك فارق هام بين «السنغا» البوذية والأنظمة الدينية في الغرب، وهو أن العضوية في حالة البوذية يمكن أن تستمر أو لا تستمر طوال حياة الرجل أو المرأة، فإذا ما شعر العضو «أو البهيخو» في أي وقت أنه لم يعد قادراً على الاستمرار في النظام، وأن عليه أن يعود إلى الحياة العادية، فهو حر في أن يفعل ذلك، بعد أن يُبدي رغبته إلى رئيس الدير. وليس من غير المألوف في بعض بلدان جنوب شرق آسيا أن يصبح الشخص عضواً في جماعة «السنغا» لمدة محدودة فحسب. ويُنظر إلى ذلك على أنه أمر جدير بالتقدير كما أنه نافع ومفيد. فإذا استطاع العضو البقاء في «السنغا» طوال حياته كان ذلك أفضل. وكثير من البوذيين يفعلون ذلك بطبيعة الحال، فيصبحون محترمين لهم تقدير خاص في المركب الاجتماعي الديني في المجتمع البوذي في آسيا.

هناك خطأ يقع فيه الغربيون بسهولة عندما يتصورون أن «السنغا» البوذية هي انسحاب من العالم. ويرجع ذلك، من ناحية، إلى استخدام الكلمة المضللة إلى حد ما وهي كلمة «الراهب». والواقع أن الرهبان البوذيين ليسوا، في العادة، رجالاً قطعوا صلتهم بالمجتمع كله، وليس الدير البوذي مكاناً منفصلاً عن المجتمع الأوسع، فهناك علاقات متبادلة بين الرهبان وعامة الناس، والناس يزودون الرهبان بالطعام والثياب ويساندون الدير بطرق شتى، بينما يقدم الرهبان خدمات مختلفة إلى الناس المحليين.

ويُعد التعليم من أوضح الخدمات التقليدية: فالدير مدرسة يذهب إليها البنين والبنات من أبناء القرية لتعلم القراءة والكتابة. والنتيجة هي أن بوذية الريف في آسيا

تحصل، عموماً، على نسبة أعلى من المتوسط في معرفة القراءة والكتابة. وهناك خدمات أخرى يقدمها الرهبان وتختص بالاحتفالات، لاسيما في الأعياد أو في المناسبات المختلفة مثل الجنازات. وهم يقدمون إرشادات منتظمة للجمهور حول طريقة الحياة البوذية، ويعملون مرشدين روحيين وناصحين أخلاقيين. وفضلاً عن ذلك فهم يؤدون دوراً قيادياً في شئون المجتمع المحلي ومشروعاته لاسيما في تايلند، على سبيل المثال، حيث تسعى الجهات الحكومية (في الزراعة والطب.. إلخ) إلى تعاونهم في تنفيذ الخطط الحكومية.

١٤ ـ الواجبات الاجتماعية لعامة الشعب:

هناك التزامات اجتماعية وأخلاقية معينة ومعترف بها ـ بالإضافة إلى المبادىء الأخلاقية الموجهة لعامة الشعب التي سبق أن ذكرناها ـ وصفها بوذا في أحد أحاديثه المعروفة باسم السيجالوفادا سوتا Sigoalovada Sutta، وهو حديث يشرح واجبات الأبناء نحو آبائهم، والآباء نحو أبنائهم، والتلاميذ نحو معلميهم، والمعلمين نحو تلاميذهم، والأزواج نحو زوجاتهم، والزوجات نحو أزواجهن، والخدم نحو مستخدميهم، والمستخدمين نحو خدمهم، وأخيراً واجبات عامة الناس نحو معلميهم الدينيين، أعني الرهبان، وواجبات الرهبان نحو عامة الشعب. وهذه المجموعات من الواجبات التي يبدو أنها ترجع إلى فترة قديمة جداً في تاريخ البوذية، لها في حالات كثيرة تطبيقات حديثة ملائمة بصورة ملفتة للنظر. وهذه السوتا Sutta بوجه خاص معروفة جيداً في سري لانكا وجنوب شرقي آسيا، وهي على العموم تراعى بإخلاص شديد أكثر من أمثالها من الشرائع الأخلاقية القديمة.

١٥ ـ انتشار البوذية في الهند:

إذا عدنا الآن إلى قصة تطور الجماعة البوذية بعد وفاة بوذا (٤٨٤ ق. م) فيكفينا أن نلاحظ خلال القرنين الأولين النمو المستمر لعدد أعضاء «السنغا» ولتأثيرها أيضاً، كما نلاحظ تدهوراً إلى حد ما في الحمية الدينية. وهذا اللون من رد الفعل ليس مجهولاً في أنواع التراث الديني الأخرى حيث يخبو حماس السنوات الأولى. فقد انشغل بعض

الرهبان ، على نحو متزايد بـالتفصيلات الحرفية للشريعة المنظمة ، وانصرفوا عن روح المذهب إلى النواحي القـانونية ، فبدأوا في انتقـاد غيرهم من الرهبان الـذين اتهموهم بـالتراخي والإهمال في مـراعـاة النظام. ولقـد أدى ذلك إلى حـدوث انقسـام كبير في المذهب بعد قرن واحـد من وفاة بوذا ، إذ انفصل أولئك الذين تمسكوا بحـرفية النظام وشكلوا جماعة خاصة استقلت عن أصحاب النظرة الأكثر تحرراً. أما التطور الرئيسي الثاني الذي حدث في القرنين الأولين فهو تطور المنهج التحليلي للفلسفة البوذية الذي كان قد بدأه بوذا .

١٦ ـ جوهر العقيدة أو أبهى داهما Abhidhamma

كانت تعاليم بوذا توجه إلى جمهور المستمعين ، ولهذا جاءت إلى حد كبير على هيئة محاورات ، وأمثولات ، وحكايات طريفـة (طرائف) وتشبيهات ، وما إلى ذلك . لكن بعض الأحـاديث المنسـوبـة إليـه ، لاسيما تلك الأحـاديث التي كـان يُعلّـم فيهـا «البهيخـوس Bhikkhus» تحتوي على تلخيصات للمسائل الجوهـرية في قوائم أو رؤوس مجموعات تستهدف المسـاعدة على التذكر. ونجد هذا بـوجه خاص في تحليل مجمـوعـات العـوامل الخمـس «الخنـدات Khandha» التي تشكـل مـــايسمى «بـالشخص» ، ولقد خضعت هـذه المجموعـات من العـوامل لتحليلات أخـرى ، ونتجت عن ذلك قائمة من الظـواهر الذهنية والنفسية وعلاقاتها المتبـادلة وتفاعلاتها شكلّت ما عُرف باسم« أبهيداهما» أو «جوهر العقيدة» .

وأصبحت دراسة هذه التجـريدات أحد الموضوعـات التي نالت اهتماماً كبيراً من رهبان البوذيـة في الفترة التي تلت وفاة بوذا : ونشأت الاختلافـات حول تفسير بعض النقاط ، وبعد حوالي قرنين تطور الخلاف إلى انقسام كبير بين مدارس فكرية . غير أن تعقيدات «جوهر العقيدة» (الأبهيـداهما)تجاوز نطاق بحثنا الحالي . ويمكن للقارىء أن يجد فكرة عن طبيعة هذه الموضوعات في كتاب «كونز Conze» الفكر البوذي في الهند ، الجزء الثـاني، وكتاب «ت . ر. ف مـورتي T.R.V.Murti» الفلسفـة المركزيـة للبوذية ، الفصل الثالث . ومن المناسب هنا أن نشير فحسب إلى أن المجادلات دارت إلى حد كبير حول مشكلـة ما إذا كان من الممكن النظر إلى الأحـداث الماضية والمقبلة

على أنها حقيقية، قبل حدوثها أو بعده. ويؤكد «الستافيراس» الكبار (أو التقليديون) أن الأحداث التي تقع في الحاضر هي وحدها الأحداث الحقيقية. أما خصومهم من السارفاستقادين Sarvastivadims فيؤكدون أن أحداث الماضي والحاضر والمستقبل هي كلها بالتساوي أحداث حقيقية، ومن هنا استمدوا اسمهم من سارفا بمعنى كل و آستي Asti بمعنى «يوجد» وفاديز Vadins أي المؤكدون أو المثبتون.

١٧ ـ التطورات البوذية في عهد أشوكا:

لم يكن تحول واحد من أقوى حكام الهند، وهو الإمبراطور أشوكا (٢٧٣ ـ ٢٣٢ ق.م) إلى الديانة البوذية ـ عملاً ذا تأثير ضئيل على التطورات التالية للجماعة البوذية، لاسيما أنه أصبح بوذيا في فترة مبكرة من حكمه، وقد حدث ذلك بعد اشتباكه في معركة عسكرية مع كالينجا Kalinga مما أدى إلى اتساع إمبراطوريته حتى الساحل الشرقي بعد انتصاره عليه. غير أن سفك الدماء أثناء القتال، جعل أشوكا يشعر بالاشمئزاز حتى لقد مرّ بأزمة روحية ونذر أن لايسمع بعد ذلك صوت الطبول في مملكته، وأن يسمع فحسب صوت الدهما Dhamma (جوهر العقيدة أو الحقيقة).

ولقد أقام أشوكا في جميع أنحاء الإمبراطورية العديد من المباني الصخرية ذات الأعمدة التي تم اكتشافها في العصور الحديثة وكانت مصدراً غزيراً للمعلومات التي تكشف عن خطط أشوكا وأعماله التالية. وعلى الرغم من أنه هو شخصياً كان يدعم «السنغا» البوذية، فقد مدّ بوصفه الإمبراطور رعايته وحمايته إلى جماعات دينية أخرى متنوعة. وتدل المباني التي أقامها على رغبته في رؤية التقوى والعدالة والرخاء الاجتماعي في المجتمع الذي كان يحكمه. وأدت صلة أشوكا الشخصية بالجماعة البوذية إلى نموها وزيادتها من حيث العدد والاتساع، فضلاً عن نتيجة أخرى هي الزيادة الملحوظة في شعبية «السنغا» حتى أصبحت تضم ضمن طبقاتها رجالاً دخلوها لأسباب ودوافع لم تكن دائماً هي الأسباب والدوافع السامية.

وحوالي عام ٢٥٠ ق.م، أي في منتصف حكم أشوكا، انعقد مجلس الرهبان البوذيين في بتنا Patna وكان من أهدافه الأولى مناقشة الموضوعات الفلسفية التي

انقسم حولها البوذيون، كما سبق أن ذكرنا، إلى ستافيراس Sthaviras وسارفستفادا Sarvastvadins». وفي النهاية انحسم الموقف لصالح المدرسة الأولى. ويبدو أن «سارفستفادا» قد انتقلت منذ ذلك الوقت تقريباً من العاصمة إلى الشمال الغربي في أعالي وادي الكنج، وأخيراً اتخذت مركزاً لها مدينة «ماثورة» (وهي مترا الحديثة جنوبي دلهي) على نهر جيمنا Jumna. وامتدت إمبراطورية «أشوكا» حتى الحدود الشمالية الغربية للبنجاب، ولما كان الرهبان البوذيون أحراراً في التنقل في شتى أنحاء المنطقة، فمن المرجح أن تكون الجماعة قد وصلت قرب نهاية عهد أشوكا إلى حدود مملكته حيث التقوا بإحدى الممالك الهلنستية في جاندهارا Gandhara.

ولم يكن هذا الاحتكاك بالثقافة الهلنستية بغير أثر على البوذية، وإنما كانت إحدى نتائجه أن تطورت فنون العبادة وأشكالها كما حدث لتمثال بوذا الذي يشير إليه الغربيون عادة باسم «صورة بوذا»، في حين يسميه البوذيون بوذا ـ روبا Buddha-Rupa أي هيئة بوذا[1]. فحتى هذه الفترة لم تكن هناك تماثيل أو نحت لبوذا، ولكن يبدو أن استخدام صور بوذا قد بدأ منذ فترة الاحتكاك بثقافة البحر الأبيض في شمال الهند. وبعض الأمثلة المبكرة التي تبدو فيها شخصية بوذا واقفاً تشبه شبهاً قوياً شخصية «أبوللو» اليوناني. غير أن هناك وجهة نظر أخرى تذهب إلى أن تطور هذا الشكل في الفن البوذي لايرجع إلى صلات ثقافية أجنبية بقدر ما يرجع إلى تطور محلي تمركز حول مدينة «ماثورا».

ولقد كانت الطريقة التي يُعبر بها عن محبة بوذا حتى ذلك العصر، طريقة رمزية تستخدم أشكالاً حجرية صلبة أو ربوة عالية (ستوبا Stupa) تمثل نصبا تذكارياً يضم رفاتا من نوع ما. وتم بناء الكثير من هذه الأشكال في شمال الهند في عهد الإمبراطور «أشوكا» تعبيراً عن تقوى البوذي. ولاتزال بعض نماذج هذه الأشكال المعمارية القديمة قائمة في الهند.

١٨ ـ النشاط التبشيري:

كانت إحدى طرق انتشار البوذية في عهد أشوكا هي التخطيط المنظم لحركة

(١) كلمة Rupa تعني الشكل والمادة معاً، وهي هنا تعني التمثال الذي يجسد هيئة بوذا (المترجم).

التبشير، فقد أرسل عدد من البعثات من مدينة بتنا Patna في تلك الفترة، وانتشرت في جميع المناطق التي تقع على حدود إمبراطورية أشوكا. ومن الصعب الآن أن نحدد بيقين الأماكن التي ذهبت إليها هذه البعثات المذكورة في الوثائق. ولكن هناك منطقة لايمكن الشك فيها، فقد أرسلت بعثة من الرهبان إلى «سري لانكا» وسوف نعود إلى الحديث عنها فيما بعد.

استقرت جماعات البوذية في جميع أنحاء الإمبراطورية التي أقامها أشوكا وازداد عددها، ومن المرجح أن تكون قد ازدادات من حيث الاتساع ومن حيث التوقير والإجلال الذي لقيته أيضاً. وبينما كانت «السنغا» مفتوحة باستمرار أمام الرجال والنساء على حد سواء ومن جميع طبقات المجتمع، كانت هناك إضافات ملحوظة إلى «السنغا» من طبقات البراهمة، فيبدو أنها لم تبلغ من الكثرة العددية مثل مابلغته في عصر «أشوكا» ومابعده. ولقد ساهم ذلك في ظهور اتجاه جديد في الفكر والممارسة البوذيين سمى في النهاية بالمهايانا Mahayana ـ أما كيف ظهرت، وكيف تطورت فهذاماينبغي علينا أن ندرسه الآن.

١٩ ـ نمو بوذية المهايانا في الهند :

كلمة «المهايانا» تعني «المنهج الكبير» أعني المنهج أو الطريق التي تحقق هدف البوذية. ولقد تبنى الاسم أتباع هذه المدرسة وهم على وعي بالفرق بينها وبين ماسمي باسم «المنهج الصغير» أو ا الميناييانا Minayana . والفرق بين هاتين المدرستين هو أن المهايانا كانت أكثر وعياً بالشمولية، بمعنى أنها تقدم نفسها لقطاع أوسع من المجتمع. أما الصورة الأقدم ـ والأكثر تقليدية ـ للحياة البوذية، فقد تضمنت تفرقة أكثر حدة بين الرهبان وعامة الناس عندما أكدت أهمية حياة الأديرة ودعت إلى المراعاة الدقيقة لشريعة «الفينايا Vinaya» كما ذهبت إلى أننا لانستطيع أن نبلغ هدف البوذية، وهو النرفانا Nirvana، إلا إذا عشنا حياة الأديرة. أما أتباع «المهايانا» فقد رأوا أن هذه نظرة ضيقة لا ضرورة لها، ورغم أنهم لم ينكروا صحتها أو مشروعيتها، فقد اعتقدوا ببساطة أنها صارمة بغير داع. وكان هناك جانب نقدي آخر وجهته مدرسة «المهايانا» إلى مدرسة «المانايانا»، وهو أن تأكيد المدرسة الأخيرة

يشجع على الغرور الروحي، وهو غرور يقوم في رأيهم على أساس سيء.

كان التوجه الشعبي للمهايانا، إلى حد ما، استمراراً لأحد الجناحين الكبيرين اللذين ظهرا بعد وفاة بوذا بقرن من الزمان تقريباً ـ أعني الجناح الذي أخذ بتفسير أقل حرفية وصرامة لنظام الأديرة. وهناك وشائج قربى بين هذه الحركة التحريرية المبكرة في القرن الرابع الميلادي وبين المهايانا، أي بعد وفاة بوذا بحوالي خمسة قرون.

٢٠ ـ مفهوم البوذيستفا Bodhisattva [1]

كانت إحدى الخصائص الرئيسية للبوذية إذن هي الأساس الشعبي الواسع الذي قامت عليه، بالإضافة إلى موقفها الأكثر تحرراً من القواعد والممارسات الدينية، ومعنى هذا أن الأشكال الشعبية للإيمان والعبادة وجدت قبولاً سريعاً. ولقد تبنت البوذية باستمرار موقفاً متسامحاً من المعتقدات الأصلية في البلاد التي دخلتها، ومن ممارسات الناس الذين انتشرت بينهم، ولم تزل تفعل هذا في المجتمعات الريفية في آسيا. وكان هذا الاتجاه على كل حال أكثر ظهوراً بين أتباع المهايانا. وقد نتج عن ذلك اندماج قدر لابأس به من العبادات المحلية واستيعاب الآلهة المحلية البوذية التقليدية الصارمة. أما كيف حدث ذلك فهو ما لايمكن تفسيره إلا بالإشارة إلى تطور آخر طرأ على «المهايانا» وأعني به مفهوم «البوذيستفا». يقال إن «البوذيستفا» هو كل شخص يكون على أعتاب «النرفانا» ثم يؤجل عامداً الدخول في حالة الغبطة النهائية «النرفانا» شفقة منه على جماهير الناس العاديين. وبدلاً من أن يتحول إلى «بوذا» كامل فإنه ـ أو هي ـ يظل مقيماً في العالم الزماني المؤقت مكرساً نفسه لخلاص الآخرين. هذا التأكيد على أهمية «الشفقة» التي يمثلها مفهوم «البوذيستفا» لم يكن أمراً جديداً كل الجدة. فقد اعتبرت الرحمة بالآخرين فضيلة عند البوذية المبكرة، لكنها كانت تحتل فيها مكاناً تابعاً للحكمة، ثم احتلت مع تطور المهايانا، موضعاً

(١) المعنى الحرفي للكلمة هو «القريبون من اليقظة» أو الذين هم على أعتاب الصحوة، على اعتبار أن كلمة «بوذا» تعني «المستيقظ على الحقيقة» في بعض معانيها. وبالتالي «فالبوذيستفا» هم الذين على وشك بلوغ هذه المرحلة، ويسميهم البعض «البوذات الصغرى»، على اعتبار أنهم أقل درجة من بوذا الأكبر «المترجم».

مماثلاً للحكمة بوصفها فضيلة أساسية للمثل الأعلى الروحي الذي تمثله «البوذيستفا» لكن حتى هذا التطور لم يكن سوى استعــادة لما كان عليه المثل الأعلى الروحي المبكر أو مايسمى بـالأراهات Arahat (أهل الفضل والاستحقاق) أي الأشخـاص الذين جاوزوا حـدود فكرة «الـذات Self»، وأصبحـوا لهذا السبب مصدراً للتأثير الـروحي والأخلاقي الخير. غير أن المثل الأعلى «للأراهات» قد فسد خلال القرون التي سبقت نشأة المهايانا مباشرة ولهذا احتاجت إلى اكتساب هذه الصورة الجديدة.

هكذا نُظر أيضاً إلى البوذيستفا بوصفـه شخصاً تحرر من الخضوع للحدود البدنية للحياة البشرية، وأصبح يسكن عالماً «سماويـاً» ومجالاً روحياً أوجده بفضل قداسته، وقد اعتقد الناس أنه يستطيع أن يُدخل الآخـرين في هذا العالم المبارك عن طريق قواه الروحيـة. ولم يكن هناك، من الناحية النظـرية، حدٌ ضروريٌ للأعـداد الممكنة من البوذيستفين»، ولذلك نشأ الإيمان بعدد من هؤلاء الأشخاص الذين يعرف كل واحد منهم باسمـه إن كان ذكـراً أو باسمها إن كـانت أنثى، وقد عُـرفت أسماء بعض هذه الشخصيات المرمـوقة مثـل «أفالـوكيتشوارا Avalokiteshwara » أي ذلك الـــذي يتـواضح ويرحم، و«أميتبهـا Amitabha» أي النور الـذي لاحد له، و«مـانجوشري Manjushri» أي «السيـد الجميل» ـ وكل واحـد من هـؤلاء الأشخاص أصبح عنـد عامة الشعب في الهند في تلك الأيام الشخصية الـرئيسية في عبادة كانت، من الناحية الظاهراتية (الفيتومينـولوجية)، قريبة الشبه جداً بعبادة إلـه واحد. ومن هذه الزاوية تمثل بوذية المهـايانا انتقالاً من عبـادة آلهة الهند المحلية إلى العقيدة البـوذية وتطبيقاتها العملية.

٢١ ـ تطور فلسفة المهايانا

في الوقت الذي كانت فيه المهايانا تتطور لتصبح إغراءً بوذياً واسعاً لعامة الشعب في الهند، كان رهبـانها يطورون فلسفة دينية على درجة عاليـة من التجريد. وانعكس ازدياد أعداد الـرجال من أسر البراهمة (الكهنة) الذين دخلوا جماعة «السنغـا» البوذية ـ انعكس على الدرجة المتزايدة من النقد العقلي البرهمي الذي تعرض له نظام «الأبهى داهما» القديم.

كـان البراهمة أسـاتـذة المنطق الهنـدي القـديم ، ولهذا نقـدوا نظـريـات الأبهى داهما ومدارس المهايانا على أسس منطقيـة . أما منهج «الأبهى داهما» الذي يقوم بتحليل ما يبدو أنه كائنات موضوعية حقيقيـة إلى مكوناتها العارضة فقد تبلور في النمط النهائي «للداهما» التي كان يظـن أنها هي «الذرات» النهائية والواقعيـة التي تتألف منها جميع الأحداث الـذهنية والنفسيـة والبدنية ، كما كـان يعتقد أن عـددها معين محدود (وإن كان العدد الدقيق يختلف من مدرسة إلى أخرى) .

انتقد فلاسفـة «المهايانا» هـذه النظرية في الوجود بحجـة أنها تتعارض مع المنهج التحليلي ، وذهبـوا إلى أن الهدف من هـذا المنهج هـو أن يُبين أنـه لاتوجـد كيـانـات حقيقية مطلقـة طالما كـان الأمر يتعلق بالعلم التجـريبي . فمن غير المنطقي في رأيهم النظـر إلى أيٍّ من هـذه «الـدهما» على أنها واقعيـة ، كما أن من غير المنطقي النظـر إلى الروح البشري على أنـه واقعي . ذلك أن كل شيء في تـدفق مستمر ، وقد كـان منهج بـوذا يستهدف بيـان ذلك ، ولم يقل بـوجـود أي «محطة» نهائيـة سـاكنة داخل العـالم التجريبي ، حتى ولا فيما يسمى بالدهما» . ولهذا اتبعـوا المنهج التحليلي بصراحة تامة مؤكدين أن «الداهما» التي قـال بها رهبان الهنايانا Hinayana لم تكن سـوى محطات تعسفية خالصة .

لايمكن من النـاحية المنطقيـة أن يكون هنـاك حـدّ لعملية التحليل والمزيـد من التحليل . فلايوجد شيء يمكن أن ننسـب إليه صفات دائمة ، ولا نستطيع أن نصل إلى الـواقع الحقيقي Reality إلا بعد أن نستبعـد كل صفة إيجابيـة ، لأن أي صفة أو خاصية تحمل معهـا قدراً من النسبية ، ومن ثم لايمكن النظـر إليها على أنها مطلقة . والحق أن ماكانوا يسعون إليه هو شيء مطلق ، وقد وصفوا هدف التحليل البوذي بأنه هو مـانصل إليه عنـدما تفـرغ كل صفة إيجابيـة وتصبح «خواء» . والمصطلـح الذي يستخدمـونه للإشـارة إلى المطلق هو Shunyataالذي يترجـم أحيانـاً بكلمة «الخواء Void» .

ولقد أطلق على فكر مـدرسة المهايانا كلمة مـدهياميكا Madhyamika التـي يمكن ترجمتها على وجـه التقريب «بمذهب الحياد» ، كما تعرف أحيانـاً أخرى باسم

شونيا ــ فادا Shunya-Vada[1] . وأكبر دعاة هذه المدرسة كان راهباً بوذياً من أسرة برهمية في جنوب الهند اسمه «نكارجونا Nagarijuna» وتلميذه أرياديفا Aryadeva ، وقد كان نشاطهما في أوائل القرن الثالث الميلادي .

٢٢ ـ رد فعل :

إذا كان هذا النوع من الموضوعات يبدو بعيداً جداً عن الممارسات العملية للدين ـ فإن علينا أن نتذكر أن أمثال هذه الرياضة العقلية لم تكن تمارس إلا في سياق حياة العبادة التأملية داخل الأديرة . لكن حتى في هذه الحالة كانت هناك درجة معينة من رد الفعل في الدوائر البوذية ضد الإسراف في البراهين العقلية ــ ولقد اتضح ذلك في شكل واحد انبثقت عنه مدرسة تُعرف باسم «يوجاكارا Yogacara» نشأت في الهند حوالي نهاية القرن الرابع الميلادي . وكان دعاتها من الناحية الأدبية هما اسنجا Asan-ga (٣١٠ ـ ٣٩٠) وشقيقه فاسوباندا Vasubandha (٣٢٠ ـ ٤٠٠) .

وتمثل اليوجاكارا Yogacara[2] تحولاً عن التشدد السائد داخل المهايانا وعودة إلى الجوانب الأخلاقية والتأملية في الدين . وفي مقابل إصرار «المادهيمكا Mad hyamika» على «الخواء» بوصفه الشيء الوحيد المطلق ، تؤكد مدرسة يوجاكارا» حقيقة الوعي الخالص «فيجنانا Vijnana» . ولهذا السبب عُرفت هذه المدرسة أيضاً باسم فيجنانا فادا Vijnana-Vada ، وأصبح هدف الحياة البوذية هو تنقية الوعي وتطهيره عن طريق التأمل والجهد الأخلاقي ، وبالتالي بلوغ الوعي الخالص الذي هو الشيء الحقيقي والمطلق .

٢٣ ـ انتشار البوذية في الصين واليابان :

في الوقت الذي نشأت فيه مدرسة «فيجنانا ـ فادا» في الهند ، كانت البوذية قد وصلت بالفعل إلى الصين ، وبدأت تمكّن لنفسها هناك . وحوالي منتصف القرن الثاني الميلادي ، ارتحل الرهبان البوذيون على طول الطريق التجاري المزدحم المؤدي من

(١) تعرف أحياناً بمذهب «أهل الحل الوسط» (المترجم) .
(٢) أي مدرسة اليوجا العملية (المترجم) .

شمال غرب الهنـد خلال آسيا الـوسطى إلى غرب الصين. ولقـد قامت في ذلك الجزء من الهند، مراكز بوذية واسعة ومأهـولة كانت من المناطق ذات التأثير القوي في تطور «المهايـانا». عهد بوذا نفسـه بمهمة التبشير للرهبـان الأول ونشر «الداهما» بين جميع النـاس. ولقد أصبحت هـذه المهمة، من جـوانب معينـة، أسهل بالنسبـة لرهبـان «المهايانا» منها بالنسبة لرهبان «الهنايانا» لأنهم لم يعتبروا أنفسهم ملتزمين التزاماً دقيقاً بحرفية الشريعة في نظام الدير، وإنما استطاعوا مثلاً عندما كانوا يخاطرون بالتجول في الأجواء الباردة، أن يرتدوا ثياباً تبعث على الـدفء، أكثر من ثوب الراهب الذي كان في العادة مقرراً على رهبـان الهند. وقد كان الـوضع مستقراً في الصين في أواخر حكم أسرة «هان Han» (النصف الأخير من القرن الثاني) مما جعل الناس في حالة استعداد لتقبل ديانة جديـدة. صحيح أن فقهاء الكونفوشية ـ من عليـة القوم ـ ربما نظروا إلى الأمـر بـازدراء، لكن غالبيـة جماهير الشعب الصيني كـانت على استعـداد للترحيب بالتعاليم الجديـدة، لاسيما رسالتها عن «البدهشتـا» «السماوية» التي يمكن أن يلجأ إليها المرء للمساعدة لالتماس الخلاص من شرور هذه الدنيا وأحزانها.

وما أن استقـرت مدرسة «المهايـانا» البوذيـة في الصين حتى انتشرت من هناك إلى كوريـا، ومنها إلى اليـابان، في أواخـر القرن السـادس الميلادي. وأصبحـت عقيدة البودهشتفا ـ أميتبها Bodhistattvu-Amitabhaبصفة خاصة، عقيدة شعبية عرفت في اليـابان بـاسـم «أميـدا Amida» وصار الإيمان بقـدرة البوذيـة على تخليص البشر بنعمتها، وإدخالهم عند الموت في جنتها، أو أرضها الطاهرة، صار هذا الإيمان أحد التيارات المسيطرة على بوذ ية اليابان وظل كذلك حتى العصور الحديثة.

٢٤ ـ تدهور البوذية في الهند:

في ذلك الوقت كـانت «اليوجـاكارا» تمكن لنفسها في الهنـد مما ساعـد على تطور العديد من عبادات التأمل وممارسات اليوجا التي استخدمت فيها على نطاق واسع، الرسوم البيانية السرية أو المندال Mandalas والأشكال المقدسة، والمانترا Mantra، ومُعينات أخرى مختلفة للمسـاعدة على تهيئة حالات الغيبوبة. ولقـد استمدت كثرة من هذه الممارسـات من الديانة الشعبيـة التقليدية في الهنـد، ثم اندمجت، مع بعض

التعديـل أو بغير تعديل، في سيـاق البوذيـة من الناحيـة الاسمية. وهكـذا تطورت صورة البـوذية المعـروفة بـاسم مانترا Mantra أو «مـانترا ـ يـانا» التي تميّـزت بها فترة العصور الوسطى في الهنـد، والتي سبقت الاختفاء الفعلي للديانـة البوذية من معظم شبه القـارة. ولقد لعـب الميل إلى حياة الأديـرة دوراً في تدهور الطقـوس من نـاحية، والإيمان البوذي من نـاحية أخرى بين عامـة الشعب، إذ صاحـب زيادة عدد مـراكز الأديرة الكبرى ـ حيث كـان يتم تدريس التعليم الدنيوي والفلسفي لذاتـه ـ تناقص مماثـل في عدد الأديرة المحليـة الصغيرة «أو الأبرشيـات» التي ظلت حتى ذلك الحين تخدم البوذية كنقاط تجمع مركزية لأهل الريف والمدن الصغيرة.

أما الحجاج البـوذيون الصينيون فأخذوا يفدون على الهند «أرض بـوذا» المقدسة. والحكايات التي يرويها بعضهم عن رحلاتهم تقدم شهادة لها قيمتها عن حالة البوذية في الهند من القـرن الخامس حتى القرن السـابع الميلادي. وهنـاك مجموعـة من أشهر حجـاج الصين الذين جـاءوا إلى الهنـد سعياً وراء المخلفـات أو النصـوص المقدسـة ومعرفة طقوس البوذية ونظم الأديرة ـ من أمثال فا ـ هسين Fa-hsien (الذي بقى في الهند من عام ٣٩٩ حتى عام ٤١٤م)، وهو سانج ـ تسانج Hsueng-tsang الذي استغرقت رحلته منذ سفره من الصين حتى عودته من عام ٦٢٩م حتى عام ٦٤٥م، و«أي ـ تسنج I-Tsing» الذي بقى في الهند من (٦٧١ حتى ٦٩٥م). وقد تدهورت البوذية فيما بين زيـارة «فا ـ هسين» وهو «سانج تسانج»، تـدهوراً واضحاً فأصبحت الأديرة التي وجدها أول هؤلاء الحجاج الصينيين ـ مهدمة ومهجورة على أيام آخرهم. كما أن «هسوانج ـ تسـانج وجد لومبيني Lumbini (قرب مدينة كـابيلافستو) مسقط رأس بـوذا على هذا النحـو من الإهمال. وتلك واقعـة لها أهميتهـا الخاصة من زاويـة التـوقير والإجلال الـذي تضفيه البـوذية المبكـرة على الأماكن المقـدسة الأربعـة وهي «لومبني» مسقـط رأس بوذا، وبـوذا ـ جايا وهي المكـــان الذي شهـد الصحـــوة، ثم «ســارنـات Saranat» المكـان الذي ألقى فيـه بوذا مـوعظته الأولى عن الـداهما Dhamma، وأخيراً كوشنجـافا Kushinagava المكان الذي توفى فيـه بوذا. وهكذا يوحي إهمال «لومبيني» في القرن السابع الميـلادي لا بتدهور الأديرة المحلية فحسب، بل يـدل كذلك في هـذه الحالة على فقـدان الاهتمام بـالأماكن المحليـة التي ارتبطت

بشخصية بوذا ــ جوتاما التـاريخية، وربما حدث ذلك نتيجة لتشـديد الاهتمام بفكرة «البودهستافا» الموجودة الآن.

٢٥ ـ ازدهار بضعة مراكز:

في هذه الأثنـاء ازدادت من حيث الحجم والمكانة الاجتماعيـة مجموعة من مـراكز الأديـرة الكبيرة التي ازدهرت فيهـا في البـداية فلسفـة «الماهيـانـا»، ثم ازدهر الفكـر النظري التنتري Tantriec بعد ذلك. وكانت المراكز البـارزة موجودة في نالاندا Na-landa في إقليم بيهار وفكـراماسيلا Vikramasila غرب البنجـاب[1]، وامارافـاتي Amaravati، ونكارجـوناكـوندا Nigarjunakonda في جنوب الهند (منطقـة أندرا برادش). ويصف سكوماردت Sukumar-Dutt في كتابه «رهبان البوذية والأديرة في الهند» (لندن عـام ١٩٦٢)، هذا التحول في مركز الجاذبيـة من أديرة محلية صغيرة إلى مؤسسات ضخمة تشبه الجامعات بأنها حركة انتقال من «دراسة العقيدة» إلى «دراسة المعرفة».

وخـلال هذه الفترة انتشرت البـوذيـة في التبت، وكـان مؤسسهـا الفعلي في ذلك القرن هو «بادما ـ سامبهافا Panda-Sambhava وتصطبغ صورة الديانة البوذية التي أدخلهـا هـذا الـرجل إلى التبت بـالتنتريـة على نحـو واضح، أعني بصـورة الإيمان والممارسة التي تضفي أهميـة كبرى على الرمـوز السرية والأناشيـد المقدسـة والأنشطة الدينيـة المستورة الأخرى. وكـان ذلك من الأسباب التي جـذبت إليها أهل التبت، فهم شعب لعب السحر دوراً كبيراً في ديانتهم حتـى ذلك الوقت. وبعد أن واجهت الديـانة البوذية قـدراً من المعارضة والاضطهـاد ثبتت أقدامها في بدايـة القرن الحادي عشر. وكـان أتيشـا Atisha وهو أحـد الشخصيات الـلامعة التي أعـادت إدخال البوذية إلى التبت ــ راهباً بنجالياً من دير «فكـراماسيلا» ـ ومرة أخـرى كانت الصورة التنترية هي التي نقلت إلى التبت من شمال الهند، وهي التي أضفت على بوذية التبت ملامحها الخاصة التي عُرفت بها عند الأوربيين في العصور الحديثة.

---

(١) لم تكن هذه المراكـز مجرد أديرة للرهبـان كغيرها، بل كانت جـامعات دينية بمعنى الكلمـة، فقد احتوت على معـابد، وكليـات متعددة ذات تأثير بالغ، وكـانت المناقشـات الحامية تـدور بين هذين المركزين الكبيريـن حول الطريقة التنترية (المترجم).

٢٦ ـ البوذية في الهند منذ عام ١٢٠٠ :

هناك ما ينبغي أن يقال حول وجهة النظر التي ترى أن البوذية اختفت تماماً من الهند حوالي عام ١٢٠٠ . ولقد سبق أن رأينا أن تدهور المراكز البوذية المحلية ذات التأثير قد استمر لعدة قرون، وأن الأشكال المؤسسية للبوذية بدأت تتركز على هيئة معاهد دينية سرعان ما تحولت بالتدريج إلى مراكز كبرى مثل دير «نالندا Na-landa» . وفي النهاية، عندما جذبت ثروة هذه المراكز الكبرى وفخامتها، أعمال السلب التي قام بها غزاة مسلمون من الشمال الغربي، كان سقوطها يعني من الناحية الفعلية نهاية البوذية كمؤسسة معترف بها في الهند. غير أن مسئولية هذا السقوط لاتقع يقيناً على الإسلام أو حتى على عاتق وحشية الممثلين الفرديين للإسلام الذين عاجلوا، فيما يبدو، المؤسسات البوذية في الهند، بضربة قاضية في ذلك الوقت[1]، فالواقع أن البوذية بوصفها مذهباً دينياً مستقلاً عن معتقدات الهندوسية وفرقها كانت إلى حد كبير قد اختفت فعلاً عن الأنظار.

ولقد ذهب البعض إلى أن ديانة البوذا تواصل الحياة في مذهب التفاني والولاء الديني Devotionalism الموجود في معتقدات البختي Bhakti الهندوسية. ولاشك أن مركب الأفكار والممارسات المعروف باسم الهندوسية مدين بدين كبير للأفكار والمؤثرات البوذية. ولقد قيل إن البوذية، وقد أورثت كنوزها للديانة الهندية على هذا النحو، اختفت برقة وهدوء عن المسرح كديانة قائمة بذاتها. ويبدو أن بعض جوانب عبادة الإله «فشنو» بصفة خاصة يمكن أن تدعم هذه النظرة، لاسيما مرونتها النسبية تجاه التمييزات الطائفية ومذهبها في الحب المتفاني وعقيدتها في التجسيدات أو التجليات Avatars التي كان بوذا واحداً منها، وسلوكها النباتي.. وما إلى ذلك. ومن ناحية أخرى رأى البعض أن المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها فيلسوف هندوسي مثل «شنكارا Shankara» ترجع بصورة غير مباشرة إلى تأثير التفكير البوذي، لأن هذا الفيلسوف قد تأثر فيما يبدو ببعض أفكار المهايانا في صياغة فلسفته الواحدية

(١) يريد المؤلف أن يقول إن المؤسسات البوذية كانت تترنح بالفعل فجاءت الضربة مجهزة عليها، ولهذا يستخدم تعبير «coup de grace» أي رصاصة الرحمة، كما تترجم أحياناً ، وهي الرصاصة التي تطلق على من تم إعدامه فعلاً للتأكد من موته السريع بحيث لايترك يتعذب (المترجم).

حتى قيل عنه إنه «بوذي متخفي» .

ولاعتبارات من هذا القبيل أخذ ا . كونزConze مثلاً بالرأي الذي يقول إن الوجود المستقل للبوذية لم يعد يخدم أي هدف نافع ، وأن اختفاءها لم يكن خسارة لأي إنسان، بل لقد خضع أيضاً لقانون التغير والتحول الكلي الذي أعلنه بوذا . ومن وجهة النظر هذه «يكون السبب في موت البوذية في الهند هو الشيخوخة أو الإنهاك الكامل(١) » ومع ذلك فالبوذية في «سري لانكا» لم تمت من الإنهاك أو الشيخوخة بالغا ما بلغ اقترابها منها في بعض الحقب التاريخية ، وهي اليوم أبعد ما تكون عن الضعف والوهن بعد مرور اثنين وعشرين قرناً من الوجود المتواصل في تلك الجزيرة ، ويبدو من المرجح من وجهة نظر المؤرخ ، أن المصير الذي لقيته الجماعة البوذية في الهند يرجع إلى مجموعة معقدة من الظروف ، يمكن أن نتعرف على عدد منها : كالنزعة المركزية ، وفقدان الصفات المميزة مع اقتراب المهايانا من الهندوسية ، وفقدان الحماية الملكية ، وأخيراً هجمات الغزاة المسلمين .

لكن البوذية لم تختف تماماً ، بل ظلت صامدة في الأماكن النائية على حدود الهند ، لاسيما في الشمال . وفي القرن العشرين نما عدد البوذيين في الهند ، وكان ذلك بسبب التحول الديني لجماهير غفيرة من الطبقة التي كانت تعرف باسم طبقة من لايجوز لمسهم . ولقد كان الباعث الهام على هذا التحول هو التأييد العلني للبوذية من جانب الدكتور «د . ر. أمبدكار D.R., Ambedkar الوزير السابق في مجلس وزراء الهند المستقلة عام ١٩٥٦م . وكان «أمبدكار» رائداً لطبقة «من لايجوزلمسهم» فحذا حذوه معظم أعضاء هذه الطبقة .

ولقد ذهب جماعة من رهبان «سري لانكا» ـ ومن أماكن أخرى ـ إلى الهند لكي يساعدوا الجماعة البوذية الجديدة ، وتوجد نسبة كبيرة منهم في ولاية «مهاراشترا Ma-harashtra» ويبلغ عددهم الآن حوالي خمسة ملايين . وبالإضافة إلى هؤلاء يلاحظ الاهتمام بالبوذية على مستوى مختلف تماماً : فقد ظهر اهتمام متجدد بالبوذية بين بعض المواطنين الهنود «المتحذلقين» والمتشبعين بالطابع الغربي ، رغم أن هذه حركة ثقافية إلى حد كبير ويصعب أن توصف بأنها حركة بعث شعبي للبوذية .

(٢) كونز «تاريخ موجز للبوذية» عام ١٩٦٠ ص ٨٦ (المؤلف) .

٢٧ ـ البوذية في سري لانكا[١] :

كانت سري لانكـا، بقدر ما نعـرف حتى الآن، هي أول بلد خارج إمبراطـورية أشـوكا في الهنـد تستقبل البوذيـة، ولاشك أنها البـلاد ذات التاريخ الطـويل المتصل لممارسـات البوذيـة، وأنشطتها. أمـا عن قصـة دخـول البـوذية إلى الجزيـرة بواسطـة الراهب مـاهندا ورفـاقه فإننا نعتمـد، في معظمها، على الأحداث التـاريخية بـاللغة البالية Pali[٢]، ورغم بعض الزخرفة التي ربما زُينت بها تفصيلات القصة، فليس ثمة شك كبير في أن بديـات البوذية في سري لانكا تـرجع على الأقل إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وقد يرجعها البعض إلى فترة أقدم.

كان ملك سري لانكا في ذلك الوقت هو الملك ديفانمبيا Devanampiya Tissa ويعني اسمـه «تسا المحبـوب من الآلهة»، وفي اسمه إشـارة إلى الديـانة الموجـودة في «سري لانكا» قبل دخول البوذية، وهي ديـانة تعتمد على عبادة عدد من الآلهة يحمل معظمهم نفس أسماء آلهة «الفيدا» التي عُبدت في الهند القديمة، فبراهما Brahma، و«أندرا Indra»، و«ياما Yama» و«فارونا Varuna»، وكوفيرا Kuvera، كانت هي الآلهة الرئيسية هناك ـ إلى جانب آلهة أخرى تشمل بلاد ايفا Bladeva و«راما Rama» وفاسوديفا Vasudeva. ولقد أصبح الملك نفسه، طبقاً للرواية المأثورة، بوذياً عادياً مثلـه مثل معظم النـاس في سري لانكـا، ولم تتـوقف عبـادة الآلهة القـدامى، وإنما تعدلت بالتدريج وتحولت إلى مذهب بوذي في أساسه افترض فيه تحول آلهة الفيدا إلى الديانة البـوذية بحيث أصبحت الآن تابعة لبوذا الذي راحوا يقـدمون له أسمى ألوان التوقير والاحترام.

وقد كانوا يُعبّرون عن محبة بوذا تعبيراً رمزياً بعبادة تمثاله Stupa أو تقديس الربوة

---

(١) سيلان في السـابق (استقلت عام ١٩٤٨) وهي جزيـرة استوائية آسيويـة في المحيط الهندي، وفي القرن السـادس ق. م أقيمت فيهـا أول مملكة سنغـالية، وقد دخلتهـا البوذيـة في القرن الثـالث ق. م وأصبحت أنورا ضابورا مركزاً بوذياً عظيماً (المترجم).

(٢) لغة هندية آرية كان يتحدثها أهل الهند في الشمال في القرنين الثاني والثالث ق. م. وأصبحت لغة الجزء الأكبر من الكتابات البوذية المقدسة ثم انتقلت إلى سري لانكا وبورما (المترجم).

التي تضم رفاته، أو تقديس شجرة «البو Bo»[1]. وأول تمثال نُحت في سري لانكا أقامه الملك تسّا Tissa في العاصمة [2]. وكانت في ذلك الوقت أنورا ضابورا ولايزال الحجاج البوذيون يمجدونه حتى الآن، ولقد احضر البوذيون نبتة (٣) من شجرة البو الأصلية من «بـوذا جايـا ـ Buddha Gaya» في موكب مهيب وغـرسوهـا في احتفال لائق في مكان أعدّ لها خصيصاً في جنوب المدينة[4]. وكان الحدث الأكثر أهمية أثناء توطيد دعائم البـوذية في الجزيرة هو دخول الرجـال والنساء من السنغاليين في مراتب السنغـا Sangha، و إقامـة دير فـي «أنـورا ضـابورا» عـرف باسـم مهـافيهرا Maha Vihara (أي الدير العظيم)، وأصبح منذ ذلك الوقت أهم مراكـز الديانة البوذية في الجزيرة.

أما المدرسـة البوذية التي وصلت «سري لانكـا» وصارت لها السيادة في عـاصمة الإمبراطور أشوكا فهـي مدرسة ستافيرا Sthaviras أي الشيوخ أو الكبار (أو مـدرسة الناضجين) وقد عُرفت فيما بعد باسم مدرسة ترافادين Theravadin، وظلت النمط المسيطر مـن البوذية في سري لانكـا، وكان رهبـانها محافظين في موقفهم من التعـاليم الأساسية عند «بـوذا جوتاما» وفي تفسيرهم لشريعة الأديرة، وهـم الـذين حافظوا على الكتب المقدسة باللغة البالية Pali.

(أ) خصومة حادة:

في تاريخ لاحق لاستقـرار البوذية في سري لانكا ظهرت محاولـة ـ نجحت لبعض الوقت ــ لإدخال صـورة المهايانـا من جنوب الهند. وقـد نشأت خصومـة حادة بين رهبان الترافيـدا (أو رهبان الـدير العظيم) وبين رهبان ديـر المهايانـا المقام حـديثاً أو

(١) شجرة من فصيلة التين أشرقت تحتهـا شمس الهداية على بوذا الأكبر، عُنى البوذيون بأمرهـا عناية كبيرة وجعلـوهـا مـوضع تقـديـر إلى درجة التقـديس، وقـد سبقت الإشـارة إليهـا في بـداية الفصل (المترجم).

(٢) عاصمتها الآن كولمبو وهي أهم موانيها (المترجم).

(٣) انظر قصة نقل هذه الفسيلة عام ٢٥٤ ق.م وغرسها في مكانها الحالي، وانظر أيضاً عن الربط بين شجرة التين والزيتـون أو البوذية والمسيحية كتاب الأستـاذ حامد عبدالقـادر «بوذا الأكبر» ص ٥٤ وما بعدها (المترجم).

(٤) بوذا جايا قرية شمال شرقي الهند في إقليم بيهار (المترجم).

الأبهيـاجيريين Abhayagiri» واستمرت هـذه الخصومة عدة قـرون. ويحظى هذا الجانب، في بـداية الأمـر، بمسـانـدة الحاكم، ثم يتلـوه الجانب الآخـر، وإن كـان الشعب، فيما يبدو، قد وقف بصفة عامة في صف رهبان الترافيدا. وانتهت الخصومة في القـرن الرابع الميـلادي عندمـا تدخل الملك لصـالح الترافيديين الـذين كتبت لهم السيادة بعـد ذلك حتى أصبحوا بـالفعل المدرسة الوحيـدة للبوذيـة التي استمرت في الوجود في سري لانكا.

ولقد سـاعدت على صعود هـذه المدرسة وسيطرتها في القـرن الخامس أعمال بوذا جـوستـا Buddha-ghosta[1]. الذي يمكـن أن تكون إنجـازاته في ميـدان عرض الكتب المقـدسة وشرحهـا، وفي تأليف مرجع شـامل حول أصـول العقيدة، شبيهـة بإنجازات القديس توما الإكويني في التراث المسيحي. لقد ظلت دراسة البوذية بلغة بـالي Pali في تدهور لعدة قرون، إذ حجبتها تقريباً المكانة التي حصلت عليها اللغة السنسكريتية التي هي لغـة براهمة الهند، ولغة مدرسـة المهايانا البوذيـة. وكان «بوذا جوستا» هو الذي استعاد للغة بـالي مكانتها في التعليم والأدب وأنزلها منزلة الشرف، وأصبح بذلك الشخصية التي استحقت من البـوذيين أعظم الاحترام والتقدير، لا في سري لانكا وحدها بل في جميع أنحاء جنـوب شرق آسيا بعد ذلك. وربما كان أعظم مؤلفاته هو كتاب «طريق التطهر» الـذي يُعد في نفس الوقت ملحقاً لكتابات البوذية المقدسة وعرضاً نسقياً للروحانية البوذية.

ثم واصلت الممارسات البوذية في سري لانكا ـ بعد ألف سنة من وفاة بوذاجوستا ـ متـابعة النمـوذج الذي أخـذه هـذا الرائد عن الـرهبـان القدامى الـذين تلقى العلم بالتراث على أيـديهم ثم صاغه بعـد ذلك بتمكن في صورة أدبيـة. ولقد ظل الحظ في القرون التـالية يبتسم «للسنغا» حينـا في سري لانكا ويعبس لها حينـاً آخر، واقتضى الأمر في بعض الأحيان العمل على إحيـاء «السنغا» في البلاد البوذيـة المجاورة لجنوب

(١) بوذا جوستا أحـد فقهاء البوذية في بداية القـرن الخامس الميلادي، ولد في شمال الهند، وذهب إلى أنورا ضـابورا التي كانت في ذلك الـوقت مركزاً بوذيـاً هاماً لـدراسة النصوص البوذيـة، وترجم الكثير من هذه النصـوص والشروح السنغالية إلى اللغة البـالية ثم عاد إلى قـرية «بوذا جايـا» وبدأ في التأليف فكتب عدة مؤلفات أهمها«الطريق إلى التطهر»، وهو تلخيص للعقيدة البوذية (المترجم).

شرق آسيا وهي بورما، وتايلند، وكمبوديا، وفي أحيان أخرى كان الرهبان الترافيديون أنفسهم يقومون بإحيائها في تلك البلاد عندما تنحط مكانتها .

(ب) وصول البرتغاليين إلى سري لانكا :

لعل أصعب الفترات في تاريخ البوذية في سري لانكا قد بدأت على الأرجح مع وصول البرتغاليين الكاثوليك في القرن السادس عشر. ففي خلال قرن أو مايقرب من سيطرتهم على سري لانكا، ثم بعد ذلك تحت حكم الهولنديين لمدة قرنين ، وأخيراً تحت حكم البريطانيين مع بداية القرن التاسع عشر، مرت البوذية بفترة حرمت فيها أديرتها من أراضيها، كما تحطمت علاقاتها بالدولة، وأجبر أتباعها من عامة الشعب إما على ترك دينهم، وإما على التظاهر باعتناق دين آخر. وهكذا عانت البنية الرقيقة للمجتمع البوذي ـ سواء في ذلك عامة الشعب أو رهبان الأديرة ـ من أضرار خطيرة. ومع ذلك فقد بدأ بعث البوذية في سري لانكا من جديد في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت في ذلك الوقت في أشد حالاتها تدهوراً.

وبدأت تظهر حركات جديدة من الرهبان وعامة الشعب، كما تجدد الاهتمام بكنوز الأدب المكتوبة بلغة بالي، ويرجع ذلك إلى حد ما لحماس المستشرقين الغربيين وطلاب الدين. ثم أقيمت مراكز جديدة للتعليم البوذي العالي، كما بدأت ممارسة التأمل البوذي تُبعث من جديد في أديرة حديثة أو في صوامع في الغابات. ومع مرور الوقت أصبحت سري لانكا أمة مستقلة مرة أخرى عام ١٩٤٨م، واستعادت البوذية مكانتها على نطاق واسع، وإن لم تستعدها بصورة تامة، باعتبارها القوة الرئيسية المرشدة والموجهة للثقافة في سري لانكا. وامتد تأثير البوذية من سري لانكا مرة أخرى وبصفة رئيسية من خلال منشورات الرهبان التبشيرية وأنشطتهم لا إلى بلدان آسيوية أخرى فحسب، بل إلى الغرب أيضاً.

٢٨ ـ البوذية في بورما :

قدم المبشرون من الرهبان خلال القرون الأولى للعهد المسيحي كلاً من «الهنايانا» و«المهايانا» إلى جنوب شرقي آسيا، وكانت منطقة جنوب بورما وجنوب تايلند

بأكملها مأهولة بشعب يسمى المونMons، وكان هؤلاء يتبعون صورة البوذية الترفادية Thervadaالتي جاءتهم على الأرجح من شرق الهند. واستقرت مدرسة هامة للهنايانا في وسط بورما وشمالها، وهي مدرسة سارفستفيدا Sarvastivada، وأصبح لها تأثير ملحوظ، وهكذا كان للمهايانا تأثيرها مع حلول القرن الخامس الميلادي. وهناك شواهد من علم الآثار على أن هاتين المدرستين من مدارس البوذية قد ازدهرتا في بورما العليا في تلك الفترة، وربما وصلا إلى بورما من البنجاب عبر أحد الطرق البرية. ويبدو أن المراحل التي مر بها تطور المهايانا البوذية في الهند قد تكررت مرة أخرى في بورما، ومما لاشك فيه أنه بحلول القرن السابع الميلادي بدأت البوذية تظهر في صورتها التنترية في بورما العليا على نطاق واسع.

وفي ذلك الوقت كان الجزء الشمالي من بورما يحكمه ملوك من الجنس التبتي ـ البورمي ـ Tibeto-Burmeseأسلاف سكان وادي بورما المعاصرين. وكان أحد هؤلاء الملوك هو «أنا وراثا Anawrahtaالذي بدأ حكمه عام ١٠٤٤م، ثم تحول إلى الصورة الترفادية من البوذية بتأثير راهب من جنوب بورما. ولقد شرع «أناوراثا» في ذلك الحين في إعداد برنامج لإصلاح البوذية التنترية التي يمارسها في مملكته كهنة يسمون Aris (حرفياً «المقدسون» أو «أصحاب القداسة»، وهو لقب يبدو أنه غير مناسب تماماً في هذه الحالة). وقد حصل من مملكة مجاورة عن طريق مناف للروح البوذية، وهو طريق استخدام القوة المسلحة، على نسخة كاملة من الشريعة المقدسة بلغة بالي Pali وجعلها معيار ممارسة البوذية في مملكته.

وهكذا أصبحت الترافيدا هي صورة البوذية السائدة في جميع أنحاء بورما، واختفت «المهايانا» وإن بقيت حية فقط حين تمارس في المناسبات الطارئة التي اندمجت مع توليفة الإيمان البوذي والمحلي للسكان الأصليين وممارساتهم بحيث أصبحت تشكل النموذج المتميز لما ينبغي أن يسمى «بوذية بورما» على مستوى عامة الناس. وعلى كل حال فإن الديانة التي تمارس في أديرة بورما تتحد مع ترافيدا بلاد أخرى في جنوب آسيا (سري لانكا، تايلند، كمبوديا، لاوس) وتقوم أساساً على شريعة بالي.

(أ) أديرة كثيرة :

في بورما أديرة كثيرة، وهي توجد بالقرب من كل مدينة وقرية تقريباً، لاسيما في مناطق بورما السفلى حيث يعيش معظم السكان. ولقد كان للأديرة تأثير قوي على الحياة الأخلاقية في البلاد، كما كانت عبر القرون مراكز محلية للتربية. وقد تخصصت الأديرة في بورما في دراسة الأدب الخاص «بالأبهاداهما» (أو جوهر العقيدة)، وهو القسم الثالث من الشريعة الذي يعالج تحليل الظواهر العقلية والأخلاقية. ولقد أشار م. هـ. بود M.H.Bode إلى أن الخلفية التي تكمن وراء هذا النوع من المعرفة هي ذلك القدر الملحوظ من الدعم من جانب الأثرياء الأتقياء من عامة الشعب، لأن العمل الأدبي يتطلب فيهارا Vihara» (أي مباني للأديرة)، توفر من الاتساع والراحة أكثر مما تحتاجه جولات المتسول في حياته العادية، فضلاً عن مكتبة كاملة من النصوص المقدسة. والقيام بتزويد الرهبان بذلك كله، إلى جانب الضرورات الأخرى للمعرفة، عمل جدير بالثناء إلى أقصى حد. وكان الأثرياء من عامة الشعب شغوفين بالحصول على هذا الثناء بتلك الطريقة بقدر اغتباط الرهبان بقبول عطاياهم (م. هـ. بود M.H.Bode «الأدب البالي في بورما «عام ١٩٠٩ وقد أعيد طبعه عام ١٩٦٦ ص ١٥).

وقد تحقق بعث آخر للبوذية في الجزء الجنوبي من بورما في القرن الخامس عشر، وكان المسئول عنه، فيما يبدو، هو الملك «دماتشي Dhammaceti» (١٤٦٠ - ١٦٩١)، وكان هذا الملك قد تحول إلى راهب في فترة مبكرة من حياته، كما عرف بتقواه بعد أن أصبح ملكاً، فاستمر يعمل على حماية «السنغا» طوال عهده، واهتم بإصلاح جوانبها الأقل تشدداً في التمسك بالمعتقد القديم، كما أرسل بعثة من الرهبان إلى سري لانكا للدراسة وإعداد أنفسهم للعمل على بعث حياة الدير في مملكته بعد عودتهم، وقرب نهاية القرن الخامس عشر تراجع استخدام لغة بالي بصورة مطلقة بوصفها لغة الدين أمام استخدام اللغة البورمية، وهي عملية اكتسبت دفعة قوة في القرن السادس عشر بعد أن تزايد بالتدريج عدد الكتب المقدسة، والشروح، والتعليقات، والأدب الديني التي بدأ إنتاجها باللغة العامية (وهي عملية توازي

بشكل مثير عملية مماثلة حدثت في نفس الوقت تقريباً في الهند وأوربا مع استخدام اللغة السنسكريتية واللغة اللاتينية على الترتيب).

(ب) الإنجليز يحكمون بورما :

لم تتأثر بورما، على خلاف سري لانكا، إلا أقل تأثر بقدوم البرتغاليين. ولم يبدأ الاستعمار الأوربي في التأثير على بورما إلا في مطلع القرن التاسع عشر، وتم ذلك عن طريق التوسع التدريجي لحكم الإنجليز على ثلاث مراحل «١٨٢٦ و١٨٥٣ و١٨٨٥م»، وقد عزل آخر ملوك بورما من مدينة مندلاي Mandalay[١] وأصبح الإنجليز هم حكام البلاد كلها. ونتج عن استغلالهم مواردها الطبيعية، مع دفع تعويضات بالغة الضآلة عن المنافع الاقتصادية، آثار مدمرة على الحياة في بورما لم تبرأ منها حتى يومنا هذا، كما تحطم النموذج القديم للحماية الملكية «للسنغا» ورعايتها. ولم يفعل البريطانيون شيئاً لإصلاح الأضرار التي أحدثوها مما جعل حياة «السنغا» تعاني بشدة نتيجة لذلك.

وعلى الرغم من أن التكوين الاجتماعي الخاص بالمعاهد البوذية في بورما قد عانى من أضرار الحكم الاستعماري، فإن التكوين المادي بقى قائماً دون أن يمس من جانب البريطانيين أو من جانب حكم اليابانيين الذي كان أقصر منه قليلاً.

وفي بورما توجد مجموعة من أفخم «الباغودات Pagodas[٢]»، البوذية في آسيا، وأعظمها شهرة هو المسمى Shwe Dagon أو الباغودا «الذهبية» في الضاحية الشمالية من مدينة رانجون Rangoon[٣]. ويتألف هذا المركز العظيم للعبادة البوذية من كتلة من الحجارة الدائرية المركزية تغطيها تماماً صفائح رقيقة من الذهب الخالص، ويبلغ ارتفاعه قدر ارتفاع قبة كاتدرائية القديس بولس في لندن، ويحيط بالمبنى رصيف دائري مكشوف من المرمر، أقيمت على أطرافه الخارجية مجموعة متنوعة من الهياكل والأديرة. وهو مكان يؤمه الحجاج البوذيون من كل أنحاء جنوب

---

(١) كانت عاصمة بورما العليا من ١٨٦٠ حتى ١٨٨٥ وأصيب قصرها الملكي ومعابدها المشهورة بالقنابل في الحرب العالمية الثانية (المترجم).

(٢) الباغودا معبد بوذي مكون من عدة طوابق ذات تصميم خاص (المترجم).

(٣) عاصمة جمهورية بورما الآن (المترجم).

شرقي آسيا، ولاسيما مدن وقرى بورما، وهناك باغودات أخرى شهيرة في مدينة مولمين Moulmein وفي العاصمة السابقة مندلاي.

كان بعض رهبان البوذية ـ خلال تقلبات فترات الاستعمار ـ يدعمون التراث التقليدي في دراسة «الأبهى داهماً» التي اشتهرت بها بورما، وكذلك أساليب معينة في التأمل تقوم على أحاديث بوذا في شريعة «بالي» التي تخصص فيها رهبان بورما. وهناك خاصية ملحوظة منذ حقبة الاستقلال، ألا وهي نمو مراكز التأمل التي يرتادها عامة الشعب لاسيما حول مدينة رانجون، حيث يزور هذه المراكز خدم وتجار ومعلمون.. إلخ لقضاء فترة أسبوعين أو ثلاثة ـ وربما أربعة أسابيع في ممارسة التأمل تحت إشراف وإرشاد دقيقين من أستاذ في التأمل.

٢٩ ـ تايلند:

يرتبط أقدم شاهد على وجود البوذية في تايلند بشعب المون Mons (وقد سبق أن ذكرناه ونحن نتحدث عن بورما). وتدل شواهد أثرية في بعض المواقع في سهل جنوب تايلند ــ مثل سهل «نكورن باتون Nakorn-Pathon» ــ حيث يوجد هيكل Stupa[١] قديم وضخم ـ على أن البوذية كانت تمارس طقوسها هناك منذ القرن الثاني الميلادي. ويبدو أن القطع الفنية التي عُثر عليها، وهي تماثيل لبوذا، وقطع من الفخار عليها كتابات منقوشة و«والدهما كارا» (عجلة العقيدة)، ويبدو أنها لموضوعات تنتمي إلى هذه الحقبة. ولقد ظلت تقريباً صورة البوذية منذ هذه الفترة المبكرة وحتى قرب نهاية القرن السابع الميلادي هي أساساً صورة الهنايانا البوذية.

لكن منذ القرن الثامن وما بعده تزايدت قوة المملكة المجاورة ــ مملكة شري ـ فيجايا Shri-Vijaya (في سومطرة) لدرجة جعلتها تؤثر تأثيراً كبيراً فيما يسمى الآن بجنوب تايلند. وقد شمل ذلك تأثير الدين الذي كان سائداً في سومطرة في ذلك الوقت، وهو خليط من مهايانا البوذية وبعض عناصر هندوسية. وتماثيل بوذا التي عُثر عليها في تايلند وتنتمي تاريخياً إلى هذه الحقبة، أي فترة سيادة مملكة «شري ـ

---

(١) ستوبا Stupa الهيكل أو الضريح الذي كان يُقام على رفات بوذا ثم تطور إلى الباغودا البوذية في جنوب شرق آسيا (المترجم).

فيجايا»، تعكس خصائص المهايانا. وقل مثل ذلك عن شرق تايلند الذي وقع تحت سيطرة أسرة «خمير Khmers (مملكة هندوسية في المنطقة المعروفة الآن باسم كمبوديا) فيما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر، الأمر الـذي نتج عنه تدفق سيل من عناصر الثقافة الهندوسية. لكن في القرن الثالث عشر كان شعب التايي Thai يتحرك بالفعل نحو شمال البلاد قادماً من جنوب الصين[1]، ثم انتشر في الجنوب مع مطلع القرن الرابع عشر. وأثناء انتشاره استوعب صورة الهنايانا البوذية الخاصة بشعب المون الذي يقطن السهل الأوسط.

ومنذ هـذا التاريخ فصـاعداً نشأت فيما يبـدو في تايلنـد علاقة تشبـه تلك التي قـامت في بورمـا بين الملك والـرهبان، حيث نجـد الحاكم في معظم الأحـوال يبسط حمايته ورعايتـه على جماعة السنغا في مملكته. ولقد شهـدت مدرسة «ترافيـدا» البوذية حـركة إصـلاح في «سري لانكا» إبـان القـرن الرابع عشر تحت حكم الملك المشهـور باركـامابـاهو Parkkama Pahu، وجذب ذلك عـدداً من الـرهبان من تـايلند إلى سري لانكا، وعنـدما عـاد هؤلاء الـرهبان إلى وطنهم أدخلـوا فيه الإصـلاحات التي أدخلت على الترافيدا سواء في الممارسات أو التعليم، ومنذ ذلك الحين وصورة مدرسة الترافيدا هي المسيطرة في تايلند.

(أ) عاصمة جديدة:

في نهايـة القرن الثـامن عشر أقيمت عاصمـة جديـدة في جنوب البـلاد على نهر تشاوفيـا Chao-Phya (أو نهر مينام) أولا بـاسم دهون بيري Dhonburi على ضفـة النهر الغـربية، ثم بعد ذلك على الضفة الشرقيـة المقابلة لدهـون بيري في كرنج تيب Krung Thepأو بانكوك. ولقـد عُرفت أسرة ملوك تايي الذين أسسوا هـذه العاصمة الجديدة باسم راما Rama[2]، الذي جرى العرف على أن يلحق به رقم معين. ومن أشهر هؤلاء الملوك: الملك راما الرابع المعـروف كذلك باسم مونجوت Mongkut،

(١) الجنس التايي أو السيـامي هو الذي يؤلف العنصر السـائد في تايلاند التي كان اسمهـا سيام من قبل (المترجم).
(٢) هي نفسها أسرة شاكري Chakkri حكم راما الأول (١٧٨٢ ـ ١٨٠٩) والرابع ١٨٥٩ ـ ١٨٦٨) وهو الذي بدأ تحديث سيام وعقد معاهدة مع انجلترا عام ١٨٥٥ (المترجم).

وقبل أن يصبح ملكاً عقب مـوت أخيه عام ١٨٥١ ـ كـان قد عاش راهباً بـوذياً لمدة ثلاثين عامـاً، وظل في الجزء الأخير من هذه الحقبة رئيساً للـدير أو المعبد Watفي بانكوك. ولقد أدخل في هذه الفترة عـدداً من الإصلاحات، وسعى إلى تطوير تفسير جديـد للأفكـار البوذيـة من منظـور الفكر المعـاصر، فقد كـان هو نفسـه عالماً وملماً بالثقافة الغربية في عصره. وكـان تأسيس مدرسة متطورة «للسنغا» تسمى داهما يتيكا Dhammayatika واحـداً من أهم إنجـازاتــه. والـواقع أن هـذه المدرسـة لم تُعـرف كمدرسـة مستقلة من مدارس السنغا إلا في العهـد التالي لمونجوت»، وهو عهـد ابنه شولا لونجكورن Chulalongkorn (أوراما الخامس).

ولقد خـرجت هذه المدرسة من أفـواج الرهبـان الذين بدأ مـونجوت في تجميعهم عندمـا عين رئيساً لمعبد بوفـورانيف في بانكوك عـام ١٨٣٧. وفي خلال الأربع عشرة سنة التي حكم فيها اكتسب مـونجوت سمعة طيبة استحقهـا كواعظ ومعلم وشارح لـلأفكار البـوذية بمصطلح سهل يستطيع جميع المستمعين فهمـه. ولقد تعلم اللغـة اللاتينيـة من أسقف كاثوليكي كـان جاراً لـه هو الأسقف بالليجـوا، ثم تعلم اللغة الإنجليزية من بعثة تبشيرية تابعة للكنيسة المشيخية الأمريكية. واهتم بصفة خاصة بالمعرفة العلمية المعاصرة وتطبيقاتها العمليـة، كما أنه كان يحتك باستمرار، في جولاته اليوميـة بوصفـه راهباً، بعامـة الناس في مدينـة بانكـوك. وعندما تـرك الديـر ليتولى مسؤوليات الملك بعد وفاة أخيه عام ١٨٥١، كان معـبد بوفورانيف Bovoranives قد أصبح واحداً من أعظم مراكز «السنغا» البوذية أثراً في تايلند.

لم يسع «مـونجـوت» إلى تفسير «الـداهما» تفسيراً معـاصراً فحسب، بل نجح كذلك في أن يرد لحياة «السنغا» بعض جوانبها الأساسية العامة التي كانت قد غابت عن الأنظـار. ولقـد أدى تطهيره لحيـاة السنغـا وإصـلاحـه لنظـامهـا إلى تنشيطهـا وإنعاشهـا، الأمر الـذي انتشر من الـدير الـذي كان يـرأسه إلى أديـرة أخرى كثيرة، وظلت هذه العملية متواصلة حتى يومنا الراهن.

(ب) الأثر الباقي للبوذية:

تقدم لنا تايلنـد مثلاً جيداً لنوع الحياة (الدينيـة، والأخلاقية، والاجتماعية) التي

كانت «الترافيدا» البوذيـة قادرة على تطويرها وتدعيمها في جنـوب شرقي آسيا عندما تحررت من الآثار المدمرة لـلاستعمار والشيوعية. لقد قنع الشعب تمامـاً بالفرص التي قدمتها «الترافيـدا» للتعبير عن الحياة الدينية وممارسـاتها. فقد عملت بعثات التبشير المسيحيـة بين شعب تـايي Thai لعدة سنوات وتلقـاها بروح طيبة واحترمهـا بصفة عـامـة، ولكن لم يعتقـد سـوى أقل من ٢٪ من الشعب بضرورة التحـول إلى ديـانـة أخرى.

في عام ١٩٨٢ كـان في تايلند ٢٤ ألف دير، و١٧٥ ألف راهب وراهبـة، وحوالي ١٠٠ ألف راهب تحت الإعداد. والسبب في تأرجـح أعداد الرهبـان هو أن كثيراً من الناس لايلجأون إلى حيـاة الأديرة إلا في مواسم المطـر فقط، أي من شهر يـونيو حتى أكتوبر. ومنذ عـام ١٩٠٢م، و«السنغا» تدير أعمالها مستقلة عن الحكومـة الدنيوية من خلال «مجلس السنغا الأعلى»، رغم أن الملك ظل بوذياً وراعياً للنظام وحامياً له. وقد نشط الـرهبان في الـوعظ وتفسير العقيدة البوذيـة والأسلوب البـوذي في الحياة في جميع أنحاء البلاد، لا عن طريق الاجتماعات المحليـة في المعابد فحسب، بل كذلك عن طريق الإذاعة والتليفزيون. وهكذا تم إرسال الرهبان في بعثات تبشيرية بوذية إلى مـاليـزيـا، والهند، ولاوس، وانجلترا. وأصبحـت بعض الأديـرة مراكـز للخـدمـة الاجتماعية وشملت بداخلها مدارس مختلطة ومكتبات ومستشفيات.

٣٠ـ كمبوديا، ولاوس، وفيتنام:

ظلت المستعمرة الفـرنسية السابقة في الهنـد الصينية لعدة قـرون تشمل عدداً من الممالك المستقلـة قبل أن يستعمرهـا الفرنسيـون في أواخر القـرن التاسع عشر. وكـان التراث الديني البوذي هو المسيطر في كل هـذه الممالك، إذ سيطرت مدرسة ترافيدا في كمبوديا ولاوس، والمهايـانا في فيتنام، لكن تراث المهايانا كـان هو السائد قبل القرن الثالث عشر في كمبـوديا ولاوس أيضاً، وهـو تراث اندمجت فيـه عناصر من الديـانة البرهمية. ومع نهاية القـرن الثالث عشر كانت المجموعات الدينيـة الثلاث الممثلة في كامبـوديا هي الهنـدوسية، والبراهمة عبـدة الإله شيفـا، ومدرسـة الترافيدا البـوذية. ونتيجة لتأثير التايي، منـذ القرن الرابع عشر وما بعده ـ بدأت كمبـوديا تصبح أكثر

فأكثر بـلادا ترافيدية. ثم تأسست دولـة لاوس عام ١٣٥٣ بواسطة أمير تـايي علمه أحد الرهبـان البوذيين في كمبوديا. ومنذ ذلك الحين ولاوس تتطور إلى بـلاد تسودها الترافيدا البوذية التي ارتبط رهبانها بروابط وثيقة برهبان البلد المجاور وهو تايلند.

وكانت المهايانا البوذية قد وصلت إلى فيتنام في فترة سابقة على القرن الحادي عشر الميلادي، ولقي فيها الرهبان البوذيون قدراً من الاحترام لتميز حياتهم وتعاليمهم على حد سواء. وفي عـام ١٠١٠م تولى أحد البوذيين واسمه «لي تـايي ـ تو Ly Thai- to حكم فيتنـام، ومن ذلك الحين فصاعـداً حظيت بوذيـة تشن (زن Zen) بمكـانـة مرموقـة. وكان خلفاؤه من أسرة «لي Ly» في القرنين الحادي عشر والثـاني عشر حتى عام ١٢٢٥ ــ أتباعـاً متحمسين لبوذيـة زن Zen. ثم وقعت البــلاد تحت سيطـرة الصينيين في أوائل القرن الـرابع عشر. ونتج عن ذلك نمـو الأثر الكنفـوشي والتاوي والحد من نشاط رهبان البوذية. أمـا فيما يتعلق بعامة الشعب فقد أدى ذلك إلى نشأة نزعة التوفيـق الدينية، وخضعت البوذية مرة أخرى لقيـود صارمة في الجزء الأخير من القـرن التاسع عشر تحت حكم الاستعمار الفـرنسي، وكـان ذلك نتيجة لنمـو التأثير الكاثوليكـي، وواصلت الأقلية المخلصة من الرهبـان ممارساتها الدينيـة في عزلة بينما ساند الرهبان البوذيون المنخرطون في الحياة العامة Bonzes [1] نزعة تلفيقية ضمت عناصر من البوذية التنترية مع الديانات البدائية وتعدد الآلهة.

ومنـذ بـداية القـرن العشرين، وحتى انـدلاع العـداوات التي خـربت البـلاد في ستينات القرن ـ بـدأت البوذية في استرداد عافيتها بانتظام في فيتنـام. وقد كانت أبرز صور إحياء البوذية هي أميدا Amida (أي الأرض الطاهرة)، وهي صورة من المهايانا التي نمت على حسـاب بوذيـة (زن Zen)، وإن كان تأثير مـدرسة ترافيدا قـد أخذ كذلك في النمـو. ففي عام ١٩٥١ تشكلت رابطة تضم جميع البـوذيين الفيتناميين، ولعدة سنوات ظل رهبـان البوذية الفيتنامية يلتقـون معاً، لا مع مواطنيهم فحسب، وإنما مع البوذيين من بلاد أخـرى أيضاً، وكانوا يزدادون وعياً بأن البـوذية جماعة دينية عالمية. وبعد عـام ١٩٦٢ فرض على قادة البوذية في فيتنام القيـام بدور سياسي أكثر علانيـة، في الوقت الـذي أحيا فيـه بعضهم ممارسـات المهايـانا الصينيـة التي تقول

(١) يطلق هذا اللفظ على رهبان الصين واليابان بصفة خاصة (المترجم).

بالتضحية بالنفس في سبيل بوذا. وتشهد الصورة الحديثة لهذه الممارسات بإخلاصهم وإيمانهم بالتراث البوذي بقدر احتجاجها على تخريب البلاد وتدمير الشعب الفيتنامي.

٣٢ ـ أندونيسيا:

لانعرف الشيء الكثير عن تاريخ البوذية المبكر في البلاد التي تُعرف الآن باسم أندونيسيا، ولكن يمكن القول ونحن مطمئنون إنها دخلت إلى جزيرة «جاوة» حوالي القرن الخامس الميلادي، وأنها قامت بدور هام خلال القرون التالية في معظم المناطق الأخرى التي تعرف اليوم باسم أندونيسيا. ويبدو أن دخولها هذه المنطقة جاء نتيجة لنفس الدافع التبشيري الذي اتسمت به بوذية الهند. ولقد استقرت في سومطرة في القرن السابع تحت حكم ملوك أسرة srivijaya الذين كانوا يحكمون الجزيرة في ذلك الوقت. وشهد أحد الحجاج البوذيين الصينيين بأهمية مملكة «سرفيجيا» كمركز للتعاليم البوذية عندما زار جزيرة سومطرة خلال رحلاته.

أدى الاحتكاك بالهند الشرقية إلى تطور في المهايانا البوذية في الهند انعكس في سومطرة، ومع مطلع القرن الثامن كانت الصورة التنترية للبوذية قد انتشرت هناك، ومنذ بداية القرن التاسع استقرت البوذية تماماً في شبه جزيرة الملايو التي كانت عندئذ تحت حكم أسرة سلندرا Sailendra. وفي «جاوة» بناء ضخم يعرف باسم البوربودير Borobudur(١)، وهو منحوت على شكل هرم كبير، ويرجع تاريخه على الأرجح إلى القرن الثامن ويدل على المكانة الكبيرة التي اكتسبتها البوذية في جاوة. وطوال الفترة التي اكتسبت فيها البوذية مكانة شعبية مرموقة في أندونيسيا ظلت تتعايش على نحو ودي وحميم مع الصورة «الشيفية» من الديانة الهندوسية، كذلك مكنت الصورة التنترية من البوذية إلى حد ما للنزعة التوفيقية مع المعتقدات والممارسات الدينية الوطنية في أندونيسيا، والملايو، ثم أزاحها الإسلام ابتداء من القرنين الثالث عشر والرابع عشر وما بعدهما بطريقة تدريجية وسلمية إلى أقصى حد، ويرجع ذلك إلى أن صورة الإسلام التي جاءت إلى أندونيسيا من الهند نفذت بعمق عن طريق الصوفية،

---

(١) هو معبد فخم بالقرب من مدينة جاكارتا«بجاوة» حيث ترقد حفنة من رماد بوذا (المترجم).

وتحولت الأديرة البوذية إلى مراكز دينية إسلامية، كما أن نمط الحياة الدينية الذي أقامته تلك المراكز الدينية الإسلامية كان يشبه نمط الحياة الدينية في النظام الاجتماعي البوذي (١) شبهاً لم يشعر أحد معه بتغير كبير أو صغير.

وعلى الرغم من أن معظم سكان أندونيسيا الآن من المسلمين فلا يزال فيها بعض البوذيين، وعلى حين أن عددهم قد يكون ضئيلاً، فإن ذلك لم يمح الأثر البوذي تماماً. فالاحتفال المسمى فيزاك Vesak، وهو احتفال بمولد بوذا وصحوته ودخوله النرفانا الأخيرة البارينيرفانا Parinirvana لايزال يقام سنوياً، كما أن هناك مركزاً بوذياً وديراً في باندونج. وبصرف النظر عن ذلك فقد تركت البوذية بصماتها على كثير من جوانب الثقافة الأندونيسية، ولعبت دوراً أساسياً في إضفاء سمات معينة على أندونيسيا المسلمة.

٣٢ ـ التبت :

استقرت البوذية في التبت، كما سبق أن رأينا، منذ القرن الحادي عشر. وفي عام ١٠٧٦ اجتمع في التبت الغربية مجلس «ثو ـ لنج Tho-Ling» وأتى إليه الرهبان، كما قيل، من جميع أنحاء البلاد، فبدا واضحاً منذ ذلك التاريخ أن البوذية قد انتشرت انتشاراً واسعاً في التبت. وتميزت فترة النمو من القرن الحادي عشر حتى القرن الخامس عشر بظهور عدد من الحركات المختلفة. وقد نشأت هذه الحركات على نطاق واسع، كما يحدث عادة في أنواع أخرى من التراث الديني، نتيجة الاختلافات الاجتماعية والسيكولوجية بين الأتباع المختلفين المؤمنين بدين معين، ولكن ربما يكون نمو هذه الحركات كذلك علامة على حيوية كبيرة اكتسبتها الديانة البوذية في التبت في تلك الفترة.

ولاشك أن البنغال المجاورة شهدت ضرباً من الإحياء أو الانتعاش للبوذية إبان القرن الحادي عشر، وشق كثير من الرهبان طريقهم من البنغال إلى التبت خلال هذا القرن والقرون الثلاثة التالية. وترجع هجرة الرهبان البنغاليين هذه، إلى حد ما، إلى الصعوبات المتزايدة في تدعيم مراكز الأديرة في البنغال خلال تلك الفترة التي نمت

(١) لعله يقصد «بنمط الحياة الدينية» هنا الحياة الصوفية التي تتشابه في جميع الديانات (المترجم).

فيها القوة الإسلامية في شمال الهند. وقد انتقلت الصورة التنترية من البوذية إلى التبت في أواخر هذه الفترة، وجلب الرهبان معهم قدراً من الروح السائدة في مراكز التعليم العظيمة من أمثال نالندا Nalanda وفكراماسيل Vikramasile وكانت النتيجة أن أصبحت المراكز المماثلة للأديرة ذات سمة خاصة تميزت بها بوذية التبت واحتفظت بها حتى القرن العشرين.

وكان راهب يدعى ميلا Mila هو أحد الشخصيات الكبيرة في القرن الحادي عشر في التبت، ثم أضيف إلى اسمه لقب Repa (أو لابس القطن) إشارة إلى تقشفه التام في طريقة حياته، وارتدائه ثوباً من القطن على الرغم من برودة الجو في التبت، كما قيلت أشياء كثيرة حول زهده البالغ، فضلاً عن أنه كان شاعراً نظم «مائة ألف أغنية»، أصبح الكثير منها شائعاً عند أهل التبت ولايزال كذلك. وكان هذا الراهب نفسه تلميذاً لمعلم اسمه «ماربا Marpa» أسس فرقة من أكثر الفرق شعبية اسمها «كا ـ جيو ـ با Ka-gyu-pa» اهتمت اهتماماً خاصاً بممارسة «اليوجا» وغيرها من الرياضات الروحية أكثر من اهتمامها بالحكمة الفلسفية. وهناك فرقة أخرى تقابلها عُنيت بالالتزام الدقيق بالشريعة التقليدية لنظام الدير، وفرقة ثالثة بالسعي وراء الأفكار الفلسفية العميقة، وفرقة رابعة انصب اهتمامها على التنظيم الاجتماعي الذي كان من آثاره العارضة تقديم أسس راسخة للتنظيم الاجتماعي في البلاد بعد تدهور النظام الملكي. غير أن هذه الفرق المختلفة لم توجد داخل البوذية متنافسة متناحرة، بل كانت في حالة انسجام ووئام، واتفق على أن تنوعها واختلافها يجعلها تؤلف معاً وحدة واحدة، فكل فرقة تقدر الفرق الأخرى وتعتبرها أجزاء من كل شامل هو الذي يشكل البوذية في التبت.

وبدأت في القرن الرابع عشر حركة إصلاح هامة بقيادة معلم اسمه تسنج كابا Tsong -Kapa ١٣٥٧ ـ ١٤١٧)[1] انتهت بتشكيل «جلج با Gelug-pa» وهي

---

(١) نادى في حركته الإصلاحية بأن يعود رجال الدين إلى التقاليد البوذية فيحرموا على أنفسهم الزواج ويلبسوا الملابس الخشنة تقشفاً. ولكي يميز أنصاره دعا مريديه من رجال الدين إلى ارتداء أردية صفراء أو برتقالية كما كان يفعل بوذا، فأطلق الناس عليهم اسم «أصحاب القبعة الصفراء» (المترجم).

فرقـة معروفة على المستوى الشعبي بـاسم«جماعة أصحاب القبعات الصفـراء». وقد أحيت هذه الفـرقة تـراث نظام الأديرة الـدقيق، فأعضاؤهـا لا يتناولـون الخمر، ولا يتـزوجون «على خـلاف بعض رهبـان التبت الآخـرين» ويتمسكون بقـدر عـال من الأخلاق الشخصية. وشاع الاعتقاد بأن أحد رؤساء الأديرة الذي توفى عام ١٤٧٥ قد تجسـد مـرة أخرى في جسـد راهب شـاب، وأنـه بـدوره تجسـد بعد مـوتـه في راهب آخر.

وهذا الـ «لاما Lama» الذي تجسد المرة تلو الأخرى ونظر إليه بإجلال كبير أطلق عليه اسـم «التالاي Talai» (المحيط). ومن هنا بدأت سلســلة التالاي أو الدلاي لامــا [1]. وفي عام ١٦٤٢ أصبـح أصحاب القبعـات الصفراء القـوة الحاكمة في التبت، واستمــروا على هـذا النحــو حتى استــولى الصينيـون على التبت في عــام ١٩٥٠.. وكـان«الـدلاي لامـا» ، بـوصفـه الـزعيم الـروحي لأصحـاب القبعـات الصفراء، هـو أيضاً رأس الـدولة في التبت، ويمكـن أن نقارن مـركز «الـدلاي لاما» بوضع البابا في أوربا الكاثوليكية، فهناك أوجه شبه بينهما، لكن الفارق الجوهري هو الاعتقاد بأن الدلاي لاما هو تجسيـد لكائن سماوي أو بوديساتفا Bodhisattva» (و هو أعظم «اليوديستافات» الذين تقول بهم مهـايانا الهند شهرة) والاعتقاد السائد هو أنه عنـدما يموت الـدلاي لاما يكون التجسيـد التالي طفـلاً يولد بعـد تسعة وأربعين يومـاً، وهناك طريقـة معتادة ومحددة تحديداً جيـداً للبحث عن الطفل والتعرف على ذلك الذي سيصبح الدلاي لاما الجديد، وذلك لتدريبه على الواجبات الروحية.

ولقد ظل عدد من أديرة التبت قـائماً لمدة تبلغ الثمانية قرون حتى عام ١٩٥٠م كما ظل مسايـراً لتراث جامعات الأديرة في الهنـد بوصفها مراكـز كبرى للتعليم. وكانت دراسة التاريخ تمثل أحد الاهتمامات الرئيسية عنـد عامة الشعب، فالمؤرخ بو ـ ستون Bu- Ston ، وهو من أهل التبت، هو الذي كتب أقيم وأشهر كتاب في تاريخ بوذية الهند.

أما بوذية عامة الناس في التبت فقد تشربت الكثير من الديانة المبكرة التي سبقت

(١) كلمة لاما Blama ـ هكذا بلغة التبت، وحرف الباء ساكن ـ تعني راهب الدير. أما الدلاي Dalai فهي تعني الكبير، وعلى ذلك «فالدلاي لاما» تعني حرفياً «الـراهب رئيس الدير» لكنها تدل اصطلاحاً على الزعيم الروحي في التبت (المترجم).

البوذية وكانت تعرف باسم «بون Bon أو «Pon»، وكانت ضرباً من «الشامانية Sha-manism مع عبادة الأرواح والآلهة الحارسة من مختلف الأنواع. وكان إله التربة، وهو أحد الآلهة الهامة، يتم تبجيله بواسطة عصا مستقيمة أو عمود تتم زخرفته في الغالب بقطع من الخرق أو القماش الملون. ولهذا وصف الرحالة الذين مروا بالتبت أهلها بأنهم مشغولون بصفة مستمرة «بعجلة الصلاة»، إذ يقدمون الصلوات إلى هؤلاء الآلهة كلما فرغوا من أعمالهم الأخرى، وكانت هذه سمة من سمات الديانة السابقة على البوذية. أما أعظم خاصية للرمز البوذي، وأعني بها المعبد أو الباغودا، فكانت له صورة خاصة في التبت معروفة باسم «تشو ـ تن Cho-ten، وهو منظر مألوف في التبت.

ويشير هـ. أ. ريتشاردسون H.E.Richardson ـ وهو أحد مؤرخي التبت المحدثين ـ إلى أن السمات التصويرية المعتادة في بوذية التبت هي التي كثيراً ما لفتت أنظار الغربيين، على حين أننا لانسمع إلا قليلاً عن التقوى اللافتة للنظر والتأثير الأخلاقي للحياة الهادئة في الأديرة. وهو يضيف إلى هذا أن حياة عامة الناس يسودها التدين الصادق الذي لايثير ولا يلفت الأنظار، وهو يمارس داخل الأسرة ويعدّ عنصر تماسك واستقرار في حياة أهل التبت.

لقد كان الأثر البارز الذي تركته البوذية في شعب التبت هو تحويل القبائل التي كانت في السابق مولعة بالقتال والعدوان إلى شعب مسالم بلغت نزعته إلى المسالمة حد النفور من القتال والعجز عن مقاومة الغزوات التي يشنها من الشمال شعوب أخرى من غير أهل التبت. وآخر مثال على ذلك هو سيطرة الصين على البلاد بحجة أن التبت من الناحية السياسية جزء لايتجزأ من الصين، وهو ادعاء يقوم على أساس أمثلة تاريخية أقدم لحكم صيني مماثل. وقد نتج عن هذه السيطرة تشكيل جذري جديد لبنية الحياة التقليدية في التبت التي اختفت تقريباً فيما يبدو داخل التبت نفسها، وإن احتفظت لنفسها بوجود قلق بين المهاجرين من التبت الذين يعيشون فوق التلال الملاصقة لسلسة جبال الهمالايا في شمال الهند، حيث تقدم الحكومة الهندية الصديقة بعض المؤن لهؤلاء اللاجئين حتى تنقذ ماتبقى من ثقافتهم التقليدية. ويمكن على كل حال أن نتصور أن جماعة التبت في شمال الهند تستطيع أن تقوم في

المستقبل بدورها في إعادة استقرار البوذية في البلد الأصلي الذي جاءت منه. وقد أعيد فتح «قصر بوتالا» في عام ١٩٨٠ في «لهسا» للبوذيين من أهل التبت، كما سمح لبعض الحجاج بزيارته.

٣٣ ـ خاتمة:

ربما يكون من المناسب أن نسوق في خاتمة هذا البحث الموجز بعض الملاحظات العامة لتساعد القارىء على أن يحكم من منظور سليم على ماذكرناه عن البوذية في الفترات التاريخية المتعاقبة وفي البلاد المختلفة التي انتشرت فيها.

وإذا كان في استطاعتنا أن نفرق بين قسمين رئيسيين في البوذية هما: المهايانا، والهنايانا (ولاتمثل الأخيرة في الوقت الحاضر إلا واحدة فحسب من مدارسها الأصلية الثماني عشر وهي مدرسة ترافيدا)، فسوف يكون من الخطأ النظر إلى هذين القسمين على أنهما يشكلان انقساماً أو انشقاقاً يشبه ذلك الذي حدث في التاريخ المسيحي بين الكنيسة الرومانية والأرثوذكسية اليونانية، أو بين الكاثوليكية الرومانية والبروتستانتية. ورغم أن الظروف المحلية أدت، في فترات معينة، إلى خصومة عنيفة بين دير المهايانا ودير الهنايانا (كما حدث في سري لانكا) فقد استطاع رهبان المدرستين في ظروف أخرى، كما هو الحال في الهند، أن يعيشوا معاً في دير واحد. وهناك اليوم، كالأيام الخوالي تماماً، مشاركة ملفتة للنظر في التعليم والتجربة بين ممثلي الجناحين. والاختلافات بينهما هي بالضبط اختلافات في التشديد على جوانب معينة. وفي البلاد التي تسيطر فيها إحداهما (كما هو الحال في بورما وتايلند مثلاً حيث تنتشر صورة الترافيدا البوذية) لا نفتقد الشواهد التي تدل على انتشار أفكار المهايانا وتطبيقاتها.

والواقع أن طابع البوذية وروحها غريب تماماً عن التعصب الأعمى تجاه أولئك الذين يختلفون معها في الرأي. ويمكن توضيح ذلك على مستوى آخر هو كرم الضيافة أو حسن الوفادة، الذي استقبلت به مدرستا المهايانا والهنايانا معتقدات البلد الأصلية وتعاليمها. فهي لم ترفض هذه المعتقدات رفضاً عنيفاً ولم تدنها بغير تردد، بل سمحت لها بالاستمرار وضمتها بالتدريج للمعتقدات والممارسات البوذية

التي تتم في الأديرة حتى أصبحت وسائل للتعبير عما هو بوذي أساساً.

ربما وجد الملاحظ الغربي في ذلك أخطاراً حقيقية تهدد المحافظة على الصورة «النقية» للدين، لكن الشواهد التي تقدمها ٢,٢٠٠ سنة من التاريخ البوذي، في سري لانكا مثلاً، تدل على أن التسامح، عندما يرتبط بالحرص الجاد على الدعوة وبالتعاطف الرحيم، لايؤدي إلى اختفاء الاستبصار الأصلي أو إلى إضعاف التجربة والممارسة الدينية ــ والموقف الذي تلخصه العبارة القائلة بأن «ماتؤمن به وتمارسه يختلف عما أؤمن به وأمارسه، ومادامت الصورة التي أؤمن بها صحيحة، فلابد أن تكون الصورة التي تؤمن بها خاطئة وينبغي عليك أن تقلع عنها»، هو في الحقيقة موقف لايتناسب مع السياق البوذي حيثما كان موطنه. وعند الاختيار بين التسامح والإحسان من ناحية، وبين العداء وامتلاك الحقيقة المطلقة الشاملة من ناحية أخرى ـ نجد أن البوذيين يفضلون بصفة عامة الخيار الأول.

هكذا ظل الحظ يبتسم للبوذية حيناً ويعبس لها حيناً آخر، ولاشك أنه سوف يواصل ذلك. ويقدم لنا تاريخ سري لانكا مثالاً واضحاً على ذلك، فهناك امكانان اثنان على الدوام: ففي عصور الانهيار والمصاعب والمقاومة أو الكراهية من قبل الشعب، يتعرض التراث البوذي لأشد أنواع المعاناة من تزايد العداء له، غير أن هناك أيضاً إمكاناً آخر هو أن تبعث البوذية من جديد، وأن تسترد عافيتها، على نحو ما حدث في عدة مناسبات طوال التاريخ. ومن الصواب بصفة عامة أن تقول إن البوذية لم تنتشر قط بقوة السلاح، وأنها قد قاست في بعض الأحيان من العجز عن التأثير بسبب روحها النبيلة الرقيقة. قد يكون ذلك عيباً، لكنه قد يثبت من ناحية أخرى أنه ربما يكون في المستقبل في صف البوذية.

ليس الرجل البوذي رجل سلام بالمعنى السلبي، فهو بموقفه الباطني قوة فعالة لصنع السلام، على نحو مايثبت التاريخ الداخلي للبلاد البوذية. فقد ازدهرت البوذية في أوقات السلام، واستخدمت، باستمرار، فنون السلام بنجاح تام لخدمة أهدافها. وفن النحت البوذي، والرسم، والعمارة تقدم شهادة ناطقة على الأثر النبيل الرفيع الذي كان للبوذية على المجتمع البشري. وفي التحليل النهائي نجد أن الأفق

البـوذي، شأنـه شأن الأفق المسيحي، ليس محدوداً بـالعـالم الـزمني والمادي العـابـر الزائل، فالسلام الـذي أعلنه بوذا أوالداهما Dhamma وكذلك «السنغـا» هو سلام عالم أزلي.



الفصل التاسع
الصين

تقف الصين وحدها وسط حضارات العالم العظيمة. فقد تطورت في عزلة تامة، تقريباً، عن بقية الحضارات، ولهذا كانت إنجازاتها فريدة. وهذه الخاصية الفريدة جعلتها في آن معاً ممتعة لمن يشاهدها، محيّرة لمن يحاول فهمها. أجل فقد تطورت الصين بنفسها وساعدتها على ذلك عزلتها الجغرافية عند النهاية الشرقية القصوى (في الطرف الشرقي الأقصى) من العالم الأوربي الآسيوي القديم، تحيط بها جبال وصحراء ولا تمر بها أية طرق للتجارة.

ويتكلم الصينيون لغة لايربطها صلة بأية جماعة لغوية أخرى، وتكتب بخط اخترعوه لايشبه غيره. لكن لهذا الخط ميزة كبرى، إذ تعبر رموزه في الكتابة عن الأفكار لا الأصوات، ولذا يمكن قراءتها في جميع أنحاء الصين بغض النظر عن «لهجة» المتكلم، بل إن الكتب التي كتبت بهذا الخط قبل ألفي سنة يمكن قراءتها اليوم بسهولة. وقد قامت اللغة وطريقة كتابتها بدور قوي في إحساس الشعب لا بالوحدة والهوية فقط، بل كذلك بالاستمرار والاتصال.

كان الشعب الصيني في تراثه التقليدي يعتبر نفسه مركزاً للكون. وكلمة شنج ـ كيو Chung-kuo وهي الاسم الصيني للصين، تعني حرفياً «مملكة الوسط» فقد عدَّ الصينيون أنفسهم، على نحو مافعل الإغريق، جزيرة من الثقافة وسط بحر من التوحش والهمجية ـ وظلوا لمدة طويلة، على خلاف الإغريق وعلى نحو أشبه بالرومان، يفهمون فنون الإدارة الحكومية على نطاق واسع. وابتداء من الخدمة المدنية التي تقوم على أساس اختيار الكفاءة، فإن البيروقراطية الصينية حافظت على الإمبراطورية فظلت سليمة لاتمس لمدة ألفين من السنين. ولقد ظلت خاصيتا التفرد والاتصال اللتان يتميز بهما روح الشعب الصيني حيتين على نحو مذهل، رغم أن

هذه الإمبراطوريـة حل محلها في البداية النظـام الجمهوري من ١٩١٢ حتى ١٩٤٩ ، ثم النظام الشيوعي .

لقد كان للصين كذلك ، مثلها مثل الغرب ، عصر تشكل فيه الفلاسفة ، وفترات إمبراطورية ، وعصـور نهضات ثقافية ، وإن كانت الحضـارة الصينية تتعارض في كل نقطة تقريباً مع التجربة الغربية . ومن حيث الأفكار الدينية والفلسفية ، بالإضافة إلى أمـور أخرى كثيرة ، استـوعبت التجربـة الصينية مشـاعر وتطلعـات الجنس البشري كله ، ولكنها عبرت عنها باستمرار بطريقة صينية خاصة .

١ ـ ثلاث ديانات رئيسية :

لعبت ثـلاث ديانـات الـدور الرئيسي على مـدى ثـلاثـة آلاف سنة من التـاريخ الصيني . وهذه الـديانـات هي : الكونفـوشية ، والتاويـة (الطاويـة) والبوذيـة . أما الكونفـوشية والتـاوية فهما ديانتـان قوميتان أصيلتـان في الصين ، وجدتـا قبل دخول البوذية إليهـا من الهند بحوالي خمسمائة سنة . وحتـى قبل ظهور الكونفوشيـة والتاوية كانت هناك ديانـة أقدم (تفرعت عنها الكونفوشية والتاويـة كل بطريقتها الخاصة) . وسيطرت هذه الديانة القديمة على الصين لما يقرب من ألف سنة . وهكذا امتد تاريخ الدين في الصين لأكثـر من ألف عام ونصـف الألف قبل أن تواجـه أفكـاره تحدي التراث الأجنبي .

وقد بقـى هذا التراث القومـي قوياً حتـى بعد أن دخلت البـوذية إلى الصين ، إذ ازداد طابعها الصيني ، وظهرت المدارس البوذية الصينية الخالصة . ولكن تأثير الفكر الهندي ، وتجربته الـدينية على عقول الصينيين ، كان كـذلك من القوة بحيث غيّر من الكونفوشيـة والتاوية ، اللتين عادتـا إلى الظهور في شكلين جديدين هما الكـونفوشية الجديدة ، والتـاوية الجديـدة ، اللذين لم يكـونا سـوى إعادة تشكيل للتراث القـومي الأصلي حتى يواجه تحدي التراث الغريب الجديد .

في حضارة كالحضارة الصينية التي استمرت هذا الأمد الطويل ، وظلت متماسكة على نحو لم تؤثر فيه ، نسبياً ، حضارات خارجيـة ـ كان لابد أن تزدهر عبادات ونحل كثيرة ، وقـد أدخلت إليها كـذلك ديانـات غريبـة عليها ولاسيما الصـور الغريبة من

الديانة المسيحية، رغم أن دخولها إليها قد تأخر إذا ما قورنت بالبلاد الأخرى. ومع ذلك فإن الكونفوشية، والتاوية، والبوذية، قامت على المدى البعيد بالأدوار الأساسية في التجربة الدينية الصينية.

ومن المهم أن نذكر القارىء الغربي، ونحن نتحدث عن الكونفوشية والتاوية بوصفهما ديانتين، أنهما تمثلان عند العقل الصيني «شياو Chiao (أي تعاليم)»، وأن هذه التعاليم ليست تعاليم دينية على سبيل الحصر، أو التخصيص، رغم أنها تتعلق بأمور كثيرة مما ننظر إليه نحن على أنه يخص الدين.

لقد نُظر إلى كتابات مؤسسي الكونفوشية والتاوية على أنها جزء من التراث الثقافي الجامع للصينيين. أما في حالة الكونفوشية فإن شريعتها المقدسة لا تتكون من مؤلفات مؤسسي الكونفوشية فحسب، بل كذلك من الوثائق الدنيوية التي كانت موجودة قبل كونفوشيوس وتشكل التراث الكلاسيكي للصين. لقد ظلت الشريعة الكونفوشية لألفين من السنين هي العصب الرئيسي لمنهج التربية والتعليم في الصين، وكان الإلمام بالشريعة على سبيل المثال، هو أحد المتطلبات الرئيسية في امتحانات الخدمة المدنية. وفي جزء كبير من تاريخ الصين اعتقد الصينيون أنفسهم أن الكونفوشية والتاوية (الطاوية) مظهران أصيلان للروح القومي، لامجرد أنواع من الإيمان الديني الذي يدعو إلى الهداية ويتطلب الانتماء والالتزام الشخصي.

ومن ناحية أخرى ظهرت مع دخول البوذية في بداية العهد المسيحي، فكرة الدين بوصفه مؤسسة رسمية منتظمة ـ فطورت التاوية، كرد فعل عاجل على البوذية، مؤسسات من هذا القبيل، كان لها على نحو ما كان للبوذية بالفعل نظام كهنوتي هرمي، كما كانت لها معابد وأديرة وشريعة مقدسة، وجذبت كل منهما مؤيديهما بوصفهم المهتدين إلى الإيمان. ثم كانت هناك فترات في تاريخ الصين أصبح فيها الولاء الطائفي الذي ظهر على هذا النحو ـ حرجاً للغاية. وكان الأمر كذلك، بصفة خاصة، في تلك الفترات النادرة التي اعتنق فيها أعضاء الأسرة الإمبراطورية الديانة البوذية أو التاوية. غير أن القصر الإمبراطوري والمؤسسة الحاكمة في الصين ظلتا في المقام الأول كونفوشيتين. وتأصلت الكونفوشية، بوصفها الفلسفة السائدة بين الطبقات المسؤولة عن الإدارة، وفي المراسم والطقوس الرسمية، وما تقدم الدولة من

قرابين إمبراطورية. وبهذه الطريقة أصبحت جزءاً من الجهاز الحكومي، بل أصبحت عقيدة الدولة. غير أن كلاً من الكونفوشية والتاوية، كانتا في الأصل وببساطة مذاهب فلسفية خالية من أي عنصر من عناصر العقيدة، وتعتنقهما «مدارس» وأفراد، ولم يشكلا مؤسسة ولا كان لهما طابع ديني خاص.

غير أننا لو قصرنا نطاق بحثنا على الجوانب الدينية من الكونفوشية والتاوية لكان معنى ذلك أن نتجاهل الكثير من تعبيرات الفكر الديني الصيني ومشاعره سواء أكانت من الأنواع «العليا» أو «الدنيا»، وهي التعبيرات التي لا ترتبط ارتباطاً خاصاً بأي من هذين المذهبين الفلسفيين. فهناك، أو بالأحرى كانت هناك، عناصر دينية كامنة في كثير من مظاهر التنظيم العائلي والاجتماعي، وفي طقوس وممارسات الجماعات الاقتصادية وغيرها من الجماعات، وفي النظرية السياسية، والفعل على جميع المستويات تقريباً من الحكم المحلي إلى الحكومة الوطنية. وكثرة المعابد والأضرحة في كل مدينة وقرية وتنوعها في جميع أنحاء البلاد، فضلاً عن وجود الآلهة المحلية والمذابح الخاصة بها فيما لاحصر له من البيوت - إنما يقدم دليلاً ملموساً على ذلك.

٢ - عالم العرافة أو التنبؤ بالغيب :

يبدأ التاريخ المسجل للصين بأسرة شانج Shang التي استمر حكمها من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وكانت سجلاتها تتألف من مجموعة من العظام نُقشت عليها نبوءات، وتم اكتشافها قرب نهاية القرن التاسع عشر، حيث أصبحت منذ ذلك الحين المصدر الرئيسي لتاريخ أسرة «شانج». كانت هذه العظام إجابات عن أسئلة قدمت إلى العرافين، وقد تم إنقاذ مئات الألوف من شذراتها، وكانت الأسئلة تحفر على عظام الحيوانات والقواقع والأصداف، وتوجه إلى الأرواح طلباً للهداية والإرشاد. وبعد أن يحفر السؤال يقوم العراف بتسليط النار على ثقوب يحدثها في العظم، ثم يؤول ماينتج عن الحرارة من تصدعات بأن الأرواح تجيب ببشائر خير أو نذير شؤم(١).

(١) كانوا يستخدمون صدف السلحفاة، فيقوم العراف بإحداث ثقب فيها، ويعرضها للحرارة فتظهر شروخ يفسرها العراف بأنها إجابة عن سؤاله، قارن مثلاً حكمة الصين للأستاذ فؤاد شبل ج١، ص ٣٢ دار المعارف بمصر (المترجم).

ونحن نحصل من طبيعة الأسئلة المطروحة على صوره لمجتمع ينظمه، في كل جانب تقريباً، من جوانب الحياة اليومية ـ التنبؤ بالغيب، وتحكمه اعتبارات الحظ الحسن أو الفأل السيء. أما «القوى» التي يستشيرونها في عملية التنبؤ بالغيب فهي أرواح الموتى من الملوك أو تي Ti، وكذلك أرواح الأسلاف. ونحن نعرف أن هناك عنصراً جنسياً في هذه العبادة، وذلك من الآثار الباقية من أشكال الخطوط التي لايزال من الممكن تمييزها. ولكننا نعرف أيضاً، من الأسئلة التي تُطرح حول آداب تقديم القرابين وتأدية الطقوس، أن آلهة التلال والأنهار وغيرها من آلهة الطبيعة والأرواح الحارسة، كانت تُعبد إلى جانب أرواح الموتى. ولم يكن الموتى وحدهم هم الذين يسألون عن الهداية والإرشاد في مسائل السلوك، بل كان يتوسل إلى قوتهم الداخلية (مانا Mana) حتى تكفل خصوبة الرجال والنساء والمحاصيل والحيوانات.

٣ ـ الديانات القديمة :

لم تكن الأرواحية Animism[(١)] (عبادة آلهة الطبيعة) وطقوس الخصوبة وعبادتها ـ ولاسيما عبادة الأسلاف ـ مجرد مظاهر لأقدم الممارسات الدينية الصينية التي حفظها التاريخ فحسب، وإنما هي تتكرر في صور منوعة ومختلفة في «الديانة الشعبية» للعصور التالية.

وفي عام ١٠٢٧ ق. م خلفت أسرة تشو Chou أسرة شانج Shang. وحكم القصر الملكي لأسرة تشو حتى عام ٧٧١ق. م بوصفهم «الملوك ـ الكهنة»، وظلوا يسيطرون سيطرة تامة على العالم الصيني. ولقد بقيت من هذه الحقبة مجموعة من الوثائق، وعدد لابأس به من النقوش على أواني برونزية مقدسة، وهي جميعاً تعطينا فكرة عن ديانة القصر الملكي لأسرة تشو. والديانة الملكية لأسرة تشو تدعى لنفسها أهمية خاصة لا تتناسب مع أهميتها الحقيقية، وذلك لأن كونفوشيوس نظر إلى هذه

(١) مصطلح عسير التعريب ولهذا يفضل د. أحمد أبوزيد أن يكتبه كما هو «الأنيمزم» انظر كتابه عن تايلور ص ١٠٠ وما بعدها من نوابغ الفكر الغربي. ويترجم أحياناً بالمذهب الحيوي وهو بعيد عن المعنى الدقيق الذي يشير إلى نظرة الإنسان إلى مظاهر الطبيعة من حوله بوصفها مليئة بالأرواح أو الأشباح أو الآلهة (المترجم).

الحقبـة على أنها العصر الذهبي. وقـد استشهـد ببعض وثائقهـا باعتبـارهـا شواهـد قديمـة، وبذلك ضمت إلى الشريعة الكونفـوشية، وهكذا دخلت كثـرة من عناصر ديانة «أسرة تشو» الملكية إلى العقيدة الكونفوشية.

كان ملوك الصين الأوائل ملوكاً وكهنة في آن واحد، وتعتمد سيادة الملك على أن السماء هي التي قلدته «مهام منصبه». وعندما ثار «ون Wen» (وهو الذي لقبه ابنه بلقب الملك بعد وفاته) على أسرة شانج تولى ابنه الملك «وو Wu» (١٠٢٧ ـ ١٠٢٥ ق.م) العـرش وأسس أسرة تشـو. وحكمت هذه الأسرة على نحـو مـا تـؤكد وثـائق عهدهـا، معتقدة أن رسـالتها قـد قضت بها السماء ـ فـالسماء هي التي أزاحت أسرة شـانج وأنهت تفـويضهم بـالحكم، وهي التي كلفت أسرة تشـو الملكية بتـولي هـذا المنصب الذي هو «تفويض من السماء»[1].

وتعتقد أســرة «تشو» أن الإلـه الأعلى هو السلف الأعظم (شانج ـ تي ـ Chang Ti) وهو لفظ مـرادف لـ «تين Tien» (أي السماء). وتمسك السماء ـ أو هكـذا كان الاعتقاد السـائد ـ بيدهـا الكون بأسره (العالم الطبيعي وسكانـه ـ وهو العـالم المعروف للصينيين)، وتقضي بتعـاقب الفصول في مـواقيتهـا، وتأمـر بدورة الموت والتجـدد، وتكفل خصوبة الرجال والنساء والحيوانات والمحاصيل. غير أن السماء تمنح مسؤولية تنظيم الكون لوصيها على الأرض وهو «ابن السماء تين تزو (Tien-Tzu)». ولقد وقع الاختيار على أسرة تشو للقيـام بهذا الدور كما تزعم. و«تنظيم الكون» مسـألة لابد أن تكون مقبولـة عند السماء (بي P'ei) عن طريق الطقوس والشعـائر ومن خلال تأدية هذه الطقوس التي تستحث وقائع النظام الطبيعي وتسلسله في الكون ووسط الجنس البشري.

٤ ـ دور الملك :

كـانت السماء تُبدي غضبهـا بأن تقلب الجو في غير أوانـه، أو تـرسل علامـات أخرى خـارقة كالصواعق (وهما اضطـراب في الدورة المنتظمة)، وكـذلك عن طريق الفشل في الإخصاب (بأن يسحب الموتى الأقوياء قـوتهم الداخلية أو المانا Mana)

(١) أو هكذا شاعت السماء كما يقولون أحياناً (المترجم).

لذلك كانت الوظائف الكهنوتية للملوك تعتمد على تقديم القرابين للملوك الأموات وإلى «شانج ـ تي Shang - ti» الأكثر بُعداً، ومن ثم الأكثر قوة من بينهم. كما تعتمد على تقديم تقرير لله عن مسار الأحداث الدنيوية، والانخراط في طقوس إيمائية مثل حرث الأرض، وبذر البذور أو الغزل الشعائري لشرانق الحرير من شجرة التوت في حالة مليكاتهم، لكي تكفل الخصوبة ولتبدأ من جديد دورة الحياة وتجدد السنة.

وقد كانت عبارة «مقبول من السماء عن طريق الشعائر» (باي Pei) هي رخصة الملك إلى السيادة، وهي التي تزوده بالنفوذ السياسي القوي الذي يُلزم رعاياه بالولاء له. ويساعد الملك في التأدية الصحيحة لواجباته الكهنة والمرتلون، فهم خبراء في أشكال الطقوس، ومن أهم واجباتهم المراقبات الفلكية التي يقومون بها وتجعل إعداد التقويم ممكناً.

ويشهد على طبيعة الملك شبه الإلهية اختيار السماء له على أنه ابنها، مما يعطي للملك سلطة سياسية على رعاياه الذين يكلفون بدورهم «بالمناصب» عن طريقه. وكما أن الملك يحكم بفضل «تفويض» السماء له، فكذلك يفعل أمراء الإقطاع في مملكته، إذ تكون لهم سيادة محلية تحت إشراف الملك. وأمراء الإقطاع بدورهم وهم يفوضون الإقطاعيين التابعين لهم بالقيام بواجبات معينة. وهكذا نجد الهرم الإقطاعي كله لأسرة تشو الغربية يقوم من القمة إلى القاع على إرادة السماء.

والملك يحكم على نحو مباشر في ملكه، بينما يحكم بتفويض الإقطاعيين عنه في ولايات الأركان الأربعة، ولكل إقطاعي داخل نطاق سيادته الحق في العبادة واستحضار الأرواح الحارسة. و«الشؤون الكبرى للدولة هي التضحية والحرب»، على نحو ما تقول القاعدة الدينية القديمة. ونحن نجد النبلاء، في الديانة الملكية لأسرة تشو ـ هم الكهنة والمحاربون في الدولة.

٥ ـ العبادة الملكية :

تقام العبادة الملكية في معبد الأسلاف، وهو المبنى المركزي في مجموعة مباني القصر، أما تخوم القصر التي توجهها الشمس صوب الجنوب. ويتم الاقتراب منها البوابة الجنوبية، فتفتح على فناء عظيم يقع في الجانب الشمالي منه ضريح أسلاف

أسرة «تشو» وفي المؤخرة عبر بوابتين أخريين يوجد الفناء الرئيسي، حيث يقوم في جانبه الشمالي القصر الذي يقيم فيه الملك.

ويصف قائد مظفر، في نقوش على آنية مقدسة، المراسم النموذجية التي شارك فيها، وكانت في جانب منها عبادة، وفي الجانب الآخر حفلاً ملكياً، فيقول: في اليوم الأول وقبل الشروق يقوم الكهنة الكبار بتجهيز الملك في قصره، ثم يتقدم الملك إلى معبد الأسلاف، ويقف أمراء الإقطاع العائدون من حملات عسكرية، أمام البوابة الجنوبية، ثم يدعون إلى الفناء الكبير حيث يعرضون أسراهم، عندئذ يُضحى بالأسرى كقرابين في معبد الأسلاف، ويتقدم المشاركون نحو الفناء الرئيسي حيث يُتلى تقرير عن الحملة، ثم يسير الملك من الفناء الرئيسي إلى المعبد لتقديم القرابين للأسلاف الملكيين. وفي اليوم التالي تولم للرعايا المجتمعين وليمة من اللحوم والخمور التي سبق تقديمها مكافأة لهم من الملك.

ولقد حُفظت لنا الطقوس التي كانت تؤدي في مثل هذه الخدمات الدينية في أقدم قسم من «كتاب الأغاني» ـ وهو مختارات من الشعر الصيني المبكر وهي ترنيمات لملوك أسرة تشو، وبغض النظر عن أنها أقدم شعر في اللغة الصينية، فإن لها أهمية خاصة بوصفها أول تعبير أدبي للصينيين عن المشاعر الدينية.

وتتألف الترنيمات من تضرعات واعترافات موجهة إلى الأسلاف من الملوك، وتراتيل تُتلى للآلهة عن أعمال البسالة. وقصائد أخرى تحتفي أمام الآلهة بحضور الإقطاعيين وأتباعهم أثناء الاحتفال وتأدية الطقوس. وهناك أغانٍ ترحب بالأتباع وأغانٍ أخرى تعّبر عن الإخلاص والولاء ينشدها هؤلاء الأتباع للملك. ومن ذلك كله تتألف طقوس العبادة الملكية. ويبدأ الشعر في الصين بإنشاد هذه الطقوس الدينية، ولقد نشأت المحاولات الأولى لعلم العروض من فقرات نثرية وضعت لتتلاءم مع دقات الآلات وإيماءات الرقص في طقوس المعبد.

ويمكن أن نكّون فكرة عن المشاعر الدينية التي تنطوي عليها طقوس المعبد من المقتطفات التالية:

«بهدوء جليل، وانسجام مهيب،
يُسجّل الوزراء والفرسان الحاضرون
فضائل سيدهم المنشىء،
المتكفل بنا من قِبل السماء،
الملك العظيم ون . . Wen،
آه يامولاي! لعلك تجد وأنت في جلالك العظيم،
في العمل المتزن، والكلمة المهذبة،
مديحاً لايغضبك من بشر فانين.
جليل ولا حد لجلاله،
هو تكليف السماء،
فضيلتك أيها الملك الشهير ون،
تهبط لتغمر بالبركة،
خدماً على الأرض.
ليس علينا إلا أن نتلقى عطفك وإحسانك،
فليحفظها مَنْ يأتون بعدنا.
إننا نأتي، بتواضع، بما لدينا من قرابين،
من ثيران وخراف،
فلتتبع منها،
عناية السماء،
ورضا الملك.
ليكن علينا على الدوام أن نخشى غضب السماء،

حتى نصون عطف الملك،
ونحافظ على طريقنا المستقيم،
ينبغي علينا، لكي نجلب السلام على الأرض،
أن نطيع أوامر الملك ون Wen،
وأن نثق في تشريعاته،
وسوف يراقبنا من بعيد، ويشملنا بالتشجيع والتأييد.
ثيابه من الحرير البراق،
وقبعته مرصعة بالأحجار الكريمة،
خمرة معتقة للغاية لكنها لا تُسكر،
في تواضع جليل يمشي هوناً وبلاصوت!
وسط الركائز المقدسة.
والقرون الخاصة بالشراب!
يمشي من القاعة إلى العتبة
بخطوات محسوبة،
ويمنح عفوه في النهاية للمسنين».

ولقد أمدّت توجيهات ملوك أسرة تشو، وترنيمات كهنتهم الدينية أثناء تأدية الطقوس ـ أمدّت كونفوشيوس «بوثائق الماضي العتيق» كما أيدت أفكاره السياسية والدينية بسلطات قديمة. فأصبحت أفكار معينة من الديانة الملكية لأسرة تشو، معتقدات دينية أساسية عند كونفوشيوس وفي الدولة الكونفوشية التي جاءت بعد ذلك. ومن هذه الأفكار الأساسية فكرة «الموجود الأسمي» (تشانج ـ تي Shang-Ti) أو «الله في الأعالي»)، وفكرة الملك الذي تُقّلده السماء نائباً أو مفوضاً عنها (تكليف السماء)، وفكرة أن السماء تسحب تفويضها من الأشرار وتوافق على خلع الأسرة الحاكمة عندما تنضب فضائلها، وتبرر إحلال أسرة أخرى محلها بأنها «مقبولة من السماء».

ولقد أدت مركزية الأسلاف من الملوك في مجتمع الآلهة الملكي كما أدت عبادتهم وتقديم القرابين إليهم في الديانة الملكية ـ إلى مركزية الأسلاف في الممارسات الدينية التالية، كذلك أصبح إجلال الأموات الأقوياء، والتضرع «للمانا Mana» عندهم من أجل الإبقاء على حياة العشيرة، جزءاً من العادات الاجتماعية للصينيين، كما أصبح ولاء الأبناء للأسرة أحد تعاليم كونفوشيوس المركزية.

وقد أضفى كونفوشيوس الوازع الأخلاقي على الكثير من الممارسات الدينية المبكرة، لكنها ترجع إلى عصر ماقبل الأخلاق (كما يذكرنا قدر كبير من القرابين البشرية التي ذكرناها فيما سبق) فلم يكن الباعث الذي يحرك الأفكار الدينية أخلاقياً سواء كان خيراً أم شراً، وإنما كان هو التحكم في القوى عن طريق الشعائر، لضمان حسن الطالع ولتجنب الحظ السيء، وللتضرع للقوة الجامعة للأموات الراحلين.

وبينما انشغل الملوك والأرستقراطيون «بالحرب والتضحية» وتأدية وظائفهم الكهنوتية في الديانة الملكية، فإن الإيمان في الريف ـ كما تدل على ذلك إشارات من القصائد الأخيرة في كتاب الأغاني ـ اتخذ شكل طقوس الإخصاب، فكانت جموع الناس في الربيع والخريف تتضرع إلى «مانا» Mana الميت لتخصيب أرضهم وحيواناتهم بل وإخصابهم هم أنفسهم.

٦ ـ الديانة الأرستقراطية :

في عام ٧٧١ ق. م، نقل ملوك أسرة تشو الغربية عاصمتهم إلى الشرق، ومع تغيير العاصمة جاء انهيار قوتهم ونفوذهم، إذ انتقلت القوة السياسية الحقيقية في مقابل القوة الشرفية، إلى أمراء دولة المدينة ثم أكدّ حكام دولة المدينة استقلالهم شيئاً فشيئاً بعد أن كانوا في الأصل حكاماً إقطاعيين تابعين للبيت الملكي في أسرة «تشو». ومع نمو الاستقلال اتخذوا لأنفسهم، على نحو متزايد، بعض الامتيازات الملكية، ومنها الوظائف الكهنوتية التي كان يتقلدها الملوك القدامى. وترأسوا الطقوس الدينية التي كانت تقام للتربة والمحاصيل (أعني عبادة آلهة الخصب المحلية التي استمتع الأمراء بالسيطرة عليها)، وأكدّوا عبادة الأسلاف في هياكل الأسرة وبذلك وضعوا أيديهم على رموز السلطة في دول المدينة، ورد أمراء الإقطاع نسبهم إلى أبطال الماضي

الذين يعبدون محلياً. وهكذا أصبح «هو ـ تش» أمير ميلت Millet هو الجد الأكبر المزعوم لعشريـة تشي Chi وصار «يو العظيم» بطل الطـوفان الأول، هو الجد المزعوم لأسرة تسو Szu . وبهذه الطريقة دخل عدد من أبطال الزراعة ـ الذين كانوا حتى الآن محليين ومجهولين في الديـانة الملكية لأسرة تشو ـ الغـربية دخلوا مجمع الآلهة الصيني. ثم اخترع المؤرخون فيما بعد أسـاساً تاريخياً لأبطال العبـادة هؤلاء ورتبوهم في تسلسل تاريخي. ولقـد حدث ذلك في الحقبة العظيمة للكتـابة التاريخية من القـرن الثاني إلى القرن الأول ق. م، وهكذا دخل «الأباطرة الأسطوريون» بتواريخهم «الخيالية» التاريخ الصيني، وأرجعـوه إلى الـوراء عدة آلاف مـن السنين، وأصبح لهؤلاء الأباطـرة أهميـة كبرى في العبادة لاسيما عنـد أسرة هان Han وأخذوا يظهرون كشخصيـات لامعة في «العبادات المحليـة» والديانة الشعبيـة لذلك العصر، والواقع أنه ليست هنـاك سوى دلائل قليلة من الفترة السابقة لأسرة «شانج» على وجود أية شخصية من الشخصيات التاريخية التي حكمت الصين.

وهكذا استطاع أمـراء دول ـ المدينة ـ من خلال استحواذهـم على الخدمـة الدينية المحلية، وحقهم في القيـام على خدمة آلهة الخصب، مع سهـولة وصولهم إلى «مـانا» أسلافهم المقدسين استطاعوا أن يفرضوا سيطرتهم السياسية على رعاياهم.

ولقد حـافظت دول ـ المدن على السجـــلات التي بقى واحـــد منها كـاملاً في حين بقيت شذرات متفرقـات من بعضها الآخر. وتزودنا «حـوليات الربيع والخريف Ch'un-Ch'ui»[1] لمملكة «لـو Lu» والشروح التي قامت عليها بـالمصدر الرئيسي للأفكـار الدينية التي كانـت سائدة في تلك الحقبة. وتحتوي السجـلات نفسها على رؤوس موضوعات في عبـارات موجزة تسجل أموراً خاصـة بالأسرة المالكة، كحالات الـزواج والموت في البيت الملكي، والمعـاهـدات والاتفاقـات التي عُقـدت بين «لـو» والولايـات الأخرى، والأحداث المشؤومـة (كالطقس في غير أوانه، أو ظهور مـواليد مشـوهـة، وماشـابـه ذلك)، ومـراقبـة الكسوف والخسـوف والشهب، وكـان لهذه

(١) حوليات الربيع والخريف: كتاب جمعه كونفوشيوس من محفوظات مملكة «لو» وسجل فيه تسجيلاً موجزاً خالياً من التنسيق أهم ما وقع من الأحداث في هذه الولاية أو مملكة «لو» وهي مسقط رأسه. ولما كانت نصـوص الحوليات مختصرة وغامضـة، دأب الكتاب الصينيون على شرحهـا وتفسيرها والتعليق عليها (المترجم).

السجلات غرض شعائري هو أن تحفظ وتدون مايتعلق بالأسرة الحاكمة. ولقد حكمت تقاليد الشعائر عبارات التدوين التي صُنّفت على أساسها. ويذكر كونفوشيوس بكل الإكبار أنه كان له الفضل في جمع «حوليات الربيع والخريف» حتى أن الحوليات أدخلت في كتب الشريعة المقدسة لكونفوشيوس[1] وأصبح التفسير السري لها ـ الذي كُتب في أسرة هان ـ جزءاً من التعاليم الكونفوشية.

٧ ـ شامانية الجنوب :

تختص جميع المصادر التي بين أيدينا عن أسرة تشو في الشرق، تقريباً، بديانة أمراء دولة المدينة وبديانة الطبقات الأرستقراطية، فنحن في هذه الفترة لانعرف إلا القليل عن الديانة الشعبية. لكن من ولاية تشو Ch'u، التي أصبحت منذ القرن الرابع قبل الميلاد تسيطر على الجزء العلوي من نهر يانج تسي وضمت أجزاء تعرف الآن باسم أنهوي Anhwei وهونان Honan وهيونان Hunan وهيبه Hupeh وستشوان Szechuon ـ بقي لنا مجموعة من أغاني الشامان كجزء من «مرثيات تشو»، وهي «الأغاني التسع» المعروفة بترنيمات الشامان.

وتختلف الممارسات الدينية الموصوفة هنا أتّم الاختلاف عن الشعائر الدينية للأمراء في دول المدينة، فالآلهة التي يتضرعون إليها من آلهة المناطق المحلية في كيو Ch'u هي إلهات الجبال والأنهار والأبطال المحليين. ويغتسل الشامان ـ سواء الرجال منهم أو النساء ـ طبقاً للشعائر ويتعطرون ويرتدون ثياباً رائعة الجمال، ويغنون ويرقصون على أنغام الموسيقى وهم يؤدون طقوس الغزل، ويدعون الآلهة للنزول والاشتراك في معاشرات شهوانية. وعندما تنصرف الآلهة يبدأون في النواح حزناً لفراقهم. أما الطقوس المعروضة في «الأغاني التسعة» وهي تُعّد أغاني همجية من وجهة نظر كونفوشية لما فيها من جنس وروعة وحزن ـ فقد أنتجت شعراً رفيع المستوى، وهاك مثالاً منه :ـ

---

(١) ترك كونفوشيوس وراءه خمسة مجلدات كتبها أو أعدها للنشر أصبحت تعرف في الصين باسم الجنجات الخمسة «أو كتب القانون الخمسة ـ وكان من بينها هذه الحوليات (المترجم).

«بدأتُ أخرج من الشرق مندفعاً،
وأشرق «فو ـ سانج» على عتبتي،
وبينما كنت ألح على خيلي لتحث الخطى،
سطع ليل السماء، ولاح ضوء النهار.
وركبت عربة التنين، وقُدتُ المركبة وسط الرعد،
بينما كانت رايات السحب ترفرف فوق الريح،
أطلقتُ تنهيدة طويلة عندما بدأتُ الصعود،
كارهاً الرحيل، متطلعاً بشغف إلى العودة،
فللجمال والموسيقى سحر خاص،
يجعل المشاهد المستمتع، ينسى أن عليه أن يمضي.
شُدّ أوتار القانون ثم اتركها تتآلف مع النغم
اقرع الأجراس حتى تترنح المنصة التي تحملها!
ولتعزف الناي! ولتنفخ في أنابيب المصفار(١)
انظر إلى الكاهنات: كم هن ماهرات فاتنات!
يدرن بخفة، وينخفضن ويرتفعن كالطير أثناء طيرانه!
ينشدن بالأغنيات، في حينها، للراقص!
وطبقات الصوت مع النقرات في انسجام تام!
وتهبط الأرواح لتحجب الشمس،
في سترتي الداكنة كالسحاب، وتنورتي المزركشة كقوس قزح،
أحلِّق عالياً في السماء قابضاً على قوسي.

(١) المصفار آلة موسيقية بدائية تتألف من سلسلة من الأنابيب المتدرجة في طولها (المترجم).

صوبت سهمي الطويل وأطلقته على ذئب السماء.

وأمسكت بالمغرفة لأغرف خمراً بلون القرفة!

ثم قبضت على العنان، وهبطت مسرعاً إلى موضعي،

عائداً إلى الشرق بعد رحلة في ليلة مظلمة».

ويبدو أن البلاط في «تشو Ch'u» كان ينعم بهذه الممارسات الدينية. ومن المحتمل أن يكون السر في بقاء الأغاني التسع أنها خلبت لب البلاط بهذه المشاهد الدينية. ولكن يكمن خلفها عقيدة شامانية لم تحصر نفسها في الجنوب. وإنما انتشرت كديانة شعبية بين الناس داخل دول المدينة. ولقد لعب الشامان دور طاردي الأرواح الشريرة، ودور الأنبياء والعرافين أو قارئي البخت، ومفسري الأحلام، كما كانوا أيضاً الأطباء الذين يعالجون الأمراض.

وتوحي الإشارات المتفرقة عن الشامانيين في آداب تلك الفترة أنهم كانوا متواجدين في كل مكان. وفي الاقتراحات التي قدِّمت من أجل الأعداد لاستعمار جديد في القرن الأول قبل الميلاد، على سبيل المثال ـ كان على المستعمرين الجدد أن يتزودوا بالأطباء وبالشامانيين للعناية بهم في مرضهم، ولمواصلة تقديم تضحياتهم»، مفترضين أن العرف قد جرى على أن يكون «الشامان» عضواً من أعضاء مجتمع القرية. وتشير عبارة «أسرة الشامان» إلى أن مهنة الشامان كانت وراثية. لكن مع ظهور الكونفوشية ظهرت آراء متحّيزة ضد الشامان، بدأت بقول كونفوشيوس «إن الأرواح ينبغي احترامها، وإن كان ينبغي أيضاً إبقاؤها بعيدة عنا» ولما كان الجانب الأكبر من الأدب في أيدي الكونفوشيين، فقد ازداد تحفظه تجاه الشامانية.

٨ ـ عصر الفلاسفة :

لقد تم وضع البذور الدينية لكل من الكونفوشية والتاوية خلال عصر الفلسفة فمن القرن السادس حتى القرن الثالث قبل الميلاد في دول المدينة الواقعة في السهل الرئيسي في الشمال، نعمت الصين بفترة غيرعادية من ازدهار العقل البشري، وكثر عدد الفلاسفة وأخذوا يتنقلون من بلاط إلى بلاط، ويجمعون الأتباع حولهم،

ويشرحون نظرياتهم، ويطرحونها للنقاش في حوار علني، وكل منهم يسعى للعثور على أمير «يضع طريقهم (أي فلسفتهم) موضع التطبيق العملي». ولقد وصفهم تسو ـ ماشين Szu ma-chien(ازدهر من سنة ١٤٥ ــ ٩٠ ق. م). الملّقب بأبي التاريخ الصيني ـ وصفهم بأنهم «المدارس المائة»، ومن هذه المدارس المائة خرجت مدرستا الكونفوشية والتاوية اللتان أقيمت عليهما تعاليم الفلسفتين والديانتين الكونفوشية والتاوية في القرون التالية.

غير أن الفكر يعتمد على البيئة التي ينشأ فيها، إذ لم يتوقف تنازل ابن السماء، حاكم الصين الموّحدة، عن السلطة إلى أمراء الصين المقسمة إلى إمارات مستقلة عند هذا الحد، وإنما انتقلت السلطة داخل دول ــ المدينة نفسها من الأمراء إلى الأوليجاركيين وهم جماعات النبلاء الأقوياء، ومن الأوليجاركيين وعلى الأقل في حالة واحدة، إلى دكتاتور من الرعاع. ولقد أبرز ذلك من وجهةنظر دينية، المشكلات الخاصة بإقرار السماء للسلطة السياسية، وحقوق رعاية الخدمات الدينية.

ثم أضيفت أيضاً مشكلة التغير الاجتماعي والاقتصادي إلى الوضع السياسي المتدهور لحكام دول المدينة، إذ كان المجتمع الصيني في حالة تغير، والمؤرخ الاقتصادي يلاحظ بغير شك، أن كثيراً من التواريخ الأساسية عنده هي تواريخ لأحداث وقعت في القرن السابع ق. م. حيث عُرف الحديد وسُكت النقود، وهناك أسطورة تشير إلى وجود مدينة لسك النقود ـ كما ظهرت في دول المدينة جماعات من التجار منظمة تنظيماً يكفي لجعلهم قادرين على التفاوض مع أمرائهم بشأن الأوضاع والعمليات التجارية. كما ذكر شيء في هذا السياق أيضاً عن احتكار الدولة لصناعة الملح وتوزيعه، وكذلك عن تحكم الدولة في سوق السمك.

وباختصار، برزت فجأة ضغوط قوية للتعقيدات المربكة للإنتاج المتخصص وللتجارة بين المناطق، وأسس يقوم عليها الاقتصاد مختلفة عن اقتصاد تخزين السلع الكمالية المؤدي إلى تراكم الثروة، واشتدت هذه الضغوط على المجتمعات ذات الاقتصاد الزراعي البسيط التي تكفي نفسها بنفسها محلياً، والتي لم يكن لها التزامات خارجية سوى إرسال الجزية إلى الحاكم الأعلى، وقد أدت هذه التغيرات في مجال

الاقتصـــاد إلى اضطــرابـــات عميقـــة الجذور في التـــوازن الاجتماعي، كما أدى التغيرالاجتماعي إلى قلاقل سياسية. وهكـذا توجهت الفلسفة الصينية في المقام الأول إلى دول ـ المدينة الناشئـة ومشكلات الحكم التي اقترنت بها. وازدادت كذلك الحركة الاجتماعيـة بين الطبقـة الارستقـراطيـة، إذ انقلب بعض الارستقـراطيين إلى مـرتـزقـة ووضعوا أنفسهم في خدمة من يحميهم.

وأصبح آخرون تجاراً انخرطـوا في مهنة التجارة بين الولايات (والكلمـة الدالة على التجارة هي «شانج Shang» وربما جاءت من استقرار ذرية حكام أسرة شانج في ولاية «سونج Sung»)، وآخرون أجّروا أنفسهم ليعملوا مؤدبين لأبناء الأسر النبيلة أو قاموا بفتح مدارس.

وقـد أطلقوا على أنفسهم لقب «جـو Ju» أي «المهـذب» أو «الطيّع الـوديع»، وراحـوا يُعلّمون النـاس فنون الحيـاة في دولة المدينـة والمراسم، والطقوس، والقـراءة والكتابة، مستخـدمين مقتطفات أدبية مختارة من الأغاني الشعبيـة، وأغاني البلاط، ووثـائق الدولـة التي اعتمـدوا عليهـا جميعاً لتكـون بمثـابة كتـب مدرسيـة. وشكلّ تـلاميذهم «حلقـة» تحّولت فيما بعد إلى أتبـاع أو أنصار، وسرعـان ما ظهـرت بينهم مدارس متميـزة، وشخصيات رائدة، وبـدأوا ينتشرون في دول ـ المدينـة، ويقدمـون للأمـراء نظرياتهم عن الحكـومة وخدمات تـلاميذهم، ومع حلول القـرن الرابع قبل الميلاد، أصبح الفيلسوف «المشـاء» شخصية مألوفة في بـلاط الأمراء والحكام، ونظمّ بعض الحكام لهؤلاء الفـلاسفة منـاظرات علنيـة، وبذلك أمكن منـاقشة النظـريات المتنافسـة وعرضها على الملأ. وأنشأ أحد الحكـام ـوهو ملك تشي Chi أكـاديميـة حـاضر فيهـا أئمـة الفـلاسفـة في ذلك الـــوقت، وكـانت هـذه الأكـاديميـة بشيراً بأكاديميات العصر الإمبراطوري ـ وهي الجد المباشرة للجامعة الصينية الحديثة.

وهكذا واكب عصر الفلاسفة فترة معقدة مركبـة، من التغير والتجديد، فالقوى الاجتماعية والاقتصاديـة كانت تسير في اتجاهات خاطئـة، ولم تُفهم طبيعتها في ذلك الوقت إلا على نحو غـامض. ولكنها طرحت مشكلات لم يكن مـن الممكن الإجابة عليها إلا بعد فترة طـويلة من التفكير والتأمل النظري. غير أنه كان يعتقـد باستمرار

أن المشكلة ذات طبيعة سياسية وهي: كيف يمكن استعادة النظام والتوازن في دولة المدينة، ذلك التوازن الذي لايزال حياً في الذاكرة، لكنه تحطم بفعل الأحداث الحديثة؟!

وأكثر مايهم دارس الدين من بين مدارس العصر الفلسفي هي مدرسة كونفوشيوس وخليفتيه في الكونفوشية، وهما منشيوس Mencius وهسون ـ تسو Hsun-Tziu، ومدرسة المتصوفة، شوانج تسو Chuang-Tzu، ولاوتسو Lao-Tzu. ذلك لأن الكونفوشية والتاوية ارتفعتا فوق صراعات المدارس المائة وأورثتا الإمبراطورية الصينية فلسفتها الرئيسيتين والأصليتين.

٩ـ كونفوشيوس :

الكونفوشية هي أقدم المدارس الكثيرة التي تتألف منها المدارس المائة، وكان مؤسسها، كونفوشيوس، هو الفيلسوف الصيني الأول. ولد عام ٥٥١ قبل الميلاد في دولة المدينة في مملكة «لو Lu» ومات فيها عام ٤٧٩ق.م واسمه هو الصورة اللاتينية لـ «كونج فو ـ تسو K'ung fu-Tzu» الصينية التي تعني «المعلم كونج». وهو ينحدر من أسرة أرستقراطية، وبوصفه مؤدباً لأبناء الطبقة الأرستقراطية في المدينة، فقد علّمهم فنون الحياة في دولة المدينة، ودراسة كتاب «الوثائق التاريخية» وهو مجموعة من السجلّات التي تتعلق أساساً بأسرة تشو الغربية، وإن لم تكن مقصورة عليهم، و«كتاب الأغاني» الذي يحتوي، ضمن أشياء أخرى، على ترانيم شعائرية لملوك أسرة تشو الأول. وهكذا غرس في تلاميذه ذوي الأصل الأميري مذهب أسرة تشو في الديانة الملكية.

غير أن كونفوشيوس لم ينظر إلى هذه الوثائق على أنها إنجيل الديانة الملكية ـ رغم أن الكثير منها يتعلق بالدين ويزودنا بالسوابق القديمة لممارسة الدين عند الحكام ـ وإنما ينظر إليها كبقايا للعصر الذهبي. ولقد كانت استعادة القيم والممارسات المعروفة في هذا العصر هي في رأي كنوفوشيوس الإجابة السياسية على مشكلات دولة المدينة، وعنده أن أبطال هذا العصر الذهبي هم ملوكه المؤسّسون ون، وو Wen, & Wu، ودوق تشو ـــ الوصي على تشي نج Ch'eng ابن الملك «وو». كانت القاعدة

السياسية التي سار علهيا كونفوشيوس هي استرجاع سياسات ملوك أسرة تشو الأول. ولقد استند كونفوشيوس، بوصفه فيلسوفاً إلى نصوص «كتاب الأغاني» وكتاب الوثائق التاريخية ولجأ إليها باعتبارها سلطته المرجعية، وكان منهجه كتابياً «أشبه بمنهج الكتاب المقدس». وكانت رؤيته كمنظر سياسي، رؤية محافظة، أما برنامجه فهو استعادة التراث المبكر والمحافظة عليه، وهو يعلن أنه إنما «ينقل ما تعلمه دون أن يخترع من عنده شيئاً». (المختارات رقم ٧، ١).

١٠ ـ نظام أخلاقي واجتماعي :

وباستخدام هذه الوثائق التاريخية ككتب مقدسة، وتأويل لغتها العتيقة، تأويلاً معاصراً أنشأ كونفوشيوس مذهباً أخلاقياً واجتماعياً من كتابات تتعلق بالعرافة ويسيطر عليها السحر واللا أخلاقية. وهكذا نجد «تي Te» القوة السحرية، ومانا Mana (القوة الداخلية) عند القدماء تصبحان فضيلة بالمعنى الأخلاقي والاجتماعي. وتصبح القوة التي تمارسها «المانا» هي قوة المثال التي رأى كونفوشيوس أنها قادرة على تحويل «الخير» إلى قوة لايمكن مقاومتها. وصار أمير النصوص القديمة «تشن شو» Chun-Tzu عند كونفوشيوس هو «الأمير الحقيقي» وهو الرجل المهذب على نحو ما ينبغي أن يكون عليه الرجل المهذب، كما صارت جين Jen التي تدل على صفات أعضاء القبيلة ذوي المستوى الرفيع، عند كونفوشيوس صفة عالية للخير لايصل إليها إلا حكماء الماضي وحدهم.

ولقد كانت عبقرية كونفوشيوس هي التي قلبت الكثير من مفردات لغة الديانة البدائية إلى مفردات أخلاقية، وحولت تلك الديانة إلى نظام أخلاقي وذلك مع انتقال المجتمع مع الاهتمام بالفأل الحسن والسيء، إلى الاهتمام بالصواب والخطأ. ولما كان كونفوشيوس قد أنشأ نظاماً أخلاقياً جديداً فقد ظل يؤثر في الصين، كما ظل موضوع إجلالهم واحترامهم لألفين من السنين، وإن كان إخلاص أتباعه له قد جعلهم يخلعون عليه شرف النجاح العالمي باعتباره رجل دولة ودبلوماسي حتى مجدوه ونادوا به «ملكاً لم يتوج قط» أما كونفوشيوس التاريخي ـ في مقابل كونفوشيوس الذي قدمته الأساطير وولاء الطلاب. فكان في الحقيقة معلماً جوّالاً محبطاً، يئس من أن

يضع حاكم مدينته تعاليمه موضع التنفيذ، فارتحل إلى ولايات مجاورة لم يجد فيها إلا نفس الإهمال والاستقبال العدائي. ولم يعترف بفضله في أيامه إلا حلقة صغيرة من الأتباع والمريدين، وكان لابد من مُضيّ قرون قبل أن تسود تعاليمه، ومات وهو يشعر بالإحباط.

١١ ـ المختارات:

جُمعت تعاليم كونفوشيوس في كتاب عنوانه «المختارات» (Lun-Yu) وهي تشتمل على عشرين كتاباً (أي فصلاً)، يتألف كل منها من مجموعة من الجمل أو الفقرات من أقوال المعلم التي سجلها تلاميذه، ومن المرجح أن يكون تاريخ بعض أجزاء المختارات سابقاً على وجود كونفوشيوس، لكن هذه مشكلات لاتهم إلا المختصين، كما هو الحال مع الكتابات الدينية المقدسة بصفة عامة. أما الرجل الكونفوشي العادي فإن «المختارات» عنده هي أقوال كونفوشيوس، وهي من هذه الناحية تشكل جزءاً من الشريعة الكونفوشية المقدسة، ولقد أضيفت إلى «المختارات» على نحو ما ظلت تدرس قرناً بعد قرن ـ شروح للتوضيح وتوسعات في التأويل. ثم وجد الكونفوشيون المتأخرون في المختارات، مرجعاً وسنداً لأفكار غريبة عن معناها الأصلي، ويمكن تلخيص أفكار كونفوشيوس الأصلية على النحو التالي:

هناك طريق على الأمير أن يتبعه وهو «طريق الملوك السابقين» ولما كان الملوك السابقون، في نظر كونفوشيوس، قد سلكوا في حكمهم وفق ما أمرت به السماء، فقد قدّموا نماذج تحتذيها الأجيال القادمة، وقد فعلوا ذلك لأنهم كانوا مهذبين « Jen». وكلمة «جين» كانت تدل في الأصل على عضو من أعضاء العشيرة رفيع المستوى (قارن كلمة gens اللاتينية)، وهي عند كونفوشيوس تعني أن تكون خيراً إلى أقصى حد، وبأوسع معنى ممكن للكلمة. ومن ثم كانت صفات مثل «انعدام الأنانية»، واحترام الآخرين، والأدب، والولاء للأسرة والإخلاص للأمير كلها صفات الرجل «الجين». فالرجل المهّذب الخيّر (الجين) لايتذمر ولايشكو وقت المحن، وهو جريء واضح في مسألة الحق. لكن هذه كلها مجرد جوانب «للجين»،

فعند كونفوشيوس أن «الجين» نفسه هو نموذج متعال لم يبلغه سوى حكماء الماضي إنه كيان صوفي وهو الصفة الجوهرية للقداسة.

١٢ ـ الفضيلة :

إذا كانت «الجين Jen» هي صفة القداسة، فإن تي Te هي القوة التي تبلغ بها هذه القداسة : فالفضيلة ليست مضادة للرذيلة، وإنما هي بالأحرى، فضيلة باطنية ملازمة ـ هي قوة شيء ما أو فاعليته، وهي بهذا المفهوم أقرب إلى المعنى الذي يقصده كونفوشيوس. وهكذا يكون على الأمراء أن يحكموا عن طريق الفضيلة، التي هي مركز رفيع تجاوز قوته كثيراً القوة البدنية أو القهر. والشخص الخير يمارس الفضيلة فيتحول الآخرون إلى الخير، والإنسان الذي يسعى لأن يكون «جين» بتهذيب قوته Te، يبلغ المثل الأعلى للأمير، وهذا المثل الأعلى الأميري وهو «تشن ـ تزو Chun-Tzu (حرفياً : الأمير) يصبح في تعاليم كونفوشيوس تجسيداً للمثل العليا للسلوك البشري، إنه الإنسان في أحسن أحواله، الإنسان كما ينبغي أن يكون، وهذا الإنسان الأعلى «تشن ـ تزو» تحكم «لي Li» (الشعائر) سلوكه كله. وكلمة «لي Li» تعني طقوس الديانة المبكرة ـ أصبحت عند كونفوشيوس شريعة كاملة للسلوك المهذب، فهي تتحكم في ارتداء الثياب، وفي المراعاة الدقيقة للآداب الاجتماعية والأخلاق الحسنة، بصفة عامة، بل في التصرفات والإيماءات والإشارات بحيث يضاف المظهر الخارجي الملائم إلى السلوك الأخلاقي. وتحت سطح التأكيدات الكونفوشية لدقائق الحياة اليومية يكمن الاعتقاد القديم القائل بأن للطقوس نفسها قوتها السحرية.

ويهتم كونفوشيوس في حديثه عن الخير، وتهذيب القوة التي تولّده وأداء الإيماءات، والإشارات المناسبة التي هي علامته الخارجية ـ يهتم بالأخلاق الشخصية والأخلاق الاجتماعية، لأن هذا هو الطريق إلى الإنسان المهذب الحقيقي أو المثل الأعلى عند كونفوشيوس، وتلك هي إضافة كونفوشيوس نفسه المتميزة للديانة القديمة إذ أضفى على الدين مضموناً أخلاقياً.

ويبدو أن كونفوشيوس ـ أثناء انشغاله بالسلوك الشخصي، وبالواجب الشخصي

ـ قد أوحى بأنه لايهتم إلا قليلاً بعالم الأرواح وعالم مافوق الطبيعة ـ «لم يتحدث المعلم عن مشيئة السماء، أو عن معجزات الطبيعة أو اضطراباتها» (المختارات ٧ : ٢٠) «ولم يتحدث عن الأرواح (المختارات ١١ : ٢). لكن المسألة هنا مسألة تشديد في الاهتمام، فكيف يمكنك أن تخدم الأرواح خدمة صحيحة قبل أن تؤدي هذه الخدمة إلى الأحياء من البشر؟!». بذلك ردَّ كونفوشيوس على سؤال وجه إليه عن أهمية الطقوس الدينية. باختصار: إن خدمة الإلّه تصبح لامعنى لها إذا أهملت خدمة الناس. ومن هنا انصب اهتمام كونفوشيوس الأساسي على مشكلات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية في علاقته برفاقه من البشر وذلك هو جوهر تعاليمه.

١٣ ـ ولاء الأبناء:

الولاء البنوي هو أحد تعاليم كونفوشيوس الأخرى وقد اكتسب أهمية كبرى عند بعض مدارس الكونفوشية. وهو باللغة الصينية «هسياو Hsiao» التي تعني أصلاً الولاء للآباء الموتى وللأسلاف، والواجبات التي ينبغي أن تؤدي لهم كتقديم القرابين، والطعام. أما بالنسبة لكونفوشيوس الذي كان يشدد على تأدية الواجب للأحياء، فقد أصبح الولاء البنوي يعني خدمة «الوالدين أثناء حياتهما»، ومن ثم اكتملت العلاقات الخمس لتعاليم كونفوشيوس وهي علاقة الأمير بالرعية، وعلاقة الابن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الصديق بصديقه. واحترام الابن لأبيه، عند معظم الصينيين ينطوي في التطبيق العملي، على مواقف احترام الصغير للكبير، والحب والمودة المتبادلين من جانب الكبير للصغير ـ فكلاهما جزء من السلوك اليومي بين الأحياء، ومن الالتزام الديني في مراسم العبادة بعد الموت.

١٤ ـ منشيوس :

بعد موت كونفوشيوس عام ٤٧٩ ق. م تفرق تلاميذه (ويروى أنهم كانوا سبعين تلميذاً)، ونشأت منهم مدارس كونفوشية متعددة، وأهم شخصيتين بين هؤلاء التلاميذ هما «منشيوس Mencuis» وهسون تسو Hsun-Tzu، ولقد ذهب واحد من الفلاسفة الصينيين المحدثين إلى تشبيه مكانة كونفوشيوس في تاريخ الصين بمكانة

سقراط في تـاريخ الغرب، كما شبـه منشيوس (المثـالي في مزاجـه الخاص في فلسفته) بأفلاطـون، وهسون تسو)الواقعي» بـأرسطو. ويشكل كونفوشيـوس، ومنشيوس، وهسون تسو ـ نوعاً من الثالوث بوصفهم الآباء المؤسسين للكونفوشية.

ولد منشيوس بعد وفاة كونفوشيوس بقرن. واسمه الصيني هو «منج كو» Meng k'o، لكنه يشـار إليه بإجـلال على أنه «منج تسـو» (أي منج المعلم)، وقد ولـد عام ٣٩٠ ق.م في إمارة صغيرة جداً هي «تسو Tsou» لاتبعد كثيراً عن دولة مـدينة «لو» مسقط رأس كونفـوشيوس. وتوفى عـام ٣٠٥ ق.م. وكان مثل كونفـوشيوس سليل طبقة أرستقراطيـة، رغم أننا لانعرف إلا أقل القليل عن أسلافـه المباشرين، ويجعله التراث الصيني تلميـذاً لـ «تسـو ـ زو Tzu-szu» حفيد كـونفوشيوس وهو أمـر قد لايكون صحيحاً. و كان منشيوس مثل كونفـوشيوس معلماً شغوفاً أن ينال منصباً في بلاط دولة من دول المدينة، فبحث عن أمير «يضع طـريقه موضع التطبيق» ومر مثل كونفـوشيوس بتجارب محبطة عنـدما أخفق في العثور على مثل هـذا الأمير. وبعد أن خدم فترة وجيـزة وزيرا في ولاية «تشي» اعتـزل العمل ليعيش حياته الخاصـة، وهناك واصل تعليم طريقه لتلاميذه المخلصين.

وبعد وفاة منشيـوس، جمع أتباعه أقواله وتعاليمـه. وهناك نص بعنوان «أعمال منشيوس» لاتزال باقية ويحتـوي على كثير مما جمع بهذه الطريقة. ويسير كتاب أعمال منشيوس على غرار كتاب «المختارات» لكونفوشيوس، فهو يحتوي على أقوال للمعلم على شكل جمل وفقـرات، وحكايـات تـوضيحية، وحكـم وأمثال سـائرة ومـاشابـه ذلك.

غير أن الفقرات مطـولة والمعالجة أكثـر تفصيلاً مما هي عليـه عند كونفـوشوس، وليس ثمـة محاولـة ملحـوظـة لترتيـب الفقـرات حسب الموضـوعـات أو التسلسل. والقارىء ـ الذي لايوجه إليه منشيوس الحديث مباشرة ـ مدعو إن صح التعبير إلى أن يسترق السمع للمحاورات التي تدور بين المعلم وتلاميـذه، وإلى أن يتجول عشوائياً عبر جميع درجـات الطيف لفكـر منشيـوس. وبـدلاً من أن يحصل على أيـة تعـاليم مباشرة فإن عليه أن يقوم بضـم شتات تلميحة هنا، أو إشارة ضمنية هناك، أو مثل،

أو حكاية رمزية، وأمثولة، وحكمة ـ بحيث يسلك ذلك كله في عبارة منسقة هي فلسفة منشيوس. إن كتاب «أعمال منشيوس» مثله مثل «المختارات»، يشكل جزءاً من الشريعة المقدسة للكونفوشية.

والهدف الذي نذر له منشيوس نفسه ـ كما فعل معلمه ومرشده كونفوشيوس ـ هو أن يستوعب حكمة القدماء دون أن يبدع شيئاً من ذات نفسه[١]. لكن عملية النقل دون إبداع»، على نحو ما حدث في أحيان كثيرة في تاريخ الكونفوشية، تحولت إلى عملية «الإبداع عن طريق النقل». فقد كان منشيوس يتحدث إلى عصره الذي رأى من الواجب عليه تأويل حكمة القدماء تأويلاً جديداً. وفي هذه العملية نفسها يكمن إسهامه المميز في الكونفوشية.

١٥ـ أفكار عن التاريخ:

كان طريق الملوك السابقين، عند كونفوشيوس، هو طريق أباطرة أسرة تشو المبكرين (في القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م). أما أسرة تاشنج Shang وأسرة هسيا Hsia اللتان سبقتا أسرة تشو، فقد وجدتا في رأي كونفوشيوس في عهود وهمية مبهمة، وهو لايكاد يذكر البطلين «ياو Yao» و«شون Shun»[٢]. أما في عصر منشيوس، فقد نمت أفكار الصينيين عن تاريخهم المبكر، ووصلت إلى مرحلة موغلة في القدم، ومن هذه الزاوية بدأ العالم بالطوفان، ثم أصبح صالحاً للسكني بفضل جهود ثلاثة من الأبطال هم ياو، وشون ويو الأكبر. ولقد عين ياو و«شون» من يخلفونها على العرش. أما يو الأكبر فقد ظهر معه مبدأ تولي المُلك بالوراثة، وبذلك أصبح يو الأكبر هو المؤسس المزعوم لأسرة «هسيا»[٣]. ثم نظّم المؤرخون بعد ذلك، هؤلاء الأبطال في أسر واعتبروهم حكاماً دنيويين. ولكن في أيام منشيوس كان العصر الذهبي، أو عصر الكمال الأول، هو عصر «ياو وشون». وأصبحت أفكار منشيوس

(١) كانت هذه أيضاً هي فكرة كونفوشيوس الذي يقول عن نفسه «إنه ناقل وليس مبدعاً». وقد سبقت الإشارة إليها، قارن في ذلك الأستاذ فؤاد شبل حكمة الصين ج١ ص ٨١، دار المعارف بمصر (المترجم).

(٢) ملكان من أعظم الملوك الخمسة الذين حكموا الصين في العهود الغابرة (المترجم).

(٣) كان المبدأ المتبع من قبل أن يعين الإمبراطور قبل وفاته من يخلفه على العرش. غير أن يو جعل المُلك، لأول مرة، وراثياً في أسرته (المترجم).

عن القداسة أكثر دنيوية وسط هذه اليوتوبيا الموغلة في مثاليتها ففي إمكان أي إنسان أن يكون «يا وأوشـون» ، كذلك أصبح الجين Jen، وهو المثل الأعلى الـذي لايمكن تقريباً بلوغه عند كونفوشيـوس، أصبح عند منشيوس «سلوكاً إنسانياً» أي مثلاً أعلى يمكن لأي إنسان بلـوغه في سهولة ويسر، لقـد اهتمت التعاليم الأساسيـة لمنشيوس بالمثل العليـا «للجين» والـ «يي » Yi ، وهي في الأصل كلمة تعني «الحقـوق شديدة القدم أو ذات الجذور السحيقة ـ وأصبحت عند منشيوس تعني العدالـة : العدالة الاقتصادية والاجتماعيـة . وهكذا أصبحت الإنسانية والعدالة الـدعامتين الرئيسيتين لتعاليم منشيوس .

١٦ ـ الإنسانية والعدالة :

أدخل منشيـوس من خلال تأكيـده على العـدالة ، الاهتمام بـالناس العـاديين أو الشعــب ، أي المين min في مقــابل الجين Jen (أو الأرستقـراطية) . لم يكن لـدى كـونفـوشيوس مـايقـولـه عن الشعب إلا أقل القليل ، في حين أصبح ضمان وصـول الشعب إلى حقوقـه هو واجب الأمير الأول عند منشيوس ، ثم إن السماء هي حـارسة الشعب ، وهي تبدي استياءها وغضبها عندمـا يعاني الناس . هذا التأكيد على أهمية خير الناس وسعادتهم في الكونفوشيـة ، والفكرة التي تقول إن ذلك هو معيار الحاكم الفاضل ـ كانت إحدى إسهامات منشيوس في «الطريق» . ولقد كان لدى منشيوس الشيء الكثير ليقـولــه عن الاقتصـاد ، وعنـده أن حلقـة الاتصــال بين الاقتصـاد والأخلاق حلقة محكمة : «فالذهن الثابـت بلا معيشة ثابتة أمر مستحيل (منشيوس ٣ أ : ٥) . وهكذا يصبح هدف الحكومة «هـو توفير ضرورات الحياة بكميات كافية» (منشيوس ٧ ب : ١٢) .

والرجل المهذب عند منشيوس «هو الذي يكون مهذباً بحق» فلا يكفي أن يكون قـادراً على تحقيق «الجين» ، بل يجب أن يكـافـح لتحقيقهـا بـالفعل . والأمير الـذي تتحقق فيه هـذه الصفات ، هو الـذي يحقق أهداف الحكم الملكي الصحيح ، وهي رفاهية الدولة ، واستمرار الملك في نسلـه ، وولاء العالم كله له . إن «الجين» يتولد عنها السلطة أو القـوة «تي Te» . وهي الهيبة أو المكانة والمصـداقية التي هي الضد المقابل

للبـا Pa(أي القوة البدنية أو الإكـراه). ومن ثَم يكون الوانج Wang (وهـو الحكم الملكي الصحيح)، والبـا Pa (الحكم عن طريق القوة) هما على هـذا النحو ضدين متعارضين، وسوف يصبح الحكم عن طريق فضيلـة عليا بدلاً من الحكم عن طريق القوة، عـاملاً مؤثـراً للغاية في التفكير السيـاسي الكونفـوشي المتأخر. أما التـزامات الطاعـة والولاء البنوي فهي تلقى تـأييداً خاصـاً عند منشيوس. وإذا كـانت إحدى الفلسفات المعـارضة تذهب إلى «أن الناس ينبغي عليهم أن يحبـوا بعضـهم بعضاً على قـدم المساواة، فإن منشيـوس يرى تعـارضـاً بين «الواجب الأسري الخاص، وتـدرج العواطف بأولياتها من حيث كبر السن والتماسك الاجتماعي الذي يكفل ذلك ـ وبين «حب البشريـة بأسرها» وهـو الحب الذي رأى أنـه يـدمر التنظيم الاجتماعي لـلأسرة والدولة.

١٧ ـ الموجودات البشرية ومصيرها :

كان منشيوس يدخل في النقاش المستمر الذي دار في عصره حول موضوع الطبيعة البشريـة والمصير الإنسـاني. وبينما نجـد أن كـونفـوشيـوس لم يتحـدث قط في هـذا الموضوع، فقد كانت الطبيعة البشرية (هسينج Hsing) عند منشيوس خيِّرة بفطرتها (وظهرت في عصره عدة نظريات حولها). فيشهـد على صدق خيريتها الفطرية وجود إحساس عام شامل عند الناس بالتقارب وبالصواب والخطأ. ووجود هـذا الإحساس يجعل الموجـودات البشريـة مختلفة عن غيرهـا من الكـائنـات الحية الأخـرى بيـد أن الطبيعة البشريـة يمكن أن تشوه وأن تصاب بـالضمور والاختفاء مالم تـرب على نحو قويـم. وتعتمد تـربية الطبيعة البشريـة على حماية الـذهن، «تسـون ـ هسين Ts'un Hsin»، وذلك لأن العقل هو مستقر العدالـة الإنسانية والطبيعة (هسينج Hsing) والعقل (هسين Hsin) يحددان من نحن وماذا نكون. فقدرنا (مينجMing) هو الذي يتحكم في حظنا ويحدد فـرصنا في الحياة. ولقد كـان القدر أو المصير Ming، في الأصل، في يـد صاحب الإقطـاعية، وكان منحـة من ابن السماء بـوصفه نائبـاً عن السماء في حكم الإقطاعية. ثم أصبح في الاستخدامـات الأوسع هو نصيبنا في الحياة أو المصير الذي رسمته السماء. وإذا كـان الناس قادرين على حمايـة عقولهم وتحديد

سلـوكهم، فإنهم لايستطيعـون تحديد مصيرهـم الـذي هـو بين يدي السماء. وهكـذا اعتقـد منشيوس أنـه على الرغم من أن جميع البشر هم بفطـرتهم خيرون، فإن تحقيق هذا الخير يرتبط بمعرفة الذات وتهذيب النفس.

١٨ ـ هسون تسو:

هسون تسو (ازدهر حوالي ٣١٢ ـ ٢٣٨ ق.م) هو العضو الثالث في ثالوث الآباء المؤسسين للكونفوشية. عـاش قرب نهاية عصر الفلاسفة. لقد قـدم كونفوشيوس، بوصفـه رائداً لعصر الفلاسفة، تعاليمـه دون أن يتحداه الفلاسفة الخصـوم. ثم قام منشيوس بتطوير تعاليـم كونفـوشيوس تحت تأثير هجوم النفعيين واللذّيين (انظر فيما بعد رقم ٢٠). أما هسون تسـو فقد دافع عن الكونفوشية وهو مزود بالمعـرفة الكاملة لدعـاوى الفلسفات المعـارضة، وتسلح بـوسائل فنيـة عاليـة مكنته من المشـاركة في المناظرات الفلسفيـة التي تطورت مع اقتراب العصر من نهايته، فعرض الكـونفوشية بطـريقـة جعلـت من عـرضـه أكمل البحـوث الفلسفيـة وأحسنهـا تنظيماً في عصر الفلاسفة.

وعلى حين أن منشيوس أعجب بالفضيلـة عند كونفوشيـوس، فإن «هسون تسو» أعجب بتعـاليمه، ويهاجم «هسـون تسو» منشيـوس بسبب ميولـه المثاليـة، مفضلاً لنفسه عقليـة أكثر صرامة ونظرة واقعيـة للمشكلات. ولقد أعاد هسـون تسو، لهذه النظرة، تأويل الكونفوشية بطريقة تختلف في جوانب هامة عن منشيوس.

لجأ «هسون تسـو» مثل أسلافـه إلى القدمـاء. لكنه فضل على خـلاف منشيوس عصر ملوك أسرة تشـو المبكرين مقترباً بـذلك من كونفوشيـوس. ولقد أطلق عليهم اسـم «الملوك المتأخـرين جداً» في مقابل تسمية منشيـوس لهم «الملوك السابقين»، لأن القدم على الأصالـة في رأي منشيوس يعني أيام البطلين الأسطوريـن «ياو» و«شون». أما عند «هسون تسو» فتعبر عنه الحقبة التاريخية المسجلة للملوك الأول من أسرة تشو، وبذلك جعل السلطة تقـوم على أساس متين من سجلات التاريخ ووثـائقه بدلاً من أن تعيش في عالم الأساطير والخرافات اليوتوبي.

ولقد أصبحت الكونفـوشية عند «هسون شـو» في مثل هذا الجو العقلي الصارم،

أكثر عقلانية، وأكثر مادية، صارت السماء غير مشخصة وغدت هي الطبيعة، والصورة الطبيعية. والطبيعة البشرية التي هي أبعد من أن تكون خيّرة بالفطرة كما ذهب إلى ذلك منشيوس ـ كانت في أساسها شريرة في رأي هسون تسو.

ربما كانت كونفوشيه «هسون تسو» أقل من غيرها تعالياً (ترنسند نتالية) وأكثر تركيزاً على الجانب الإنساني، فقد بدأ من مقدمة قاسية تقول إن البشر ولدوا شريرين لكنه في الوقت نفسه يؤكد بقوة عن اعتقاده بأنه في استطاعتهم، أن يصبحوا أخياراً بالتربية والتهذيب الأخلاقي. وتستمد التربية والتهذيب الأخلاقي من النصوص الكلاسيكية، ومن النظر إلى حكماء الماضي باعتبارهم قدوة، وهؤلاء الحكماء لايختلفون عن سائر البشر في طبيعتهم ومواهبهم الأساسية، وإنما هم نماذج لما يمكن للمرء بلوغه بالفهم والبصيرة الأخلاقية، إذا هو استخدم العقل استخداماً سليماً. وإذا تم ذلك فإن «هسون تسو» يقدم آمالاً براقة لا حد لها للإصلاح من خلال الدراسة، وهذا الارتفاع بفضائل الدراسة والبحث، أعطى للكونفوشية ـ على نحو ماتطورت فيما بعد ـ إحدى سماتها الأساسية. وكذلك أصر «هسون تسو» على أن غاية العملية التربوية، والوظيفية المناسبة للرجل المتعلم هي أن يحكم، ومن ثم فقد أصبحت إحدى بديهيات الكونفوشية المتأخرة هي القول بأن أفضل المتعلمين هم أولئك القادرون على خدمة الدولة، وهي فكرة عبرت عن نفسها في الخدمة المدنية الصينية، التي كانت تزود بحاجتها من الموظفين الأكفاء عن طريق الامتحانات.

هذه الوجهة المتفائلة من النظر ـ رغم قسوتها ـ إلى الآمال البشرية المرتقبة في هذه الحياة، جعلت «هسون تسو» لايرى في السماء إله كونفوشيوس المتعالى، ولا إله منشيوس المشخص الأخلاقي ـ وإنما يرى الطبيعة غير المشخّصة، وعملية الصيرورة الطبيعية.

١٩ ـ العقل البشري ـ مركز الكون:

مادام النظام الأخلاقي، والكمال البشري، يبدآن من العقل، فإن العقل البشري يصبح في نظر «هسون تسو»، مركزاً للكون. ولقد قادته هذه الفكرة إلى نظرة إنسانية

وعقلانية للدين، فأدان، بغير تحفظ، بعض الممارسات الدينية واعتبرها من قبيل الخرافات ـ ومن ذلك : الصلاة استجلاباً للمطر، وطرد المرض بالرقى والتعاويذ، وقراءة بخت المرء من ملامح وجهه. لكنه أباح غير ذلك من أمور كالتنبؤ بالغيب، شريطة أن تقوم التأويلات على ضوء العقل البشري، كما أنكر وجود الأرواح الشريرة والأشباح الضارة. وأصبحت أرواح الأسلاف وقوى الطبيعة عند «هسون تسو» تجليات للسمو الخلقي. وبالفهم الكامل للطبيعة يستطيع الناس في رأيه أن يسيطروا على الكون وعلى بيئتهم، وهكذا أصبح «هسون تسو» أعظم الفلاسفة العقليين في الكونفوشية.

لقد سبق أن رأينا أن «لي Li» (طقوس الديانة المبكرة) عند كونفوشيوس أصبحت شريعة السلوك البشري، ومراعاة «لي» تؤدي دوراً هاماً في الكونفوشية المتأخرة. ولقد اشترط «هسون تسو» تبريراً عقلياً جديداً للدور الذي تقوم به «لي» في الحياة. فمراعاة الإشارات أو الإيماءات المناسبة، وارتداء الملابس اللائقة، والمحافظة على المظهر السليم، والسلوك الصحيح، أي كل ما تتضمنه «لي» عند «هسون تسو» تعد في نظره نظاماً لكبح الرغبات، ولتصحيح السلوك السيء الذي يتعرض الموجود البشري الفطري «غير المتعلم» للوقوع فيه. بذلك أصبحت «لي» وسيلة تدريب نافعة في تنقية الانفعالات البشرية وتجميلها.

ولقد أدى هذا المذهب العقلي الكامل، والآراء التشاؤمية عن الطبيعة البشرية الأصلية، في مقابل تعاليم منشيوس ـ أدت بالكونفوشية المتأخرة، عندما أصبحت آراء منشيوس تقليدية ـ إلى قدر من الاستهانة بشأن «هسون تسو». ولكنه عبّر عن فكرة أصبحت مركزية في الكونفوشية، وهي التأكيد على أهمية الفضائل في التربية وواجب العالم في أن يحكم.

ونحن نجد في كتابات «كونفوشيوس» و«منشيوس» و«هسون تسو» النواة الفلسفية والدينية، إن صحّ هذا التعبير لما عُرف فيما بعد باسم الكونفوشية. لقد كان على الكونفوشية المبكرة في عصر الفلاسفة أن تتنافس مع المذاهب المعارضة، ولم تكن قد قُبلت بعد على أنها الفلسفة والدين الرسميان، وقد استمر هذا الحال لمدة قرنين أو

ثلاثـة، وكان على الكـونفوشية أن تتعـرض للمزيد من التهـذيب على يد الفـلاسفة المتأخرين، قبل أن تستقر صورتها التقليدية.

٢٠ ـ النفعيون والللذيون:

كان منشيوس يشكو من أن العالم بأسره يخضع في أيامه لتعاليم يانج تشو Yang chu , وموتسـو Mo-Tzu وهما فلسفتان منافستان، تمثل الأولى مـذهب اللذة عند «يانج تشـو» كما تعبر الثانيـة عن مذهب المنفعـة عند «مو ـــ تسو» وهما معـاً يمثلان تحدياً جاداً وخطيراً للكونفوشية المبكرة.

ولقد كان «الموتسو» (الذي ازدهر عام ٤٧٩ ـ ٣٨١ق. م) والمدارس الفلسفية التي تطورت بين تـلاميذه ـــ تأثير قوي في عصر الفـلاسفة، ولكـن هذا الأثـر تضاءل في عصر الإمبراطوريـة، حتى لقد عانت فلسفة مـو أو الموهية Mohism من خســوف حقيقي. ثم زاد الاهتمام بها، وعلى نطـاق واسـع، في العصر الحديث، إذ يبـدو أنها احتوت أفكاراً معينة سارت في تواز مع تعاليم المسيحية والماركسية في آن واحد.

لم يستفد مو، على خلاف كونفوشيوس، من سلطة القدماء إلا قليلاً، فهو لم يجد بأساً من الاقتبـاس من السابقين القدماء، ولكنـه فضّل أسرة هسيا Hsia على أسرة «تشـو»، كما أنه لم يلجأ على الإطـلاق لأي حـدس صـوفي، إذ تكشف لنا الفقـرات المسهبة التـي خصصها المتصـوفة في كتابـاتهم لنقد منطـق «مو» وتفنيـده إلى أي حد كانت المعارضة التي آثارها «مو» ومدرسته ضد التصوف مرعبة. فمشكلات المجتمع عند «موتسـو» لايمكن اقتحامها إلا بنبذ السلطة والسلف والبدء من جـديد في ضوء العقل الخالص. ولقـد وصل مو إلى مسلماتـه عن طريق الاستنبـاط ثم أخذ يـواصل الحجـاج بطريقـة استقرائيـة من مقـدمات معطـاة. ذهب مو إلى أن المجمـوع الكلي للتجربـة البشرية يشهد بوجـود إلّه، وأن لهذا الإلّه غايـة وإرادة، ويمكن أن نتصور الغاية والإرادة في الحب والـرحمة. والنظام هو التجلي النهائي للـرحمة الإلّهية. ويكمن سر نجـاح الأمير في بحثه عن أسبـاب الاضطـراب إذ يمكنه عنـدئذ فقط أن يعـالج شروره. ومادامت الناس جميعاً تصغى للسماء، فمعنى هذا أن الناس جميعاً متساوون

في أعين السماء، إن السماء تمطر على العادل والظالم [1]. والسماء تنشر حبها على الناس جميعاً، بغض النظر عن أشخاصهم، ويترتب على ذلك أنه ينبغي على الناس أن يحبوا بعضهم بعضاً بلا تمييز وبقدر متساو.

والفكرة التي تقول إن على الناس أن يحبوا بعضهم بعضاً على قدم المساواة بصرف النظر عن أولوية الحب للأسرة وللأمير، بدت لمنشيوس مدمّرة للحياة ذاتها، ولهذا نراه يحتج قائلاً «إنها إهانة للمشاعر البشرية كلها». وفي العصور الحديثة، ومع الدعاية لانجيل المسيحية في الصين، اكتشف بعض الباحثين الصينيين في «موتسو» مبشراً آخر بانجيل المحبة.

وعلى الرغم من اعتراضات الكونفوشية على نظرية المحبة للناس جميعاً على قدم المساواة، فقد واصل «موتسو» عرض فكرته موضحاً أن الناس يفهمون ما الذي يجلب لهم النفع، وما الذي يُسبب لهم الضرر، ولو أتيحت لهم الفرصة لاختاروا المحبة الشاملة الجامعة. ولابد أن يكون المعيار هو الإجماع على الصالح العام، وهذا الصالح العام لابد أن يكون المحبة الشاملة الجامعة.

ولقد أدت فكرة الإجماع على الصالح العام «بموتشو» إلى بديهيتين سياسيتين، الأولى هي بديهية الصالح العام (أعظم نفع لأكبر عدد من الناس) الثانية هي بديهية الإجماع العام (النظرية التي تقول إن السياسة التي تؤدي إلى أعظم نفع لابد أن يوافق عليها الجميع). وينتج عن ذلك أن القادرين وحدهم هم الذين يصلحون لخدمة الدولة بغض النظر عن الطبقة أو الأسرة. ويجب أن تكون أسمى آيات الشرف وأعظم ألوان التقدير من نصيبهم.

إن الفعل الأخلاقي الأسمي للفرد ـ في مذهب موتسو إنما يوجد في فعل التضحية من أجل الجميع. ولقد كوّن مع تلاميذه لتحقيق هذه الغاية، جماعة متعاهدة من الإخوان، وانخرطوا في مذهب متطرف من الزهد وارتدوا ثياباً خاصة ووضعوا شعارات مميزة وأذعنوا تماماً لرئيس الجماعة أو النظام. وهم يذكروننا بنظم الرهبنة الدينية في الغرب المسيحي، وقد كانت الحرب في نظام الأخوة عند «مو» هي النقيض

---

(١) تقترب من قول السيد المسيح «لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» إنجيل متى ٥ : ٤٥ (المترجم).

الصريح للحب الشامل، ولهذا انتقد هذا النظام أي ضرب من ضروب العدوان انتقاداً شديداً، وذهب خصومه إلى أن الحرب هي سوط عقاب في يد الصالحين، وأن القتال في سبيل قضية عادلة هو نفسه عدالة، بينما ذهب أتباع «مو» إلى أن الحرب في ذاتها شر، وإن كان ذلك لم يمنعهم أيضاً من القول بأن الصالح العام الذي هو أعظم قدر من الخير قد يكون في دفع العدوان.

ولقد كرس فرع من المدرسة نفسه لتحقيق هذه الغاية عن طريق دراسة فنون الدفاع عن المدينة. وكان من أعجب النتائج الجانبية لهذا الهدف اختراع عدد من وسائل التحصين. وتتضمن«قوانين المنطق» عند مدرسة «مو»، إشارات عديدة إلى الميكانيكا، ومبادىء علم البصريات ـ ولاشك أن منشأ ذلك هو الاهتمام بالهندسة الحربية ـ وهي تعدّ من أقدم الملاحظات العلمية في اللغة الصينية وكان يؤكد للمدينة التي تدعو الأخوة «الموهيين» ـ في تلك الأيام ـ ، لتولي شؤونها، إن الدفاع عن المدينة خليق بأن يتولاه رجال كرّسوا أنفسهم للفكرة القائلة بأن أعظم قدر من الخير يكمن في تضحية المدافعين بحياتهم. وهناك آثار طريفة لهذه الفكرة في اللغة الصينية إلى يومنا الراهن، لأن تعبير «موشو Mo-Shou» (التي تعني : دفاع مو) هو تعبير يرادف الدفاع «العنيد»، أو الدفاع «بدون تفكير». ومع ذلك فقد تفوق، تلاميذ «موتسو» في الدفاع عن مذهبهم. أما الغرض الرئيسي من كتابهم عن قوانين المنطق فكان هو دراسة أساليب البرهنة التي أخذوها على عاتقهم.

ولقد ذهب «يانج شو Yang chu» الفيلسوف الأبيقوري ، المنافس الرئيسي الثاني لمنشيوس، إلى أن دولة المدينة أصبح إنقاذها أمراً متعذراً، إذ لم يعد من الممكن أن تسترد عافيتها ، ولهذا ينبغي أن يكون الاهتمام الرئيسي عند الناس هو اهتمامهم بأنفسهم، وعليهم أن يبحثوا، في عصر محفوف بالمخاطر، عن المحافظة على أشخاصهم هم، والعناية بتكاملهم، كما ينبغي عليهم أن يرفضوا التورط في الانشغال بالأمور المادية وألا يتركوا شيئاً رهينة في يد القدر بانغماسهم في رغبة غير مثمرة. وقبل كل شيء ينبغي عليهم ألا يورطوا أنفسهم مع رفاقهم. ولقد رفع «يانج شو» راية المذهب الفردي ضد فضائل النظام الاجتماعي. وبدلاً من أن ينقذ المدينة اعتقد أن الأهم هو إنقاذ الحياة الفردية.

لم يترك لنا «يانج شو» أية كتابات، ولم تُعرف فلسفته إلا من إشارات الخصوم إليها. وهناك كتاب يستظل باسمه هو جنة اللّذة الذي كتب وطبع بعد موته بوقت طويل، وربما كان تجميعاً منحولاً. ولقد عانت سمعته كما عانت سمعة أبيقور ولنفس الأسباب إلى حد كبير. ومع ذلك فإن معاصري «يانج شو» يشهدون بتأثيره في عصره. ومن المرجح أن يكون هو الذي بشر بالمفكرين التأمليين والمتصوفة الذين جاءوا بعده بوقت قصير، والذين اشتهروا بأسماء «شوانج تسو» و«لاوتسو».

٢١ ـ التاوية الفلسية:

كانت الكونفوشية والموهية Mohism فلسفتين فعاليتين اهتمتا بفنون الحكم في دولة المدنية وبالأخلاق الاجتماعية، وبذلك كانتا فلسفتين دنيويتين مشغولتين بالعالم الذي نعيش فيه. وقد كان من شأنهما أن يؤديا في النهاية إلى كونفوشية تصبح هي ديانة الدولة وهو جانب الحياة الدينية الصينية الذي يمكن أن نفكر فيه باعتباره جانباً أخلاقياً.

ولكن بينما كان الفلاسفة «الفعّالون» يدعون إلى نظرياتهم في بلاط دول المدينة وعواصمها، كانت أنشطة فلسفية مختلفة أتم الاختلاف تتم في الريف، أعني خارج المجتمع إن صحّ التعبير، وكانت هذه الأنشطة هي فلسفات دعاة السكينة و«الطمأنينة».

انصب اهتمام هذه الفلسفات على «العالم الآخر»، وسعت إلى إدراك الذات وتهذيب النفس من خلال تمرينات «اليوجا» للوصول إلى أقصى درجات العلو. وهم يرون في العلو تلك الواحدية الثابتة التي تكمن خلف عالم التغير وتعطي في نفس الوقت كلاً من قوة الدفع وحركة الحياة، وهذه الواحدية هي التي يسمونها تاو Tao[1] ويتحدث جميع الفلاسفة في الصين القديمة عن التاو عندهم، أي عن طريقهم، أما فلاسفة الطمأنينة فهم يتحدثون عن التاوية نفسها، ونتيجة لذلك أطلق عليهم اسم «التاويين»، وكانت أفكار هؤلاء التاويين هي التي أوحت في

(١) «التاو» من أهم مصطلحات الفلسفة الصينية ومعناها الطريق أو النهج أو أسلوب الحياة (المترجم).

النهاية بالديانة التاوية ـ وذلك جانب من الحياة الدينية الصينية يمكن أن نقول عنه إنه جانب صوفي.

لقد ألهمت الكونفوشية ديانة الأخلاق والسلوك الاجتماعي، وكانت لها جذور في ديانة القدماء الأرستقراطية. أما التاوية فقد ألهمت ديانة التصوف، وأصولها أقرب إلى الديانة الشعبية عند القدماء فهم يسعون إلى دخول عالم المعرفة عن طريق غيبوبة الشامان أكثر مما يفعلون ذلك عن طريق سجلات القدماء ووثائقهم. وتعكس الكونفوشية والتاوية في صورتيهما المتأخرتين ـ شيئاً من هذه الأصول: فالكونفوشية كانت، في الأعم الأغلب، ديانة البلاط وعلية القوم من الأرستقراطيين، في حين لم تفقد التاوية قط صلتها بجذورها الشعبية.

٢٢ ـ محور الكتابات المقدسة عند التاويين:

يضيف لنا مجموعتان من كتب التاوية من عصر الفلاسفة، وهما المجموعة المسماة بكتب شوانج تسو Chuang Tzu و«ليه تسو Lieh Tzu». وفضلاً عن ذلك فهناك كتاب تاوي موجز ظهر غُفلاً قرب نهاية هذه الحقبة، وهو كتاب خلافي للغاية في نغمته عُرف باسم «تاوتي كنج Tao te Ching ـ وتشكل هذه الكتب الثلاثة محور التاوية، وهو بغير شك أقدم كتب في المؤلفات الدينية التاوية من بين مجموعة هائلة من الدراسات التاوية التي تشكل الشريعة التاوية.

ينسب مؤلف «تاوتي كنج»[١]، في التراث التاوي، إلى «لاوتسو» وهو شخصية تُعد من الناحية التاريخية موضع شك. وتلك هي الحال نفسها مع كتاب «ليه تسو». أما تشوانج تسو (٣٦٩؟ ـ ٢٨٦؟ ق.م)[٢]، فقد كان على خلافهما شخصية تاريخية ومعاصراً لمنشيوس، غير أن الكتاب الذي يحمل اسمه يحتوي فيما يبدو، على كتابات لمؤلفين مختلفين وفي فترات مختلفة. وإذا نظرنا إلى هذه الكتب من حيث هي

(١) قارن الترجمة العربية للكتاب المقدس للطاوية بعنوان «تاو تي ـ كنج ـ كتاب الطريق إلى الفضيلة» ترجمة وتقديم د. عبدالغفار مكاوي، ومراجعة د. مصطفى ماهر ـ القاهرة سلسلة الألف كتاب رقم ٦٤٣ ـ مؤسسة سجل العربي عام١٩٦٧ (المترجم).

(٢) من كبار فلاسفة التاوية، بل يعتبر المؤسس الثاني لهذه المدرسة، انتقد بعض آراء «موتسو» وعاب عليها مناهضتها للطبيعة البشرية (المترجم).

فلسفة، فلابد من النظر إليها في ضوء هذه النظرة التاريخية الصارمة. أما من حيث هي كتابات مقدسة لديانة متأخرة، فيمكن النظر إليها على أنها شرائع «لاوتسو» و«تشوانج تسو» المؤسسين المزعومين للتاوية الدينية، اللذين يضيف إليهما احترام الأتباع فيما بعد الكثير من تفصيلات سير القديسين.

وتتمثل أفرع الفكر التاوي في الأجزاء المختلفة من كتب «شوانج تسو» و«ليه تسو» و«لا وتي تشنج» ولكن هناك أفكاراً أساسية معينة وأسساً مشتركة بينها جميعاً، وتلك هي الفلسفة التاوية.

ويصف كتاب «شوانج تسو» في صورة أمثولات أو حكايات رمزية، وحوارات متخيّلة بين «شوانج تسو» ونقاده، وانتقادات لاذعة لأحاديث المقاطعة، وقصص عن القديسين التاويين ــ يصف شكلاً من أشكال المعرفة لايلم به إلا الخبير أو السالك فحسب. والحديث عن هذه المعرفة، دع عنك مناقشته مع أي شخص آخر فيما عدا الخبير، عمل لا طائل وراءه، فكما أن آلهة النهر لا تعرف شيئاً عن البحر، أو أن الحشرة لايمكن أن تتصور طيران الطيور الكبيرة المهاجرة، فكذلك الإنسان «قليل المعرفة» (أو صاحب الفكر الدنيوي) لايمكنه أن يتصور «المعرفة الأعظم (أو رؤى الصوفي) فهذه المعرفة يظفر بها الخير في حالة الوجد، وهي حالة «أفقد فيها ذاتي».

يمضي الخبير، في حالة الوجد، في رحلة ممتطياً صهوة الريح، تحمله «عربات السحب» إلى اللامتناهي، فيرى «أن السماء والأرض ظهرا إلى الوجود معي، ومعي أصبحت الأشياء جميعاً شيئاً واحداً». وفي هذه الرؤية تكون كل الأشياء نسبية، وتتآلف جميع الأضداد، وتنسجم جميع المتقابلات. والواحد هو التاو Tao إنه التلقائية الشاملة لجميع الأشياء، فكل شيء هو كذلك من ذات نفسه. ومن ثمّ يستطيع «التاو» «أن يفعل كل شيء بألا يفعل شيئاً»، و«التي Te» (أي الفضيلة أو الأخلاق عند الكونفوشية) هي عند التاوي، «التاو» المباطن في كل شيء، فهي «قوته». إن «التاو»، (الطريق أو النهج أو التي Te (قوته) تصوران أساسيان للتاوية الفلسفية. وما دام كل شيء هو كذلك من تلقاء ذاته، فإن له، إن صح القول، تلقائيته، وأي تدخل بشري هو تدمير له. ومن ثم يعارض الخبير المؤسسات والقوانين الأخلاقية والحكومية بوصفها حيلاً بشرية تعترض الدور الحر للتاو

وتعرقله، وكـذلك عمل الـ «تي Te» لذلك كانت أفضل طـريقة لحكم العالم هو ألا تحكمه. وقل مثـل ذلك في فن الحياة، فالسعـادة يمكن بلوغهـا بالترك، ــ بالسماح للتاو بـالقيام بـدوره الحر، بالانغماس في أنشطـة ليست أفعالاً، إن الصفـات والقيم نسبية، وماهو موجود فهو خير.

وأخيراً فليس الموت إلا مظهراً للـوجود، مثله مثل الحياة، إنه استبـدال صورة من صور الوجود بصورة أخرى. وكما يقـول «شوانج تسو» : «الحياة والموت شيء واحد، وكذلك الصواب والخطأ» ، وهذا هو ما يحرر الإنسان من قيوده وأغلاله.

إن التاوتي ـ كنج «أي (الطريق وقوته)» هو كتاب التاوية الكلاسيكي. وقد كُتب معظمه شعراً، ومنهجه في العرض هو أساساً منهج الشعر. ولقد تم تأليفه قرب نهاية عصر الفلاسفـة، وتخلى مؤلفـه عن طريقـة الحكايـة، والقص المستخدمـة في كتاب «شوانج تسو» وركز جوهر تعـاليم مذهب الطمأنينة في كل واحد. وإذا وضع كتاب «تاوتي كنج» في مكـانه التاريخي في الفلسفـة الصينية المبكرة. أمكن أن يقـرأ على أنه تعبير عن الوضع الفلسفي لأصحـاب مذهب الطمأنينة، وتفنيـدهم لخصومهم من الفلاسفـة في عصرهم. ولكنـه ينسب، بوصفـه كتابـاً مقدسـاً»، إلى «لاوتسو» الأب الروحي للتاوية، ولذلك كانت له الصـدارة في التاوية الدينية. وفي اللغة الإنجليزية أكثر من ثلاثين تـرجمة لكتاب «تاو تي كنج» وقد عُرف بوجه عـام ككتاب كلاسيكي في التصوف يتجاوز حدود الصين.

٢٣ـ مدارس أخرى :

أشرنا حتى الآن إلى مدرستين رئيسيتين تعبران عن الـديانة المحلية للصين من بين المدارس المائة التي ظهرت في عصر الفـلاسفة ــ وهما المدرسة الكـونفوشيـة والمدرسة التاويـة، وذكرنا أيضاً مـدرسة «موتسـو» التي كان تصورها للسماء أقـرب التصورات التي نلتقي بها في الفكر الصيني القديم إلى فكرة الإله المشخص. وإن لم تكن لذلك أهمية كبيرة من النـاحية التاريخيـة في تطور الفكر الـديني الصيني، ومع ذلك فقد تم إحياء الاهتمام «بموتسو» في العصر الحديث بسبب هذه الفكرة إلى حد كبير.

وفضلاً عن ذلك فقـد كانت هناك حـركتان فلسفيتان لابـد من الإشارة إليهما إذ

كـان لها أثـر هـام في التـاريخ الـدينـي الصيني، وأول هـاتين الحركتين هي حـركـة الكسمولوجيين.

في وقت ما مـن أوائل القرن الثالث قبل الميـلاد، بدأ الفكـر النظري يـدور حول نظرية الكون بوصفه كلا منظماً، وحول القوانين التي تحكمه. ولقد لمع في هذه الحركة «تسـوين» Tsou Yen ومدرسته التي أثرت تأثيراً عميقـاً في مسار الفلسفة في عهد أسرة هان وفي عهود تالية.

لقد وضع «تسوين» دورة من خمسة عناصر هي: الأرض، والخشب، والمعادن، والنار والماء، وكل عنصر منهـا يتغلب بدوره على العنـاصر السابقـة عليه في دورات متكررة، ويبقى قائماً فترة من فترات التاريخ، ومن هذه الفكرة وضع «تسوين» نظرية الدورات التـاريخية التي كان لها أثر كبير في الفكـر الصيني المتأخر. ولكن كل عنصر من هـذه العنـاصر يحكم العالم الطبيعي في فترة ظهـوره وانهيـاره بحيث يمكن تفسير جميع الأحداث الطبيعية والبشريـة (أو التنبؤ بها) من هذه الزاوية. ولقـد عُرف أتباع «تسوين» باسم مدرسـة «ين يانج» وكلمة ين Yin تعني حرفيـاً «الجانب المظلم»، كما تعني كلمـة يـانج Yang الجانب «المشمس». ومع ظهـور نظـرية العنـاصر الخمسة تقريباً وردت كلمتـا «ين ويانج» كمقولتين في النظرية الكسولـوجية الثنائية، التي كان فيها «ين ويانج» أي النور والظلمة، والذكر والأنثى، والقوي والضعيف ـ يعدان مبـدأين كسمولوجيين (كونيين) تنتج ظـواهر الكون كلها من خـلال التفاعل بينها.

ولقد دخل مذهب «ين يانج» الثنائي إلى العقيدة الكونفوشية، فأدمج في «كتاب التغيرات» (أي كنج I Ching) وهو تجميع متأخر وتنظيم عقلي للكتب القديمة التي تدور حول التنبـؤ بالغيب، و«كتاب التغيرات» مرتب من حوالي ثماني فقـرات ثلاثية تتألف كل منها من ثـلاثة أسطر مقسمة أو غير مقسمـة، وعن طريق الجمع بين كل فقرتين ثلاثيتين، تحصل على ٦٤ شكلاً سداسياً تضاف إليها أوصاف لمعانيها الرمزية المفترضـة. وكـان يُعتقد أن الأشكـال السـداسيـة وتأويلاتها، انحـدرت من مـاض سحيق، كما جـرت العـادة أن تُنسب بعـض الملاحق في كتـاب التغيرات خطأ إلى كـونفوشيـوس ومن هذا الطـريق دخل كتاب التغيرات مع «الين واليـانج أو الجانب

المظلم والجانب المنير»[1] إلى الشريعة الكونفوشية .

ولقد ألهم «ين يانج» والعناصر الخمسة معظم الفلسفة الطبيعية الصينية التي جاءت بعد ذلك، ولكنها دخلت كذلك الديانة الشعبية عن طريق التاوية وأصبحت رموزها عاملاً مشتركاً في صنع الأيقونات في الفن الشعبي الصيني .

٢٤ ـ مدرسة القانون (الشرائع) :

وأخيراً هناك مدرسة فكرية يُطلق عليها الصينيون اسم مدرسة القانون (أو مدرسة الشرائع) لأنها أيدت إحلال القانون محل الأخلاق . ولقد نشأت من تعاليم «الملك شانج» Lord Shang في دولة «تشن» Ch'in ، وهي الدولة التي غزت بقية الصين في نهاية عصر الفلاسفة ، وأقامت في ظل أول إمبراطور الدولة التي وحدّت الأمة الصينية . ولقد نبذت مدرسة القانون أي التجاء إلى التراث أو اعتماد على توجيهات قوى تعلو على الطبيعة ، أو أي ثقة في إرشاد هذه القوى وهدايتها فاهتمت فحسب «بواقع العالم على نحو ماهو موجود» في الوقت الحاضر.

ونادت مدرسة القانون (الشرائع) بإلغاء الامتيازات الإقطاعية ، وتقنين واجبات الشعب تقنيناً دقيقاً تدعمه العقوبات الصارمة ، وتشجع عليه المكافآت السخية . وعندما تسلح حكام تشن بهذه الأساليب الصارمة ، فرضوا على الصين كلها الوحدة والسلام ، وبذلك أنقذوا البلاد من الاستنزاف الذي أصابها بالشلل من حروب دول المدن المتنازعة . ومع ذلك فقد بلغت ضراوة النظام الشمولي الذي أخذ به الإمبراطور الأول ، حداً جعل مدرسة القانون أو الشرائع تسقط في نظر الناس من حيث هي فلسفة .

٢٥ ـ الدين في العصر السابق للإمبراطورية :

كان التراث الديني للصين ، فيما قبل عصر الإمبراطورية (أي قبل القرن الثاني ق . م) يتألف من عنصرين متميزين تماماً . وتأتي أهمية أولهما من تأثيره على الجوانب

(١) تترجم أحيانا بالجانب السلبى والجانب الإيجابي ، أو الجانب القمرى والجانب الشمسى انظر مثلا حكمة الصين جـ١ ص٤٥ (المترجم) .

الدينية للكونفوشية وأعني به عبادة السماء والأسلاف المقدسين، حيث كان الأمراء والطبقات الأرستقراطية يقومون في هذه العبادة باسترضاء السماء والأسلاف ويلتمسون عون الموتى الأقوياء الذين حكموا، إذا صحّ التعبير، وفق نظام تصاعدي سياسي في السماء، ونقلوا التفويض بالحكم الذي حصلوا عليه منها إلى مندوبيهم الذين يحكمون على الأرض. وهذه العبادة كان الهدف منها أن تظل السماء على وفاق مع الموجودات البشرية عن طريق الطقوس السحرية أولاً ثم عن طريق وصايا الأخلاق، بعد ذلك ـــ هي التي أصبحت بفضل الكونفوشية عقيدة الدولة في عصر الإمبراطورية الصينية.

أما العنصر الثاني الذي كان يتألف منه التراث الديني للصين فهو عالم السحر والعرافة الذي يمثل فيه الروح الوسيط أو الشامان حلقة وصل بين البشر والأرواح. ولقد بقيت هذه العقيدة حية بين الناس، محتفظة بعناصر ديانة أكثر بدائية أدت فيها التعاويذ، والتنبؤ بالبخت وماشابه ذلك بالنسبة لطبقات الفلاحين، وظيفة الطقوس والممارسات الدينية. وتتوازى مع حالة النشوة أوالغيبوبة التي يمر بها الشامان، حالة أخرى متعالية هذبتها التاوية وأصبحت هي الأساس المعرفي للتاوية الصوفية. ولقد قام كهنة التاوية بكثير من الوظائف التي كان يتولاها الشامانيون الأوائل.

٢٦ ـ الدين في عهد أسرة شن وأسرة هان:

انتهى عصر الفلاسفة بانهيار دول ـ المدينة، وقيام الإمبراطورية تحت حكم أسرة شن Ch'in وتوحدت الصين لأول مرة لمدة خمسمائة عام. ولقد استلهم حكام تشن مذهب التطبيق الحرفي للقانون في تطبيق نوع من الحكم الشمولي، فوحدوا دول المدينة في دولة واحدة تمثل الأمة. ونجح أول إمبراطور من أسرة شن في إخضاع الأمراء والشعوب السابقة لدول المدينة وجعلهم رعايا له هو وحده، بل سعى كذلك لكي يثبت لهم أن سيادته المطلقة تمتد إلى المذابح في المعابد والآلهة التي يعبدونها أيضاً. ولقد قام بسلسلة من الرحلات طاف فيها حول الإمبراطورية، صاعداً جبالها المقدسة، وزائراً هياكلها، ومقدماً القرابين المناسبة للآلهة المحليين، وبذلك أكد سيادته التي لم تقتصر على الناس بل شملت جميع آلهة البلاد. ولقد رمز إلى الزعم بأن

قوتـه الدينيـة لاتقل عن قـوته الـزمنية باللقـب الذي اتخذه لنفسـه وهو Chin Shih Huang-ti «شن شيه هـوانج تي» . وكلمة شن هي اسم بيتـه الحاكم ، و«شيه» تعني الأول ـ الأول في سلسلة تخيل أنها تمتد لعشرة آلاف جيل ـ وكلمة Ti هي الاسم الذي كان يتسمى بـه الملوك الآلهة في الماضي ، وهوانج تعني «المرمـوق» أو «الشهير» وتوحي بأنه كان «أكثر ملوك تي شهرة» .

واستجاب «شن شيـه هوانج تي» لمشـورة وزرائه من مدرسة القـانون أو الشرائع ، فأمر بإحراق جميع الكتب فيما عـدا الكتب الخاصة بالفنون العملية النافعـة ، قاصداً من وراء ذلك تدمير تعاليم المدارس المائة .

ولما تقدم الإمبراطـور الأول في العمر ، سعـى لصداقة الشـامانيين والسحـرة من مختلف أجزاء الإمبراطوريـة باحثاً عندهم عن عشب الخلود على أمل إطـالة عمره إلى غير حد . وفي هذه العمليـة جاءت عناصر الديـانة الشعبية إلى البلاط بكـل أنواعها الأصلية المختلفـة . ومات الإمبراطـور المصاب بجنـون العظمة دون أن يأسـف عليه أحد .

أما أسرة «هـان» (من ٢٠٢ ق . م إلى ٢٢٠ بعد الميـلاد) التي خلفت أسرة «شن» فقد ورثت البنية والمؤسسـات ووحدة أسرة شن ، ولكنها نبذت كـلا من قسوة قوانين أسرة شن والتطبيق الحرفي للقـانـون ومـافيــه من تعصب . وكـانت أسرة هـان تبشر باقتراب فترة غنية من منجزاتها العقلية ، والثقافية ، ولايزال الصينيون حتى اليوم يحبون أن يطلقـوا على أنفسهم لقـب «رجـال أسرة هـان» . وخـلال هــذه الفترة استقـرت الكـونفوشيـة عندمـا أصبحت هي العقيـدة الرسميـة . كما أصبحت التاويـة ديانـة شعبية ، وقرب نهاية عصر أسرة هان ، ظهرت البوذية في الصين لأول مرة .

٢٧ ـ انتصار الكونفوشية :

وصلت أسرة شن إلى السلطة عن طريق الغـزو العسكري ، وخلفتها أسرة «هان» من خـلال ثــورة مسلحـة ، ولكن عـانى الملـوك من الإمبراطـور الأول وحتى عصر الإمبراطور «وو Wu » معاناة شديد من مشكلات القرارات الدينية التي تعد النظام الملكي ، وتـؤيـد شرعيتـه . ولقـد سبق أن رأينا كيـف أثرت هـذه الفكـرة في سلـوك

الإمبراطور الأول، كما انزعج الأباطرة الأول من أسرة هان بمشكلات مماثلة، وقد أرخ أبو المؤرخين الصينيين «سو ـ ماشن Su-ma-ch'ein في بحث يسمى «قرابين فنج Feng وشــان Shan » لتاريـخ الانشغال بهذه المشكلات، فكتب في أثناء عصر الإمبراطور «وو Wu» معبراً عن الإيمان السائد في ذلك الوقت بقوله إن تفويض السماء يقتضي أن يكـون الحاكم قادراً على تقـديم قـرابين«فنج وشان». وفي محاولتـه لتعقب تاريخ هذه القرابين، قدم لنا هذا المؤرخ ما يعد في الواقع تاريخاً للإيمان الديني الملكي الذي يـزودنا بقـدر كبير من المعلومـات عن الإيمان الديني في عصره رغم أنـه كان في بداياته الأولى خيالياً.

والـواقع أنه ليـس ثمة دليل على أن قـرابين «فنج وشـان» كانت تمثـل جانبـاً من الطقوس التـزم بها الملوك قديماً، ولكن البحث عن الصيغ الملائمـة أدى بملوك أسرة هان الأول إلى استكشاف مـدى الإيمان الديني في سائر الإمبراطوريـة، وقد دونت في سجلات هذا البحث أشياء كثيرة لم تسجل في أي مكان آخر.

بدأ نجم فقهاء الكـونفوشية ـ خـلال تقديمهم النصائح المتضاربـة لأباطرة أسرة هان الأول عـن تأدية الطقـوس والمراسم وواجبات الملك في تقـديم القرابين ــ بدأ في الصعود في بـلاط أسرة هان حتى انتهى بـالانتصار النهـائي للكونفـوشية، بـوصفها عقيـدة الدولـة، والحارس، والـوسيط للطقـوس الدينيـة المتعلقـة بحكامهـا. وراح الكونفوشيون يعلمـون الأمراء في القصر الملكي وأصبحوا مرموقين في خـدمة الدولة. وفي عصر الإمبراطـور «وو Wu » (حكم من ١٤٠ ــ ٨٧ ق. م)، الذي تعلم هـو نفسه على يـد الكونفـوشيين، قدم اقتراح فحواه أن الكـونفوشيـة ينبغي أن تكون هي الفلسفة الوحيدة للحكومة. وعُين الموظفون الرسميون في البلاط ليخصصوا في دراسة الآداب الكـلاسيكية للكـونفوشيـة وتفسيرهـا. بل لقد أنشئت جـامعـة إمبراطوريـة لتدريس الكونفوشية، واختيار ضباط الدولة من بين خريجيها، وهكذا تم بالتدريج ـ تحت وطأة هـذا الضغط طرد أتباع الفـلاسفة غير الكونفوشيين. وفي النهـاية تحت حكم الإمبراطــور هسـوان Hsuan (حكـم مـن ٧٣ إلى ٤٩ ق. م)، دُعـى مجلـس إمبراطـوري من ثقات الكـونفوشيين، ليناقش على مدى ثـلاث سنوات مشكـلات تأويل الآداب الكــلاسيكيــة، وكتبت مــداولات المجلس في مــذكــرة رفعت إلى

الإمبراطور، وفي عـام ٥١ ق.م. صدق الإمبراطور على مضمـونها، ومنذ ذلك الحين استقـرت عقيـدة رسميـة وتأويل رسمي لـلآداب الكـلاسيكية الكـونفـوشيـة التي أصبحت لها سلطة رسمية في الحكومة.

وهكذا نجـد الكونفـوشية ــ التي كانت محرومـــة من الحمايـة في عهد أسرة شن Chin ، كما كـانت حركـة محلية صغيرة في بـداية حكم أسرة هـان ـ وقـد انتصرت مع استمـرار حكم هـذه الأسرة على المدارس المائة جميعـاً، فأصبحت عقيـدة البـلاط، وعقيدة الدولة، كما أصبحت آدابها الكلاسيكية مـادة المناهج التي تدرسها الطبقات المثقفة. وكانت البراعة في هذه الآداب هي المحك في اختيار الأعضاء لخدمة الدولة، وهي معيار ترقيتهم، كما صارت الأفكار الدينيـة الكونفوشية، وما تحدده من طقوس للعبادة هي الديانة الرسمية للقصر الملكي. وهكذا أصبحت الكونفوشية هي عقيدة الدولة.

٢٨ ـ الحاجة إلى آلهة مشخصة :

إبـان عصر الفـلاسفـة، حلت بالتـدريج محل فكـرة الإلـه المشّخص، وأفكـار الشفاعة، والتوسط الفردي، والعبادة ـ بين الفلسفـات «النشطة» ـ أفكار مادية شبه علمية عن الكـون، ونظام طقوسي للسلـوك البشري خال تماماً من التعـالي. وحذف الفلاسفة المتأخرون حذفاً كاملاً عناصر الديانة الملكية لأسرة تشو Chou التي كانت قـد تحولت إلى سمو أخـلاقي على يـد الفـلاسفة الأول. ولقـد كـانت طـرق الوجـد والنشوة، عند فلاسفة الطمأنينة كما كانت أهداف «السالك» في هذا المذهب ـ بعيدة تمام البعد (بغض النظر عن صلتها الأولى بها) عن أفكار الشامان في الديانة الشعبية الذين كانوا وسطاء بين الناس والآلهة، وبين الناس والأرواح، لتلبية الحاجات الدينية للشعب.

غير أن الإيمان بـآلهة مشخصة استمـر قـائماً. كما انتشر وجود الأرواح المشخصـة والشامان والسحـرة والمشعوذين. وأيا ما كانت تعـاليم الديانة الـرسمية، فإن الناس ظلت تسعى لإقامة علاقات شخصيـة وفردية مع الآلهة والأرواح والإيمان بوجود مثل هذه الآلهة والأرواح، وكذلك الإيمان بأن الشفاعة الشخصيـة ممكنة من خلال توسط

الشـامـان وغيرهم، كان يلبي تلـك الاحتياجـات الـدينيـة التي تجاهلها الفـلاسفـة وأهملتها الديانة ا لرسمية.

أما بالنسبة لأولئك الـذين يشقيهم مصيرهم بعد الموت أو مصير من يحبون، فلم تقدم لهم الـديانة الرسميـة أي عزاء إذ ساد الاعتقاد بأن أرواح الشخص ــ المتعددة ــ تنفصل عند الموت وتتفرق، أما البدن فيتحلـل. ولقد ادعى الشامان، والمشعوذون، والسحرة، من نـاحية أخرى، أنهم قادرون على استحضـار أرواح الميت الهائمة، كما زعموا أنهم، بوسـائل تقنية مختلفة وعقاقير معينة، قـادرون على ضمان خلود الجسد، وهكذا يمكن أن تتكامـل الأرواح المبعثرة من جديد في جسد خـالد، ويمكن تجنب مايحدثه الموت من فناء.

وانشغل الإمبراطور الأول بالبحث، في جميع أنحاء الدولة، عن مثل هذا الخلود، عند أصحاب الوصفات الطبية، أي عند أولئك الكهنة الشعبيين القادرين على تلبية مثل هذا العزاء. وانكشفت أثناء هذا البحث مدى انتشار العقائد والممارسات الدينية الشعبية وراء حدود النخبـة المثقفة. وانشغل أحد أباطرة أسرة هان ــ وهو الإمبراطور وو Wu ـ بعد ذلك بقـرن ونصف القرن ببحث مماثل عن حياة أخـرى. ولقد كان السحرة والمشعوذون الذين ظهروا في بلاطه ـ واستنكرت وجودهـم النخبة الكونفوشية المتزايـدة في البلاد استنكـاراً شديـداً ـ كانـوا أبلغ شاهـد على استمرار شعبيـة الدين القديم بين الناس.

٢٩ ـ السماء الصفراء :

قـرب نهايـة حكم أسرة هان وصل مجمـوعـة من المشتغلين بـالكيمياء القـديمـة والعلاج ـ إلى نتيجة تقول إنه سرعـان ما تحل «السماء الصفراء» محل «السماء الزرقاء»، ويكون لها مـركز الصـدارة والقوة في الكـون. وتنبأوا بعمل ثوري جـديد يبـدأ في عام ١٨٤ ميلاديـة، ويبشر ـ بألف سنة من السـلام الشامل. ولقـد حدثت هذه الـرؤيا الكوارثيـة في عصر كان في معظمـه عصر اضطراب سياسي شـامل، مما أثـار صحوة الفـلاحين الذين استجمعـوا قواهـم للثورة. وكـان المتمردون يضعـون على رؤوسهم مناديل صفـراء اللون عـلامة على ارتبـاطهم بالسماء الصفراء، ولهذا السبـب عرفت

حركة تمردهم باسم «ثورة أصحاب العمامة الصفراء».

وأيا مـا كانت أسباب التمـرد ، فإن هذه الحركـة كانت تاويـة في قيادتها، كما أنها استلهمت التاوية في أيـديلوجيتها، واتجهت لتحقيق الإصلاحـات التي سعت إليها عن طريق دولـة تاوية. لكن التمرد تمَّ قمعـه، وإن كان قد كشف عن وجود ديـانة سمت نفسها تـاوية، وهي ديانة منظمـة تنظيماً جيداً مع نسبة كبيرة من أتبـاعها من الشعب. وأصبح من الواضح أنها استقرت قبل ثورة ١٨٤ ميلادية بفترة طويلة.

ويذكـر شانج ليـانج Shang liang ـ في التـاريخ التاوي ــ وهو الـذي خدم الإمبراطور الأول في أسرة هان، وكـان تلميذاً للمذهب التاوي ـ يذكـر أنه سعى عبثاً «لبلوغ الخلـود»وبعد ذلك بسبعـة أجيال هاجـر واحد من سـلالته هـو «شانج لنج Chang ling » إلى غــرب الصين حيث كتب بحثـاً عـن المذهب التـاوي، وكــون جماعات من التلاميذ، يقال إن عددهـا بلغ عشرات الألوف ـ واشتهر عنه بأنه وصل إلى مرحلة الخلود. وفي القرن الثاني الميلادي وجدت بالفعل كنيسة تاوية، وكان لقب شانج فيها لامعاً ومـرموقاً، كما كانت السلالة المحترمـة لأسرة «شانج لنج» من قادتها المرموقين.

وانقسمت الكنيسة التاوية إلى جماعتين حسب المناطق : واحدة في الشرق بتوجيه «شـانج شـوه Chang Chueh » وأخويـه (وهـم الأخوة شانج الثلاثـة). وأخرى في الغرب بتوجيه الشانجيين Changs المنحدرين من أسرة «شانج لنج». ولقد قيل إن الكنيسة الشرقيـة في عصر ثورة أصحـاب «العمامة الصفـراء» حصلت على ولاء ثمانية أقـاليم أي ثلثي إمبراطـورية هـان، وأنها جنـدت ٠٠٠ , ٣٦٠ من أتبـاعها، وكـان للكنيسة التـاويـة في هذه الأقاليم الثمانين ٣٦ منطقة. وكـان على رأس النظام الهرمي الأخوة الثـلاثة شـانج : قائد وحاكم السماء، وقـائد وحاكم الأرض، وقـائد وحاكم الإنسان. و«الخبير أو السالك الأعظـم» هو المسؤول عن المناطق الـواسعة، مع أكثر من عشرة آلاف شخص من المريدين ـ أما المنـاطق الصغرى فتخضع لمسئولية «الخبير الأصغر». ولقد كان هناك أيضاً تقسيم مماثل في الكنيسة الغربية يشرف عليها «شانج هنـج Chang Heng و«شانـج لو Chang Lu » وامتد النظام الـديني التصاعدي هابطاً إلى المجتمع الفردي ، مُشكلاً مراتب من الكهنة وجمهور المؤمنين.

٣٠ـ الطقوس والخدمات الدينية :

طورت الكنيسة التاوية ضروباً من الطقوس والخدمات الدينية التي تقام للتكفير عن الخطيئة وكفارة المرض (الذي يُعتقد أنه حدث بسبب الخطيئة). ويقوم الكاهن بتلاوة بعض التعاويذ على الماء ثم يقدمه إلى التائب ليشربه، فإذا فشلت هذه العملية في تحقيق الشفاء، يُعزي الفشل إلى نقص الإيمان، وفي الكنيسة الغربية يدفع المؤمن خمسة مكيالات من الأرز فدية مالية (وقد ظلت الكنيسة الغربية لعدة قرون بعد ذلك تعرف على المستوى الشعبي باسم «عقيدة مكيالات الأرز الخمسة»). وتدون الخطايا كما تسجل الاعترافات: وتعد ثلاثة نسخ توجه إلى السماء والأرض والماء، توضع واحدة على قمة جبل، بينما تدفق الثانية في باطن الأرض، وتغطس الثالثة في الماء ـ أما الخطايا التي يكفر عنها بهذه الطريقة فهي، السكر، والفسق، والسرقة.

كانت الديانة التاوية ـ والكنيسة التي تدعو لها ـ في نهاية أسرة هان أبعد ما تكون عن مدرسة التصوف التي كانت تحمل اسم التاوية في القرنين الرابع والثالث ق.م. فقد تحولت التاوية من نظرية فلسفية تقوم على أساس الحدس الصوفي إلى ديانة للخلاص. ومن مسألة تأمل شخصي، وخاص إلى كنيسة منظمة ذات نظام كهنوتي تصاعدي وأتباع. وفي نهاية أسرة هان تحولت التاوية إلى ديانة على نحو ما كانت عليه البوذية، وما صارت إليه الكونفوشية ـ كانت استجابة الناس لها شعبية وعلى نطاق واسع، وازدادت أهميتها واستجابة الشعب لها خلال عهود ست أسر حاكمة وحتى أسرة «تانج T'ang» بل إنها صادفت بعض العصور التي تمتعت فيها بفترات وجيزة من الرعاية الإمبراطورية.

قدمت التاوية، بوصفها ديناً، طريقاً للخلاص، بل عبّدت للمؤمن عدة طرق توصله إلى الجنة. ولما كان المؤمن المخلص لها في صورته الشعبية البسيطة للغاية شديد الفقر بحيث يعجز عن المشاركة في الأساليب المكلفة من غذاء صحي، وتنفس، وتناول العقاقير، والتقشف، ولما كان كذلك منعدم الثقافة بحيث لايمكنه أن يتابع البحوث الموضوعية عن الاتحاد والجذب الصوفي، فقد كان باستطاعته عن طريق

التقوى والاعتراف والتكفير أن يكتسب ميزة ضرورية يمكن بواسطتها بعد الموت، والبقاء فترة في العالم السفلى، أن يتم إنقاذه أو إنقاذها فينقل إلى الجنة.

ويستطيع المؤمن كذلك ـ عن طريق الالتزام بالتقوى، وتأدية خدمات دينية خاصة فداء لأرواح الموتى ـ يستطيع أن يصلى لهم لعلهم بصلاح الأحياء أن يظفروا في النهاية بالانعتاق من العالم السفلي ودخول الجنة.

وفي مرحلة عليا من التدين يستطيع المؤمن بالإحسان، والتقشف، وتأدية الخدمة للجماعة الدينية، أن يبلغ مرحلة يلحق فيها بطبقة الموظفين الرسميين في العالم السفلى، ومن خلال الخدمة في نظامها التصاعدي، يضمن دخول الجنة.

٣١ ـ تجنب الموت :

غير أن السالك الحق كان يسعى إلى تجنب الموت تماماً، والعبور إلى عالم الخالدين. عن طريق الانتقال إلى السماء مباشرة، فهناك أساليب متعددة، ونظم كثيرة يمكن بواسطتها بلوغ مرتبة الخالدين. لكن هذه المرتبة تدخر بالطبع لأكثر السالكين تقدماً على الطريق.

وهذه النظم، بأوسع معنى للكلمة، هي عادات خاصة بالغذاء الصحي وتمرينات التنفس، وضبط العملية الجنسية وما شابه ذلك، ويقصد منها حلول عناصر أثيرية لاتفسد محل العناصر الغليظة الفانية في الجسد الفاني. ولقد قيل إن الأبخرة التسعة كانت مندمجة في العماء Chaos مع بداية الخلق، ثم انفصلت : فتكونت السماء من أنقاها، وتكونت الأرض من أغلظها. وتكوّن الجسم البشري من العناصر الغليظة ثم مُنح الحياة عندما دخله البخار الأصلي لحظة الميلاد. ويتصل هذا البخار بالماهية (أو الجوهر) فتتشكل الروح وهي : مبدأ الحياة. وعند الموت ينفصل البخار عن الماهية. والجسم تحكمه الأرواح التي تحكم الكون، وإذ أريد للجسم ألا يتحلل، فإن هذه الأرواح لابد أيضاً أن تظل موجودة لتمنع مغادرة الروح والماهية، وبذلك يبلغ مرحلة الخلود.

وتستخدم أربع مجموعات رئيسية من أساليب الممارسة لتحقيق هذه الغاية. أما

المجموعة الأولى فهي «تغذية مبدأ الحياة»، والثانية هي «تغذية الأرواح»، والثالثة هي «المحافظة على الواحد سليماً». وقد ذهبوا إلى أن أحد أسباب الموت هو الإسراف في تناول الحبوب، لأن أبخرتها تغذي الأرواح الشريرة في المعدة. وتستقر هذه الأرواح في المخ والقلب والمعدة.

وعن طريق الانتظام في الغذاء الصحي، واستخدام العقاقير، وتمرينات التنفس، يمكن كبت هذه الأبخرة، فيحل البخار الأصلي ــ وهو أزلي خالدي بالتدريج محل الأبخرة الغليظة والأرواح الغليظة. وحين يتم امتصاص الزنجفار (كبريت الزئبق) تتحول العظام إلى ذهب كما يتحول اللحم إلى حجر اليشم ـ (الأحجار الكريمة) ـ وهذا وعد آخر للفرار من الفساد والتحلل ـ وفي استطاعة المرء عن طريق التنفس أن يجبر الماهية (أو الجوهر) على الارتفاع من خلال النخاع إلى المخ لتقوية اتجاه البخار والماهية. وبذا يتم تغذية الأرواح التي تمنع التحلل، وعندئذ، يستطيع المرء أيضاً ـ عن طريق التأمل، والتركيز العميق، وحالة السكينة أو الطمأنينة ـ يستطيع أن يدخل في اتصال مع الأرواح الخيرة بداخله، وهي التي تؤدي بالتدريج، وكلما تقدمت الرؤية إلى مشاهدة الثالوث الأعظم الذي يتحقق فيه الخلود.

٣٢ ـ الجماعة التاوية :

وأخيراً يأتي بالطبع، أعظم السالكين، وهم أولئك الذين ساروا في طريق «شوانج تسو»، و«لا وتسو» ونبذوا الخلود الشخصي في سبيل مرحلة أعلى هي التوحد مع «التاو» نفسه، وهي حالة لايمكن أن يلابسها أي احتواء مادي على الإطلاق.

تركزت الحياة في الكنيسة ـ تحت زعامة أسرة شانج ــ حول جماعات المؤمنين المحلية، ويتولي أمور الجماعة معلم «شيه Shih ». وتندرج تحته جماعة الموظفين الرسميين، مرتبة وفق ألقاب مناسبة في ثلاث درجات: الأتقياء والأغنياء في آن معاً، ثم الأغنياء فقط، وأخيراً الأتقياء الفقراء. وقد كان هؤلاء يؤدون طقوس الترسيم لمن بلغوا سن الثامنة عشرة، ويساعدون المحتاجين إلى عون خاص في حالة المرض، ويجمعون المال للاحتفالات والأعياد الدينية، ويقومون بصفة عامة برعاية الجماعة. ويعرف الأعضاء العاديون في الجماعة باسم «تاو ـ مين Tao-min » (أي الشعب

التـاوي). وكان التعليم مهنـة تورث فتنتقل من الأب إلى الابن. وقـد ظلت سلالـة هؤلاء المعلمين، فيما تعيـه الذاكرة ـ تتحمل مسـؤولية الجماعات التاويـة وممتلكاتها، ويوجه إليها الخطاب بلقب شيه كينج Shih Kung أي «المعلم المحترم».

وكانـت الحياة في الجماعـة حياة ممتلئة، فلكـل سنة تقويـم خاص بـالاحتفالات والأعياد الدينية، وبعضها إلزامي ومحدد وبعضها الآخر يقام بناء على رغبة خاصة من أحد أعضاء الجماعة. ويلتقي جماعة المؤمنين ثلاث مرات كل عام للاحتفال بالعوامل الثلاثة الفعـالة: السماء والأرض والماء ـ وهـم الذين يحددون ألـوان الثواب والعقاب. وتقام الخدمة الـدينية خمس مرات كل عام للمـؤمن الراحل، وهناك خـدمات معينة كالـولائم الدينيـة تقدمها الأسر المتـدينة للمعلم بمنـاسبة الميلاد والـوفاة، وقـد كان بعضهـا، بمعنى من المعـاني، قداسـات تقـام. وتقام بعض القـداسـات من أجل مصالح خاصة ـ كمولد ابن أو الشفاء من مرض، أو نزول المطر، أو الترقي في الرتبة، أو احتفالات بتحقيق مصالح معينة.

وازدادت بالتـدريج طقوس الكنيسـة من حيث العدد والتعقيـد، فمن الطقوس التي ظهـرت بعد ذلك عيـد «تعـويذة الـذهب» الـذي يقام احتفـالاً بالإمبراطـور، ويخصص لتفـادي كـوارث الطبيعـة كـالفيضـانـات، والآثـار الضـارة التي يسببهـا الكسـوف أو الخسوف، ومـاشـابه ذلك ولضمان رخـاء الأمـة. وهنـاك كذلك عيـد «تعـويذة حجـر اليشم» الخاص بصحة أفـراد المجتمع جميعـاً ورخائهم سـواء كانـوا مؤمنين أو غير مؤمنين، وعيد الغبار والرمـاد الذي يحتفل به كفارة عن المرض، وعيد الطلسم الأصغر لضمان الخلاص من الجحيم للأسلاف حتى الجيل السابع.

٣٣ ـ مقدم البوذية:

سبق أن رأينـا أن الكونفـوشية انتصرت، وأصبحت ديـانة رسميـة للبيت الحاكم وموظفيه، أثنـاء حكم أسرة «هان»، في حين أن التاوية سرعـان ما انتشرت في الريف بين جماهير الشعب، وأصبحت الـديانـة الشعبية والقـومية للصين. لكن بينما كـان ذلك يحدث، وبهدوء، وربما على نحـو لم يلحظه أحـد، وردت إلى الصين من الهنـد ديانة أجنبية شكلت تحدياً جاداً وخطيراً لكل من التاويـة والكونفوشية، هذه الديانة

هي البوذية .

ولانعرف على وجه الدقة متى وصلت البوذية إلى الصين، لكن الصين كانت على صلة بالهند، وبالغرب، منذ أواسط القرن الأول قبل الميلاد. كانت إمبراطورية هان في ذلك الوقت قد استقرت تماماً في وسط آسيا وسيطرت على طريق الحرير المتجه إلى الغرب وبعد ذلك بقرن، في عام ٦٥ ميلادية، سجل وجود جماعة بوذية في بلاط أحد أمراء أسرة هان. لكن قبل ذلك كان الرسل والجنود الصينيون قد خدموا في البلاد البوذية في آسيا الوسطى. وفضلاً عن ذلك استقرت مستعمرات غير صينية من هذه البلاد البوذية في المدن التجارية للصين ذاتها. ثم ظهرت قرب نهاية القرن الأول الميلادي جماعة بوذية في «لويانج Loyang» العاصمة ذاتها.

وجاء إلى هذه الجماعة في عام ١٤٨م مبعوث بارثي اسمه «شيه كاو Shih kao»[1] وهو أول شخصية تاريخية لاجدال حولها في تاريخ البوذية الصينية. ولقد بدأ «شيه كاو» هذا بالتعاون مع أعضاء البعثة في الكنيسة البوذية «في» لويانج» (من السوجديان، والبارثين، واليوشيهين والهنود)[2]، في عمل طويل الأمد هو ترجمة الكتب البوذية المقدسة إلى اللغة الصينية. وفي عام ١٦٦ ميلادية أقام الإمبراطور هوان Huan من أسرة هان ـ مراسم تاوية وبوذية في القصر الإمبراطوري، فكان ذلك بمثابة إعلان رسمي عن مقدم البوذية إلى الصين.

كانت البوذية، كالتاوية، ديانة للخلاص، لكن ينبغي علينا ألا نفترض أن البوذية التي ضربت بجذورها في الصين في عهد أسرة «هان» كانت عقيدة ذات كيان عضوي متكامل وممارسات دينية مثلما كانت في الهند حيث انقسمت إلى مدارس متعددة، سبق أن تطورت بالفعل تطورا لابأس به، لقد تلقى الصينيون البوذية على أنها صورة أجنبية من التاوية.

٣٤ ـ عقيدة متناقضة :

كانت التاوية والبوذية عقيدتين متناقضتين في عدد من الجوانب الأساسية.

(١) أي من بارثينا Parthia منطقة قديمة في إيران (المترجم).

(٢) أسماء لشعوب قديمة فالسوجديان كانوا يسكنون واديا في جمهورية أزبكستان الحديثة والبارثيون سكان منطقة خورسان في إيران قديما.. إلخ (المترجم).

فالتـاوية تسعى لإدامـة الشخصية الإنسانيـة ، في حين تنكر البوذيـة وجودهـا ذاته ، فلايـوجد عنـد البوذيين ما نسميـه «نفسا أو أنا» ، والتـاوية تتطلع إلى خلـود الجسد المادي ، بينما تنظـر البوذيـة إلى الجسم البشري ـ على نحـو مـا تنظر إلى جميع الأشيـاء المخلوقة ـ على أنه عابر وزائل .

غير أن هـذه الخلافات العقـائديـة كانـت في البدايـة غـامضة ومبهمـة في أعين الصينيين . لقد كان للبوذية في ممارستها الدينية أشياء متشابهة ، في ظاهرها ، للتاوية ، فهي تمارس عبادة شعبية بغير قـرابين ، وتُضفي أهمية على التأمل وممارسـات اليوجا ، وعلى الصوم والتقشف . وقل ظل الاعتقاد شائعـاً في الصين لعدة قرون بأن «لاوتسو» أب التـاويـة ، هـو الـذي علم بـوذا . وأن البوذيـة هي ببسـاطـة صـورة أجنبيـة من التاوية .

وكـانت مشكلات نشر الإيمان مشكـلات هائلـة ، إذ كان إيمانـاً ينتشر في وسط اجتماعي مختلف أشد الاختلاف عنـه في الصين ، ويفترض التسليم بأمور كثيرة تحظى في الهند بقبول عام ، ولكنها غريبة تماماً عن الصين ، ويعبر عنه بلغة تختلف عن اللغة الصينية بقدر ما تختلف عنها السنسكريتية ، وبواسطة رهبان لم تستطع إلا قلة منهم ، التعبير عن أنفسهم تعبيراً جيداً بـاللغة الصينية (قبـل أواخر القرن الـرابع الميلادي لم يكن أحد من الصينيين يعرف اللغة السنسكريتية) .

ولما وجهت العقيدة والممارسات بهذه المشكلات المحرجة ، ارتدا إلى تلك العناصر التي وجـدت لها نظائر في الحيـاة الدينية الصينيـة وفي الفكر الصينـي سواء قـام هذا التناظـر على أساس تشابـه حقيقي أو مزعوم ، كما كـان من الممكن تكيفها (أي تلك العناصر) مع الممارسات الصينية ودمجها فيها .

٣٥ ـ عصر الإيمان :

على مـدى القـرون الأربعـة التـاليـة حل محل وحـدة أسرة هـان فترة من التمـزق والتفكك عرفت بفترة الممالك الثلاث والأسر الســت ، واستمر التفكك حتى عادت الصين إلى الوحدة مرة أخرى في عهد أسرتي سوي Sui وتانج T'ang .

وكانت فترة التفكك السياسي بداية لعصر الإيمان في الصين ، فقد أرخت الحظوظ

المتقلبة للبيت الملكي قبضـة الكونفوشية عن المثقفين، وفي هـذه التربة الحرة الطليقة ازدهرت الكنيسة التاوية، وبدأت الكنيسة البوذية، بالتدريج، تثبت أقدامها.

٣٦ـ الكونفوشية في عصر الإيمان:

خدمت الكـونفوشيـة الدولـة في ظل السيادة لأسرة هـان، ونجح الكونفـوشيون نجاحاً كبيراً، في استبعـاد الخصوم من المناصب المؤثرة ومع انهيـار سلطة أسرة هان، وسقوط الصين في التفكك السيـاسي، فقدت الكونفوشيـة مكانتها المرموقـة. وأحيا علماؤها «الإداريـون» الاهتمام ببعض المدارس المعارضة ومنها مـدرسة التطبيق الحرفي للقانون (أو مدرسة الشرائع Legalism)، والموهية Mohism، والتاوية الصوفية. وفي أواسط القرن الثـالث الميلادي، ومن داخل حلقات الكـونفوشية نفسهـا، ظهر تعليم جديد هو «التعليم المظلم» (هسوان هسويه Husen Hsueh أو المعرفة المظلمة التي أصبحت، عند الأرستقراطيـة المثقفة، صورة عقلانية من الكونفـوشية المستمدة إلى حد كبير من إعـادة تأويل لكتاب «شـوانج تسو»، وكتـاب «تاو ـــ تي ـ كنج»، و«كتـاب التغيرات»، وأصبحت طـريقـة رائدة في التفكير، كما أصبحت بما انطـوت عليـه من فضـول عقلي ونـزعة ميتـافيـزيقيـة فلسفـة الطبقـات الأرستقراطيـة المترفـة وتسليتها. وهكذا أصبح الجو العقلي القائم من العوامل المؤثرة على تطور البوذية. أما صورة الكـونفوشية التي ثقفـت الأسر الحاكمة في أسرة هان وغلب عليهـا التشدد في التشريع والاعتقاد فقد كان عليها أن تتنحى لتخلق السبيل أمام كونفوشية ذات نزعة تأملية وعقلانية أصرح، تمكنت أن تخلق في أتباعها ذهناً أكثر تعاطفاً مع دقائق الفكر البوذي.

٣٧ـ البوذية في عصر الإيمان:

إبان القـرن الثالث المضطرب، حصرت الكنيسة البـوذية في الصين ـ وقـد كانت لاتزال إلى حـد كبير في أيد غريبـة ـ حصرت معظم طـاقاتها في ترجمة الكتب البـوذية المقدسة، وتعرضت في سبيل ذلك لظروف بـالغة الصعوبة في كثير من الأحيان. وقد استطـاع المبشرون الأجـانب ـــ وكثيراً ما كـانـوا ينشأون ويتعلمـون في الصين في ذلك الوقت. أن يصلحوا من تعقيد الترجمة ويصقلوا أسلوبها إلى حد كبير.

كان هذا النشـاط على جانب كبير من الأهمية، فالبوذيـة قد جلبت إلى الصين صورة جديدة من التنظيم الاجتماعي ـ وهو تنظيم جماعة الرهبان أو «السنغا» ـ الذي أصبح ظاهـرة اجتماعية لها دلالتها الكبرى في المجتمـع الصيني في العصر الوسيط، إذ لبت الحاجة إلى النشاط العقلي بطريقة لم تكن معروفة من قبل في الصين. غير أن الكنيسة احتاجت إذْن الطبقات الحاكمـة، ورعايتها، لأهمية ذلك وضرورته بـالنسبة لمؤسسة ثورية ومكلِّفة إلى هذا الحد. ولهذا كـان على البوذية أن تتغلغل في هذه الطبقات التي كـانت بمثابـة حـراس الثروة ورعـاتها. وعلى الرغم مـن المجهود الهائل الـذي بذلتـه البوذية في القرن الثـالـث للحصول على الكتب المقدسة وترجمتها، فقـد أحرزت تقدماً بطيئاً في هذا المضمار. ولكن خـلال القرنين الرابع والخامس نجحت الكنيسـة البوذية في تشكيل صفـوة كهنوتيـة عقلية من الـرهبان الصينيين والأجـانب المتوطنين الـذين أخذوا يقـومون بـدور الدعـاة لبوذيـة متكيفة مع ظـروف البلاد، حتى تمكنـت هذه الصفـوة، من النفاذ إلى الطبقـات الصينية العليـا، وقويت البـوذية منـذ ذلك الحين وأصبحت تمثل تحدياً قوياً وخطيراً للتاوية.

ومن أهـم الهدايا الثقافيـة التي منحتها البوذية للصين إثراء آدابها، لا بـالكتابات البوذية وحـدها، بل بـأشياء أخرى كثيرة لها قيمتها العلميـة والفلسفية المستمدة من الثروة الأدبية الهندية. ومن أهـم الدلائل المثيرة على تقوى المؤمنين البوذيين ذلك القدر الكبير من الطاقة والموهبة الذي وضعـوه في جهدهـم في الترجمة. ولقد سبق أن تحدثنا عن الصعوبات التي وجهها المترجمون للأول. ولكن جهد الترجمة اتخذ منحنى جديداً مع بداية القرن الخامس، عندما أعد كوماراجيفا kumarahuva ـ وهو بوذي من آسيا الوسطى ـ مكتبـاً للترجمة، بمساعدة الإمبراطور، وفاق أي تنظيم من نـوعه وجد في الصين حتى ذلك الوقت. فها هنا مع حشـد ضخم من المساعدين استطاع أن يخرج كتباً مقدسة جـديدة، كما أعاد ترجمة الترجمات السيئة السابقـة ونشرها خارج البلاد، ولقد قـام هو ومعـاونوه بترجمة مايقـرب من ٩٨ كتاباً بقى لنـا منها ٥٢ كتـاباً دخلت ضمن الشريعة البـوذية، ولقد أضفت رشـاقة ترجمات «كـوماراجيفا» على الكتـابات البوذية المقدسة سحراً جديداً اجتذب المثقفين الصينيين الشغوفين بالأدب.

٣٨ ـ ترجمات شتى :

تـزايد عـدد الترجمات منذ ذلك الـوقت وأصبحت أكثـر دقة، وفتحت مكـاتب مختلفة للمترجمين ليواصـــلوا جهود «كـوماراجيفا» ، ولابـد لنـا أن نـذكر بصـــفة خاصة بارامارثا Paramartha » ـ وهو رجل هندي مـن أسرة (برهمية براهمان Brah-man) ـ الذي ترجم حوالي سبعين كتاباً في منتصف القرن السادس. ونخص بالذكر أيضاً هسـوان تسانج Hgean-Tsang [1]، وهو صيني من أسرة موظفين رسميين كرس بقيـة حياتـه ـ بعـد رحلة حج إلى الأمـاكن المقدسـة بالهنـد عام ٦٤٥ ميـلادية وبرعـاية إمبراطـورية ــ لترجمة النصوص المقـدسة التي جمعهـا في رحلاتـه. وقيل إن حجمهـا بلغ خمسـاً وعشرين مـرة مـن حجم الإنجيل! وتـرجمة «أي شنج» I ching الذي قـام برحلة حـج مماثلة بعـد وفاة «هسوان تسـانج» بوقت قصير فـزار الهند عن طريق البحر من جنوب الصين.

سارت الجهـود التي بذلت لإحضار الكتـب المقدسة إلى الصين وتـرجمتها بخطى حثيثـة، وثابتـة، منذ قـدوم البوذيـة إلى الصين، وحتى القرن الثـامن عندمـا انقطع الاتصال بـآسيا الـوسطى وبالهنـد عن طريق البر، وقـد أضافت هـذه الجهود الشيء الكثير إلى الفلسفة الصينيـة والفكر الصيني بعـامة. غير أن نشر الإيمان بين الجماهير كـان، إلى حـد كبير، من النـوع الذي وصل إلى الصين في نهايـة أسرة هـان، وحقبـة الممالك الثلاث، إذ كان هو إيمان البـوذية التي عدلتها ـ الممارسات التـاوية تعديلات كثيرة، وتوافقت مع أفكار البلاد الأصلية، ولقيت القبول من الشعب الصيني، غير أن البوذية المترهبنة قد طورت في الصين صـورها المتميزة ونفذت هذه الصور ببطء إلى عامة الناس.

كانت العقيدة البوذية وممارساتها قد استقرت ثابتة في الهند وآسيا الوسطى قبل أن تصل إلى الصين بـوقت طويل. غير أن البـوذية، كما سبق أن رأينـا، سواء في صـورة الهنايانا (المركبـة الصغرى) ، أو المهايانا (المركبة الكبرى) وبوصفها ديـانة للرهبان أو

---

(١) هسوان تسـانج (٥٩٦ ـ ٦٦٤م) حكيم صيني يعد مـن أعظم الفلاسفة والأدبـاء الذين أنجبتهم الحضارة الصينية (المترجم).

لعامة الناس، جاءت إلى الصين من خلال عملية ذيوع بطيء في كثير من الأحيان، عن طريق الكتابات المقدسة والوعظ، وفي أشكال بسيطة وأشكال معقدة، عبر فترة بلغت حوالي خمسة قرون، واستقبلت في بلاد لديها نظام أو نسق قومي من المعتقدات الدينية لايقل عمره عن ألف عام، وتُرجمت إلى لغة كانت مفرداتها ذاتها مفعمة بالأفكار الصينية في كثير من الأحيان، وتتعارض مفرداتها تعارضاً ملحوظاً مع مفردات اللغة السنسكريتية لغة البوذية. ورغم هذه الصعوبات جميعها فقد جلبت إلى الصين ديانة تقوم على أساس الإيمان ببوذا، وبجوهر عقيدة بوذا، وحقائقها الأربع الأساسية: والحقيقة المقدسة الأولى هي أن الحياة شر، والوجود معاناة، والحقيقة الثانية هي أن الميلاد الجديد يعمل على إدامة الحياة، وأن الاشتياق والرغبة هما اللذان يسببان هذا الميلاد من جديد، والحقيقة الثالثة هي القول بأن التحرر من الميلاد الجديد يمكن أن يتحقق بالتخلص من الرغبة والاشتياق. والحقيقة الرابعة هي أن ثماني خطوات تؤدي إلى إيقاف شر الحياة. وتعتمد الطريق ذات الثماني شعب على الفهم السليم، والفكر السليم، والكلام السليم والسلوك البدني السليم والمعيشة السليمة، والجهد الأخلاقي السليم، والانتباه السليم، والتركيز السليم.

وهناك طريق واحد فحسب للفرار من هذه المعاناة، وهو الطريق الذي اكتشفه البوذا، والذي يؤدي إلى النرفانا Nirvana أعني إلى الوجود المطلق غير المشروط، الوجود الذي يدوم دون أن يُفضى إلى الموت أو إلى ميلاد جديد، ويأتي الخلاص عن طريق الإيمان ببوذا وتطبيق الشريعة Dharma كما تعظ بها جماعة الرهبان (السنغا). ومن هنا يأتي الاعتراف بالإيمان لديها: «إني أجد ملاذي في بوذا، إنني أجد ملاذي في الشريعة، إنني أجد ملاذي في جماعة الرهبان».

٣٩ ـ الرهبان وجمهور المؤمنين:

للبوذية، كالتاوية، نمطان من الحياة الدينية، حياة الرهبان وحياة العامة. وبينما كان الرهبان وأهل الفكر، والمثقفون في الديانتين يجادلون في الخلافات العقائدية، ويؤثرون بمجادلاتهم في الحياة العقلية الصينية بصفة عامة، كانت الديانتان تتنافسان من أجل استمالة أرواح الشعب الصيني. والديانتان معا تردان

العقيدتين اللتين بلغتا مستوى عالياً من الرهافة والعمق الميتافيزيقي - إلى صيغ بسيطة تسمح لرجل الشارع أن يتذوق بواسطتها العزاء الذي يعينه على الحياة، ويعطيه الأمل في دخول الجنة في الحياة الأخرى، على الرغم من أنه قد يفتقر لأي قدر من الثقافة يمكنه من الدخول في مناظرات مدرسة. وربما كان أفقر من أن ينبذ العالم من أجل الدير البوذي أو المستعمرة التاوية.

وعندما عبرت البوذية في الصين عن نفسها من خلال العبقرية الصينية، وتمَّ تفاعلها مع التاوية، أنتجت عدداً من الفرق البوذية الصينية الخالصة. ومن هذه الفرق الأساسية بوذية «تشن Ch'en » وبوذية مدرسة الأرض الطاهرة Tien Tai وفرقة تشن ين Chen Yen التنترية.

٤٠ ـ مدرسة تشن : Ch'an

أول مدرسة من هذه المدارس الصينية هي مدرسة «تشن» (وهي الكلمة الصينية التي تقابل الكلمة السنسكريتية ذيانا Dhyana، أي التأمل والكلمة اليابانية زن Zen). ومن تعاليم مدرسة تشن الأساسية القول بأن «الخلاص يأتي من الاستنارة الداخلية. وتأتي هذه الاستنارة في لمحة خاطفة على نحو ماحدث لبوذا. إنها تحول فجائي يمكن بلوغه هنا والآن وهي تعلمنا أن الحقيقة الوحيدة هي طبيعةبوذا، وعندما نستدير إلى داخل أنفسنا بنظرتنا الفاحصة نستطيع أن نرى ذلك، وبرؤية واحدة نهائية تنكشف لنا بغتة. وهكذا نجد أن «تشن» تُعادي ما أصبح تراثاً في البوذية، وتنظر نظرة عدائية إلى الصور والكتابات المقدسة، وتنبذ النظر الميتافيزيقي، وكذلك النظرية، لصالح الفكر العيني، وبذلك تخلت عن عمليات التجربة الدينية المتدرجة ومستوياتها في سبيل لحظة واحدة وتجربة شاملة. ولقد جمعت «تشن» في هذه الأمور أشياء كثيرة مشتركة مع تعاليم التاوية الصوفية.

أصبحت «تشن» مدرسة مستقلة في بداية القرن الثامن، وبحلول عام ٧٥٠ ميلادية كان لديها نظام خاص بالأديرة وقواعد الحياة فيها، وقد زعمت أنها ترتبط بأصول موغلة في القدم، وردت بداياتها إلى تشوتا وشنج Chu Tas-sheng (الذي ازدهر عام ٣٩٧ ـ ٤٣٤ ميلادية) وتلاميذه الذين تعلموا على يدي لنكافاترا سوترا

Lankavatara-Sutra الـذي هاجم فكـرة «الامتيـاز أو الجدارة» وإلى «بـوذا أهرمـا» Bodhidharma في أوائل القرن السادس، الذي تنسـب إليه الأساطير شرف الحملقة في جدار أبيـض ناصع البيـاض لمدة تسع سنوات، وإلى الرهبـان المشهورين الـذين التفوا حـول «هوي ننج Hui neng» (٦٣٧ ـ ٧١٣ ميلادية). لكن تلميذاً لـ «هوي ننج» هو «تشن هو» أسس مدرسة في جنوب الصين حيث ازدهرت «تشن» فيما بعد. وفي القـرنين الثامن والتـاسع بلغت «تشن» أوج عصرهـا البطولي، وفي ذلك الـوقت نفسه عمل أسـاتذة تشن العظام. وبحلول الألف الأول الميـلادي لم يكن لـ «تشن» من منافس إلا بوذيـة الأرض الطاهرة. ومع أسرة سنج Sung كان أثر تشـن قوياً في تصوير المناظر الطبيعية، حتى أن هذا الأثر تغلغل بقوة في الحياة الجمالية للصين.

٤١ ـ مدرسة الأرض الطاهرة:

ثاني مدارس الصين هي مـدرسة شنج تون Ch'ing Tu (الأرض الطـاهـرة) أو اللـوتس Lotus أو مدرسـة أميدا Amidist sch. ومدرسة الأرض الطـاهرة هي مدرسة بوذية الإيمان البسيط. لقد كان أحـد الفروق بين «المهايانا»، و«الهنايانا»، أن الأولى تـذهـب إلى أن من يعجز عن بلـوغ الاستنـارة بنفسه يمكـن أن يصل إليهـا عن طـريق الإيمان بفاعليـة «بوذا» و«بـوذا المنتظر»، فبعض «البـوذا» خلقوا أرض بـوذا، وأرض أميتبها هي الأرض الطـاهرة في الغرب، والتضرع البسيط لاسم أميتبها مقـروناً بالإيمان بفاعليته يضمن للمؤمن الميلاد من جديد في الأرض الطاهرة.

نشأت عقيدة أميتبها « Amitabha »[١] (وهو بوذا صاحب الحياة الطويلة اللا متناهيـة) في الهند، وفي القـرن الرابع، وصل إلى الصين من أواسط آسيـا، مُبشر هو «فا ـ تو ـ تنج Fa-tu-tong» (توفى ٣٤٩ ميلادية)، واستقر في مدينة «لويانج Loy-ang»[٢]، وبنى الكثير من المعابد برعـاية الإمبراطور، كما انشغل بالتبشير بإنجيل البوذيـة على نطاق واسع لإقـامة كنيسـة بوذيـة تجذب إليها جماهير النـاس، ورجال

(١) أميتبهـا Amitabha تعنى حرفيا «النور الـلامتناهي» وهو موضوع الإيمان الأول في بوذيـة المهايانا اليابانية، وهـم يضرعون إليه للخلاص باسم «اميدا Amida» (المترجم).

(٢) كانت هذه المدينة عاصمة في عهد كثير من الأسر التى حكمت الصين: شو، وهان.. وغيرهما، وهى مدينة صناعية كبيرة ومركز تجارى هام في الصين (المترجم).

البلاط على السواء. وواصل واحد من تلاميذه هو «تاو ـ آن Tao-an» (٣١٤ ـ ٣٨٥م) مهمته التبشرية إلى مدى أبعد. وتتلمذ عليه أحد أتباع التاوية السابقين وهو «هوي ـ يوان Huit yuan من ٣٣٤ ـ ٤١٦»[١]، وهو الذي أسس مدرسة الأرض الطاهرة مستخدماً أساليب التاوية في التعبير المجازي.

وانتشرت عبادة «بوذا» و«للبوذا ستافا» (أي المنتظرين) وهم الذين على وشك أن يصلوا إلى مرتبة البوذا، لكنهم يحجمون عن الدخول في «النرفانا» ليعملوا على خلاص الآخرين. وفي الصين اكتسب بوذا وبوذا ستافا (أي بوذا المنتظر) أسماء صينية خالصة، كما ظهروا في رسومات الأيقونات وصورها. وأصبح «جوتاما»، أو بوذا التاريخي يحمل اسم «شيه ـ شيا ـ فو shih shia fu (ساكياموني Sakyamuni)[٢]، ويظهر جالساً في زهرة اللوتس في حالة تأمل، أو مضجعاً («بوذا النائم»)، أو على هيئة ناسك. وأصبح بوذا ستافا (أي المنتظر) «أفالوكيتسفارا Avalokitesvara يحمل اسم «كوان ـ ين Kuan-yin» [٣]، (وهو لقب ظهر في أساطير التاوية) ـ وكان في الأصل ذكراً، لكنهم يصورونه، في العادة في صورة أنثى هي آلهة الرحمة التي تلتمس الرحمة لمن هم في خطر. وأصبح كيشتجاربها kshitigarbha [٤]، يحمل اسم تي تسانج Ti-Tsong أو بوذا المنتظر الذي يسافر

---

(١) «هوى ـ يوان». كاهن بوذى صينى شهير كوّن جماعة من الرهبان، ومن عامة المتعبدين لعقيدة بوذا أميتبها. وهي الجماعة التى تفرع عنها بعد عدة قرون (في القرنين السادس والسابع) مدرسة «الأرض الطاهرة» التي أصبحت اليوم أكثر صور البوذية شعبية في شرق آسيا. وكان «هوى ـ يوان» في بداية حياته منتميا إلى التاوية ثم انتقل إلى الكونفوشية وأخيرا إهتدى إلى البوذية (المترجم).

(٢) ساكياموني تعنى حرفيا حكيم ساكيامس Sakyas وهو «بوذا جوتاما» التاريخي أو بوذا الأكبر (المترجم).

(٣) كوان ـ ين Kuan-yin هو الصورة الصينية لبوذا المنتظر الرحيم الشفوق الذي عرف في اليابان باسم كانون Kannon ويُنظر إلى هذا المصطلح عادة على أنه الترجمة الحرفية للكلمة السنسكريتية Av-alokites vara التى تعنى «السيد المنتظر» أو «بوذا القادم الذي يتحلى بصفات الرحمة والشفقة (المترجم).

(٤) سنسكريتية معناها الحرفي «رحم الأرض» وهي تشير إلى بوذا المنتظر على نحو ما عُرف في الهند في القرن الرابع الميلادى، ثم أصبح شخصية شعبية في الصين باسم ـ «تي ـ سوانج» وفي اليابان باسم جيزو Jizo وهو مُخلص المضطهدين والمحتقرين، نذر نفسه ألا يوقف نشاطه حتى يخّلص أرواح الموتى الذين حكم عليهم بالبقاء في الجحيم. ولهذا نظروا إليه في الصين على أنه صاحب السيطرة على الجحيم، وكان يضرع إليه المحتقرون، أما في اليابان فقد أصبح جيزو الإله الرحيم الشفوق الذي يهتم بالموتى من الأطفال (المترجم).

عبر الأعراف ليسلم أرواح الملعونين. كما أصبح ميتريا Maitreya يحمل اسم «مي - لو - فو Mi-Lo-Fu »، وهو بوذا المخلص الذي سيعيد إلى الأرض تعاليم بوذا عندما ينسى الناس شريعته.

وعلى الرغم من أن هذه العقائد، ومعها عقائد أخرى، انتشرت منذ القرن الرابع ومابعده، فقد ارتبطت عقيدة أميتبها Amitabha (وهو في اللغة الصينية أومي - تو Omi-To) وعقيدة «كوان - ين» - ارتباطاً وثيقاً بمدرسة الأرض الطاهرة. وألهبت جنة «أميتبها» خيال الصينيين، بنفس الطريقة التي ألهبته بها جنة التاويين أو موطن السحر في جبال كون - لون Kun-Lun[1]، التي كانت موطن الملكة الأم في الغرب.

وتتطلب مدرسة الأرض الطاهرة إيماناً بسيطاً وابتهالات بسيطة من المؤمن المتواضع الذي يرتبط بعمله اليومي، فهو أفقر من أن ينغمس في دراسة الشعائر الدقيقة وممارستها. ولقد كانت هذه المدرسة - بقدر ما تعي الذاكرة الحية أكثر صور البوذية شعبية بين العامة. وما أن حلت سنة ١٠٠٠م حتى جذبت مدرسة شان Ch'an ومدرسة الأرض الطاهرة ولاء الغالبية العظمى من الرهبان الصينيين.

٤٢ - مدرسة «تيان تاي» و«شن - ين»:

أسس شيه يي Chih Yi (٥٣٨ - ٥٩٧م) مدرسة تيان تاي Tien -Tai[2] وهو

---

(١) سلسلة من الجبال تمتد إلى ما يقرب من ١,٦٧٥ ميلا من الاتحاد السوفيتى غربا حتى التبت، وهي تُعَدّ أطول سلسلة جبال في آسيا الوسطى.

(٢) مدرسة «تيان تاى» مدرسة عقلية في الفكر البوذى استمدت اسمها من سلسلة جبال «تيان تاى» في جنوب شرقى الصين حيث كان يعيش مؤسسها ويلقى تعاليمه في القرن السادس، ثم انتقلت إلى اليابان وعرفت باسم «تنادى Tandai» والكتاب المقدس الرئيسى عندها هو «سوترا اللوتس» أو نصوص اللتوتس. وتستند عقيدتها إلى حقيقة ثلاثية هي (١) تفتقر الأشياء جميعا إلى حقيقة أنطولوجية (٢) ومع ذلك فللاشياء وجود مؤقت عابر (٣) الأشياء جميعا موجودات غير حقيقية ومؤقتة في آن معا وكل واحدة من هذه الحقائق تتضمن الأخرى. وكان أول من علّم هذه الحقيقة الثلاثية «هوى - ون Hui-Wen» (٥٥٠ - ٥٧٧). لكن الرئيس الثالث لهذه المدرسة «تشيه يي» هو الذي ينظر إليه على أنه مؤسسها لأنه هو الذي نظّم الشريعة البوذية بطريقة جديدة (المترجم).

تلميذ «هوي ـ سو Hui-su (توفي عام ٥٧٧م) الراهب الذي عمل بهمة للإبقاء على حياة الآداب البـوذية. وكانت تعـاليم «شيه يي» ـ الذي كـان في بداية حيـاته مفسراً وشارحاً للشان Ch'an(١)، تقول إن الخلاص لايكمن في عملية واحدة فحسب، وإنما يكمن في تـوازن دقيق للتـأمل والتركيـز، ودراسـة الكتب المقـدسـة، والنظـام الأخلاقي، ومراسم الطقوس، وهذا الرفض للتطرف، بجانب الدور الذي خصص لدراسة الشريعة المقدسة كانا مبعث جـاذبية خاصة شدت إليها الكونفوشيين. ولقد أخـرجت هذه المدرسـة كثرة من البـاحثين المتمكنين، كما كتب «شيه يي» عـدداً من الشروح والبحـوث عن البـوذيـة جـذبت إليهـا الطبقـات التي دربت على النظـام الكونفوشي بفضل اعتدالها وتنافسها وتفسيرها المنهجي البسيط.

أما المدرسة الثانية فكانت من نوع مختلف أتم الاختلاف، وأعني بها مدرسة «شن يـن» Chen-Yen (مدرسة الكلمة الصادقة) ــ وهي فرقة خرجت من صورة الإيمان المعروفـة باسم البوذيـة التنترية Tentric أو السحـرية. وكـانت تسمى، في بعض الأحيـان، باسم «مـي ـ شيـاو mi-chiao(أي التعـاليم السريـة) بسبب طبيعتهـا المستورة. ويبدأ الخلاص في هذه المدرسة بترسيم من يريد أن يكون مؤمناً للدخول في حلقة معلم يذعن لـه إذعاناً تاماً، ويأخـذ عنه الحقيقة، أو الأسرار والخلاص يعني امتـلاك هذه «الأسرار» التي تلتمـس باستخـدام الـرقي، وتأديـة إيماءات وحركـات صامتة. والتوحد عن طريق التأمل بكثير من آلهة مجمع التنتزيه.

دخلت مدرسـة «شن ـ ين» إلى الصين في القرن الثـامن، وتأسست على مذهب أموجها فاجارا Amoghavajara (٧٠٥ـ٧٧٤م)(٢). وسرعان ما شقت طريقها بعد ذلك من الصين إلى اليابان حيث لايزال لها كثـرة من الأتباع مثل فرقة شنجون (٣)

(١) كلمـة Chan صينية من السنسكـريتية Dhyama التي تعنى التركيز في التأمـل، وهي صورة من بوذية المهـايانا نشأت في الصين، وشددت على أهمية الوعى أو الإدراك الحدسى المبـاشر لطبيعة بوذا، وهي التى انتشرت انتشارا واسعا في العصور الحديثة في اليابان باسم بوذية زن Zen (المترجم).

(٢) راهب بوذى هنـدى وأحد ثـلاثة يُـطلق عليهم اسم «الصـوفيون الأطهار» هـو الذي جلب فـرقة «الكلمة العادقة» البوذية إلى الصين في عهد أسرة تانج Tang (المترجم).

(٣) فرقـة بوذية سريـة كان لها تطور في اليـابان منـذ أن قدمت إلى الصين في القرن التـاسع. وشنجون تعنى الكلمة الصادقة وهي بالصينية «شن ين» ترجمة لكلمة مانترا Mantra السنسكريتية، وهي محاولة للوصـول إلى حكمـة بوذا الأزليـة التى لا يعبّـر عنهـا بكلمات ولا تكـون مـوضـوعا لتعـاليم عـامـة (المترجم).

shingon ، وتخاطب البوذية التنترية الشعور بالأسرار الخفية التي تعود إلى فجر التاريخ ، وقد قدمت للبوذية في الصين شعائر سحرية وألواناً من السحر كانت بالفعل جزءاً من الديانة التاوية .

٤٣ ـ التاوية في عصر الإيمان :

وصلت الكنيسة التاوية إلى ذروتها خلال عصر الإيمان، لاسيما إبان حكم الأسر الست ، ورغم نجاحها في عهد أسرة «سوي Sui وبداية عهد أسرة تانج Tang فإنها بدأت بعد ذلك في الانحدار الطويل البطيء إلى أن وصلت إلى حالة الاحتضار في العصور الحديثة . وقد أصبحت هذه الكنيسة تعارض سياسة العرش مع نهاية أسرة هان Han ، أما بعد القرن الرابع الميلادي فقد تمتعت بحماية البلاط والأسر الكبيرة ، وظهر مشاهير الشعراء من أمثال «تاويان ـ منج Tao Y (٣٧٥ ـ ٤٢٧م)، والفنانين من أمثال الخطاط وانج ـ هس ـ شيه Wang Hsi-chih (٣٢١ـ٣٧٩)، والرسام «كوكاي ـ شيه Ku,kai-Chih (٣٤٤ ـ ٤٠٦م) الذين تأثروا بالتاوية . وخلال حكم أسرة «سوي Sui» وأوائل عهد «أسرة «تانج» نالت هذه الفرقة عطف الإمبراطور بسبب «حجر الفلاسفة»[1] الذي قام الكيمائيون التاويون بإعداده كما أرسل ثاني إمبراطور في أسرة «تانج» نسخة من «تاو ـ تي كنج Tao-Te-Ching»[2] باللغة السنسكريتية إلى أمير أسام Asssam [3]. وأبدى أباطرة أسرة «تانج» الذين تطابق لقبهم مع اسم «لاو ـ تسو» (أعني لي Li) تعاطفاً خاصاً مع التاوية . وحظيت الزعامة الدينية التاوية في عام ٧٤٨م باعتراف رسمي . غير أن التاوية ـ رغم وصولها إلى مستوى التعاطف الرسمي ـ فقدت بعد عصر الإيمان شعبيتها التي نالتها بين الجماهير، وتقلصت تدريجياً حتى أصبحت ديانة للرهبان والمشعوذين .

واشتبك البوذيون والتاويون في صراع عنيف، خلال عصر الإيمان للاستحواذ

---

(١) مادة كان قدماء الكيمائيين يعتقدون أنها قادرة على تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب (المترجم) .

(٢) مجموعة من الكتابات الصينية الكلاسيكية وهى تعنى «الطريق إلى القوة» وكانت تسمى قبل ذلك كتابات «لاو ـ تسو» على اعتقاد أنها من تأليفه ، وهى ترسم طريقا في الحياة لاستعادة الانسجام والسكينة في المملكة التى فرقتها الاضطرابات (المترجم) .

(٣) ولاية هندية تقع شمال شرق الهند على حدود بنجالاديش (المترجم) .

على أرواح الصينيين، فقد وجد التـاويون صعوبة في أن يغفـروا للبوذيين أنهم سحبوا منهم أتباعهم بهذه الأعـداد الغفيرة، وأحنق البوذيين، من ناحية أخـرى، أن يوصم دينهم بأنه ليس سوى صورة أجنبية من التاوية، ونشب جدل عنيف حول ما إذا كان بوذا هو معلم «لاو ـ تسو» أو تلميذه.

وكلما غلب الطابع الصيني على البوذية غلبت عليها كـذلك، بطريقة ما، الروح التاوية. غير أن التاوية بدورها، استمدت خلال تطورها الكثير من البوذية.

٤٤ ـ الكونفوشية الجديدة :

لم تفقد الكونفوشية أبداً سيطرتها على المثقفين وأهل الفكر Literati رغم انشغالهم «بـالتعليم المظلم» خـلال عصر الإيمان، وبقيت شريعتها، بـالنسبـة للمثقف تمثل جوهر الثقافة الصينية، كما استمرت دراسة الكلاسيكيات الكونفوشية بعد أن اعترف بها القصر الإمبراطوري رسمياً في عهد أسرة هان. وفي القرن الثاني الميلادي كتب «ما ـ جنـــج Ma-Jung»، و«شنج ــ هسـوان» Cheng-Hsuan»، شروحـاً على هــذه الكلاسيكيات، وبـذلك بدأ تراث من البحث المدقق لتفسير أفكار «كـونفوشيوس» ودراستها لتكـون أفضل وسيلـة لنشر أفكار كونفـوشيوس ــ وفي القرن السـابع كتب «كـونج ينج ـــ تـا Kung Ying-Ta» شروحـاً أوسع انبثقت عنهـا تدريجيـاً وحـدة الكونفـوشية، فـاعتبر كل كتاب من كتب الشريعـة الكلاسيكيـة مظهراً من مظـاهر التعاليم الكلية الموحدة. وعندما درب المثقفـون على هذا النحو، كتبوا تواريخ الصين وهو تراث بدأ من أسرة هان وظل يتدعم أسرة بعد أسرة حتى القرن الحالي. ومع عودة الوحدة في عهد أسرتي «سوي وتانج» ورغم افتتـان بعض الحكام بالتاوية أو البوذية ـ فإن الكونفوشية أكدت تأثيرها بوصفها التراث الكلاسيكي للطبقات المثقفة. وكانت أعمال الإدارة الواسعة النطـاق تتطلب موظفين مدربين على الكونفـوشية لا أصحاب إيمان بوذي أو تاوي.

حافظت النخبـة الكونفوشيـة الموجودة في بلاط الأبـاطرة، حتى في عصر الإيمان وبصورة أشد في الفترة التـي تلته، على معارضتها الشـابتة المستمرة للبوذيـة والتاوية، ونظرت إلى البوذية على أنها ديانـة أجنبية، واعتبرتها غير وطنية منذ عصر أسرة «تانج»

ومابعدها، أما التاوية فقد كانت خصماً للكونفوشية منذ العصور الكلاسيكية. غير أن الكونفوشية بغض النظر عن أخلاقها الاجتماعية فشلت في تلبية المطالب الدينية، كما فشلت في التصدي بصورة مقنعة للتحدي الذي كان الفكر البوذي والهندي قادراً على مواجهتها به.

وتغير ذلك كله في عهد أسرة «سونج Sung» خلال القرن الحادي عشر الميلادي، حيث ازدهرت الدراسات الكونفوشية بصفة خاصة، كما عقد العزم على خطة إصلاح ذي طابع قومي خاص، وقد شرع فلاسفتها، بصفة عامة، من أمثال «شاويونج Chao Ying»[(١)]، و«شو تون ـ آي Chou-Thun-i»[(٢)]، والأخوين «تشنج Ch'eng»[(٣)] ـ في استخراج كل منظم من الكونفوشية ـ تحت ضغط تحدي البوذية والتاوية ـ يُعبر للمثقفين عن أفكار تدور حـــول الجنس البشري، والكون. ثم اكتمل هـذا الفكـر النظـري في صورة نهائيـة على يد شخصيـة عظيمة هي «تشـو هسي Chu-Hsi (١١٣٠ ـ ١٢٠٠م)»[(٤)]. وأصبحت الكونفوشية الجديدة بعد وفاته العقيدة الرسمية للـدولة، وظلت كذلك على مدى الزمن الذي تعيه الذاكرة الحية.

---

(١) شاو يونج (١٠١١ ــ ١٠٧٧) فيلسـوف صيني كان لـه أثـر كبير في تطـوير الجانب المثالي من الكونفوشية الجديدة. ويقال أن أبحاثه في الـرياضة أثرت في الفيلسوف الألماني ليبنتز. انتمى في بداية حياته إلى التاوية، ورفض جميع المناصب الحكومية، مفضـلا الاعتزال في صومعة متواضعة قرب مدينة «لويـانج» يناقش الأصدقاء ويعكف على النظـر الصوفي. ثم اهتم بالكـونفوشية من خلال دراسـاته للكتابات الكلاسيكية الكونفوشية. فطـوّر نظرياتها على نحو رياضى عندما ذهب إلى أن الاعداد هى أساس الوجود كله (المترجم).

(٢) «شوتون ــ آى» (١٠١٧ — ١٠٧٣) فيلسوف صينى يُـعّد من المبشرين بالكونفـوشية الجديدة، وهو المذهب الـذى أصبحت أفكاره الأخلاقية والميتفـافيزيقية ممثلة للفكـر الصينى لما يقرب من ألف عام (المترجم).

(٣) «الأخوان شنج» ـ هما «شنج هاو Cheng Hao» «وشنج آي Cheng I» ولد الأول في مدينة لويانج عام ١٠٣٢ وتوفي بها عام ١٠٨٥. ولـد الثانى عام ١٠٣٣ وتوفى ١١٠٧. وقد عمـلا معا على تطوير الكـونفوشيـة الجديـدة في صورة مـدرسـة فلسفية منظمـة. وعلى الـرغم من أن فلسفتهما تكاد تكـون واحدة، فإن الأول أثـر في الجانب المثالى من الكونفوشيـة الجديدة، في حين كان للثانى أثـره في تطوير مدرسة عقلية تلخصها حكمته الشهيرة «المبدأ واحد، لكن تجلياته متعددة» (المترجم).

(٤) شـوهسى (١١٣٠ ــ ١٢٠٠) أعظم الفـلاسفـة الصينيين أثـرا طـوال ألف عـام حيث سـادت الكونفوشية الجديدة التى طوَّرها وسيطرت على الحياة العقلية في الصين ثم امتد أثرها إلى كوريا واليابان ولا بد من دراسة شروحه للكتابات الكلاسيكيـة الصينية لكل من أراد أن يعرف الكونفوشية الجديدة، فقد كـان فقيها وعـالما وشارحـا! أكمل في عام ١١٨٩ شروحه الأربعـة للنصوص الكـونفوشيـة، وقد عرفت هذه الشروح باسم «الكتب الأربعة للكونفوشية الجديدة». (المترجم).

ولهذا أطلق على شوهسي» لقب «توما الأكويني»[1] الكونفوشية.

من الصعب تلخيص الكونفوشية الجديدة. ويمكن القول كما جاء في كلمات شو هسي أنها تذهب إلى «أنه يوجد في أي عقل بشري ملكة للمعرفة، كما يوجد في أي شيء مبرر وجوده. ويرجع نقص معرفتنا إلى عدم كفاية بحثنا عن علة كل شيء، ولابد للطالب أن يذهب إلى جميع الأشياء الموجودة تحت قبة السماء، بادئاً من المبادىء المعروفة، وساعياً للوصول إلى أسمى المبادىء، وبعد بذل الجهد الكافي ـ يأتي اليوم الذي يصبح فيه كل شيء واضحاً ومفهوماً. تلك هي كونفوشية «شوهسي» التي أصبحت رسمياً، منذ القرن الثالث عشر، وحتى القرن العشرين، موضوع الإيمان عند معظم المثقفين الصينيين.

وبانتصار الكونفوشية الجديدة التي وضعت نظاماً رسمياً للتعليم أصبح الأساس المشترك للإيمان عند الطبقة المثقفة، انهارت التاوية والبوذية تدريجياً، وأصبح جانب كبير من فكرهما جزءاً من روح الشعب الصيني وفقدا طابعهما المميز.

٤٥ ـ الديانات الصغرى:

تمثلت ثقافة الشعب الصيني تمثلاً تاماً كلاً من التاوية وهي الديانة الأصلية للبلاد، والبوذية، وهي الديانة القادمة من الهند، أما الديانات الأخرى التي دخلت الصين فقد لاقت نجاحاً أقـــل. فقد جاءت إليها المسيحية النسطورية[2]، في القرن السابع الميلادي، وبعدها بقليل «المانوية»[3] وكذلك «المزدكية Mazda

(١) القديس توما الا كوينى (١٢٢٥ ــ ١٢٧٤) فيلسوف ولا هوتى إيطالى، ومن أشهر وأهم ممثلى الفكر الكاثوليكى، يلقب باسم «الدكتور الملائكى» دلالة على صفاء ذهنه. كتب «الخلاصة اللاهوتية» وهى عرض شامل للعقيدة المسيحية و«الخلاصة ضد الأمم» وهى دفاع عن المسيحية ضد اليهود (المترجم).

(٢) نسبة إلى نسطورس بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس الميلادى، وقد ذهب إلى أن الطبيعتين الإلهية والبشرية ظلتا منفصلتين في المسيح ـ وألف مذهبا أثار الكثير من الجدل بين الكنائس المسيحية (المترجم).

(٣) مذهب المانوية هو ديانة مانى بن فاتك الفارسى، وقد ظهرت في القرن الثالث الميلادى وانتشرت في أنحاء الإمبراطورية الرومانية وآسيا تأثرت بالزرادشتية فقالت بالهين أحدهما للنور والآخر للظلمة ـ أو الخير والشر ـ وأنّ الصراع قائم بينهما (المترجم).

ism[٤]، والإسلام واليهودية بوصفها ديانة التجار الأجانب خلال عهد أسرة «تانج Tang» وازدهر الإسلام في عهد أسرة «يوان Yuan» لاسيما بين القادة المسلمين في جيش المغول. ويوجد المسلمون اليوم في الصين على هيئة جماعات متفرقة، وإن كانوا يوجدون بأعداد كبيرة في أقصى الغرب وفي الشمال الغربي. لم تطبع واحدة من هذه الديانات ا لحياة الصينية بطابعها على نحو جاد وحتى الإرساليات الهائلة التي بعثت بها الكنيسة المسيحية إلى الصين في القرون الثلاثة الأخيرة، عادت بنتائج مخيبة للآمال من وجهة النظر الدينية. غير أن النشاط التبشيري تحالف ــ تحالفاً وثيقاً مع المشروعات التعليمية، ففعل الشيء الكثير في نقل الثقافة الغربية إلى الصين، لكنها جاءت في وقت كان الغرب نفسه يزداد فيه اتجاهاً نحو النزعة الدنيوية، كما أن أثر التبشير في الطبقات المثقفة في الصين، وهي نفسها الوارثة للتراث الدنيوي للكونفوشيه الجديدة ـ كان في الثقافة الدنيوية أكبر بكثير من أثره في الأفكار الدينية.

٤٦ ـ تحت السيطرة الشيوعية :

وقع الجزء الأكبر من بلاد الصين تحت السيطرة الشيوعية عام ١٩٤٩م، وشن هذا المذهب حملات عنيفة ضد جماعات دينية معينة بوصفها «مناهضة للثورة». غير أن الديانة الشعبية قد وجدت بين الصينيين منذ زمن سحيق، مغزولة في نسيج الممارسات الاجتماعية، بين جماعات الأقارب، والجماعات الاجتماعية والاقتصادية والمجتمعات المحلية. يشهد على ذلك وجود هياكل الأسلاف المحلية المنتشرة في أرجاء الصين، في كل قرية، وفي كل نجع، وهياكل الآلهة المحلية، والأبطال المحليين ومعابد يتولى شؤونها رهبان البوذية والتاوية ومعبد كونفوشي، وعلى نحو أكثر تكراراً معابد مجمع الآلهة المشترك الذي يشمل عناصر من جميع الديانات، ويكشف في بعض الأحيان عن نزعة تلفيقية تتحدى أي تحليل. ولقد هاجمت الحركات الثورية، منذ بداية القرن الحالي، الديانة الشعبية فيما سمي باسم حركة القضاء على الخرافة، غير أن المعابد والهياكل ظلت باقية، في بعض الأحيان في حالة سيئة، لكنها تقف شاهداً حياً على الحضور الشامل للديانة الشعبية على مدى الزمن

(٤) هي نفسها الديانة الزرادشتية ويطلق عليها أحيانا اسم «المزدية» نسبة إلى أهورا مزدا إله الخير في هذه الديانة (المترجم).

الذي تعيه الذاكرة .

كان للكنائس البوذية والتـاوية ، في ذروة مجدها ، تنظيم حقيقي ، ونخبة واضحة من الأتباع . ولم يكن للديانة الشعبية شيء من ذلك . وبعـد انهيار البوذية والتاوية ، وهي عملية بطيئـة استمرت منذ القرن الثـالث عشر وما بعده حـافظت جماعات من الرهبـان في مراكـز منعزلـة حافظت على إيمانها بشيء من نقـائه الأول ولاتزال آثـارها باقية . غير أن السيطرة الشعبية الكبيرة لهذه الـديانات على جماهير الشعب سرعان ما انهارت ، وإن كـانت الـديـانـة الشعبيـة قـد امتصت الكثير من العنـاصر البـوذيـة والتاوية .

ومن الغـريب أننا لانعـرف إلا أقل القليل عن هـذه الديـانة الشعبيـة ، رغم أن عناصر منهـا لاتزال بـاقية في كل جماعـة صينية ، ولقـد اتجهت أنظار البـاحثين نحو ديانات الطبقـات البارزة ، وسجلوها في كتـاباتهم قرناً بعـد قرن واستنتج بعضهم من النزعة الدنيـوية الكونفوشية ، ومن مصير كنائس التاويـة والبوذية أن الصينيين ليسوا متدينين على نحو متميز. ولكن المعتقدات والممارسـات الدينية بين الناس ، رغم سوء تنظيمها قد وجدت منذ عصور سحيقة .

٤٧ ـ التسامح (بقلم المحرر) :

بعد وفاة ماوتسي تونج عام ١٩٧٦ ظهرت اتجاهات أكثر تسامحاً نحو الدين الذي عانى من الكبت خلال ثورته الثقافية . وفي عام ١٩٨٠ أعيد إصلاح أكبر معبد تاوي في بكين على نفقة الحكـومة ، جنباً إلى جنب مع إصـلاح مجموعة من المعابـد والأديرة البوذية . وظل «الدلاي لاما» (١) في منفاه في التبت في الهند ، ولكن أعيد افتتـاح قصر بوتالا في لهاسا أمام البوذيين الوافدين من التبت ، كما سُمح لبعض الحجاج بزيارته . كذلـك سمحت الحكومـة بإعادة فتح بعض المسـاجد والكنـائس العامـة . وفي عام ١٩٨١م اقترحت الجريدة الرسمية «صحيفـة العلم الأحمر» شيئاً من الدعم ، وبعض

(١) الدلاى لاما هـو الزعيم الروحى للبوذية الـلامية في التبت ، ويقع في عاصمتها لهاسا قصر بوتالا وهو المركز الرئيسى للدلاى لاما . ولما استولى الشيـوعيون الصينيون على التبت حرموه من معظم حقوقه عام ١٩٥٠ (وكان قـد جلس على عرش بلاده منـذ ٢٢ فبراير ١٩٤٠) فاضطر إلى مغـادرة بلاده عام ١٩٥٩ وأقام حكومة بالمنفى في الهند (المترجم) .

المعارضة في آن معاً، للحرية الدينية عندما قالت «هناك في الوقت الحالي عدد كبير من الناس في الصين يؤمنون بالدين، ولابد لنا من احترام الحقيقة الموضوعية .



الفصل العاشر
«اليابان»

تُقدّم لنا اليابان خليطا من التراث الديني يشبه ذلك الخليط الذي وجدناه في الصين، رغم أن «الخلطة» مختلفة. فالديانة الرئيسية في الحقبة التاريخية هي البوذية غير منازع، وان كان التاريخ المكتوب لليابان لايبدأ إلا في القرن الخامس للميلاد. لكن البوذية، حتى في هذه الحالة، تعكس ـ كما سيتضح فيما بعد ـ صورتها الصينية المركبة التي تلاءمت إلى حد كبير مع روح الشنتو Shinto[١]، وهي أقدم تراث ديني في اليابان.

وخلال العصر الحجري، كان السكان الذين يعيشون في الجزر اليابانية الأربع الرئيسية، إلى حد كبير ،من أرومة الأينو Ainu[٢] ويبدو أن ديانتهم التي كانت تشمل التضحية بالدم والطقوس الفظة، لم تؤثر في اليابانيين الغزاة الذين دخلوا البلاد في وقت واحد ـ من كوريا وسيبيريا في الشمال، ومن جزر المحيط الهادي في الجنوب. وكانت قبيلة ياماتو Yamato ـ التي كُتِبت لها السيادة فيما بعد، ونشأت قبل الأسرة الإمبراطورية ـ تنتمي إلى جماعة الغزاة الجنوبيين.

وأقدم ما في حوزتنا من وثائق كتاب «كوجيكي Kojiki[٣]» (أي سجلات الآثار القديمة) الذي كُتب عام ٧١٢ ميلادية، وهو مكتوب بأحرف صينية تصور بالألفاظ

(١) الشنتو : مجموعة المعتقدات الدينية الأصلية في اليابان، والمعتقد الرئيسي فيها هو الإيمان بالقوى الغامضة المسماة «بالكامي»، وتوجد في أشكال منوعة انظر الهامش الخاص بها. (المترجم).

(٢) الأينيون هم العنصر البدائي الأبيض الذي وفد إلى اليابان من منطقة نهر أمور في العصر الحجري ثم جاء عنصر أصفر مغولي من كوريا في نحو القرن السابع قبل الميلاد (المترجم).

(٣)كتاب «كوجيكي» أو «سجلات الآثار القديمة» مصدر هام موجز للعادات والطقوس والممارسات السحرية في اليابان، ويشمل على حكايات وأساطير، وأحداث من البلاط الإمبراطوري من أقدم العصور، وهو مكتوب بلغة شبه صينية، وقد ترجم إلى الإنجليزية لأول مرة عام ١٨٨٢ (المترجم).

الصوتية للسكـان الأصليين، وكتاب «نيهو نجى Nihongi»[1] (الأحداث التاريخية لليابـان) وهو وثيقـة كُتبت باللغـة الصينية عام ٧٢٠ ميـلادية، ويستهـدف عرض تاريخ اليابـان من بدايته حتى عام ٦٩٧م. والكتاب الأخير متأثـر بالتأكيد الصيني على الخط الإمبراطوري، كما يسعى لإثبات قـدم اليابان، وعراقـة أسرتها الإمبراطورية بصفة خـاصة في آن واحد، ويـوحي الكتابان بأن لليـابان رسالـة إلهية على الأرض، وبهذا ينتقـلان في سهولـة ويسر من الأسطورة إلى التـاريخ، وهما يعـرضان الأسـاطير الخالصة كما لو كانت تاريخًا يمكن إثباته. ويفسح عصر كامي Kami (الذي بدأ مع ظهور الكون من العماء) ـ المجـال لعصر التاريخ البشري، عندما هبط ننجي Ningi حفيدإلهة الشمس كامي (أماتيراسو ـ أو ـ ميكامي Amaterasu - o - Mikomi إلى الممالك الـدنيـا، وأصبح حفيـدهـا العظيم جيمـو Jimu أول إمبراطـور لليـابـان الموحدة.

والتـاريخ الـذي تؤرخ بـه هـذه الحادثـة هو عـام ٦٦٠ ق. م، غير أن المؤرخين يصعب عليهم قبول هذه الـدقة في فترة تمتد ألف سنة قبل ظهور الكتابـة، كما أننا لو قارنا هذا التاريخ بالسجلات العينية لوجدنا أن قبيلة ياماتو Yamato لم تظهر بحيث يكون لها أهمية إلا في القرن الأول قبل الميلاد (بل بعد ذلك) ولذلك يعتقد المؤرخون أن توحيد البلاد لم يكتمل إلا بعد هذا التاريخ بنحو ستمائة أو سبعمائة سنة. ويظهر من الوثـائق العينية أن السلطـة كانت في يـد الحكام من النسـاء اللائي عملـن في وظيفة الشـامـان أو الـوسيطـات، وبـذلك احتفظن في شخصهن بـالـوحـدة الملكيـة (أو السياسيـة)، وبوظيفـة الكاهـن (أو الوظيفية الـدينية) التـي قام بها الإمبراطـور بعد ذلك.

ويُعـدّ كتـابـا «كـوجيكي» و«ينهـونجي» مصـدرين قيمين لمختلف الأسـاطير

(١) كتاب «نيمونجي» ومعناهـا الحرفي «الأحداث التاريخية لليابان» يـؤلف مع الكتاب السابق، أول سجل مكتوب لليابان، وللنصوص المقدسة لديانة الشنتو، وهو يتألف من ثلاثين فصلا تغطي تاريخ اليابـان كله منذ بدايـة العالم حتى عام ٦٩٧م ويتنـاول الجزء الأول منه كثرة من الأساطير والحكـايات الخرافية عن اليابـان القديمة، وهو مصدر هـام لفكر الشنتو. أما الفصول الأخيرة فهي تـروي أحداثا تاريخية وسياسيـة أكثر دقة، كما تتحدث عن العشائر والأسرة الإمبراطورية. وقـد كتب الكتاب باللغة الصينية، وهو يعكس أثر الحضـارة الصينية المبكرة على اليابان (المترجم).

القديمة، أما كتاب «إنجيشيكي Engishki»[1]، (قـوانين فترة إنجي Engi) الذي يـرجع تاريخه إلى عـام ٩٢٧م، فهـو يشمل النوريتـو Norito القـديمـة (طقـوس الصلوات) التي كانت تستخدمها عائلات الكهنة[2].

١ـ تفاعل الأفكار البوذية والشنتوية:

عندما نصل إلى مرحلة دخول البوذية إلى اليابان في القرن السادس، فإننا نستطيع أن نعتمـد على وثائق مكتـوبة، كما نستطيع أن نـلاحظ، لا التنـوع الطائفي الـواسع فحسب الذي تتميز به فعلا المهايانا البوذية، بل كذلك اندماج ديانات هند ـ صينية جديدة مع التراث الديني القديم في اليابـان، وظهور أشكال توفيقية جديدة. بل إنّ الفرق البوذية الأقدم عهدا اتخذت بعداً جديداً على أرض اليابان، وفي خلفية الصراع الإقطاعي، ازدهـرت الثقافـة البوذية ازدهـارا كبيرا وتفريعـات كثيرة للفرق أصبحت ملحوظة في القرن الثالث عشر.

وقـد استمر التفـاعل بين الأفكـار البوذيـة والشنتـوية، وتعمـق الوعي الـديني القومي، بظهـور الأوربيين عام ١٥٤٩ عنـدما سعى فـرانسيس إكسافير F.Xavier لإدخال المسيحيـة لأول مرة إلى اليـابان [3]. وقد مكّنت الخصـومات الإقطـاعية البعثات التبشيرية المسيحيةمن التقـدم، فبلغ عدد المهتدين أكثر من ثلثمائة ألف مع نهاية القرن. غير أن التشريع المعادي للمسيحية أولا، وهو المسمى بتشريع هيديوشى

---

(١) تعني حرفيا، «مدونة فترة إنجي»، وهي مجموعة من القـواعد الإدارية الدقيقة التي سادت اليابان في فترة قانـون العقوبات الإداري من القـرن السابع حتى القرن التـاسع وأهملت المدونة وأصبح يعمل بها في المحاكم عام ١٩٦٧، وتُعد الأجزاء الأولى منها مصدراً هاما لطقوس وشعائر ديانة شنتو القديمة (المترجم).

(٢) النـوريتـو Norito أي الكلمات التي يتوجـه بها المؤمنون إلى اللـه في صلواتهم في عبـادة الشنتو القديمة. وكـان الاعتقاد السائد هو أن فـاعلية الصلاة تعتمد على قـوة الكلمات فالكلمات الجميلة، والمناسبة تجلب الخير، أمـا الكلمات الفظة القبيحة فإنها تجلب الشر، والتالي فإن «النـوريتو» يتألف من مجموعة من الكلمات الجميلة الأنيقة على غرار لغة كتاب «إنجيشيكي» (المترجم).

(٣) هو القديس فرانسيس إكسافير (١٥٠٦ـ ١٥٥٢)، وهو مبشر أسباني قام على رأس بعثة تبشيرية تتألف من سبعة من الجزويت بـالعمل على إدخال المسيحية إلى الهند التي وصلهـا عام ١٥٤٢ وحقق نجاحا مذهـلا بعد ثلاث سنوات، وافتتح مركزا لتدريب القســاوسة ثم وصل إلى اليابان في أغسطس عام ١٥٤٩ وعاد إلى الهند عام ١٥٥١ ومات وهو ينتظر دخول الصين (المترجم).

Hideyoshi[1] ويرجع لعام ٥٩٧، ثم سياسة أسرة «توكوجاوا Tokugawas[2]»، الأكثر صراحة وعداء (منذ عام ١٦١٢) ــ أديا إلى عزلة اليابان وردتها إلى الأنماط القديمة ـ وهي عزلة استمرت حتى عام ١٨٥٣ عندما بدأ رجوع الأوربيين إلى اليابان ثم استئناف البعثات التبشيرية المسيحية في عام ١٨٥٩، إلى أن تم إلغاء التشريع المعادي للمسيحية عام ١٨٧٣ .

٢ـ وضع الشنتو :

كانت الحرية الدينية من بين ما كفله الدستور الجديد على النمط الغربي لعام ١٨٨٩، لكن ذلك لم يكن يعني غير السماح الصوري للمسيحية بتنظيم نفسها جنبا إلى جنب مع البوذية والشنتوية. والحركات الدينية اليابانية الأخرى التي نشأ عدد منها في أوائل القرن التاسع عشر، كان لايزال عليها أن تزدهر تحت مظلة الشنتوية أو البوذية، وأن تسجل نفسها بوصفها فرقاً بوذية أو شنتوية، غير أن المرسوم الإمبراطوري للتعليم الذي صدر عام ١٨٩٠ ــ واستغل في تلك الفترة، أساطير الشنتوية وأخلاق الكونفوشية ـ أدخل ذلك الجانب الرسمي من الشنتوية الذي يُعرف أحيانا باسم التيمويةTemoism (من تيمو Temo التي تعني «الملك السماوي، وأصبحت لقبا للإمبراطور). وبناء على هذه العقيدة الجديدة أعلن أن

(١) الإمبراطور «تويتومي هديوشي Toyotomi Hideyoshi (١٥٣٧ـ١٥٩٨) هو الذي أكمل وحدة اليابان في القرن السادس عشر. ولقد أصدر هذا الإمبراطور أمرا للبعثة التبشيرية المسيحية بمغادرة البلاد خلال عشرين يوما: «وعلى من يعصى الأمر تقع عليه عقوبة الإعدام. . ذلك لأنهم أرغموا الناس على اعتناق المسيحية، بل ذهبت بهم الجرأة إلى تحطيم معابد الآلهة القديمة. على حد ماجاء بالمرسوم الإمبراطوري (المترجم).

(٢)أسرة من الشوجن Shogun (أي الحكام) العسكريين أسسها اياسو توكوجاوا (١٥٤٣ـ١٦١٦) بعد أن ظفر لنفسه بالسلطات بقوة السلاح. وقد استشاط غضبا عندما عرف أن المبشرين المسيحيين كانوا أحيانا يستخدمون طلائع للفاتحين، فأمر سنة ١٦١٤ بتحريم العبادة المسيحية أو التبشير بها في اليابان. وطالب المعتنقين لهذه الديانة: إما أن يغادروا البلاد وأما أن يرتدوا عن عقيدتهم. وعندما مات تولى ابنه «هيديتاما توكوجاوا» (١٥٧٩ـ ١٦٣٢) فاحكم قبضته على البلاد وواصل سياسة أبيه تجاه المسيحية، وشهد حكمه موجة وحشية من الاضطهاد الديني كان من أثرها أن محيت المسيحية من اليابان محوا تاما تقريبا. كما اتخذ أولى الخطوات نحو عزلة البلاد وانغلاقها فمنع التجارة أو الاتصال بالدول الأجنبية ـ وباختصار كان عهد هذه الأسرة الديكتاتورية مليئابالأفكار الرجعية المختلفة (المترجم).

الشنتوية الرسمية (أو شنتوية الدولة) ليست عقيدة دينية، وأنها مفروضة على جميع المواطنين اليابانيين، وذلك رغم احتوائها على أساطير الشنتو المعتادة ومراسمها الدينية. وبقى أمام احتلال الحلفاء عام ١٩٤٥ مهمة إزالة الحماية الحكومية للشنتوية، وكان على الدستور الجديد عام ١٩٤٧، أن يضمن الحرية الدينية، مع حق تسجيل الهيئات الدينية المستقلة، ونشر المعتقدات التي تؤمن بها أي هيئة دينية في آن واحد. وبسبب هذه الحرية الجديدة سجلت مئات من الحركات التي كثيراً ما تسمى «ديانات جديدة»، رغم أنها تعكس إلى حد كبير كما سوف نرى، الطابع التلفيقي للديانة الشعبية في اليابان، كما تبرز على السطح كثرة من الأفكار والممارسات التي ظلت موجودة لفترة طويلة داخل تراث الشنتوية والبوذية القديمة. ولقد جلبت المسيحية معها مجموعة من الأفكار الجديدة ولكنها اتجهت، كما حدث مع الكونفوشية في تاريخ سابق إلى تقديم الأساس الأخلاقي الذي لم يمكن ظاهرا باستمرار في الحركتين الدينيتين الأخريين.

ومع ذلك ينبغي علينا أولاً أن نتجه إلى ماضي اليابان ـ أي إلى الشنتوية، لنرى كيف بنى هذا الماضي في الحاضر.

والشنتو Shinto ليست هي نفسها كلمة يابانية، لكنها صيغت في القرن السادس عندما دخلت البوذية إلى البلاد لتعبر عن التراث الديني الأقدم عهدا، وهو «طريق كامي» kami، وكثيراً ما توصف بأنها «عقيدة أصيلة» في اليابان، لا لأن عبادتها ذات النزعة الطبيعية القوية لاتضاهيها عبادة أخرى في أي مكان، بل لإثرائها لروح التدين الياباني المتميز الذي أثر كذلك على صور الإيمان الياباني الأخرى. وتعد سمتها «الحدسية» مظهرا واضحا من مظاهرها، مع تشديد على التجربة الدينية أعظم من الاستدلال من مبادىء لاهوتية[1]. ونادرا ما يسأل المؤمنون بالشنتوية أسئلة أنطولوجية[2]. بل هم، بالأحرى، يشعرون بحقيقة الكامي Kami وواقعيته، لأن المرور بتجربة مباشرة مع الألوهية والإدراك المرهف للسر الغامض

(١) الطابع الحدسي يعني الإدراك الباطني السريع للحقيقة بغير مقدمات، وهو عكس الاستدلال العقلي الذي يسير خطوة خطوة من المقدمة إلى نتيجتها (المترجم).

(٢) أي أسئلة تتعلق بطبيعة الوجود بصفة عامة مثل: هل هذا الوجود الذي نعيش فيه يتألف من عنصر واحد أو عنصرين أو أكثر؟. وهل هو عنصر روحي أو مادي أو محايد.. إلخ (المترجم).

أكثر أهمية بالنسبة لهم من النظر العقلي لدقائق العقيدة.

٣- معنى الـ كامي Kami [١]:

على الرغم من أن كلمة «كامي» كثيرا ما تترجم «بإلـه» أو «آلهة»، فإن من الأفضل، فيما يبدو أن تظل بغير ترجمة لأنها تقال على الوحوش، والطيور، والنباتات والبحار، والجبال، وظواهر الطبيعة، كالعاصفة والريح والصدى الذي يبث الرعب ويدوي عبر الحلق أو الحدائق، أو تنطبق على أسلاف العشيرة أو المحاربين. وبعد أن أقر أحد فقهاء الشنتو في القرن الثامن عشر - وهو «موتوري نورينجا Motoori Noringga» - بعجزه من فهم معنى هذه الكلمة راح يعرفها، بصورة عامة، بألفاظ مقدسة فيقول «جميع الأشياء، أيا كانت التي تستحق التبجيل وتبعث على الرهبة لأنها فوق المألوف، وكذلك القوى الفائقة التي تملكها تسمى كامي. «ويقول أيضا إنها لاتحتاج أن تكون مرموقة بسبب نبلها الفائق أو خيريتها أو نفعها (اقتبسه و. ج. استون في كتابه «الشنتوية: الديانة القديمة لليابان» ص ٦-٧) ولابد أن الفقيه الشنتوي الحديث سيظل يقول «إن شعب اليابان نفسه ليست لديه فكرة واضحة عن الكامي Kami» - فهو يدرك الكامي، بطريقة «حدسية في أعماق وجدانه»، وهو يتصل به اتصالاً مباشراً دون أن يكوّن فكرة عما هو الكامي من الناحية التصورية أو اللاهوتية. ومن ثم فمن المستحيل أن نوضح ونصرح بما هو في أساسه غامض بحكم طبيعته نفسها (أونو سوكو «طريق الكامي» ص ٨).

ومع ذلك فكلمة «كامي» موجودة في اللغة اليابانية، وهي تعني «فوق» أو «أعلى» وسوف يكون من الحكمة أن نربط بينها وبين المقطع «ka» الذي هو تعبير عن

(١) كامي Kami هو موضوع العبادة في الديانة الشنتوية اليابانية، وكثيراً ماتُفهم الكلمة بأنها تعني «إله» أو «روح» لكنها تشمل قوى أخرى كثيرة في الطبيعة خيّرة وشريرة معا، وأصبحت هذه القوى لتفوقها أو سموها، موضوعا للتوقير والاحترام. فالأرواح الخالقة والأسلاف العظام، والأشياء الحية وغير الحية كالنباتات والطيور والوحوش والأسماك والصخور يمكن أن تكون أمثلة للكامي. ولقد كان الكامي السماوي في الشنتوية المبكرة أكثر سموا من الكامي الأرضي أو يقيم في موضوعات رمزية كالمرآة التي يعبدونه على صورتها في هياكل الشنتو، وتتحدث أساطير الشنتو عن أكثر من «٨٠٠ عشرة آلاف» من الكامي للتعبير عن العدد اللامتناهي، بل تظهر أعداد جديدة من الكامي بصفة مستمرة. (المترجم).

التعجب أو الحيرة التي يثيرها الشيء المخيف، أو مالا يمكن الإحاطة به. وربما يكون مرور الأيام قد جلب معه بعض التنقيح لهذه الفكرة، لكن التنقيح وعدمه يوجدان معا حتى الآن.

٤ ـ تصورات الإلهي :

يشير «بلــلاه Bellah [١] في تحليله العام للـديانة اليابـانية، إلى تصورين من أسـاسيين لما هـو إلهي «التصور الأول أنـه أي «كـائن» فـائق مستغني عن الغـذاء أو الرعاية أو الحب». غير أن هذه النظرة إلى مـاهو إلهي لا تميزه بوضوح عما هو بشرى، فهي تشبه أن تلقى بظلها على مالا يدرك حسيا فتجعله أقرب إلى الوالدين أو الرؤساء السياسيين الذين نعاملهم على أنهم مقدسون على الأقل في جانب من جوانبهم». أما التصور الثاني فهـو أساس الوجود، أو هو الجوهر الـداخلي للواقع. وينتمي إلى هذه المقولة تصور طبيعة بوذا (التي يقـال إنها حاضرة في الكل) وكذلك تأويلات «كامي» التي يغلب عليها الطابع الفلسفي، والتي نشأت نتيجة للتأثير البوذي.

ولقد أثرت الأفكار الكونفوشية عن «التيان Tien» (أي السماء) في نظرة كاتب من كتّـاب القرن السـابع عشر الأخـلاقية إلى الكـامي فكتب يقـول: «عنـدما نقـول إن الكـامي يختلف عما هو غير طـاهر. فإن ذلـك يرادف قـولنا إن شخصـا غير طاهـر القلب يثير استيـاء الكامي. . وسبب ذلك أن الكـامي يجسـد الاستقامـة والأمانـة ـ الجوهريتين. ومن ثم فهو تقدير سماوي يجعلنا نعيش حياة سعيدة وأمينة تنسجم مع إرادة الكامـي». كما أراد كاتب آخـر أن يربط بين كلمة «كـامي» كاجـامي kagami (أي المرآة) «ذلك الموجود في السماء هـو الكامي kami وهو الروح في الطبيعـة، وهو الإخلاص في الإنسان» (الفضيلة الرئيسية في فكر الشنتو).

٥ ـ طقوس الشنتو :

كانت طقوس الشنتـو في البداية بسيطة إلى أقصى حـد، إذ لم تكن تتطلب مباني

(١) روبـرت بلـلا R.bellah ولد عـام ١٩٢٧ عالم اجتماع أمـريكي، ومن أكبر المتخصصين في تراث اليابان والشعوب الأسيوية (المترجم).

خـاصـة، بل تقـام الصلوات، وتـؤدي الطقوس، في هيـاكل طبيعية، تحت شجـرة ساكاكي Sakaki المقدسة مثلا، وهي موجودة الآن داخل كل هيكل في أية ضاحية. ويتلفظ بـالكلمة الإلهية عـن طريق الشـامان وهـو في حالة استحـواذ الكامـي عليه ويعّبر عنها بلفظ كامي ـ جاكاري Kami - gakari أوكانجاكاري kangakari التي كثيرا ما تتجلى في رقصة الـوجد. (ولاتزال خليفة الشامان الأنثى مـوجودة في الهياكل حتى يومنا الراهن، وذلك في أشخاص الميكو Miko[1] وهن مشرفات الهيكل من النساء المسـؤولات عن الكـاجورا kagura وهي الرقصـة الصوفية التي ترمـز عادة إلى تـوحّد المتعبـدين مع كـامي الهيكل). ولم تتطـور بالتـدريج كهـانة نـوعيـة خاصـة فحسب، بل ظهـر كذلك نمط خـاص من بنـاء الهيكل. وليست هناك صـورة تمثل «الكـامي» بل مجرد «شنتـاى Shintai يعبر تعبيرا رمزيا عن الكـامي الذي يمكن أن يكون واحداً من Yaos - Yorozo - No - Kami (حرفياً: ثمانية ملايين كامي) التي تحدث عنها كتابا «كوجيكي» و«نيهونجي».

كانـت العبادة في بـدايتها مسألـة عائليـة خاصـة بشؤون الأسرة لا العشيرة، ولما كـانت العشيرة امتدادا لـلأسرة. فهناك عـدد كبير من الهياكل مخصصـة للـ «يـوجى جــامي Ujigami» (أي كامي العشيرة) وهــي تختص بالمصالــح المشتركة للعشيرة، والقول بأن الجماعة تستمد وحدتها من علاقاتها «باليوجى جامي» بوصفهم «يوجيكو Ujiko» (أي أطفال العشيرة) ـ لابد أن يوحي في الحال بأن «يوجى جامي» يقوم مقام الأب Loco Parentis بالنسبة للجماعـة (أعني أنه ال أويا Oya أو «الأب») كما يوحي بأن طلب الحاجات المادية لـه مغزاه، لأن الأب على استعداد أن يمنح أطفاله هبات سخية. وهيكل «يوجى جـامي» يسمى «هيكل العشيرة» أو هو يسمى أحيانا «هيكل عشيرة كامي».

وعلى الـرغم من أن تنقلات السكـان حطمت روابط الأسرة والعشيرة القديمـة، فلا يزال هناك إحســاس بأن هيكل الجماعة هو بؤرة الهوية الواحـدة، ويحقق عيدها

(١) الميكـــو Miko كاهنـة كانت تلحق بمبعد الشنتـو الياباني، وتقوم بتأديـة الرقصات الـدينية، ومسـاعـدة الكاهن في حفـلات الـزواج، وهي في العـادة فتاة عـذراء تخدم المعبـد من خمس إلى عشر سنوات قبل أن تتزوج. وقـد تكون امرأة تقوم بـدور الوسيط وإبلاغ كلمات الإلّه للنـاس وهي في حالة غيبوبة (المترجم).

تماسك التجمع المحلي، وعندما يـؤخذ الطفل إلى الهيكل لا يتم ذلك لكي يشارك في عبادة عـامة أو ليتلقى تهذيبا، بل لكـي يتعرف ببساطـة على الرابطة الأسـاسية التي تربط بينه وبين جماعته وبين الكامي kami .

٦ ـ هياكل خاصة :

كان تأثير عبـادة الأسلاف يعني، بالطبع، أن الـ «يوجى جـامي» يمكن النظر إليه على أنه السلف الـرئيسي المحلى أو القائد المحلى، ويمكن أن يحدث العكس، إذ يمكن للسلف الفعلي أن يتخذ مكـانة الـ «يـوجى جامي». ويبـدو أن الحالة الأولى كانت هي حالـة الأسرة الإمبراطورية التي كان في يـدها زمام القيادة في عشيرة يـاماتو Yamato فالإمبراطـور لابد أن يكـون كاهن نفسـه في عقيدة «أسرتـه» التي تحولت في تاريخ مبكر إلى «الهيكل الكبير أيس Ise[1] «وأصبح ينظر إلى حارس الأسرة «كامي» بوصفه سلـف الإمبراطور (وقد احتفظ لمدة طويلـة بالنموذج الشامـاني الأقدم عهداً حيث كان يمثل الإمبراطور في الهيكل أميرة من الأسرة الإمبراطورية).

وبالمثل كان هيكل «تيشا Taisha» في إزومو Izumo هو هيكل عشيرة «إزومو[2] كما وصفت العاصفة كامي، و هي «سوزانـو ـ نو ـ ميكوتو Susano - no - Mikoto بأنها مشتبكة في صراع مع «أماتيرا سو . أو. ميكامي» ـ وهي «كامي» عشيرة «ياماتو» وكثيرا ما كان يطلق على منطقة «أزومو «اسم» أرض كامي» إذ كانت هي مركز الديانة

(١) Ise مدينـة أيس على خليج آيس على المحيط الهادي وهي تضم أعظم هيـاكل ديانـة الشنتو وأكثرهـا أهمية وقد شيـد في القرن الثـالث الميلادي، ويتألف من هيكل داخلي وهيكل خـارجي. أما الـداخلي فهو مخصـص لعبادة الآلهة «أمـاتيرا سـو» آلهة الشمس وللجـد الأول في الأسرة الإمبراطوريـة اليـابانيـة، وهو يضم «المرأة المقـدسة» التي هي جـزء من الرمـوز الملكية وتجسيـد للآلهة. أمـا الهيكل الخارجي فقد تأسس في أواخـر القرن الخامس الميـلادي وخصص للآلهة «تويـوك ميكامي Toyouke Mikami إلهة الزراعة وتربية دودة القز. وكان التقليد أن يكون القيم أو الحارس لهذه الهياكل أميرة غير متزوجة (المترجم).

(٢) كانت مـدينة «أزومو» في بدايتها سـوقا تجاريا هامـا للمنتجات الزراعية المحيطـة بها. لكن ترجع شهرتها إلى أنها مركز ديني هام للشنتويه، وفي ضـاحية «تيشا» التي تبعد خمسة أميال في الشمال الغربي يقع أقدم هيكـل لديانـة الشنتو في اليـابان وهـو يجذب الحجاج طـول العام. وهنـاك هياكل كثيرة في منطقـة «أزومو» ، وكـان يعتقـد أن آلهة الشنتـو تجتمع في شهر أكتـوبـر من كل عـام في أحد الهيـاكل الصغيرة ولهذا كانوا يسمون أكتوبر «شهر بلا آلهة» (المترجم).

في اليابان القديمة. وهيكلها هو أقدم هيكل في اليابان. ويقال إنه في شهر أكتوبر من كل عام يجتمع هناك «الكامي» من جميع أنحاء البلاد في لقاء عظيم ويعقدون الزيجات. ولهذا السبب يسمى شهر أكتوبر في «أزومو» كامي ـ أرى ـ زوكي - Kami ani - Zki (أي شهر مع كامي) بينما تتحدث مناطق أخرى عن Kanna Zuki (أي شهر بدون كامي).

تتجه الهياكل، في العادة، نحو الجنوب، وأحياناً نحو الشرق، أما الشمال والغرب فهما مناطق غير محظوظة كما يعتقدون. وعندما يقترب المتعبد من الهيكل فإنه يمر، أو تمر عبر الـ توري Torii (أي بوابة الهيكل)، وربما مرّ عبر مجموعة كاملة من هذه البوابات. وبوابة الهيكل تشبه بوابة أي منزل، وقد تُصنع من الخشب أو الحجر أو البرونز أو حتى من الأسمنت. وكانت الهياكل القديمة تستخدم بوابات من خشب السرو. وكثيرا ماكان يحتفظ بالطابع الطبيعي للشجرة، رغم أننا نلاحظ الأثر البوذي الصيني بعد ذلك في طلاء الثوري (البوابة) والهيكل كله (باللون الأحمر في العادة). وإذا تركنا «الثوري» وجدنا الطريق إلى الهيكل مملوءاً بمصابيح من الحجر تبرع بها المتعبدون. وكان الهيكل في كثير من الأحيان يحرسه كلبان كوريان، أو أسدان صينيان. باستثناء هياكل الأناري Inari[1] (المخصصة «للكامي» حقول الأرز) التي يحرسها تمثال الثعلب الذي اعتقدوا أنه رسول «كامي» وهو كذلك رمز للخصومة التي كانت الهدف من إقامة هياكل أناري.

٧ ـ السلوك المستقيم :

إذا كانت زيارة الهيكل زيارة خاصة سار المتعبد على قدميه بمجرد أن يتخطى «الثوري» الأول (البوابة الأولى)، ولابد أن يغسل يديه وفمه من ماء نبع طبيعي في مجمع الهيكل، أو من حوض الماء المحفور في الصخر، مستخدما أواني يزوده بها

(١) هو الإله الذي يحمي زراعة الأرز في الأساطير اليابانية، وهو أيضا إله الرخاء، وكانوا يصورونه على هيئة رجل ملتح يمتطي ثعلبا أبيض أو امرأة طويلة الشعر تحمل حزم الأرز. وكان الثعلب هو رسول «أناري»، ولهذا توجد تماثيل كثيرة للثعلب داخل الهياكل المخصصة لإله الأرز وخارجها (المترجم).

الهيكل، ثم يصفق المتعبد ـ أو تصفق إن كانت أنثى ــ وهو يحني الرأس إجلالا أثناء تقديم توسلاته. غير أن التوسل يمكن أن يكتب على ورق، ويعلق على إحدى أشجار السكاكي Sakaki المقدسة.

وتتضمن العبادة الرسمية أكثر من ذلك أربعة عناصر هي (١) فعل التطهر (هاراي Harai) بالإضافة إلى الاغتسال، عندما يلَوِّح الكاهن بفرع من شجرة السكاكي (أو بورقة منها) على رأس المتعبد(٢) ثم القربان (شينسن Shinsen) الذي يكون من الحبوب أو الشراب. وإن كانت العادة جرت الآن أن يكون من المال أو قد يكون رمزيا في صورة غصن من شجرة السكاكي. (٣) وطقوس الصلاة norito(٤) الوليمة الرمزية (neorai) دلالة على تناول الطعام مع كامي. وكثيرا ما يشمل العنصر الأخير رشف قطرات قليلة من خمر الأرز (ميكي Miki المقدس الذي كان يقدم في البداية في عيد من أعياد الحصاد) الذي يقدمه الكاهن أو إحدى الكاهنات من الميكو Miko، ويمكن لجماعات المتعبدين أن تطلب أيضا تأدية الرقصة المقدسة للمعبد (كاجورا kagura) التي يوجد منها خمس وثلاثون رقصة تعبّر عن الأساطير القديمة).

وتكاد صلاة نوريتو Norito أن تكون محصورة تقريباً في موضوع المطالب البشرية. وإحدى هذه الصلوات، على سبيل المثال، تضرع للكامي من أجل محصول وفير:

أولا وقبل كل شيء، هناك في حقلك المقدس أيها الإلّه المهيمن،
.. ليت حبة الأرز الأخيرة التي سيحصدونها،
ليت الحبة الأخيرة من الأرز التي ستحصد،
بحبات العرق المتساقط من سواعدهم،
وتشدّ، مع الوحل العالق بالفخذين،
ليت هذه الحبة تزدهر بفضلك أنت،
وتتفتح سنابل الأرز التي تتوق إليها الأيدي الكثيرة.

فتكون أولى الثمرات في الشراب وأعواد النبات.

(د. ل. فليبي : «الصلوات» ص ٢٦ D.L. Philippi : Norito) وكان على الكهنة في كل هيكل إعداد صلوات يرونها ملائمة لكل مناسبة، وظلت هذه العادة قائمة حتى عصر ميجي Meiji[1]، عندما بدأت الدولة تستخدم ديانة الشنتو لأغراض قومية. لكن الدولة قدمت، منذ عام ١٨٧٥، صلوات رسمية تؤدى في الأعيار والطقوس المقررة، ومنذ عام ١٩٤٦ بدأت «جمعية هياكل الشنتو» - التي يرتبط بها أكثر من ٨٠,٠٠٠ هيكل في إعداد الصلوات، وإن تركت للكهنة حرية تأليف صلواتهم الخاصة بهم إذا مارغبوا في ذلك.

٨ - العبادة في المنزل :

جاءت عبادة الشنتو إلى المنزل من خلال «كامي - دانا Kami - dana (أوروف - كامي) أو «الإله على الرف» وهو هيكل المنزل. وكان من المألوف أن توجد فيه تمائم مجلوبة من هيكل «آيس Ise » (وهو الهيكل الذي أصبح هيكلا قوميا كلما توحدت الأمة بوصفها أسرة واحدة مع الإمبراطور الذي يقوم بدور الأب) أي هيكل العشيرة أو الهيكل المحلي. ولابد من تقديم القرابين، كل صباح وكل مساء، لألواح الهيكل وألواح الأسلاف في آن معا. ولابد للمتعبد الورع أن ينحني، بعد مراسم الوضوء، أمام الهيكل ويصفق بيديه مرتين، ثم ينحني مرة أخرى في صمت لمدة دقيقة.

٩ - رموز الشنتو :

تخلو ديانة الشنتو، أساسا، من الصور، أما الرموز فهي وفيرة، وأكثرها شيوعا المرآة التي تربط الأساطير بينها وبين الإلهة «أماتيراسو Amatersu (إلهة الشمس) فهي واحدة من ثلاثة رموز: أما الرمزان الآخران فهما السيف والجوهرة التي وهبتها لحفيدها

١- عصر ميجي في تاريخ اليابان (١٨٦٨-١٩١٢) نسبة إلى الإمبراطور ميجي (١٨٥٢-١٩١٣) الذى تولى عرش اليابان عام ١٨٦٧. وهو عصر تحديث اليابان وإضفاء الطابع الغربي عليها. وفتح الموانىء اليابانية أمام الأجانب. وقد بدأ هذا العصر بالإطاحة بحكم أسرة «توكوجاوا» القديمة التي سبق أن تحدثنا عنها، والتي كانت فترة حكم عسكري رجعي، وبدأت الأفكار الغربية عن الحياة النيابية وحقوق المواطن تدخل اليابان. ومن ثم فهو عصر النهضة اليابانية وخروجها من العصور الوسطى (المترجم).

عندما هبط إلى الأرض، وقد تعلم «ننيجي ـ نو ـ ميكوتو Ninigi - no - mikoto[1] توقيرها وعبادتها بوصفهـا «روحها» ولهذا أصبحت المرآة هي الرمز المقدس في كثير من الهياكل ـ لاسيما في هيكل آيس Ise الكبير.

١٠ ـ أعياد الهيكل :

هناك أنماط كثيرة لأعياد الهيكل، وبغض النظر عن الأعياد الموسمية التي تعكس المجتمع الزراعي، وعن عيد السنة الجديدة، فإنها ترتبط بالتراث وبالظروف المحلية، ويحمل شباب المنطقة أثناء الاحتفال ـ ميكوشي Mikoshi المحمول (المحفة المقدسة للكامي) على أعمـدة طويلة وبمصاحبـة قدر كبير من المرح العفوي. وقـد يستعيد الموكب بعض الأحداث التاريخية، وقد يكـون مجرد إشارة إلى أن «الكامي» موجود مع أتباعه وقد جاء لكي يباركهم.

ولقد ظـلّ هيكل الشنتو مـرادفاً لدولـة الشنتو حتـى عام ١٩٤٥ عندمـا سحب الاعتراف بــه. ولقـد تأسست الأخيرة على فكــرة أن رخـاء الأمــة وسـلامــة البيت الإمبراطوري، وسعـادة الشعب هي نعم إلهية توهـب عندما تتفق سيـاسة البشر مع إرادة الآلهة (جمعية هياكل الشنتـو: المصطلحات الأساسية للشنتـو ص ٣٣) أما مبدأ سايزي اتشي Saisei itchi (حدة الطقوس الدينية والسياسة) فقد استمد من اقتناع ضمني في الشنتوية بأنه لاينبغي للحياة أن تقسم إلى أجزاء، ولا ينبغي أن تكون هناك تميزات حادة بين المقدس والدنيوي.

١١ ـ بدايات البوذية في اليابان:

يبدو أن البوذية دخلت اليابان، لأول مرة عام ٥٣٩ ميلادية، عندما عقد حاكم مملكة كورية صغيرة تحالفا مع حاكم ياماتو Yamato، ولكي يرضيه أرسل إليه تمثالا صغيرا لبوذا، وبعض النصوص البـوذية (السوترا Sutra) التي وصفهـا بأنها «أعظم كنوز» يمكن أن يرسلها إليه. وكانت اليابـان قد تأثرت بالفعل، إلى حد كبير، بالفكر والثقافة الصينية من خلال إدخال النظام الصيني في الكتابة عام ٤٠٥، كما أن عبادة

(١) حفيد إلهة الشمس، ومنه نشأت سلسلة مقدسة من البشر هم كل أباطرة اليابان (المترجم).

الأسلاف الصينية كانت قد أثرت أيضا على مواقف اليابانيين من الماضي، واتحدت مع عناصر السحر التاوى والتنبؤ بالغيب بمعتقدات الشنتو الوطنية.

ربما يكون من الصواب أن نقول إن الفرق البوذية الأولى التي لاتزال ثلاث منها باقية والتي يتألف أعضاؤها من حوالي ١٣٠ ألف عضو، قد أثرت تأثيرا كبيرا على أعضاء الجماعة الذين كانوا على استعداد كامل لقبول ثقافة أجنبية. ولقد كانت فرق نارا Nara أجنبية تماما (وقد سميت بهذا الاسم لأن مدينة نارا كانت هي العاصمة حينئذ [(١)] ولم تبذل إلا أقل الجهد للتكيف مع الثقافة اليابانية أو لتلبية مطالب عامة الناس.

وعلى الرغم من أن دخول البوذية إلى اليابان جاء عن طريق كوريا، فإن استمرار الاتصال كان مع الصين، حيث تكيفت البوذية بالفعل مع صور فكرية من الكونفوشية والتاوية. ومن ثم كان من الطبيعي أن تدخل الصورة الصينية من البوذية إلى اليابان، وهي بوذية المهايانا، حتى وإن امتزجت بعض المدارس بتعاليم «الهنايانا».

عارضت الكهانة الشنتوية، في البداية، بشدة الإيمان الجديد، وعندما انتشر الطاعون نسب الكهنة ذلك إلى أن العبادة اتجهت إلى «كامي» أجنبي، وأدى هذا الاتهام إلى حرق المعابد البوذية، وتحطيم تماثيل بوذا.

غير أن الديانة الجديدة لقيت دعما من دوائر البلاط، فقد أدخل أحد القادة المرموقين في الثورة الثقافية والدينية، وهو الأمير شوتوكو (٥٧٤ ـ ٦٢١) Sho-toku[(٢)] الذي كان وصيا على العرش، دستورا جديداً يقوم على مبادىء البوذية، فأصبحت البوذية من الناحية العملية، بهذا الدستور، ديانة تعترف بها الدولة.

(١) كانت مدينة «نارا» قديما مركزا ثقافيا ودينيا هاما ثم عاصمة لليابان من ٧١٠ إلى ٧٨٤ ويوجد بها أقدم المعابد البوذية التي ترجع إلى القرن السابع الميلادي (المترجم).

(٢) «تايشي شوتوكو Shotoku, Taishi (٥٧٤ ـ ٦٢١) واحد من أعظم الشخصيات اليابانية الحاكمة، عُيّن وصيا على العرش عام ٥٩٣ وظل في هذا المنصب حتى وفاته. لكنه كان مثقفا نشطا عمل على تطوير البوذية والكونفوشية، وأنشأ الكثير من المعابد البوذية من أهمها المعبد الذي أقامه عام ٦٠٧ قرب مدينة «نارا» وأصبح أقدم بناء خشبي في العالم. كما جمع الأحداث التاريخية الهامة في تاريخ اليابان، على غرار ماكان يفعل الصينيون، وألف أول كتاب في تاريخ اليابان، فضلا عن شروحه الدينية الكثيرة (المترجم).

(وظهـر ميل، سواء في ذلك الـوقت أو بعد ذلك إلى التـوحيد بين البـوذية والقـوانين الوطنية، مما جعل الدولة تتكفل بحمايـة الدين، وتنال حق التصديق الديني في وقت واحد. وبنى الأمير «شـوتوكو» المعـابد والأديرة، بـوصفه بوذيا ورعـــــا، كما أظهر سعة اطلاعه وقدرته على البحث عندما نشر شروحا على بعض النصوص المقدسة su-tra[١]. وبجوار المعابد تـوجد علامات واضحة على روح التعاطـف البوذية، فهناك مستوصفات للنـاس وللحيوان، ونُزل للمرضى، واليتـامى، والمسنين، ولايزال معبد «هوريوجي Horyuji» الجميل يقف شاهدا على حماسه الديني[٢].

وقد عقد أحد الكتاب المحدثين مقارنة بين البوذية الأولى وبوذية العصر الحديث فأكد أن البـوذية الـراهنة ترتبط دائما بمعـابد مكتئبة، وبكهنـة يكشفون عن مفـارقة تـاريخيـة[٣]، وبانشاد نصـوص «السوترا» للموتى. . «بينما كانت البوذيـة في أيامها الأولى تمثل حـركة ثقـافية متقـدمة، كما كـانت النصـوص المقدسـة (السوتـرا) تعتبر متقدمـة في فكرهـا في ذلك الوقت، وكذلـك ارتبطت الثورة في الفن والأدب والعمارة والموسيقى والسياسة بالبوذية.

١٢ ـ البوذية الشعبية :

كـانت صورة البـوذيـة التي قبلتها العـامـة، وعلى نطـــاق واسع، هي الصــورة التنتريـة Tantric[٤] التي جعلت لها تأثيرا ظاهراً. لقد كـانت الكتابات المقدسة،

(١) sutra كلمة سنسكريتية تعني حرفيـا «الخيط» ولم يكن فلاسفة الهند الأول يميلون إلى تأليف الكتب، ثم ظهرت حاجة ماسة إلى إعداد شروح دينية موجزة تهدي المؤمنين فظهرت خيوط مرشدة هي السوترا sutra وهي مجموعة النصـوص الموجزة التي أصبحت هامة وأساسيـة في البوذية بغض النظر عن استخدامـاتها الهندوسية. ومن هنا أصبحت كلمة «سوترا» تدل على كتب العقائد أو النصوص الشارحة لها في آن معا (المترجم).

(٢)«أي حماس الأمير» شوتوكو ومعبد هوريوجي هو المعبد الخشبي الذي سبق أن تحدثنا عنه وقد شيده عام ٦٠٧ ـ انظر الهامش السابق (المترجم).

(٣)المفارقـة التاريخيـة Anachronism أن تتحدث عن شيء في غير زمـانه، كأن تتحدث عن السيـارة قديما فتقـول مثـلا ان قيس بن الملـوح كـان يستخـدمهـا في تنقـلاتـه أو أنـه كـان يتحـدث إلى ليلى بـالتليفـون. . (المترجم).

(٤) Tantra سنسكريتيه معناها «خيوط الطيف» وهو اسم عام يطلق على نصوص بعض الفرق الهندوسية والبوذيـة والجينية، وتعمل هذه النصوص على تحريـر المرء من الجهل، والولادة الثانيـة. . . إلخ وهي تشبه نصوص «السوترا» مع فـارق أساسي هو أن «التنترا» وثائق خاصة سريـة لايستخدمها سوى المختصين، في حين أن السوترا نصوص عامة شائعة في متناول الجميع (المترجم).

والتماثيـــــل والمعابد (ولاتزال) لدى الكثيرين وسائل لضمان منافع مادية، سواء في الشفـاء من المرض، أو هطول الأمطـار على حقـول الأرز، أو تحقيق السلام للجماعـة أو الأمـة ككل. وكـانت هنـاك حـاجـة (ولاتـزال) إلى تثبت العقيـدة، وإلى «أتبـاع العلامات» لنشر الإيمان واحتاج الأمر من البـوذية إلى وقت طويل، بلغ سبعة قرون، حتى يستوعبهـا الناس فلا تظهر بعد ذلـك بمظهر الديانة الأجنبيـة. وكان من أيسر الأمور بالنسبـة للغالبية العظمى أن يفهموا الجوانب الثقافية للبـوذية أكثر من فهمهم للجوانب الإيديولوجية والميتافيزيقية الأكثر صعوبة.

١٣ ـ رجال مقدسون :

كان التراث الشاماني في الشنتوية قويـا جدا، كما سبق أن رأينا، فقد شعر الناس أنه يمكن أن تكون لهم علاقة بالقـوى غير المنظورة من خلال توسط الشامان. ورغم أن دخـول البوذيـة إلى اليابـان كان يعني على المستـوى الرسمي، تطـورا واسع المدى لديـانة منظمة، فان التراث غير التقليـدي للقائد الملهم ازداد رسوخـا وسعى «رجال مقـدسون من خـارج المؤسسات الـدينية الـرسميـة إلى تقديم الحيـاة الدينيـة لعامـة الناس.

ويسمى هـؤلاء الرجـال Hijiri (رجال مقـدسون)، وهـم يركـزون كثيراً على أهمية التقـوى الفـرديـة وقـد سـار كثيرون منهـم على نهج النسـاك البـوذيين وأطلق عليهـم أوباسكـو Ubasku (من الكلمة السنسكـريتية Upaseki التي تعني «النـاسك» أو «الساحر»). وأصبح نظـامهم الصارم أساساً لطريقـة شوجندو Shugendo (أي طريقة النسـاك). وكان الاعتقاد السائد هو أن الناسك يستطيع أن يبلغ قـوة سحرية تفوق قوة البشر نتيجة الميـزة التي حصل عليها من خلال ممارساته الـدينية الصارمة. وكان بعض النساك يتنقلون من قرية إلى قرية، ويعملون كشامانين محليين، وارتبطت طريقـة النساك بعبادة الجبـال الشنتوية البدائيـة، ولايزال اليامـابوشي Yamabushi (متسلقـو الجبال) في الأسـاس هم سحـرة الجبال الـذين يسعـون إلى حالـة «الإلهام» (بمعنى حـالة الـوجد الصـوفي) أثناء تسلقهم للجبـال. وأضيف إلى الفكر البـوذي الفكرة التي تقول إن صعود الجبال يوازي الصعود في الطريق ذات الثماني شعب والتي تؤدي إلى الغاية وهي الاستنارة.

كـان جيـوجي Gyogi (٦٧٠ ـ ٧٤٩) واحـــــــداً من النساك المبكرين غير التقليدين، ثم أصبح بوذيـا بدرجة تعادل درجة بطريرك، ومسـؤولا عن تشييد معبد «تـوداييجي»[١]، في مدينة «نـارا» الذي يزدان بتمثال ضخـم لبـوذا «فيروكانا Vai-rocanca»[٢]، ويقال إن معبد آيس Ise أبدى، بهذه المناسبة، استحسانه لتشييد المعبد عـام ٧٤٢م، وسرعان ماتم، بعـد ذلك، تشييد هيكل داخل مجمع المعبـد لـ «هـاشيان Hachman»[٣] وهو «كـامي» الحرب عند الشنتـو. وبترتيب متبادل تم إيداع تمثال بوذا في هيكل المعبد داخل هيكل آيس العظيم. ولقد نظر إلى «جيوجي» حتى أثناء حيـاته على أنـه «بوذا منتظر». وارتبطت صـور الشنتو الأقـدم عهداً، مع خلفائه، بطقـوس السحر البـوذية وشعائرهـا، جنبا إلى جنب مع الخرافـات الشعبية للتاوية.

ترددت في تراث «الرجال المقـدسين» أفكار الاستحواذ على كامي kami أو على بوذا، كما أننا نجد الرجال الأفذاذ أو الملهمين ينتقلون، في بعض الحالات، من جيل إلى جيل داخل الأسر، كما هي الحال مع «يامـابوشي Yamabushi»[٤]، أو كما هـي الحال مع ميكـــو Miko كاهنـة هيكل الشنتو، وقد يعملـون وسطاء بفضل مـوهبة خاصة لديهم.

١٤ ـ تأسيس فرق التنداي Tendai والشنجون Shingon :

سميت فرقـة «التنداي» Tendai على اسم فرقة «تيان تاي Tien Tai» البوذيـة

(١) معبد رئيس ضخم أقيم في مدينة «نـارا» عام ٧٤٥م ثم اكتمل عام ٧٥٢م، ويعد أوسع وأضخم ديـر للبوذيـة في اليابـان، شيدت في وسطـه «قاعـة بوذا الأكبر» على مسـاحة ميلين مـربعين تحيط بها باغـودات ومباني جـانبية، ويقع في القـاعة الـرئيسية المبنـى الخشبي الكبير الذي يتـوسطه تمثـال بوذا الضخم المصنوع من البرونز ويبلغ ارتفاعه أكثر من ٥٣ قدما (حوالي ١٧ مترا) (المترجم).

(٢) فيروكانـا Vairocana كلمة سنسكريتية معناها «المستنير» وهو لقـب كان بوذيو المهايانا في الشرق الأقصى والتبت ونيبال يطلقونه على «بوذا الأكبر» (المترجم).

(٣)«هاشيهان» وتعني باليابانية «الرايـات الثماني» ـ وهو لقب أطلق على أكثر آلهة الشنتو شعبية، وهو الإلـه الـذي يـرعى العشـائر والمحـاربين، بصفـة عـامـة، وكثيراً مـايشـار إليـه على أنـه إلـه الحرب (المترجم).

(٤) يامابوشي ـ تعني حرفياً «الواحد الذي ينـام في الجبال» وهو إله كان يعمل مرشداً للحجاج الذين يقومون بزيارة الجبال المقدسة التي تسكنها آلهة الشنتو (المترجم).

الصينية[1]. وأدخلها الكاهن سيكو Saicho (٧٦٧ ـ ٨٢٢) إلى اليابان، وهو الذي عرف بعد وفاته باسم «دنجيو دايشي Dengyo Daishi». وقد أقام معبدا على منحدرات جبل هياي Hiei قرب مدينة كيوتو kyoto التي أصبحت عاصمة عام ٧٩٨م، وهو المعبد المسمى «أندريا كوجي Engrayakaji» والذي أصبح مركزا للنشاط البوذي في اليابان لمدة ثمانمائة سنة تقريبا، وفي أثناء فترة تأثيره العارم امتلأ منحدر الجبل بالمعابد والرهبان الذين كانوا في استطاعتهم أن يؤثروا كذلك في السياسة عن طريق غزو العاصمة بعصابات مسلحة.

كانت فرقة «التنداي» في جوهرها صورة تلفيقية من البوذية سعت لضم التأويلات المتناقضة في الظاهر في طريق واحد هو طريق الخلاص. وذهبت في أساسها إلى أن الحقيقة أو الواقع واحد، ومع ذلك كان هذا الواحد يمكن أن نعرفه عن طريق ثلاثة آلاف من تجلياته. ومن هنا اشتملت تعاليمها على أسرار غامضة، وعلى عنصر التأمل الذي أكد عليه، فيما بعد، تراث «الزن Zen»[2]، مع فكرة الإيمان ببوذا اميتبها Amitabha الذي بعث حيا في فرقة الأرض الطاهرة في القرن الثالث عشر.

وتقع نصوص اللوتس Lotus Sutra في قلب تعاليم فرقة التنداي بتأكيدها على أهمية الأيكايانا Ekayana (العربة المفردة) التي تلغي، ومع ذلك تشمل، «المركبات» الأخرى سواء أكانت هي المهايانا (المركبة الكبرى) أو الهنايانا (المركبة الصغرى). ولقد كان التأكيد على حقيقة نهائية واحدة (أكيجيتسو Ichijitsu) مشجعا لفرقة التنداي على البحث عن علاقة بالشنتو على أساس الفهم القائم على أن «الكامي»

(١) Tendai مدرسة بوذية هامة دخلت إلى اليابان من الصين، واستمدت اسمها من اسم جبل «تيان تاي» في جنوب شرق الصين الذي كان مركزا لتعاليمها. وقد أسس هذه المدرسة في اليابان الكاهن سيكو عام ٨٠٦ وكان قد سافر إلى الصين معلنا أنه ذاهب صراحة لدراسة تعاليم فرقة سامون Sam-mon، والثانية فرقة جيمون Jimon ويرأسها الراهبان إنين Ennin وإنشين Enchin غير أن الفوارق بينهما لم تكن جوهرية (المترجم).

(٢) Zen تعني حرفيا «التأمل» وهي مدرسة من أهم المدارس البوذية في اليابان، وتزعم أنها تعبر عن جوهر البوذية وروحها عندما تحاول المرور بتجربة الاستنارة التي بلغها «بوذا الأكبر». وقد نشأت هذه المدرسة في الصين في القرن السادس باسم مدرسة شان Chan وهي صورة من صور المهايانا البوذية ثم انتشرت في اليابان منذ القرن الثاني عشر (المترجم).

الياباني تحتل مكانا لها داخل هذه الوحدة النهائية.

١٥ ـ السر في قلب الكون:

أدخل القديس كوكاي kukai (٧٧٤ ـ ٨٣٥)[١] الذي سمى بعد موته بالكوبو دايشي Kobo Daishi فرقة الشنجون (أي الكلمة الطاهرة) البوذية [٢]. وكانت الكلمة السنسكريتية الأصل التي اشتقت منها كلمة شنجون ـ كانت تعني «الصيغة السحرية»، وبهذا يشير الاسم إلى الطابع المستور لهذه الفرقة. ولقد درس كوكاى ـ مثلما فعل سيكو ـ في الصين، وشيد بعد عودته ديرا خاصا به على جبل كويا Koya.

ويكمن السر، طبقاً لتعاليم هذه الفرقة في قلب الكون، وهو سر يُعبَّر عنه بالرموز والشعائر الدينية. ولقد ابتكر «كوكاى» اثنين من الماندالا Mandala[٣] يقدمان تمثالين رمزيين للكون، فيصور أحدهما عالم الأمور أو الحقائق التي لا تفنى ويشير الآخر إلى رحم العالم حيث يكمن صراع الصيرورة والواحدية المثالية التي لم نبلغها بعد.

---

(١) كوكاي Kukai (٧٧٤ ـ ٨٣٥) واحد من أشهر وأحب القديسين البوذيين في اليابان، أسس مدرسة شعبية هي مدرسة شنجون التي تؤمن بالرقى والتمائم والسحر. . . إلخ. كما أسهم مساهمة كبيرة في تطوير الفن والأدب اليابانيين، إذ كان نحاتا ومصورا وأديبا وقديساً في آن واحد! (المترجم).

(٢) شنجون Shingon فرقة بوذية خفية كان لها انتشار ملحوظ في اليابان منذ أن قدمت من الصين في القرن التاسع الميلادي، وتعني كلمة شنجون «الكلمة الصادقة» وهي ترجمة للكلمة السنسكريتية مانترا Mantra. ويمكن أن نعتبرها محاولة لتعليم الحكمة الخالدة لبوذا التي لا يمكن التعبير عنها في كلمات، وبالتالي لم يقلها في تعاليمه المعلنة. وتعتقد هذه المدرسة أن هذه الحكمة يمكن تطويرها وتحقيقها من خلال وسائل شعائرية خاصة تستخدم الجسد، والكلام، والذهن . . . إلخ وذلك مثل استخدام الإيحاءات، والإيماءات الرمزية، والمقاطع الصوتية، والتركيز الذهني (اليوجا) ويستهدف ذلك كله ايقاظ الإحساس المباشر بالحضور الروحي لبوذا الذي يكمن في كل كائن حي (المترجم).

(٣)تعني حرفيا «حلقة أو دائرة» وهو رسم تخطيطي رمزي في تأدية الشعائر المقدسة كأداة للتأمل. وتمثل «الماندالا» أساسا للكون أو منطقة تصلح لمشاهدة الآلهة. ويدخل الإنسان أو العالم الصغير ذهنيا إلى «الماندالا» التي ترمز بصريا إلى العالم الكبير (أو الكون) ويتقدم نحو مركزه. وقد ترسم الماندالا على ورق أو قماش بغرض التأمل كما ترسم على أرض معدة بعناية بخطوط بيضاء أو ملونة. ويبدو أنها قريبة الشبه بكلمة «المندل» العامية(المترجم)

وينظر إلى «كوكـاى» على أنه «بوذا منتظر» وأنـه ممثل «ميتريا» على الأرض[1]: (وهو في اللغة اليابانية ميروكو Miroku) أي بوذا المستقبل. ويعد مذهب «شنجون» أكثر صور البوذية حظاً من التوفيقية للبـوذية. ولقد قيل إن «كوكاي» هو مؤلف ريبو شنتـو Ryobu - Shinto[2]، أو اندماج البـوذية مع الشنتوية الـذي أصبح سمة للحياة الـدينية اليابانيـة. وهكذا ظهرت نظـرية «الهونجي Honji (أي الـوطن)، وسـويجاكـو Suijaku (أي آثـار الأقدام)، التـي أصبح كامي الشنتـو (وكـذلك ساكـاموني نفسه) بناء عليهـا مستمدين من الواقع الميتـافيزيقي النهائي الـذي يمثله الوطن. ولقـد كان المدافعون عن العقيـدتين الشنتوية والبـوذية قادرين على منـاقشة وضع «الكامي» ووضع بوذا على الأرض في مقابل بوذا النهائي (المطلق) وفي مواجهة بعضهم بعضاً.

١٦ ـ بوذية الأرض الطاهرة:

اشتملت تعاليم التنداي بالفعل، كما سبق أن رأينا، على عناصر الإيمان بالأميدا أوالأميتـابها التي لخصت جانب التعـاطف والـرحمة في المهايـان، وأصبحت حركـة قويـة داخل البوذيـة اليابـانية. فقد عنى بجعـل الخلاص في متناول الجميع. ولهذا أكد أنه لكي تصل إلى مرتبة «البوذا» فلا مفر من العون الخارجي (تاريكي Ta-riki) الذي ينفع حيثما يفشل العـون الذاتي جيريكي Jiriki). ويأتي هذا العـون من بوذا أميتابـا (أميدا في اليابانية) أي بوذا صـاحب النور اللا محدود، والحـــياة اللا متناهية، وهـو تجسيد للرحمة ذاتها، ومحب البشر والحمى والملاذ.

(١) Maitreya تعني «بوذا المستقبل» فقد كـان هناك، على مايقول تراث البوذيـة، أكثر من بوذا في الماضي، وسوف يكون هنـاك أكثر من بوذا في المستقبل، وميتريا موجود الآن في الحاضر بـوصفه «بوذا المنتظر» وهو يسكن واحدة من السماوات الست الدنيا التي يسكنها أيضا مجموعة من الآلهة والإلهات، ومعهم يوجد «بوذا» منتظـرا أن يظهر إلى الدنيا ليعلم الناس شريعة بـوذا. وكلمة «ميتريا» مشتقة من السنسكريتيـة التي تعني «الصداقة وهي نفسهـا الكلمة التي تحولت في اليابانيـة إلى ميروكو Miroku (المترجم)

(٢) تعني حرفيـا «وجهان للشنتو» وهـو الاسم الذي يستخدم للتعـايش الياباني بين البـوذية والديـانة الأصلية الشنتـو، وهو يطلق بتخصيص أكثـر على مدرسة تـوفيقية ألفت بين الشنتـو وتعاليم مـدرسة شنجون البوذية (وهي تعرف أيضاً باسم سنجون ـ شنتو) (المترجم).

ولقد قيل إن «أميدا Amida» ليس شخصا آخر غير الراهب «هوزو Hozo»[1] الـذي نذر، منـذ عصور كثيرة مضـت، ألا يدخل مـرحلة «النـزفـانا (أي الانطفـاء والتـلاشي) حتى يصبح من الممكن تعميم مزايـاها على نحـو شامل. ولقـد قيل إن تعـاطفه ورحمتـه التي لا حـد لها هي التي خلقت أرضـا طاهـرة يستطيع كل إنسـان بلـوغهـا بفضل نعمته. ويتم الخلاص مـن خلال تحول المزايـا التي حصل عليهـا، ونذره الثامن عشر يشير إلى إمكان الميلاد في الأرض الطـاهرة من خلال تكرار اسمه. وتذهب فـرقة الجودو Jodo (الأرض الطاهرة) التي أسسهـا أتباع «هونن» إلى ضرورة التوسل باســـــم أميدا « الذي ينبغي تكراره بصفة مستمرة » نامو ـ أميدا ـ بوتسو «(Namu, Amida, Bustu»[2]، فذلك هو الطـريق إلى الأرض الطاهرة. وبغض النظر عن هذا التشديد على النعمة التي يهبها «أميدا» فإن فرقة الجودو Jodo، تشجع الأعمال الصالحة لأنها تساعد العضو المتدين على الدخول إلى «الأرض الطاهرة».

ومع ذلك ذهب شنران Shinran (١١٧٣ ـ ١٢٦٢)[3]، الذي كان تلميذا لـ «هونن» ـ إلى أن ذلك يقيه من «الجيركي Jirki (أي مساعدة الإنسـان لنفسه)، كما ذهب بتأسيسـه لفرقة الجودو سنشـو (أي فرقـة الأرض الطاهـرة الحقة) إلى أن الإيمان سلبيـة كـاملة (أو تقبـل تام)، وعنـده أن رحمة «أميـدا» لاتفـرق بين الشخص الخير والشخص الشريـر[4]. يقول في ذلك «ليس ثمـة شرير يبلغ من القوة حـدا يجعله يتجنب أن يشملـه حب أميدا الـلا متناهي». وعلى حين كـان «هونن» يقـول «حتى الرجل الشريـر سوف يقبل في أرض بوذا، ناهيك عن الـرجل الطيب!»، فإن شنران عكس الفكـرة، فقـال إنه «حتى الـرجل الطيب سـوف يقبل في أرض بـوذا، فكيف بالرجل الشرير»: وهكذا أصبح الإيمان هو الشرط الوحيد للخلاص وطرح جانبا كل جهد أخلاقي.

---

(١) كـاهن بوذي يـاباني هـو الـذي أسس فرقـة «الأرض الطـاهرة» في اليـابان بـاسم «الجودو» Jodo (المترجم).

(٢) أي منشدا باسم بوذا المنتظر (المترجم)

(٣)شنران : فيلسوف بوذي ومصلح ديني أسس مدرسة «جودو شنشو Jodo Shinshu (أي مدرسة الأرض الطاهرة الحقة)، وهي من أكبر المدارس البوذية في اليابان الحديثة (المترجم).

(٤) نفس الفكـرة المسيحيـة التي تقـول إن الأب «الـذي في السمـوات يشرق شمسـه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين» إنجيل متى الإصحاح الخامس: ٤٥ (المترجم)

ويذهب شنـران إلى أن الإيمان والنذر شيء واحد، فقـوة الإيمان تنبثق من النذر، والترديد المستمـر لاسم «أميدا» هـو نفسه كشف عن وجـود الإيمان، أما النمبـوتسو Nembutsu (عربة الخلاص) فهي هبة «أميدا» للبشرية، لأنها تـذكر الناس بالكارما karma الخاصـة بهم أي التفاهـة أو الخطـة التي تجعل بلـوغ الإنسان للخـلاص من خلال جدارته الشخصية أمراً مستحيـلا: إنها صيحة الفرح، كما يقال، التي تتعرف على نعمة أميدا Amida.

ولقد عقدت مقـارنات بين الإيمان «بالجودو شنشو» وتعاليم «لـوثر»، لكن هناك فروقا أساسية بينهما، لأن شنران Shinren يظل مشدوداً إلى الفلسفة البوذية، كما أن «أميـدا» ليس أكثر من وسيلـة نافعـة، أي تجسيـد لمبدأ الـرحمة. ولقد كتب الـرئيس السـابق لإحدى جـامعات «شنتـو» في كيـوتو يقـول «من خـلال النمبوتسـو (عربـة الخلاص). . حاول شنران إدراك جـوهر المهايانـا البوذية الهنديـة بأسرها، وهي التي تتجمع فيها الحكمة والـرحمة لتصبحا شيئاً واحداً (س. ياما جـوشي: بوذا المتحرك، وبـوذا الساكن» ص١٠). غير أن «أميـدا» بـالنسبة للمـؤمن العـادي هـو موضـوع حقيقي للعبادة.

تأتي الأيام وتمضي وأنا مع أميدا.

لتغرب الشمس حيثما شاءت.

فكم أنا ممتن حقا! نامو ـ أميدا ـ بوتسو!(١)

(د. ت. سوزوكي «متفرقات من تعاليم شن البوذية» ص ٧٤).

ولما كانت هبة «أميـدا» بغير شروط تقيدها، فقد أصبحت «شنشو» ديانـة العامة ومن أجل العامة بمعنى الكلمة، فليس فيها مقـام خاص بأتباعها، بل إن «شنران» قد شجع أطراح مذاهب النسك البوذية القديمة، فقد تزوج هو نفسه، وأدى هذا إلى إقامـة نظام الكهـانة الـوراثية الـذي أثر كـذلك تدريجيـا على الفرق الأخـرى. وكان انجذاب الناس إلى تعاليمه عظيماً، كما أنك تستطيع أن ترى الطابع الشامل لتعاليمه

(١) «نامـو ـ أميدا ـ بوتسو» هي الصيحـة التي تحدث عنها المؤلف من قبل وهي نداء لـ «اسم بوذا» المنتظرا (المترجم).

في واقعة ان الايتا Eta (وهم المنبوذون في المجتمع الياباني) قد أصبحوا أتباعا لهذه المدرسة.

١٧ ـ بوذية زن :

كلمة زن zen هي التحوير الياباني لكلمة تشن Chan الصينية، وهذه مشتقة من الكلمة السنسكريتية Dhyana التي تعني «التأمل» أو «التفكر». ولقد كان التأمل دائما جانباً هاماً من جوانب البوذية. وعندما دخلت الصين (على يد «بودي هارما Bodhidharma»[١]، كما تقول الرواية، وهو راهب هندي مات عام ٥٢٨م) انسجمت مع العناصر المعبرة عن السكينة في تراث التاوية.

أدمجت «بوذية زن» مع تعاليم تنداي Tendai، ولكنها لم تزدهر كمدرسة مستقلة حتى أسس الراهب إيزاي Eisai (١١٤١ـ ١٢١٥) مدرسة زن «رنزاي Rinzai»[٢] في سنة ١١٩١. وكان «ايزاي» نفسه انتقائياً إلى حد ما، واهتم بالجوانب الثقافية في بوذية زن أكثر من أي جوانب أخرى، وذلك إذا ما قارنا بينه وبين دوجن Dogen (١٢٠٠ـ١٢٥٣)[٣]، أحد فلاسفة اليابان العظام الذي لم يكن لديه هو نفسه أية نية لإنشاء مدرسة خاصة، وأن كان البعض قد اعتقد فيما بعد أنه مؤسس مدرسة زن

(١) بودي هارما Bodiharma راهب هندي ازدهر في القرن السادس الميلادي أسس فرق زن البوذية. وتردد الكثير من الحكايات عن إخلاصه للتأمل، منها أنه جلس متأملا فترة طويلة جدا حتى ضمرت ساقاه! ومنها أنه قطع جفون عينيه في نوبة غضب لأنه راح في النوح أثناء التأمل، ومن جفنيه، بعد أن سقطا على الأرض تحت شجرة الشاي، وكانت هذه الحكاية هي الأساس التقليدي لرهبان بوذية زن الذين اعتادوا شرب الشاي ليظلوا في حالة يقظة (المترجم).

(٢) مدرسة أسسها الراهب البوذي «إيزاي» وهي إحدى فرقتين رئيستين في بوذية زن اليابانية، وتركز على بلوغ الاستنارة بطريقة مفاجئة عن طريق إيقاظ الوعي المتبصر. ثم انقسمت هذه الفرقة حديثاً إلى خمس عشرة فرقة فرعية لها مايقرب من ستة آلاف معبد عام ١٩٧٥ (المترجم).

(٣)كجين دوجن dogen أحد قادة البوذية اليابانية في حقبة «كاما كورا» (١١٩٢ـ ١٣٣٣) وهو الذي أدخل بوذية زن إلى اليابان على شكل فرقة «سوتو» وكان شخصية مبدعة جمعت بين ممارسة التأمل والنظر الفلسفي. ولد من أسرة نبيلة وأصبح يتيما في السابعة، ورسم راهبا في الثالثة عشرة، ودرس الكتب المقدسة البوذية ولكنها لم ترو تطلعاته الروحية، كما درس التأمل في الصين فيما بين ١٢٢٣ـ ١٢٣٣، وقد وصل إلى مرحلة الاستنارة بإشراف أحد معلمي الزن، ثم عاد إلى اليابان وعاش في معابد مختلفة كما عمل على نشر ممارسات التأمل، وألف كتابا عن هذه الممارسات (المترجم).

سوتو soto في اليابان(١).

وتنظر بـوذية زن إلى تتـابع استنارة الرسل، ابتـداء من سكايـاموني Sakaymuni (بـوذا الأكبر) أول مستنير حتى عصر تلميـذ شـاب وصل في قـاعـة التـأمل ـ التي أصبحت سمة يتميز بها كـل معبد من معابد الزن ـ إلى معنى الكوان Koan الـذي سألـه معلمه(٢). و«الكوان» وسيلة تعليمية قـدمت إلى الصين حوالي القرن الحادي عشر، واستخدمتها مـدرسة «رن زاي Rin Zai» في الوقت الذي أصرت فيـه مدرسة «سـوتـو Soto» على أهمية التأمل بما هـو كذلك، من حيث إنه يـؤدي إلى التوصل الفجائي إلى الحقيقة. وبعد أن يقضي الطالب مايقرب من اثنتى عشرة أو خمس عشرة سـنة في الـدير في ممـارسة الـتأمل، وبعـد أن يقتنع معلمـه أنـه وصـل إلى المعنى الـداخلي للبوذيـة، يستطيع أن يحظى بسمة الإجـازة التي تسمح لـه أن يكون بـدوره معلماً.

ويدرس صغار الرهبان (الذين لم يرسموا كهنة بعد) ويتأملون تحت إشراف معلم مقيم، كما يتعلمـون فن إدارة المعبد، وتأديـة الشعائر الـرسمية، وهم يعيشـون حياة خشنة صارمـة. ثم تعقد للراهب المبتدىء مقابـلات مع معلمه، في معبد «رن زاي» لكي يكشف عن مدى فهمه «للكوان» كما تلقى عليه محاضرات، لا بقصد التثقيف بل للإيحاء والإلهام.

ويقبل عامـة الناس كذلك في دورات تدريبيـة مؤقتة، ولكنا لا نجـد فيها ذلك النوع من الـرعاية، بإشراف الكاهن على نحـو ما نجده في معابد هـو نجانجي Hon

(١) فرقة «سوتو» الفرقة الثانية الكبيرة في بوذية زن اليابانية، وهي تتبع أسلوب التأمل الهادىء للوصول إلى الاستنارة وقد تأسست في الصين في القرن التاسع وعرفت باسم فرقة تستوتنج نسبة إلى الدير الرئيس المقام على جبال تسـوتنج، ثم أدخلها كوجن إلى اليابان وأسس لها معبـدا عام ١٢٤٤ وأصبحت شعبية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (المترجم).

(٢) الكـوان Koan سؤال موجـز أو عبارة مقتضبة، تعبر عن مأزق عقلي أو حيرة ذهنيـة يستخدمه الراهب المبتدىء في تـأملاته ويبذل جهدا في حلـه. والهدف إنهاك العقل والإرادة حتى يصبح الذهن مهيئاً لتلقي الجواب بطريقة حدسية. ومن أمثلته السؤال الآتي: «عندما تصفق اليدان تحدثان صوتا، فهل تستطيع الإصغـاء إلى صوت اليـد الواحـدة؟!». ويقال إن هنـاك ١,٧٠٠ كوان جمع معظمهـا الراهب الصيني فوان وو Vuan - wu (المترجم).

ganji عند بوذية «شن Shin [1] حيث يحظى الناس، في كثير من الأحيان، بالنصح والإرشاد. غير أن كلمة «زن» ترتبط عند كثير من الناس بالفنون: بتنسيق الزهور، إقامة حفلات الشاي، أو الصفاء الصوفي الهادىء ــ في حديقة ليس لها شكل محدد في الظاهر. وقد يرى البعض أنه من خلال ذلك يمكن أن يكون هناك» استبصار مباشر «بصحوة عميقة» أو وثبة حدسية وجودية إلى المطلق.

١٨ ـ بوذية نشيرين Nichiren[2]

أسس نشرين (١٢٢٢ـ ١٢٨٢) فرقة تحمل اسمه[3]، عندما جمع عام ١٢٥٣ عدداً قليلاً من الأتباع في «كاماكورا Kamakura» وانتقد جميع الفرق البوذية الموجودة في ذلك الوقت، فاضطهده الرهبان والعامة، كما اضطهده الموظفون الرسميون في الحكومة من أنصار هذه الفرق سواء بسواء، وقد ظهر ولاؤه لبوذية دهما Dhamma[4]، (التي رأى أنها تمثلت بشكل نهائي)، وعلى نحو فريد، في نصوص

(١) كلمة Shin معناها «الحقيقي» أو «الصادق» وهي الفرقة التي أسسها «شنران» في القرن الثالث عشر في اليابان تحت اسم «مدرسة الأرض الطاهرة الحقة وكانت ترى الخلاص من خلال الإيمان ببوذا المنتظر، والإيمان وحده يكفي عندها، وذلك بترديد اسم «المنتظر» كثيراً، ولهذا تقوم فيها الموسيقى والأناشيد بدور هام (المترجم).

(٢) ولد «نشيرين» في ٣٠ مارس ١٢٢٢، ودخل الدير في سن الحادية عشرة ورسم كاهنا بعد ذلك بأربع سنوات، ثم ذهب إلى مدينة «كاماكورا» لدراسة المذاهب الدينية الرئيسية، وانتهى عام ١٢٥٣ إلى أن تعاليم «سوترا اللوتس» هي وحدها العقيدة الحقة، وأن جميع المذاهب الأخرى زائفة، فطرد من الدير، وراح يعظ الناس في مفترق الطرق المؤدية إلى «كاماكورا» وجمع حوله الأتباع فحوكم وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف الحكم إلى النفي إلى جزيرة سادو sado. وفي هذه الجزيرة كتب مؤلفاته الرئيسية، ومات في نوفمبر ١٢٨٢ (المترجم).

(٣) مدرسة نشرين ـ وهي مدرسة من أوسع المدارس البوذية انتشارا في اليابان في القرن الثالث عشر وسميت باسم القديس نشرين، ويبلغ أتباعها في تعداد سبعينات القرن الحالي أكثر من ثلاثين مليونا وهي تؤمن بأن جوهر تعاليم بوذا تكمن في «سوترا اللوتس» (أو الكتاب المقدس لـ «لوتس» قانون الخير)، وبالتالي فإن بقية الفرق أساءت فهم الحقيقة، لهذا عارضتها بقوة كما عارضت الحكومة التي تساند هذه الفرق. وأعلنت أن خلاص الأمة اليابانية يعتمد على الإيمان بالمضمون الحقيقي الكامن في اللوتس ونصوصها المقدسة. واعتبر «نشرين» نفسه بوذا المنتظر الذي يعاني من أجل إعلان الحقيقة وسط بحر من الظلام. وانقسمت المدرسة بعد موته فرقتين أهمها فرقة «نشرين شو» التي مازالت تسيطر على المعبد الرئيسي. (المترجم).

(٤) كلمة Dhamma سنسكريتية، تُعد مصطلحا رئيسيا ذا معان متعددة في الهندوسية والبوذية والجينية، فهو في الهندوسية: القانون الأخلاقي والديني الذي يحكم سلوك الفرد. أما في البوذية فهي الحقيقة الكلية التي يشترك فيها جميع البشر في كل العصور والتي أعلنها بوذا الأكبر.
أما في الجينية فهو الفضيلة الأخلاقية، فضلا عن أنه ــ وهذا خاص بالجينية وحدها هو الجوهر الأزلي الذي يحرك الموجودات جميعا (المترجم).

اللــوتس Lotus Sutra)، كما ظهر إخلاصـه لرخاء بلاده في عنوان أطـروحته عام ١٢٦٠ (ريسشو انكـوكو ــ رون Rissho An Koku - ron) التي تـرى أن «الأمن القومي يعتمد على إقامة القانون البوذي»، ذهب إلى أن اليابان لن تبلغ مرحلة السلام الـداخلي، ولن تكـون آمنـة من تهديـد الغـزو المغـولي إلا بـاستقـرار التراث الـديني التقليدي. وكان في الـوقت ذاته حريصا على أن يـرى تعاليم «سوترا اللـوتس» تحققا للحركات الدينية القومية. وكانت الماندالا Mandala[1] التي ابتكرها مصنوعة من أشكال الكتابة الصينية المرسومة بالفرشاة، ويلتقي فيها كامي الشنتو Shinto Kami مع آلهة الهنـد ديفا Devas مع البوذا المنتظر في البوذيـة بوديساتفا Bodhisattva في أنشودة تسبيح وشكر، معدّة لتكريم الدهما Dhamma» العجيب، كما تقضي تعاليم «نصوص اللوتس» (تبجيل القانون الرائع لنصوص اللوتس).

ولقد تميـزت هذه الفرقة طـوال تاريخها باهتمامـاتها القومية وميولها التـوفيقية، كما تميزت بدعاويها المتطرفة ومطالبها المطلقة. أما دعوة «نشرين» إلى الشاكوبوكو Shaku buku[2] (ضرب من الهداية الجبريـة) فقد اعتنقتهـا بعد ذلك فـرقة سـوكو جـاكاي Soka Gakkai[3].

وتعتقد معظم جماعات نشرين أن هذا القديس هو التجلي المنتظر لبوذا أو Jogyo الذي صورته نصوص اللوتس وقالت إنه سيظهر في عصر انهيار التعاليم البوذية. أما جماعة «سوكاجاكاي» Soka Gakai فقد زعمت أنه تجسيد لبوذا الأزلي.

ويبدو أن «نصوص اللوتس» تُعطي لرجل الشـارع وضعا مساوياً للراهب. ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أنه انبثقت داخل تراث نشرين ما سمي بـ Zaike Bukkyo

(١)كلمـة مانـدالا Mandala (أو المندل) سنسكـريتية معناهـا «حلقة أو دائرة» وهي رسم تخطيطي رمزي يستخدم في تأدية الشعائر المقدسة كأداة للتأمل وقد سبق أن تحدثنا عنها (المترجم).

(٢) تعني حرفياً بـاليابانية «اضرب ولطِّف» وهي وسيلة استخـدمتها البوذية في اليابان لإجبـار العامة على اعتناق البوذية لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية (المترجم).

(٣)تعني حرفيا باليابانية «جماعة الخلق القيّم» وهي إحدى الفرق الدينية التي ارتبطت بفرقة «نشرين» ونمت بسرعة في خمسينـات القرن الحالي. وتعـد من الحركات الـدينية الجديدة النـاضجة في اليـابان، والمؤمنة بتعـاليم نشرين. وقد بدأت بثـلاثة آلاف عضو ازدادوا إلى نصف مليون، وأصبحـوا الآن ستة عشر مليونا. (المترجم).

أي بوذية رجل الشارع، وهي ثورة ضد المغالاة في الكهنوتية. فبوذية رجل الشارع هي محصلة التشديد على أن الناس العاديين هم في الواقع البوذيون المنتظرون (البوديساتفا) الذين يحملون في قلوبهم الرحمة ويمكنهم أن يتطلعوا إلى استنارة بوذا. وفي الوقت ذاته فإن الاهتمام بالعامة يعني تبسيط الطقوس والتعاليم، كما أنه محاولة للوصول إلى جوهر هذه التعاليم ووفقا لهذا سعت المجلات الشعبية ومواعظ المعبد معاً إلى إعادة تفسير الإيمان القديم في لغة معاصرة موجهة مباشرة إلى المواقف الفعلية.

١٩ ـ العبادة في المعبد :

المعبد هو دائما بناء يحيط به سياج، وقد لا يحتوي المجمع على معبد واحد. بل سلسلة كاملة من المعابد. ويحرس مدخل المعبد، عادة تماثيل منفردة ذات وجوه عابسة، يعتقد أنها تمنع الشر. وتغطى المعابد، في العادة بالورق، لأن المتعبدين يكتبون التماساتهم على قصاصات من ورق، يقذفون بها، بعد أن يلوكوها بأفواهم، إلى التماثيل، فإذا التصقت بها كان معنى ذلك إجابة الالتماس. وكثيرا مايحتوى المعبد على «باغودا Pagoda» ترتفع من ثلاثة إلى أربعة طوابق مزخرفة ومنمقة في العادة. ويحتوى المحراب الرئيسي على مذبح به شموع مضاءة مع تماثيل لبوذا، والبوذات المنتظرين (بودساتفا) وآلهة الهند (ديفا) وحول المذبح صناديق تشتمل على السوترا (النصوص). ولن تحصل فرقة واحدة على الشريعة الصينية برمتها، بل سيكون لكل فرقة أن تنتقي منها النصوص التي تعتقد أنها هي النصوص الأصولية المعتمدة. وتختلف الصورة المركزية فوق المذبح تبعا لكل فرقة.

ويقوم الكهنة بإنشاد النصوص، وتلاوة الصلوات بمصاحبة الطبول والأجراس، وحرق البخور، ونادراً ما يحضر المؤمنون العاديون هذه الصلوات، فعبادة هؤلاء شخصية إلى حد كبير، وهي تنحصر في كثير من الأحيان في بوتسودن Butsudan المنزل[1] ـ وهو صورة مصغرة مما يوجد في المعبد.

---

(١) مذبح الأسرة البوذية في اليابان ـ وهو أشبه بخزانة الحائط التي تشمل مجموعة من الأرفف، يوجد فيها عادة ما يسمى «بإله الرف» كما تحتوي على ألواح لذكرى الأسلاف ومجموعة من الشموع والبخور كما تقدم إليه الزهور في الطقوس اليومية وفي المناسبات (المترجم).

وتُقدِّم كثير من المعابد ـ بصورة أساسية ـ وجبات وفقا لحاجة الناس، كما تزودهم بتذكارات، وتنقش أسماء المساهمين في موارد المعبد المالية على بعض الأشياء المقدسة أو الزخارف التي يمكن وضعها في مذبح الأسرة في المنزل. ويتأكد الجو الصوفي الغامض للمعبد بتوزيع التمائم والرقى، مع شيء خاص بالمعبد البوذي هو ميدالية تشبه القديس كريستوفر St. Christopher[1]، لسائقي سيارات الأجرة المنهمكين في عملهم في طوكيو. أما الكهنة، في معظم المعابد، فهم على استعداد لتأدية الطقوس العامة والشعائر الخاصة، حيث لا يطلب من التوسل أكثر من التوفير الخرافي لصحة النصوص الدينية.

وبغض النظر عن الحقيقة التي تقول بأن عقيدة الأناتا Anatta (للأرواح)[2] تكمن في قلب البوذية، فإن قوة عبادة الأسلاف. كما تمثل في القيام بالطقوس الجنائزية والتذكارية للمتوفي، تشغل الكاهن أكثر بكثير مما يشغله التعليم المنتظم للبوذية. ونتيجة لذلك كان عيد «أو ـ بون O - Bon (الذي يقام في اليوم الخامس عشر من الشهر السابع) ـ هو أكثر الأعياد شعبية، إذ يعتقد أن أرواح الموتى قد عادت إلى موطنها الأصلي، فيتم الترحيب بها بالفوانيس والألعاب النارية.

لقد ظهرت لوحات الأسلاف في مذبح الأسرة ـ وهي التي يعتقد أن أرواح الأسلاف تسكنها ـ ووجدت لها مكانا فيه ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي، فأصبحت تُعبد جنبا إلى جنب مع التماثيل الصغيرة لبوذا ونسخ من النصوص المقدسة، وكما أن المتعبد الشنتوي يتطلع إلى أن يصبح روحا Kami عندما يموت، فكذلك ينتظر البوذي أن يصبح بوذا، ومن المشكوك فيه أن يكون هناك أي فرق بين التصورين.

أما بالنسبة لموضوع قرابين النذور، فهناك فارق بسيط على المستوى الشعبي بين

(١) القديس كريستوفر ـ شخصية ازدهرت في القرن الثالث الميلادي لقديس يرعى المسافرين، ثم أصبح في القرن العشرين راعيا لركاب السيارات أو سائقيها، ورغم أنه من أشهر القديسين وأكثرهم شعبية، فليس ثمة مايؤكد وجوده التاريخي (المترجم).

(٢) الأناتا Anatta «اللاذات» أو «اللا جوهر» ـ وهي في البوذية الاعتقاد أنه لايوجد في الإنسان جوهر خالد ودائم يسمى «الروح» وتمثل هذه الفكرة ابتعادا عن معتقدات الهندوسية (المترجم).

ممارسة الشنتو، فهناك نذور للشفاء من المرض، ونذور للحمل السهل أو الولادة الآمنة للطفل، كما يقدم نموذج للثدي قربانا أثناء الصلاة ليكون لبن الأم غزيراً. وتقدم مغرفة للطفل أثناء الصلاة، لكن إذا كان قاع المغرفة غير صالح، فإن الإجهاض يكون موضوع التوسل. وتقدم شخصيات الدهارما Dharma (أي بودي دهرما المؤسس المزعوم لبوذية زن) بغير عيون حتى يُستجاب الطلب.

٢٠ ـ ديانات جديدة: خلفيتها:

لم تستطع الحركات الجديدة أن تحظى باعتراف شعبي حتى العصور الحديثة، فقد ظلت البوذية لمائتين وخمسين عاماً خلال حكم أسرة شوجن توكوجاوا[١] هي الديانة الرسمية، على الرغم من حدوث امتزاج على المستوى الشعبي، بين أفكار ديانة شنتودو الأفكار البوذية وقبول هذا الامتزاج على المستوى الرسمي، أما بالنسبة للأخلاق الاجتماعية والعامة، فقد جاء الإلهام من الكونفوشية أكثر مما جاء عن طريق التراث الديني لبوذية الشنتو.

وكان هذا العصر عصر قيود صارمة، فزيارة الهيكل المحلي، أو الاحتفال بأعياد المعبد، أو الحج إلى هياكل مختلفة، خصوصا هيكل آيس Ise الكبير، كانت هي وحدها المناسبات التي يستطيع فيها الشخص العادي أن يخرج على نماذج السلوك المتعارف عليها أو يسافر فيما وراء الحدود المحلية وقد كان أراد الحج بوجه خاص شيئا محببا إلى نفوس عامة الشعب، كما كان يطلق عليه «أوكاجه مايرى Okage Mairio أي «الذهاب لتقديم الشكر».

وبعد عودة السلطة الإمبراطورية عام ١٨٦٨، طوّر عامة الناس أغاني شعبية على غرار «السوترا» البوذية، بل واستخدموها وسيلة لعرض رسالة اجتماعية جديدة، كما طوروا في الوقت ذاته رقصات ذات وصفات سحرية تسمى ee ja naika «إنها طيبة، أليس كذلك؟!». وعندما اتضح أن الإصلاح الاجتماعي والسياسي لن يتم، كان من

(١) Tokugawa توكوجاوا حقبة استمرت في تاريخ اليابان من ١٦٠٣ـ ١٨٦٨ وهي آخر فترة في اليابان التقليدية قبل دخولها العصر الحديث، وكلمة «شوجن» تعني المحارب أو الحاكم العسكري، وهو لقب اتخذه لنفسه الإمبراطور «إياسو» مؤسس الأسرة. وسوف يرد الحديث عن خصائص هذه الحقبة فيما بعد (المترجم).

الطبيعي أن تجرب الجماهير حظها مع الحركات الدينية التي بدأت تظهر في أواسط القرن التاسع عشر، ولم تكن هذه الحركات جديدة تماما، بل لم يكن من الممكن أن يقال عنها إنها ديانات جديدة، لأنها تعكس الطابع البسيط للديانة الشعبية التي تؤثر عليها عناصر الوجد والتجلي تأثيراً كبيراً. ولقد أدخلت حركة مثل حركة تنريكيو Tenrikyo[١] الرقصات كمصدر للإلهام بينما ظهر اهتمامها بالقضايا الاجتماعية من رؤيتها الطوباوية للمستقبل ونقدها للنماذج المعاصرة.

٢١ـ طوائف الشنتو :

عندما قامت حكومة «ميجي Mejii»[٢] في عام ١٨٨٢ بتقسيم التنظيمات الاجتماعية إلى ثلاث فئات هي : البوذية، والمسيحية، والشنتو ـ فإن التنظيمات التي لم يكن من الممكن تصنيفها مع البوذية أو المسيحية، صنفت مع فرق الشنتو، وكان معنى ذلك هو التفرقة بين شنتو الهيكل jinja وفرقة كيوها الشنتوية kyoha، ولقد كانت هذه الفرق متنافرة تماما، ثم سمح في النهاية بتسجيل ثلاث عشرة فرقة تنتمي إلى خمس جماعات يضم بعضها مثل تايشاكيو Taishukyo أكثر من ثلاثة ملايين عضو تتمركز حول هيكل أزوموتايشا Isumo Taishe القديم[٣]، وهي فرق شنتوية

(١) تنريكيو Tenrikyo أو عبادة الحكمة الإلهية في اليابان، وهي أوسع وأنجح فرق الشنتو الحديثة. وعلى الرغم من أنها تأسست في القرن التاسع عشر فإنه ينظر إليها بوصفها من الديانات الجديدة المعاصرة في اليابان. أنشأت هذه الفرقة الكاهنة ميكي نكاياما Miki Nakayma (١٨١٧ـ١٨٨٧) التي كانت امرأة ذات قدرة كبيرة على اجتذاب العامة. وقد زعمت وهي في سن الأربعين إن روحا تلبستها وهي روح «سيد الحكمة الإلهية»، فأنشأت عبادة تتميز برقصات وجد وممارسات شامانية. وكانت النبوءات تصل عن طريقها مركزة على الإحسان والصدقات وشفاء المرضى، واشتهرت الفرقة في حياتها رغم أنها كانت تتعرض بين الحين والحين لاضطهاد السلطات الحكومية (المترجم).

(٢) ميجي (١٨٥٢ـ ١٩١٢) إمبراطور ياباني حكم من ١٨٦٧ وحتى وفاته. ازدهرت اليابان في عصره حتى تحولت إلى واحدة من القوى العظمى في العالم الحديث (المترجم).

(٣) مكان واسع يبعد عن مدينة «أزومو» ثمانية كيلو مترات، ويقع فيه أقدم هيكل للشنتو في اليابان، ويجذب الحجاج طوال العام، أنشئت مبانيه في القرن التاسع عشر على مساحة أربعين فدانا، ويضم مجموعة من المعابد تحتوي على آيات فنية ثمانية. كما يوجد في هذه المنطقة عدد كبير من الهياكل الأخرى حيث يُعتقد أن جميع آلهة الشنتو يجتمعون في واحد منها في شهر أكتوبر من كل عام، ولهذا يسمونه «شهرا بلا آلهة»! (المترجم).

خالصة. وبعضهـا الآخر استلهم الكونفوشيـة. أما بعضها الثالـث فرأى أن أساس العقيدة عنده هو العبـادة الجبلية القديمة، ويركز بعضها الـرابع على طقوس خاصة بالتطهر.

غير أن أكثر الفـرق إثارة للاهتمام هي الفرق الثـلاث ذات الأصل الريفي، لأنها تضع نموذجـا تحتذيـه حركات أخـرى كثيرة نشأت في القرن العشرين. وهـذه الفرق الثلاث هي: فرقة كروزيميكو Kurozumikyo[1]، وفرقة «تنـريكيو Tenrikyo» وفرقة «كـونكوكيو Konkokyo»[2]. وهناك فيما يبـدو، بعض السمات العامـة التي تتميز بها هذه الفرق وتشترك فيها مع مايسمى بالديانات الجديدة منها:

(١) إنها حركات نشأت في زمن الأزمة الاجتماعية.

(٢) إن لها قائدا يخلب لُب الجماهير.

(٣) لها علامات تنبؤية وكرامات عجيبة.

(٤) سلوك الوجد بين أعضائها وإطلاق العنان لهم في المشاركة التامة في العبادة، وفي أنشطة العبادة.

(٥) الميل نحو التلفيق، كما أن طـابع الانتشار الخاص بـالديانـة الشعبية ظـاهر فيها. وتذهب فرقة «كوزيميكو» إلى أن نقطة بدايتها هي التجربة الدينية الشخصية لـ «كروزومي مونتادو Kurozumi Munetado (١٧٨٠ـ ١٨٥٠) الذي كان لديه ولاء عميق لآلهة الشمس «أما تيراسـو» فقد اعتبرها مصـدر حياة الكون، واعتقـد أنه بلغ مرتبة الـوحدة مع كامي kami «فأطلق عليه أتباعـه لقب إيكيحامي Ikigami أي كامي الحي. وأطلـق على كامي kami اسم أويـا Oya أي الأب، وهكذا اعتقـد

(١) كروزيميكو ــ حركة دينية تعد نموذجـا للحركات الدينية الجديدة، أنشأهـا في القرن التاسع عشر كاهن من الشنتو وهو كيروزومي (١٧٨٠ـ ١٨٥٠) والمؤمنون بهذه الحركة يجلون آلهة الشمس أما تراسو ويعتبرونها أسمى الآلهة وخـالقـة الكـون، أمـا جميـع الآلهة الأخـرى فليسـوا سـوى تجليـات لها (المترجم).

(٢) الكونكـوكيو حركـة دينية نموذجية للـديانات الجديـدة أسسها فلاح غير مثقف في القـرن التاسع عشر زعم أن الإله كـونكو Konko عيّنه وسيطا بين الله والنـاس، وبذلك أصبح قادرا على أن يحمل عن الناس عذابهم وآلامهم لينقلها إلى الإلّه. ولقد شـددت هذه الديانة على الاعتماد المتبادل بين الإلّه والناس، وهي نفسها العلاقة بين الأب والابن. وهي أساسا فرقة من فرق الشنتو (المترجم).

«كروزومي» أن المؤمن قادر، من خلال الصلاة، على النفاذ إلى مصدر الحياة.

٢٢ ـ ديانة الحكمة السماوية:

أسست نكياما ميكي Nakayama Miki (١٧٩٨ـ ١٨٨٧) فرقة تنريكيو Ten-rikyo (أي ديانة الحكمة السماوية)، ولقد كانت هذه الكاهنة ابنة عصرها وبيئتها بمعنى الكلمة، إذ تتحدث الكيوسودن Kyosoden (أي سيرة حياة المؤسسة) عن صلتها بالمعابد البوذية (لاسيما معبد الجودو شنشو Jodo Shinshu)[١] وهياكل الشنتو، وعن اهتمامها بالحج إلى آيس Ise وتوسلها بالإله يامابوشي Yamabushi[٢] لشفاء ابنها.

وفجأة تلبسها الكامي kami في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٣٨، وكان ذلك إيذانا ببداية دين جديد، وتشدد كتب الشريعة لديانة «تنريكيو» على الطابع الكشفي لتجربتها الدينية، وتروي أنها عندما أصبحت وسيطا راح الكامي Kami (الإله الروح يتكلم من خلالها، وهذا «الكامي» هو الذي اتحد بها بعد ذلك باسم «كومي ـ توكو ـ تاشي ـ نو ـ ميكيتو Kumi - Toko - Tachi - no - Mikoto» (وهو من أوائل الكامي الذين تحدث عنهم كتاب كوجيكي Kojiki وكتاب «نهونجي Ni-hongi» ـ وقد ارتبط بفعل الخلق) ـ وهذا الكامي جعلته «ميكي» مرادفا للقمر (Tsuki)[٣]، وقد تلاه كامي آخر تكلم من خلالها أيضا واتحد مع الشمس Hi. وتقول القصة إنه أعقب ذلك ثمانية أزواج من «الكامي» كان آخرها «إزاناجي Izan-agi» و«إزانامي Izanami»[٤] ـ وهما الإلهان الخالقان الأولان في أسطور الشنتو

(١) أي معبد مدرسة الأرض الطاهرة الحقة ـ وقد سبق الحديث عنها (المترجم).

(٢) يامابوشي ـ تعني باليابانية حرفيا «الواحد الذي ينام في الجبال» وكان هذا الإله يرشد الحجاج الذين يقومون بزيارة الجبال المقدسة التي تسكنها آلهة الشنتو (المترجم).

(٣) تسوكي Tsuki إله القمر ولد من عين إزاناجي اليمني (ويقال إن الشمس ولدت من عينه اليسرى!) وهو في بعض الأساطير شقيق إلهة الشمس أما تيراسو، وشقيق إله العاصفة سوسانوو Susanowo (المترجم).

(٤) إله وإلهة، وهما شخصيتان رئيستان في أسطورة الخلق اليابانية، وهما ضمن ثمانية أزواج من الآلهة والإلهات ـ أخوة وأخوات ـ تظهر بعد انفصال السماء والأرض عن العماء Chaos وكانت الآلهة تنجب ذكرا وأنثى ثم تموت، حتى صدر الأمر في النهاية من شيوخ الآلهة إلى اثنين منهما هما «ازاناجي» و«إزانامي» وهما أخ وأخت من الآلهة ـ بأن يخلقا اليابان، فوقفا على جسر السماء العائم، وقذفا في المحيط برمح مرصع بالجواهر، ثم رفعاه إلى السماء فتقطرت من الرمح قطرات أصبحت هي «الجزرة المقدسة». وشهدت الآلهة ماتصنعه الضفادع في الماء فتعلمت منها سر اتصال الذكر بالأنثى، ومن ثم التقى أزاناجي وأزانامي التقاء الزوجين وأنسلا الجنس الياباني (المترجم).

الشعبية، كما أنهما الجدان الأولان للجنس البشري في أسطورة «ميكي» الخاصة بالخلق التي تسمى، عادة، «السجل القديم لبحر الوحل».

وبينما أرغمت فرقة «تنريكبو» إبّـان حقبة المد القومي العارم قبل عام ١٩٤٥ على أن تتقارب في تعاليمها مع ديانة الشنتو الرسمية، فإن جهودا أكبر تبذل الآن للتوحيد بين الآلهة بحيث تتكامل في ألوهية واحـدة. وهكذا أصبح تسوكيهي Tsukihi إلها واحدا، وسمى كذلك باسم «تنري ـ أو ـ نو ـ ميكوتو Tenri - o - no - Mikoto كما اعتبر «الكامي» الثمانية الأخر أدوات في يد «تسوكيهي» وليس لها وجود مستقل.

أما النصـوص المقـدسة الأساسية فهي أفيـدساكي Ofudesaki الـذي كتب في الفترة الممتدة من ١٨٦٩ إلى ١٨٨٢ و«أنشودة الرقص» ميكاجورا ـ أوتا Mikagure - uta التي كتبت فيما بين ١٨٦٦ و١٨٨٢ و«السجل القديم لبحر الوحل» وهو يتألف من تدوينـات أخذت من الذاكـرة مما روته «ميكي» مشـافهة، «والإرشاد أوسـاشيزو Osahzu الذي يُعتقد أنه نبـؤات أرسلتها الآلهة. حتى بعد موت ميكي Miki وهـو موت وصف بأنه يعني «صعودها إلى السماء».

وكلمة تنـري Tenri هي الآن اسم المدينة التي يوجـد فيها المحراب الرئيسي وهي تسمى أيضا باسم «أوساتو Oyasato» أي مدينة الأصل (أو الأب)، فهم يعتبرونها مـوضع الخلق، واكتمال الأشيـاء جميعـا في آن واحـد، وذلك عنـدمـا يسقط النـدى السماوى على النصب التذكارى المركزى. وهناك إلى جانب الهيكل الرئيسى مُـصلًّـى مخصص للكاهنة التى أسست هذه الديانة (ديـانة الحكمة السماوية) ومُـصلًّـى آخر دفن فيه أسلاف أعضاء هذه الفرقة.

ويتم التشديد على يوكى جوراشى Yoki Gurashi (أى الحياة المرحة) التي تنتج من النظـر إلى الحياة على أنها وديعـة من اللـه. ومن إزالـة «الغبار» العـالق، كـذلك يؤكدون أهميـة العمل الإرادى الذي يُـظهر بوضح الامتنان لله كما أنـه هو المسؤول إلى حد كبير عن بـرنامج البناء الواسع في مـدينة تنرى Tenri. فها هنـا نجد خـدمات تربويـة، وطبية، وثقافية، وريـاضية، فضلا عن وجود الهيكل الـرئيسى. ومهاجع تتسع لعشرات الألوف من الزوار.

٢٣ ـ ديانه المعدن النقي :

بدأت كونكـوكيو Konkokyo (ديانة طهـارة الطبع أو المعدن النقى) بفلاح غير مثقف يدعى كاواد Kawade (١٨١٤ ـ ١٨٨٣) اشتهر باسم كونكو دايجن Konko Daijin . وادعى عام ١٨٥٩ أنه «أيكي جامي Ikigami» أي «كامي الحي» ـ وذهب إلى أنه وسيط «تنشي ـ كان ـــ نوكامي ـ Tenchi-Kane-no Kami . وأعلن أن هـذا هو الكامي الأعظم، وأنه «أصل الكون» وأن على البشر جميعًا أن يقوموا بواجبهم نحو الأب «كامي» وأن ينمّوا الطبيعة البشرية التي منحها لهم : كما أعلن في الوقت ذاته أن وجود «الكامي» نفسه يعتمـد على البشر. ويشدد «كامي» على الفضل الإلـهي : «إذ بفضل النعمة الإلـهية تحل البركة على الإنسـان ويتم إنقاذه، ويمضى العالم في سلام ورخاء!» . ولقد كـانت نتائج الموقف الجديد تجاه الحياة مزدوجة، فهنـاك، من ناحية سكينة الـذهن في الحياة وفي المهات . وهنـاك، من نـاحية أخرى، انسجـام في البيت والمجتمع، «لأنه لا يوجد شيء تحت الشمس اسمه اللا ـ علاقة» .

وها هنا نجد باعثا أصبح عامًـا ومشتركا بين جميع الديانات الجديدة تقريبًـا ـ فلا بد لهذه الديـانة أن ترتبط بالحياة اليـومية ارتباطًا وثيقًا، ولا بـد لها كذلك أن تؤدى إلى الحياة الطيبة .

٢٤ ـ جماعة أموتو Omoto للحركات الدينية[١] :

بينما يستحيل فحص جميع الحركات الدينية الجديدة، فإن مجمـوعة ديانات أموتو Omoto هي مؤشر للطـابع التلفيقى البارز لقدر كبير من الفكـر الدينى الحديث في اليابان . وتبـدأ قصة «أموتو» بالسيـدة «دجوشي ناو Deguchi Nao» التى تلبسهـا

(١) تقـوم تعاليم «أمـوتـو» على نبؤات إلهيـة كانت الإلهة تبعـث بها من خلال فـلاحة يـابـانية تـدعي «دجـوشي نـاو Deguchi NaO» جذبت قدرتها على شفاء المرضى كثيرا من الأتبـاع في مرحلة مبكرة. وكان أول وحي تلقته عام ١٨٩٢ ينبىء بانهيار العالم، وظهور المخلّص المنتظر. ثم تولى قيادة المذهب وتنظيمه زوج ابنتها «دجوشي أوينسابورو» (١٨٧١ ـ١٩٤٨) الذي نبذ الحرب والتسلح، وأعلن نفسه قائدا لنظام جديد في العالم. وجذب أكثر من مليونين من الأتباع في ثلاثينات هذا القرن. لكنه عادى الحكومة فاعتقلته مرتين الأولى عام ١٩٢١ والثـانية عام ١٩٣٥، وهدمت معابد المذهب، ثم عادت وأفرجت عنه عام ١٩٤٥ فأعاد بعث الفرقة التى عُـرفت بأسماء كثيرة (المترجم) .

الكامي عام ١٨٩٢ فَظُنّ أنها جُنت. وقد كتبت وهي في حالة التلبس هذه نصوصا مقدسة تعرف باسم أفوديساكي Ofudesaki بأسلة من غصن، قام بتفسيرها، فيما بعد، أصغر أتباعها الذي أصبح زوج ابنتها، وتسمي باسم «دجوشي أونيسابورو Deguchi Onisaburo. وتشكل الأفوديساكى التي كتبتها دجوشي و«القصص عن عالم الروح» التي كتبها أونيسابورو النصوص المقدسة الأساسية لهذا المذهب، وقد تحدث أونيسابور عن نفسه في هذه القصص باعتباره يوحنا المعمدان.

وتوحي نبرة تعاليم «أموتو» - في بعض الأحيان. بالوحدانية، ثم نراها تؤكد أن المذهب يقوم على نظرة للإلّه تشمل في آن معا كل تناقضات الوحدانية، ووحدة الوجود (أو شمول الألوهية) وتعدد الآلهة، وهي تؤكد الغاية منها عندما تزعم أن جميع ديانات العالم قد بشرت «بالأموتو». وعلى حين أن «أونيسابورو» قد استلهم أساسا ديانة الشنتو - وفرقته الآن تدخل في جمعية فرق الشنتو - فقد قيل إنه أصبح يستضيف روح ميروكو Miroku (أي بوذا المنتظر)، وفي ذلك إشارة إلى «مذهب المخلّص المنتصر أو المسيحانية Messianisn»، وهي تقرّبنا من فكرة الإلّه القاضي والمخلّص في آن معا، الذي يطيح بالنظام القديم، ويقيم المملكة القادمة. لقد تطور الاضطهاد الذي تعرضت له فرقة أموتو قبل الحرب إلى أن قامت الحكومة بقمعها عام ١٩٣٥ — ولقد شجّع ذلك الفكرة التي تقول إن «كوارث منتظرة» لا بد أن تسبق مجيء المملكة.

أسس «ناكانو يونوسوك Nakano Yonosuke» عام ١٩٣٤ فرقة «أنانيكو An-anaikyo» عندما انشق عن فرقة «أموتو» غير أن الجماعة الحالية لا يؤرخ لها قبل عام ١٩٤٩، وهو أيضا تابع متحمس «لمذهب الروح (أو المذهب الروحي) Spiritism، كما يذهب إلى أنه يتلقى رسائل من العالم الروحى، وأنه خليفة دجوشي أو ينسابورو ويقبل «ناكانو» مذهب المخلّص المنتظر لعقيدة «ميتريا» داخل البوذية، ويتحدث عن توحيد جميع الأديان حول هذه المسألة. والاسم أناي Ananai نفسه يشير إلى نزعته الكلية، فأحد تفسيرات هذه الكلمة يعنى الحبل الذي يربط المؤمن بحقائق العالم الآخر مع العلم بأنها تُقال عن حبل من خيوط القُنّب تتعلق به الأجراس

الموجودة في واجهة هيكل الشنتو. كما تكتب هذه الكلمة مع الأعداد «٣» و«٥» وأحد التفسيرات أنَّ العدد «ثلاثة» يمثل ثلاثة أديان هي الأموتو، وهنج ـ وان ـ تسوهوى، والبهائية[١] Omoto, Hung-wan-Tsu-hui Bahai في حين أن العدد «خمسة» يمثل خمسة أديان في العالم هي: المسيحية، والإسلام، والكونفوشية، والبوذية، والتاوية. وتشدد هذه الديانة على التأمل، وإقامة مراصد في جميع أنحاء البلاد، إذ ينظر إليها على أنها وسائل اتصال بالكون Cosmos.

٢٥ ـ القوة في لؤلؤة:

تأسست ديانة سيكايكسكو Sekaikyuseiko (أي ديانة إنقاذ العالم أو العالم المنتظر) على يد «أوكادا موكيشى Okada Mokichi (١٨٨٢ ـ ١٩٥٥) عندما انشق عن فرقة أموتو Omoto. وقد اعتقد أنه وهب القدرة على الأعمال الخارقة، وهي قدرة كانون Kannon (أي بوذا المنتظر صاحب الرحمة)، وتذهب إحدى القصص التي تُروى عنه إلى أن هذه القدرة تتضمنها لؤلؤة صغيرة داخل جسمه، ويشع نور من هذه اللؤلؤة يقتل البكتريا! كما يُعتقد أنَّ لديه القدرة على شفاء الأمراض، وإثراء المحاصيل، وبسبب ذلك سُمّي هيكارى ـ سان Hikaii-San أى «رجل النور»، ويزعمون أنه قادر على تحويل القوة الشافية إلى قصاصات من ورق تكتب عليها العلامة اللغوية الدالة على «النور»، وهناك محاولة داخل مراكز هذا الدين لاقامة «المملكة»، فالشغل الشاغل لهذه الفرقة هو «إزالة المرض، والفقر، والحرب من هذا العالم وتحويله إلى جنة أرضية».

ويسمى الإلّـه باسم ميروكو Miroku (بوذا المنتظر) كما يقال إن الصحة والثراء والسلام هي علامات مملكته. وتقول إحدى الترانيم:ـ

«تعال، يا ميروكو، يا أيها الإلّـه العظيم، مزودًا بقوة عظمى،

قوة الثلاثة في واحد: النار، والماء، والتراب.

---

(١) البهائية مذهب دينى أسسه مفكر فارسى هو بهاء الله. وتولاه من بعده ابنه عبدالبهاء (١٨٤١ ـ ١٩٢١) وهو مذهب شديد القرب من البابية، ومتأثر بالكثير من المذاهب الصوفية والغنوصية ـ يدعو إلى وحدة الأديان بضرب من التربية والدعوة إلى السلام على الأرض، والأخذ بلغة عالمية واحدة. (المترجم).

ميروكو، يا أيها الإلّـه العظيم، لقد أنشأت السماء

فوق الأرض من قديم الأزل،

ميروكو، يا أيها الإلّـه العظيم، حتى عندما يتسلل لص، فإنك

تكون قد ولدت تحته بطريقة خفية.

تاركا خلفك العرش الممجد الرفيع،

فأنت دائما ما تولد تحته لكى تجلب الخلاص».

وهو يسمى أيضا كوميو ينوراى Komyo Nyorai

(أي بوذا صاحب النور أو أميدا «النور اللامتناهي»).

٢٦ ـ بيت النماء:

تزعم حركة «سيكو ـ نو ـ آي Seicho no- Ie» (أي بيت النماء)، «إنها حركة غير طائفية تسعى نحـو الحقيقة، وتقول تعاليمها إنَّ جميع الأديان صـدرت عن إله واحد كلي». ولقد أسس هذه الجماعة تانجـوشي ماساهارو Taniguchi Masaharu عـام ١٩٢٨ عندما اقتنع بأنه لا يوجد سوى كائن واحد حقيقى أطلق عليه اسم «جيسُّـو Jisso»(١)، أمـا جميع الموجودات الأخـرى فهى، ببسـاطة، من نتـاج فكر الإنسـان الخاص. ويمكن أن يقـال إنَّ هـذا الـوجود الحقيقـى هو «الكـامى» عنـد متعبـدى الشنتـو، ويمكن أن يكـون هـو «بـوذا» أو أميـدا (النـور اللامتنـاهي) عنـد البوذيين.. إلخ. ولابد أن يكون هو المسيح عند المسيحيين.

ويمارس «التأمل» عادة في المراكـز الرئيسية في مـدينة طـوكيو في «برج النـور» وهو يسمـى Shiso Kan (أى رؤية العقل الإلّـهى). ومن هذه المراكـز الرئيسية تخرج الـ نمبـــا Nempa أي «أمـواج» الرغبـة الروحيـة، وتقع «السوتـرا» المقدسـة في قلب تعاليمهـم، وتسمى «هطول الرحيـق الإلّـهي من المذاهب المقـدسة». ويفترض أنها ذات قوة فعّالة في تحقيق الإنسان لوضعه الحقيقى.

---

(١) إلّـه رحيم يهتم بالموتى من الأطفال، وقد سبقت الإشارة إليه (المترجم).

٢٧ ـ حركات نشرين :

سوف نشير إلى ثلاث فقط من الحركات الكثيرة التي استمدت إلهامها من نشرين وتعاليم اللوتس. تأسست المدرسة الأولى المسماة «ريوكاى Reiyukai»[(١)]، (أو جماعة أصدقاء الروح) عام ١٩٢٥ ونالت شعبية واسعة النطاق. ورغم أنها زعمت أنها تسير على التعاليم التقليدية لنشرين، وأنها تستخدم نصوص «اللوتس» في طقوسها اليومية، فإن جاذبيتها الرئيسية تكمن في تشديدها على عبادة الأسلاف، وقد جذب ذلك، بصفة خاصة، النساء المتزوجات اللائى سُمح لهن بإقامة حلقات اتصال بماضى أسلافهن. وقد أظهر من المؤسس وخليفته، وهي السيدة «كوتاني ميكي Kototani Miki» سمات شامانية، فهما يعدان الأتباع بالاتصال بروح العالم من خلالها. ولم يتم حصر أعضاء «يوكاى»، فمعظم المليونين أو الثلاثة ملايين الذين يدعى أنهم أتباع لها، هو في الوقت ذاته، أعضاء في جماعات بوذية أو شنتوية أخرى.

أما المدرسة الأخرى وهي ريسهو كوزايكاى Risshokosei Kai[(٢)]، فهي جماعة تستهدف إقامة «القانون الحق» في العالم، و«الأخوة» في الإيمان، وتحقيق الكمال، وقد ظهرت الجماعة إلى الوجود عالم ١٩٣٨ عندما إنسحب نيوانونيكيو Niwano Nikyo

(١) ريوكاى Reiyukai أو جماعة أصدقاء الروح وهي جماعة دينية يابانية تقوم على تعاليم مدرسة نشرين البوذية أسسها عام ١٩٢٥ نجار يدعى كوبوكالوتا Kubo Kakutero وتولت قيادتها سيدة تدعى كوتاني ميكى Katani miki عام ١٩٤٤ بعد وفاة «كوبو» ووصلت إلى قمة نشاطها في السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية وبعدها. ولقد كانت هذه الجماعة هي الأصل الذى تفرع عنه سبع ديانات جديدة كانت أكثر منها نجاحا منها الجماعة المسماه «رسهو كوزاى كاى Rissho-Kosei- Kai. وتشدد جماعة أصدقاء الروح على عبادة الأسلاف، وفعالية نصوص اللوتس وهي لا تعتمد على كهانة بل على معلمين من عامة الشعب، يعقدون لقاءات مع الأعضاء في منازلهم، وهي تزعم أنها تضم أكثر من أربعة ملايين عضو (المترجم).

(٢) Rissho-Kosei Kai جماعة دينية يابانية تقوم على تعاليم مدرسة نشرين البوذية. واسمها يعنى حرفيا «جماعة إقرار الاستقامة والعلاقات الأخوية». وهو فرع من جماعة «ريوكاي» السابقة وانفصلت عنها عام ١٩٣٨ . وقد أسسها بائع لبن هو «نيوانو نيكيو» وزوجة ورعة هي «ناجنوما» ـ وقد توفيت عام ١٩٥٧، وهذه الجماعة، مثلها مثل الجماعة الأخرى التى انشقت عن مدرسة نشرين ـ تشدد على أهمية نصوص اللوتس والترنم بها (المترجم).

و«ناجانوما ميوكو Naganima Myoko» من جماعة «رايوكاى». واشتهرت السيدة «ناجانوما» بسبب قدراتها الروحية ومواهبها في شفاء الأمراض، فاكسبها ذلك شعبية كبيرة، ونظر الناس إليها على أنها «بوذا الحى». ومنذ وفاتها عام ١٩٥٧ لم تعد العناصر الشامانية بارزة كما كانت في السابق، وإنما زاد الاهتمام بجماعات الاستشارة (Hoza) وبمحاولة إظهار البوذية في ثوب حديث، بوصفها عقيدة تمنح السلام والإرادة الطيبة.

ومن هنا نجد «نيوانو» يتحدث في شروحه الشعبية لنصوص اللوتس المقدسة عن الناس الذين يتطلعون لبلوغ مرتبة البوذا (أو التحقيق بالبوذا) عندما تزول سحب الخطأ السوداء. ومن حياة الرجال والنساء اليومية الذين يتحتم عليهم قبول مطالب بوذا لأن هذا وحده يمكن المرء من إظهار التوبة النصوح التي تساعد على تحطيم «الكرما Karma»[1] (أو الولادة الثانية). وحياة الإيمان تعنى الاتحاد مع بوذا، الذي هو اتحاد مع «الحياة العظيمة للكون» والدخول إلى عالم بوذا.

لم تبرز هذه الحركة شيئا من خصوصية بوذية نشرين المألوفة، وإنما كشفت عن الرغبة في إقامة علاقات في جميع الاتجاهات، ومن أمثلها الزيارات التي قام بها «نيوانو» إلى الفاتيكان، وجنيف، ولامبيث![2].

وكانت القاعة المقدسة الكبرى في طوكيو التي افتتحت عام ١٩٦٤ ــ محصّلة لمساهمات أكثر من مليون ونصف المليون من الأعضاء، وهي تشهد اجتماعات حاشدة.

---

(١) Karma سنسكريتية معناها «الفعل»، وقد سبقت الإشارة إليها من قبل. وهي من أهم مصطلحات الفلسفة الهندية، وتعكس اعتقادا عاما، بأن هذه الحياة ليست سوى حلقة في سلسلة من الحيوات Samsara تحددها أفعال المرء في الحياة السابقة. وهم يعتقدون أن ذلك هو قانون الطبيعة الذي لا يحتمل أى نقاش، ويكشف هذا القانون عدم كفاءة المخلوقات، ففي مجرى سلسلة الحياة وحلقاتها المتعددة يستطيع المرء بكفاءته، وكماله الخلقى أن يرتفع إلى مصاف الإله براهما أو أن ينحط بنفسه ليولد من جديد حيوانا، وسلوك المرء هو الذى يحدد سعادته أو شقاءه (المترجم).

(٢) حي من أحياء مدينة لندن يقع فيه مقر كبير أساقفة كانتربرى (المترجم).

٢٨ ـ نمو رائع :

كان تطور حركة «سوكاجاى Soka Gakkai» أو «جماعة خلق القيم»[١]، تطورا غير عادى أكثر من أي حركة دينية أخرى. فبينما كان عدد أعضائها لا يزيد عن خمسين ألفا عند افتتاح برنامج «شاكوبوكو Shakubuku» عام ١٩٥١، فإنهم يبلغون اليوم ما يقرب من ١٦ مليونا، و«لحزب الحكومة النظيفة» الذي يرتبط بهذه الحركة، ثالث أكبر تمثيل في اثنين من غرف المجالس النيابية (فقد بلغ ٥٩ عضوا عام ١٩٨٠).

واسم هذه الحركة يعنى «الجمعية العلمية لخلْق القيم»، وهي تعكس الهدف النفعى لمؤسسها «ماكي جوشي تسونيسا بورو Makiguchi Tsunesaburo (١٨٧١ ـ ١٩٤٤)[٢]. وقد قامت في البداية كمذهب في التربية يستهدف خَلْق قيم الخير والجمال والمنفعة. لكنه مع أصغر أتباعه تودا جوزى Toda Josei (١٨٩٩ ـ ١٩٥٨) وقع تحت تأثير جماعة «نشرين شوشو Nichiren Shoshu» (فرع من مدرسة الأرض الطاهرة) وهي جماعة صغيرة، ولكنها متعصبة لتراث نشرين، إذ زعمت أنها الممثل الشرعي الوحيد لتعليم القديس نشرين، وهذه الجماعة هي التي وحدّت بين القديس نشرين وبوذا الأزلي، وأهملت «سيكاموني» Sakyamuni (بوذا الأكبر)، كما زعمت أن الماندالا Mandala في دايزكجى Daisekiji (وهو معبدها الرئيسي قرب جبل فوجي Fujii) هو المعبد الأصلى الوحيد الذي أنشأه نشرين، ولهذا كان له الأثر الفعال في خلاص البشرية، وقد كان هدف هذه الجماعة هو الحصول على اعتراف بأن معتقداتها تمثل الديانة القومية.

(١) جماعة خلق القيم ـ جماعة دينية ارتبطت في اليابان بفرقة نشرين البوذية، ونمت نموا سريعا منذ خمسينات القرن الحالي حتى أصبحت أنجح حركة دينية في اليابان، وإن كانت تنتمى، من حيث ارتباطها بالقديس نشرين، إلى تراث القرن الثالث عشر، وقد أنشأت عام ١٩٦٤ حزبا سياسيا هو «حزب الحكومة النظيفة» فاز بمقاعد كثيرة في المجلسين التشريعين في اليابان (المترجم).

(٢) ناظر مدرسة سابق ـ اهتم بالجانب البرجماتى (العملى) للدين، فوضع نصب عينيه تحقيق ثلاثة أهداف هي قيم «الجمال» و«الخير» والربح أو المنفعة. عانى من اضطهاد الحكومة أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد وفاته قام تلميذه «تودا» بإحياء الجماعة عام ١٩٤٦. أما الرئيس الثالث «ايكيوا» فهو الذي يتولى قيادة الجماعة منذ عام ١٩٦٠ (المترجم).

فلا يوجد من أعضاء «سوكاجاكاى» سوى نسبة ضئيلة تنتمى كذلك لجماعة «نشرين شوشو». ولكن لا شك في أن التطرف ونزعة الخلاص الشديدة اللذين اشتهرت بهما الجماعة الكبيرة مستمدان من تعاليم الجماعة الأصغر، ويرجع نجاح «سوكوجاكاى» في جانب كبير منه، إلى رغبتها في التعبير عن الوعى القومى الياباني، فقد صممت بنية الجماعة تصميا يتيح التخفيف من غلواء الفرد، ومع ذلك يسمح للجماعة بالنمو جماهيريا متخلّصة من مساوىء الجماعة الأكبر. ولقد كانت التجمعات الأولى من القوة بحيث أمكن لهذا التنظيم أن يصمد، في حين أن العلاقات المتداخلة للجماعات الأولى ضمنت عدم انقسام الحركة إلى عدد لا حصر له من الجماعات المنشقة، على نحو ما حدث لبوذية شنجون Shingon، وكثير من الحركات الدينية الجديدة. ولما كانت الجماعات الأولى قليلة العدد، فإن الفرد لم يشعر فيها أبدا بالضياع.

٢٩ ـ الحقيقة المطلقة:

يعتمد المبدأ اللاهوتى لهذه الجماعة على أنها حركة تقوم على الحقيقة المطلقة، وأن السعادة تكفلها هذه الحقيقة. وهذه المقدمة كامنة بقوة في تنظيمها، وإن كانت تضم ببراعة العناصر التقليدية مع العناصر الجديدة. (وهي جماعة عملية ينصب اهتمامها على هذا «العالم الديوبى») ـ كما أنها خالية من أخلاقيات الزهد، ويمكن أن تصل بسهولة ويسر إلى الشخص العادى القادر على التكيف. والصلوات اليومية مطلوبة وأن كانت بسيطة وتتسم بالتكرار، أما الحج إلى ديزكيجى Dosekijii فهو أبعد شىء عن التنسك. وهناك مصدر قوة آخر هو التخلى عن الترتيب الهرمى المألوف في المجتمع، وتحديد مرتبة الفرد في هذه الحركة إعتمادا على جهده الخاص.

٣٠ ـ حركات جديدة أخرى:

وتُعدّ حركة كيودان Kyodan (أى الحرية الكاملة) مثالا جيدا للحركات الجديدة المتنوعة التي ازدهرت في العشرين سنة الأخيرة. أسسها ميكي توكوهارو Miki Tokuharu (١٨٧١ ـ ١٩٣٨) باسم «هيتو ـ نو ـ ميشى Guti-Nomichi» (أى طريق الإنسان) بيد أن هذه الحركة قُمعت عام ١٩٣٧، ثم أعاد

ميكى توكوشيكا Miki Tokuchika تأسيسها عام ١٩٤٦ باسم «جماعة الحرية الكاملة». واستخدام اللغة الإنجليزية نفسه يكشف عن زعم التحديث[١]، وتتبع عقيدتها المقدمة الأساسية التي تقول إنَّ «الحياة فن». ويظهر الجانب العملي في الأنشطة الموجودة في المراكز الرئيسية لهذه الحركة، فهناك ملاعب «للجولف»، وأفران لصناعة الفخار، وملاعب رياضية منّوعة، لأن الرياضية، والتربية، والرعاية الاجتماعية، والصلاة هي كلها رموز للتعبير البشرى عن الانسجام الذي يكافح الإنسان ليصل إليه. وللنشاط البشرى معنى لأنه يعبر عن الخلق الإلّهى، ومن خلال هذا النشاط يتحقق السلام والوئام.

٣١ ـ الإنسان يعكس الإلّه:

إنَّ فكرة الموجود البشرى بوصفه العالم الصغير Microcosm عامل مشترك بين معظم الديانات. ولكن الديانات اليابانية ـ نظرا لتأثرها الكبير بتشديد الشنتو على أهمية العالم اهتمت اهتمامًا بالغًا بالنشاط البشرى أكثر جداً من اهتمامها بالفكر البشرى. ومن هنا ربطت جماعة الحرية الكاملة بين النشاط والشخصية. فالناس تعكس الإلّه في نشاطها الخلاق (أو هم مرآة لهذا الإله) وهذا النشاط نفسه يكشف عنهم، كما يحافظ على فكرة الفردية التي ترغب المرحلة الديمقراطية لما بعد الحرب في تجسيدها. وفي استطاعة «الإنسان» أن «يعبّر عن هذه الفردية في كل فعل يقوم به، ولا شيء في شؤون البشر يستعصى على أن يصبح فنًا، وحياة الإنسان تبدأ وتنتهى بالتعبير عن الذات». (الحرية الكاملة: كيف تحيا حياة سعيدة ص١٧).

يمكن القول بأن الديانات الجديدة استعادت صلابة الجماعة وتماسكها بالنسبة لأناس يعيشون عصر تغير اجتماعى سريع. فقد مروا بتجربة انهيار الأنظمة القديمة التي ظهرت لتحقيق أمان الفرد والجماعة. والفرد بانضمامه إلى الحركة الجديدة يجد دفئا جديداً، وإحساساً جديداً بالجماعة. ويمكن كذلك أن يكون هيكل الشنتو رمزاً لتضامن الجماعة. وإن كان تراثها ينقصه تلبية حاجة أولئك الذين يتطلبون قدراً من

(١) انفردت جماعة «كيودان» ــ والكلمة اليابانية تعنى كنيسة أو جماعة دينية ــ باستخدامها للكلمات الإنجليزية، وهي ترى أن هدف الإنسان هو التعبير عن نفسه على نحو ممتع، ولهذا جعلت النشاط البشرى كله فنًا. (المترجم).

التحديث. غير أن الاعتمادية ليست هي كل شيء، فهناك أيضا الدعوة إلى التحقيق الإيجابي للذات الذى يعنى نمو الثقة بالنفس. وهكذا بدأت المشكلات الشخصية تحل. ولا يترك الحج الجماعى، والخدمة الاجتماعية، وقتا للاستبطان الذاتى المرضى الذي يؤدى إلى حالة الـ فيوان Fuan (القلق)، في حين أن برامج البناء الشامل الذي جعل البعض يسمون الحركات الجديدة باسم Tatem ono Shukyo(أي ديانات المبانى) يعطى الإحساس بالنجاح.

٣٢ ـ إحصاءات دينية:

ليست الإحصاءات الدينية مما يوثق به دائما، ولا يمكن في أية حال أن تكشف عما إذا كان أتباع دين معين حقيقين أم إسميين، فكثير من الفرق البوذية تحصى الأسر التى تودع ألواحها في معابدها ثم بعد ذلك يخصصون خمسة أفراد للأسرة. ومن الواضح أن ولاء الأسرة قد يختلف من الولاء الشخصى وليس غريباً أن يبلغ المجموع الكلى للإحصاء ١٨٠ مليون عضوا تقريبا، رغم أن العدد الإجمالى لسكان اليابان لا يزيد إلا قليلا عن ١١٠ مليون نسمة!

وتميل هياكل الشنتو إلى تسجيل جميع الداخلين في سلك الجماعة الذين يُسهمون في احتفالات الهيكل، وهو ما يفسر العدد التقريبى للأتباع بـ٨٥ مليون نسمة! ومع ذلك فلا يوجد إلا ٢٢ ألفا من الكهنة يقومون بالخدمة الدينية في ثمانين ألف هيكل. والأرقام التي تقول بها الفرق أكثر دقة مع فرقة تنريكو Tenrikyoالتى تذهب إلى أنها تضم حوالى ٢ مليون عضو لهم ١٥ ألف كنيسة (أو دار للعبادة) وأكثر من مائة ألف ممن تلقوا تدريبا علي القيام بالخدمات الدينية. وتضم فرقة كونكوكيو Konkokyo أكثر من ٦٠٠ ألف عضو يؤدون طقوس العبادة في ١,٣٥٠ معبد، ويقوم بالخدمة الدينية ٣,٦٠٠ كاهن. أما فرقة كيروزميكو Kurozumikyo فتذهب إلى أن عدد أتباعها أكثر من ٧٠٠ ألف، وإن كانت لا تملك سوى ٣٠٠ معبد يقوم بالخدمة فيها ٣,٤٠٠ كاهن.

أما الفرق البوذية (التى تزعم أن مجموع عدد أعضائها يبلغ حوالى ٣٧ مليون عضوا) فهى فرقة جودو شنشو Jodo Shinshu «وفرقة نشرين» وهما أكثر الفرق

شعبيـة ، وتضـم كل منهما أكثر من تسعـة مـلايين عضو. وعـدد أعضاء الجماعـات المختلفة المرتبطة ، بالشنجن Shingon أكثر من سبعة ملايين عضو. وفرق الزن zen أربعـة مـلايين ونصف المليـون ، والجودو أربعـة ملايين فما فـوق ، والتنـداى حـوالى المليونين . ومن المرجح أن تشمل الأرقام بالنسبة لبوذية نشرين أعضاء ديانات جديدة مثل جماعة رشوكوزيكاى Risshokoseikai و إن كان من الممكن أن ترفع هذه الأرقام لو شملت إحصاءات بأعضاء فرقة سوكا جاكاى Soka Gakkai .

أما الديانات الجديدة مثل حركـة «جماعة الحرية الكاملة» فهى تضم حوالى مليون عضـو، كما تضم جماعة «سيكـاكيـو سيكو» أقل مـن نصف المليون بقليل ، وجماعـة «سيكو نويمـى» أكثر من مليونين ونصف مليون عضـو. غير أن هذا المجموع الكلى يشير، ببسـاطة إلى عـدد المشتركين في نشراتها الأدبيـة ! وتضم جماعـة أموتـو Omoto حوالي مائة ألف عضو، وجماعة أنانيكو Ananaikyo حوالى ٢٠٠ ألف عضو.

أما المسيحيون فهم يشكّـلون في اليابان أقلية ضئيلـة تزيد قليلا عن ثلاثة ملايين نسمة ، أى حوالى ٣٪ من السكان .



«معجم بالمصطلحات»

- A -

Abhivayatana	أبهيفياتـانا ـــ سنسكريتيـة تعنى حرفيـا «السيطرة التـامة على الحواس» مرحلة تمهيديـة للتأمل في البوذية، وهي تنقسم داخليا إلى ثمان مراحل يشعـر فيها الإنســان أن العالم المادى أصبح غـريبا عنه وبذلك يتحرر من الأشياء الحسية .
Abhidhamna Pitaka	مجمـــوعـــة النصـــوص الثـــالثـــة التـي تشكل شريعـــة ترافـادا**Theravada** (أي طريق الشيوخ)في بـوذية جنوب شرقي آسيا، وهي مجموعة كلمات بوذا نفسه للتلاميذ ولفقهاء البوذية .
Abydos	أبيدوس ـ مدينة قديمة غرب النيل قريبة من البلينة الحالية في صعيد مصر . كـانت المركز الـرئيسى لعبادة أوزريس رب الموتى، وسيد العالم الآخر.
Adad	حـدد (أو أدد) إلـه الطقس عنـد السومـريين ــ يهب الحيـاة ويمكن أن يدمرهـا في آن معا، يصورونه ثورا جامحا كـالصاعقة، يختلط أحيانا بالإلـه «بعل» .
Addu	أدو ـ هو نفسه الإله السابق حدد .
Adema	أديما ـــ إلـــهة مهمتهـــا مـــراقبـــة الأطـــفال في الأســـاطير الرومانية .
Adi-grant	آدى جرانت ـ تعنى حرفيا المجلد الأول ـ المجموعة الأولى من كتب السيخ المقدسة .
Adi-nata	السيد الأول لقب للمخلّـص في الديانة الجينية في الهند .
Adityas	أبنـاء أديتى Aditi (اللامحدود) في أساطير الفيـدا، عددهم غير معلوم يقودهـم فارونا .
Adonis	أدونيس ـــ (أدون = السيـــد، أدوني = سيـدى) شـاب رائع الجمال في الأساطير اليونانية، حبيب أفـروديت قتله خنزير بَـرّى، توسلت أفـروديت عند زيوس فأمر بصعـوده من العالم السفلى إلى الأرض ستة أشهر ـ يرمز ظهوره إلى الربيع والخصب والنماء .
Advaita	اللاثنائية، الـواحدية ـ مدرسة من مـدارس الفيدانتا في الهند ترفض الثنائية وترى أن الواحـدية هي الحقيقة النهائية، نشأت في القرن السابع الميلادى .
Adyton	ممنوع الدخول، كانت تستخدم عند اليونان لمنع الجمهور من دخـــول المحـراب في الهيكل أو الكهـف السرى الـذي تقيم فيـــه العرّافة .
Aeneas	ايناس، بطل الإنيادة لفرجيل والجَّـد الأسطورى للرومان
Agape	أجـابى ـ المحبـة ـ الحب الـروحى أو الديني في مقـابل Eros الحب الشهواني .

Agathe Tyche — تيكى أجاثى أو الصدفة الطيبة في أساطير اليونان .

Akito — عيد رأس السنة الجديدة عند البابليين .

Agni — أجني ـ إلّـه النار وهـو المحور الذي يـربط عالم النـاس وعالم الآلهة في أسفار الفيدا

Agnosticism — اللاإدرية ، موقف فلسفي يتوقف عن الحكم بوجود أى شىء أو معـرفتـه ويكتفى بالجواب «لا أدرى!» ـــ وصف بـه مـذهب كونفوشيوس .

Ahimsa — أهمسا ـ سنسكـرتية تعنى حـرفيا «الـلا أذى» مبدأ أخـلاقي أساسى في ديانات الهند: الهندوسيـة والجينية والبوذية ـ عدم إيذاء الكائنات الحية .

Ahriman — أهـرمـان ـــ إلّـه الشر أو الشيطـان أو إبليس في الـديـانـة الزرادشتية .

Ahura Mazada — أهـورا مـزدا مكوّن من ثـلاث كلمات معنـاهـا «أنا الـوجـود الخالق» إله الخير والإلّـه الخالق في الزرادشتية .

Aite — الإلّـه آيتى إلّـه العالم السفلى في الديانـة الرومانية القـديمة ـ هاديس عند اليونان .

Akal — الصفة الثانية لله عند السيخ وتعنى الأزلى .

Akal Takht — عرش الواحد الأزلى عند السيخ .

Alakh — إلخ ـ الصفـة الثـالثة للـه عنـد السيخ وتعنى «مـالا يمكن وصفه» .

Albigenes — الألبجنيز ـ فرقـة دينية انشقت عن المسيحية وبشرت بتعاليم ماني الثنائية .

Alcmene — ألكيمنـا ـــ انتهـز زيـوس كبير الآلهة فـرصـة غيـاب زوجهـا أمفتريون Amphitryon في الحرب وتنكر في هيئة زوجها وجامعها وأنجب منهـا البطل هرقـل، ومن هنا جـاءت كـراهية هيرا زوجـة زيوس لهذا البطل .

Allat — الـلات ـــ الإلهة الأنثـى ـــ أو الإلهة الأم أو «الأم العظيمـة» في بعض مناطق الشرق الأدنى .

Amharaspands — الملائكة المقربون في الديانة الزرادشتية .

Amavavati — مدرسـة في النحت الهندى ازدهرت فيها بين القـرن الثاني قبل الميلاد والثالث الميلادى ـ أنشـأت الكثير من المعابد لا سيما المعابد البوذية الضخمة في الهند .

Amaterasu — أمـا تيراسـو ـ إلهة الشمس في اليـابـان ، يعتبرونها الجد الأول للأسرة الإمبراطورية .

Amun
Amaunnet — أمـون وأمونت ، زوجـان من الآلهة المصرية القـديمة الثمانيـة التي لعبت دورا جوهريا في خلق العالم في ديانة مصر القديمة .

Amitabha
أميتبها ـ تعنى حرفيا «النور اللامتناهى» الذي هو حقيقة بوذا وماهيته، موضوع الإيمان الأول في البوذية، يضرعون إليه للخلاص في بوذية المهايانا اليابانية باسم أميدا Amida

Amoghavajara
أموجها فاجرا (٧٠٥ ـ ٧٧٤م) راهب بوذى هندى أحد ثلاثة يُسمّون «بالصوفية النقية» هو الذي أدخل بوذية الكلمة الصادقة إلى الصين.

Amun
آمون ـ ملك الآلهة ورب الأرباب في الديانة المصرية القديمة ازدهر في الدولة الوسطى في طيبة وفيها شُيّد معبده الضخم «الكرنك»، هرع الإسكندر إلى معبده في سيوه يتلقى بركاته.

Amurru
أمورو ـ إلّه البدو القاطن في الصحراء عند السومريين، وهو نفسه إله الطقس.

An
آن ـ إله السماء عند السومريين، والكلمة تعنى الأعالى أو السماء وهو زوج الإلهة «كي» أو الأرض، وهو نفسه الإلّه آنو Anu.

Analects of Confucius
مختارات كونفوشيوس ـ مجموعة من المحاورات والأحاديث لحكيم الصين وتسمى أحيانا شذرات كونفوشيوس ـ هامة في الديانة الكونفوشية.

Ananaikyo
أنانيكو ـ فرقة دينية انشقت عن جماعة أموتو ـ ازدهرت ابتداء من عام ١٩٤٩ داخل بوذية اليابان؛ تنزع إلى توحيد الأديان.

Anansi
أنانسي ـ شخصية في الأدب الشعبى الأفريقى تلعب دور المخادع.

Anat
عناة ـ إلّهة الحب والخصب عند السومريين وهي عشتار عند البابليين مذكورة في أسفار العهد القديم يشوع ١٩ : ٣٨ وقضاة ٣ : ٣١

Anatta
الأناتا ـ اللاذات أو اللاجوهر، وهي في البوذية الاعتقاد بأنه لا يوجد في الإنسان جوهر خالد دائم يسمى «بالروح».

Angad
أنجاد (١٥٠٤ ـ ١٥٥٢) المعلم الروحى الثانى للسيخ.

Angas
أنجاس ـ سنسكريتية معناها أقسام وهي تشير إلى نصوص الشريعة البوذية وأقسامها.

Ani
آني ـ أحد حكماء مصر القديمة ألفَّ كتابا من أمتع ما خلفه الأدب المصرى.

Anicca
الزوال، اللادوام صفة أساسية لكل الموجودات في الديانة البوذية.

Animal Worship
عبادة الحيوان ـ إتخذت بعض الحيوانات في مصر القديمة تجسيدا لقوى معينة كالإخصاب في حالة الثور مثلا ـ وفي اليونان اتخذت البومة رمزا للحكمة أو الإلهة أثينا لكنه قد يُعبد لذاته كما هو الحال في الطوطمية.

Anu — آنو ـ إله السماء عند السومريين وهو نفسه الإله آن .

Anubis — أنـوبيس ـ إلـه الموتى عنـد قـدماء المصريين ـــ كـان حارسـا للجبَّانة ومشرفـا على التحنيط ـ تخيلـوه على هيئة إنسـان له رأس ابن آوى ـ هو نفسه الإله سوكاريس ـ طغى عليه أوزريس ـ يعرف أحيانا باسم أنبو Anpu .

Annunaki — أنوناكي ـ آلهة العالم السفلي عند الأكاديين.

Aphrodite — أفروديت ـ إلهة الجمال والحب والجنس عند اليونان هي نفسها فينوس عند الرومان ـــ ولدت من زبد البحر (Aphros = زبد) أو الأعضاء الجنسيـة لأورانس إلـه السماء بعد أن قتلـه ابنه كـرونوس والقـاه في البحـر ـــ راعيـة غـانيـات أثينـا ـــ هي نفسهـا عشتـار الآسيوية .

Apis — عجل أبيس أو الإلّـه الثـور ـــ عَـبَـدَه المصبريـون في منف كتجسيد للخصوبة ، من أقدم عبادة للحيوان في مصر.

Aplu — أبلو ـ الإسم القديم للإله أبو للو .

Apollo — أبو للـو ـ إلّه متعدد الـوظائف في أساطير اليونـان تأثيره قوى بين الآلهة يجعل النـاس يدركـون خطايـاهم ويطهرهـم منهـا ولهذا سُـمّى بالمطهـر والمضيء ـ ابن زيوس والإلهة ليتو Leto وشقيـق أرتميس .

Arallu — أرالـو ـ الجحيم المظلـم أو العالم السفلي ، أو دار الأشبـاح في الأساطير البابلية .

Aranyakas — أرانياكا ـ نصوص الغابة وهي خاصة بالرهبان لكن يمكن أن تهدى الشيـوخ الـذين تـركـوا أهلهم ليقيمـوا في الكهـوف والغابات .

Archontes — الأرشونتيون ، حكام الظلام في الديانة المانوية ومن أجسادهم خُـلق العالم .

Ardha-Magadhi — لغة كتابة النصوص في الديانة الجينية وهي غير لغة براكريت Prakrit أي اللغة الدارجة أو الشعبية .

Ares — آريس ـ إله الحرب في أساطير اليـونان وعشيق أفروديت إلّـهة الحب والجمال وزوجـة هيناستـوس ـــ شـاهدهما «هليـوس» إلّـه الشمس فأخبر الزوج ـ آريس عند اليونـان هو نفسه الإلّـه مارس عند الرومان .

Arhat — راهب البوذية الذي وصل إلى مرحلة النزفانا .

Aritimi — الإلهة آرتيمى عنـد الرومان هـي نفسها الإلّـهة أرتيمـس عند اليونان

Arjuna — أحد أبطال المعركة التى روتها ملحمة البهابهاراتا .

Arora — الطبقة الدنيا في مجتمع السيخ .

Artemis	آرتميس إلـهة الحيـوانات البّـرية والصيد ازدهـرت عبادتها في كريت .
Aruru	أرورو ـ إلـهة سومرية زوجة الإلـه «أيا» وقد ساعدت زوجها في خلق البشر من الطين بقوة الكلمة الإلهية .
Arydeva	أرياديفا (١٧٠ ـ ٢٧٠م) فيلسوف بوذي أسس إحدى الفرق البوذية ذات النطرة الوسط .
Aryans	النبلاء ـ علية القوم ـ الآريون ـ الهند ـ أوربيون .
Aryan-Samaj	الجماعة الآرية ، فرقة دينية لإصلاح الهندوسية الحديثة أسسها عام ١٨٧٥ راهب هندوسي هو «ديـا ننداسار سفاتي» للعودة إلى السلطة الروحية للفيدا أقدم الكتب المقدسة في الهند .
Asag	أساج ـ عفريت الأوبئة والأمراض في الديانة السومرية .
Asanga	أسـانجا (في القـرنين الرابع والخامس م) راهب بـوذى أسس مدرسة مثالية داخل البوذية هي «التطبيق العملي لليوجا» .
Asat	العالم السفلي في الديانة الهندوسية .
Asceticism	مـذهب الـزهـد أو النسك أو التقشف ـ انتشر في كثير من الديانات القديمة نهت عنه الزرادشتية .
Asclepius	إله الطب والشفاء عند اليونان والرومان ـ ابن زيوس وعروس البحـر كـرونيس Coronis كان بـارعا في فن الشفاء ـ خشى أبوه زيوس أن يجعل النـاس خالدين فقتلـه بصاعقة وهو والـد هيجيا Hygieia إلـهة الصحة عند اليونان .
Assuras	أشوراز ـ آلهة الفيـدا صنفان ديفاز وأشوراز والثـانية مستمدة من أهوراز الإيرانية .
Astarte	عشتار أو عشتروت إلهة كبيرة في مجمـع الآلهة السومـرى إلـهة الحب والجنس والخصب والحرب أحيـانـا ، عُـبدت باسم أنـانـا وعشتار وعشتـاروت مذكـورة في العهد القـديم بكثـرة ملوك أول ١١ : ٥ , ٢٣ وثـانى ٢٣ : ١٣ ـ أصبحت ازيس وحتحـور عنـد المصريين ، وأفروديت وأرتميس عنـد اليونـان وفينوس وجونـو عند الرومان .
Atar	عتر ـ إلـهة عنـد عـرب الجنـوب في اليمن وهي فتـاة عنـد السوريين .
Atargatis	أتار جتيس ـ الإلهة الأم أو «الأم العظيمة» عند اليـونان وهي هيرا .
Atharvaveda	القسم الرابع من أسفار الفيـدا في الديانة الهنـدوسية ويحتوى على ترانيم وتعويذات ورقى سحرية . . . إلخ .
Atheism	الإلحاد أو الزندقة عكس التأليه Theism ....
Athena	أثينـا ـ إلهة الحكمـة عند اليـونـان ، وهي نفسها مينـرفا عنـد الرومان ، خرجت من رأس زيوس بعد أن أصيب بصداع شديد ـ إلـهة للحرب أيضا وحامية مدينة أثينا .

Atisha	أتيشا (٩٨٢ ـ ١٠٥٤م) مصلح بوذي هنـدى كانت تعاليمه الأساس لإنشاء فرقة بوذية في التبت.
Atman	الروح في أسفار الفيدا الهندية.
Atrahasis	أتراحسيس ــ ملحمة بابليـة قديمـة تصف خلق الموجودات البشرية في شيء من التفصيل.
Atum	أتـوم ـ الإلّــه الخالق في الأساطير المصريـة القديمـة ـ اسمـه يعنى «الإلّـه الذي أتمَّ نفسه بنفسه» فقد خلق نفسه أولا ثم خلق العالم وهو نفسه الإلّـه خبرى Khepri.
Augurs	المتطيِّرون ـ جماعة العرافين الذين يدرسون إرادة الآلهة بمعرفة اتجاه الطير في تحليقه.
Avalokitesvera	أفالـوكيسفارا ـ سنسكريتيـة معناها «السيد المتنظـر» أو «بوذا القادم» صاحب الرحمة اللامتناهية.
Avasyakas	طقوس إلزامية في الديانة الجينية.
Avatamsaka Sutra	مجموعة أحـاديث بوذا ـ نصوص مقـدسة في بوذية المهـايانا ـ أهم تعاليم بوذا الأكبر.
Avatara	أفاتارا ـ سنسكريتية معناها الحرفي «هبوط» في الهندوسية وهي تعنى تجسد أحد الآلهة في هيئة بشرية أو حيوانية.
Avesta	الأبستاق ـ فارسية تعني «الأصل» أو «المتن» الكتاب المقدس عند الزرادشتيـة. وهناك Zend - Avesta أي الشروح على المتـن ـ يحتـوى الكوبنـات التـانـوت ـ الترانيم ــ تعـاليم زرادشت. . . . إلخ.

- B -

Ba	بـا ـ الـروح عند قـدمـاء المصريين، تخيلوهـا على هيئة طـائر لقدرتها على ترك الجسم والطواف في أماكن كثيرة.
Bacchus	بـاخــوس ــ إلـــه الخمـر والنشـوة عنـد اليـونـان (انــظر ديونسيوس).
Bahaism	البهـائية ــ مذهب دينى أسسـه مفكر فـارسى هو بهاء اللـه (١٨١٧ ـ ١٨٩٢).
Bahubali	بـاهو بـالى ـ قـوى الذراع ــ ابن المخلّـص الأول في الـديانـة الجينية.
Bali	بالى ـ الشيطان في الديانة الهندوسية.
Basava	باسافا ـ مصلح دينى.
Bel	بعل ـ (والكلمـة، تعنى حرفيـا: السيد أو الزوج) إلّـه المطر والسحاب عند البابليين ـ ويختلط أحيانا بالإلّـه «حدد».
Benben	بن بن ـ حجـر قديم مخروطى الشكل وجد في معبـد الإلّه رع في هليوبوليس يقال إنه تمت محاكاته بدقة في بناء الأهرامات.

Bhadrahu
بهادراهـو ـ راهب هنـدى (تـوفي ۲۹۸ ق . م) رأس الجينيـة وأسس جماعة العراة Diambava .

Bhagavantara
بجفانتارو ـ إلـه الرعد والمطر عند القبائل الآسيوية.

Bhagavan
بجفان ـ الإله الذي يهيمن على الكون عند القبائل الآسيوية.

Bhakti
بـاكتي ـ حركـة دينيـة داخل الهندوسيـة تشـدد على تكثيف عاطفة المتدين في حبه للإله الذى يعبده .

Bhikkus
الراهب البوذي ـ أحد جماعة السنغا.

Bhutas
بهوتاز الروح القلقة في الهندوسية ـ ويمكن أن تكون مؤذية إذا لم تؤد لها الطقـوس المناسبـة ـ يخشـاها الأطفـال والنساء وحـديثو الزواج .

Bo
بو ـ شجـرة مقدسة في الديـانة البوذية ـ وصل بوذا تحتها إلى مرحلة الاستنارة .

Badhidharama
بودهدراما ـ راهب بوذي اشتهـر بقدرته الفائقة على البقاء في حالة تأمل فترة طويلة .

Bon
بون ـ الديانة الأصلية لسكان التبت قبل دخول البوذية .

Book of Change
كتاب التغيرات ـ من الكتب الأساسيـة في الكونفوشية ـ قيل إن كونفوشيـوس كتبه بنفسه ـ لكنه جمعـه من تراث الصين القديم ويسمى I ching .

Book of dead
كتاب الموتي ـ مصطلح أطلقه العلماءعلى مجموعـة من الرقى والتعاويـذ التي تحمى الميت وترشده في العالم الآخـر اسمه المصرى «الخروج من الموت بالنهار» .

Brahma
برهما ـ أحـد آلهة الفيدا الرئيسية في الـديانة الهندوسيـة ـ ثم مع ظـهور الفرق والطوائف طغى عليه «فشنو وشيفا ـ ولا ينبغى الخلط بين برهما في صـورته المذكـورة وبين برهمان Brahman المحـايـد من حيث الجنس الذي هـو القوة العليا والحقيقـة النهائية للكـون ، وقد ارتبط بالإلـه الخالق في الفيدا ، وسمى باسم براجباتى Prajapati

Brahma
الإله الخالق في الهندوسية (انظـر المصطلح السابق) ـ قيل إن براهما ولـد من بيضة من ذهب ، ثم استـدار فخلق الأرض وجميع الأشياء ، وذهبـت بعض الطوائف الأخـرى إلى أنه ظهر مـن زهرة اللوتس Lotus التي خرجت من سُـرة فشنو.

Brahmacarya
العفة ـ حالة الطالب الدينى الهندوسي غير المتزوج ، وإحدى المراحل الأربعة في حياته .

Brahman
برهمان : الاسـم الذي أعطته الأوبنشـاد للموجـود الأسمى ـ وبرهمان محايد من حيث الجنس ـ وقد تجسد في الإلـه الخالق براهما (المذكـر) . ووضع في مثلـث مقـدس هـويـرهما (الخالق) فشنـو (الحافظ) وشيفا (المدمر) .

Brahmana	البرهمي ـ في السنسكريتية مالـك براهما ـ أعلى طبقة اجتماعية في الهنـدوسيـة وهي طبقـة الكهنـة ، ويـرجع وضعهم الـرفيع إلى تقسيم الفيـدا للسكان إلى أربع طـوائف مغلقة . الشروح الملحقـة بالفيدا أقدم الكتب المقدسـة في الهندوسية وهي تفسر معنى الفيدا على نحـو ما تستخـدم الطقوس والقـرابين ، والمضمـون الرمـزى لأعمال الكهنة . وكلمـة براهمانـا Brahmanaقـد تعنى إما أقـوال البرهمى Brahmin أو شرح معنى الكلمات المقدسة .
Brahman Aspati	بـرهمانا سبـاتي ـ إلـه قـوى السحر التي تُـمسك بالكـون في الهندوسية.
Brahmanism	البرهمية ـ ديانة الهند القديمة وهي مستخرجه من كتب الفيدا ـ وقد استمـدت اسمها من أهمية براهمان بوصفـه قوة عليا ، ومن وضع طبقة البراهمة (الكهنة في الهندوسية) في آن معا .
Brahma-Samaj	جماعة براهما ـ حركة دينية داخل الهندوسية تشبه البروتستانتية تأسست في كلكتا عام ١٨٢٨ ، لا تعترف بسلطـة الفيدا ولا تؤمن بتجسد الآلهة .
Buddha	بوذا (٥٦٣ ـ ٤٨٣ق . م) مؤسس البـوذية اسمه الحقيقى سد هارتاجوتاما كلمة بوذي تعنى «المستنير» «المتنور» أو المستيقظ ـ ابن أحـد حكام مقـاطعة سـاكـاس (ولهذا يسمى حكيم ساكـاس) ، نقطة التحول في حياته مع سـن ٢٩ عندما أدرك أن الإنسان يعانى المرض والشيخوخة والموت ـ أقلع عن حياة الإمارة وتحول إلى ناسك متجول حتى جاءه الإلهام (الاستنارة) تحت شجرة البو Bo .
Buddha-carita	«حديث عن أعمال بوذا» ـ كتاب يروى حياة بوذا في قصيدة ، كتبه أحد شعراء الهند في القرن الثاني الميلادى ـ نموذج رائع للأدب البوذي .
Buddha-Dhamma	دهمابوذا ـ الحقيقة الكلية عنـد بوذا ، أو العناصر الأولية التي يتألف منها العالم في ميتافيزيقا البوذية .
Buddha Ghosa	بـودا جهـوزار مفكـر هنـدى بـوذي في أوائل القـرن الخامس الميـلادى اشتهـر بكتـابـه «الطـريق إلى النقـاء أو الطهـارة» وهـو تلخيص للمذاهب البوذية الرئيسية في عصره .
Buddhahood	المرتبـة البوذيـة ، حـالة الاستنـارة التي يمكن أن يصل إليهـا البوذي وهي مثله الأعلى.
Buddhism	البوذية ـــ ديانة وفلسفة أسسهـا «سد هارتاجـوتاما» في شمال الهنـد في القرن السـادس ق . م ثم انتشرت في وسط آسيـا والصين وكـوريا واليـابان . . . إلخ تعتمـد على تركيـز التأمل للوصـول إلى حالـة النرفانا ـــ وهي تُـعنى بإنكار الـذات وضبط العواطف وقتل الرغبة أكثر من عنايتها بالشعائر.

Buddhist Meditation — التأمل البوذي ـ ممارسة التركيز الذهني من خلال أربع مراحل (الانفصال عن العالم الخارجي ـ تركيز الوعى ـ زوال المتع ـ السكينة) ـ يؤدى إلى الحرية الروحية أو «الترفانا» ويحتل التأمل مركزا رئيسيا في البوذية .

Bodhi — المتنّور أو المستنير أو المستيقظ آخر مرحلة يأمل البوذى في الوصول إليها بعدها يتخلص من دورة التناسخ ويدخل الترفانا أو يصل إلى التحرر الروحى .

Bodhisattva — بوذا المنتظر ـ أو الشخص الذي يصل إلى مرحلة ما قبل الاستنارة ـ أي الشخص الواعد أن يصبح بوذا ـ وعدد هؤلاء من الناحية النظرية لا حصر له ـ يحمل أسماء مختلفة في الصين والتبت واليابان .

Bu-ston — فقيه البوذية في التبت (في القرنين الثالث عشر والرابع عشر).

Butsudan — مذبح الأسرة البوذية في اليابان ، خزانة في الحائط توضع فيها أشياء مقدسة مع الشموع والبخور.

- C -

Callisto — أحد توابع جوبتر (المشترى) عند الرومان . إلهة صغيرة كانت ترافق أرتميس وترتدى زيهاغرر بها زيوس فمسختها أرتميس دبة لغضبها منها .

Canons of Logic — أحكام المنطق ـ الكتاب الرئيسي للفيلسوف الصيني موتسو Mo - Tzu(٤٧٠ ـ ٣٩١ ق . م) .

Carmentes — آلهة تقدم النور والسحر اللازمين لولادة الطفل السهلة في أساطير الرومان .

Caste System — نظام الطبقات المغلقة في مجتمع الفيدا الهندى وهى أربع : البراهمة (الكهنة) ـ الكشاترية (المقاتلون) ـ الفيزيا (الزراع والتجار) ـ الشودرا (أي الخدم) .

Castor & Pollucks — كاستور وبولكس : توأم من «ليدا» ملكة طروادة كان الأول من زوجها الملك فكان فانيا ، والثاني من زيوس فكان خالدا ـ أصبحا في الفلك الجوزاء .

Catechism — التعاليم الشفهية في الدين عن طريق السؤال والجواب (انظر الزرادشتية).

Ceres — كيرس ـ أوسيرس إلــهة الأرض والمشرفة على الزراعة ـ إلهة القمح في أساطير الرومان

Ch'an — تشين ـ كلمة صينية تعنى التركيز والتأمل ومنها جاءت كلمة زن اليابانية .

Ch'an Buddhism	بوذية المهايانــا في الصين، ركزت على الـتأمل ولهذا سُـمّـيت بوذية التأمل وسميت في اليابان بوذية زن (أي التأمل).
Chance	الحظ أو الصـدفـة إلهة سيطــرت في العصر الهلنستى (انظـر Tyche).
Chaos	العماء ــ الفـوضى أو الفراغ الأول قبل ظهـور الموجـودات في أساطير اليونان ـ ذكره هزيود في أنساب الآلهة.
Centaurs	القناطير ـ جماعة من الوحوش البرية، في أساطير اليونان، لها رأس إنسان وجسد حصان، وتعيش في الغابات وأعالي الجبال.
Chen Ye Buddhism	بوذية الكلمة الصادقة في الصين ـ وهي نفسها بوذية شنجون في اليابـان ـ محاولة للـوصول إلى الحكمة الخالـدة لبوذا التي لم يعبر عنها في كلماته ولم تكن معلنة للناس.
Ch'ing-Tu	مدرسة «الأرض الطاهرة» البوذية في الصين تؤمن بعقيدة بوذا أميتبها(صاحب النور الـلامتناهي) ـ تأسست في الصين في القرن الرابع انتقلت إلى اليابان في القرن الثاني عشر.
Chou Tun-i	فيلسوف صيني من المبشرين بالكونفوشية الجديدة (١٠١٧ ـ ١٠٧٣) وهي المذهب الـذي أصبح نموذجا للفكـر الصيني لمدة ألف عام تقريبا.
Ch'u	المائدة أو المأدبة التـاوية ـ لقاء مشترك من مجمـوعة من الأسرة التاويـة يرشـدها ويـوجهها معلم محلي في أيـام معينة ومنـاسبات خاصة.
Chuang-Tzu	شوانج تسو ـ اسم كتاب يحمـل أيضا اسم مؤلفه وهو حكيم صينى ازدهر في القرن الرابع وترجع أهميته إلى تأثيره الكبير في تطور بوذية التأمل في الصين.
Chu Hsi	تشوهسى ـ فيلسوف صينى (١١٣٠ — ١٢٠٠) صـاحب نظرية في الكونفوشية الجديـدة سيطرت فلسفته في الصين وكوريا واليابان لفترة طويلة.
Chum -Tzu	الإنسان الأعلى أو المتفوق، حرفيا «الإنسـان المهذب الكامل» وهـو مَـــنْ تطابق تصرفـاتـه وسلـوكـه المثل العليـا للكونفـوشيـة الصينية.
Claros	مـدينة كـلاروس على ساحـل أيونيـا، كان بها عـّـرافة شهيرة للإله أبو للو.
Cleanthes	كليـانتس (٣٣١ ـ ٢٣٢ ق. م) فيلسـوف رواقي كـان يتغنى باسم زيوس كبير آلهة اليونان.
Coffin Texts	متـون التوابيت، مجمـوعـة من النصـوص الجنائزيـة في مصر القديمـة، مكتوبة على التوابيت التي تُـصنع عادة من الخشب، وهي تتميز بأنها تُـقـدم للأشخاص غير الملكيين.

Confucianism
الكونفوشية ــ ديانة ومذهب فلسفي أسسه حكيم الصين كونفوشيوس مستمدا عناصر كثيرة من العقائد السابقة ـ يقوم على مبادىء أخلاقية منها حسن العلاقة بين الأفراد، أواصر الود في الأسرة ــ حسن التعامل بين الرئيس والمرءوس، اقترحت قيام حكومة عالمية.

Confucius
كونفوشيوس (٥٥١ ـ ٤٧٩ق. م) بالصينية كونج ـ فو ـ تسي أي كونج المعلم ـ أسس الكونفوشية مذهبا أخلاقيا في أساسه إلا أنها تأثرت بعناصر دينية مستمدة من المعتقدات السابقة.

Coressus, Mount
جبل كوريسوس في أفسس أحد القمم التي أُقيم عليها معبد زيوس.

Cosmology
الكسمولوجيا أو الكونيات ــ دراسة عقلية لأصل العالم وطبيعته وقوانينه العامة. . . إلخ.

Cow Protection
حماية البقرة ـ على الرغم من أن الثور يُضحى به في الديانة الهندوسية ويقدّم لحمه قرابين في فترة الفيدا ـ فإن ذبح البقرة التي تدر اللبن كان محرما، وهناك نصوص في الريج فيدا تشير إلى تقديسها.

Cremation
إحراق جثث الموتي في الهندوسية في مقابل التحنيط عند المصريين القدماء Embalment، والدفن Burial عند البابلين، أو عرض جثث الموتى فوق «أبراج الصمت Towers Of Silence- Dakhmas لتلتهما الطيور الجارحة في الزرادشتية حتى تتجنب تلويث الأرض بالدفن أو تلويث الهواء بالاحراق. . . . إلخ.

Cronus
كرنوس إله الزمان في أساطير اليونان ابن أورانوس (السماء) وجيا (الأرض) خصى والده بناء على نصيحة أمه بمنجل ففصل السماء عن الأرض وتزوج أخته «ريا» فأنجبت له هستيا، وديمتر، وبوزيدون، وهيرا، وهاديس، فابتلعهم كرنوس خوفا من أن يفعلوا معه مثلما فعل هو مع والده أورانوس، فيما عدا «زيوس» الذي أخفته أمه «ريا» في جزيرة كريت ووضعت حجرا في لفائف ابتلعها كرونوس على ظن أنها ابنه الأخير الذي أصبح كبيرا للآلهة.

Crocodile-God
الإله ـ التمساح: ظهرت عبادته في أرض البحيرة في الفيوم في مصر القديمة.

Cunina
كونينا ـ إلهة المهد عند الرومان وهي مخصصة لهز المهد لينام الطفل.

Cybele
سيبيل ـ إلهة الأرض أو الالهة الأم (وأحيانا أم الآلهة)، عُرفت بهذا الاسم عند اليونان والرومان وآسيا الصغرى حتى القرن الخامس قبل الميلاد، ثم عُرفت بأسماء أخرى كثيرة، عناة، عشتار، ايزيس. . . إلخ.

- D -

Dadu
دادو ـ راهب هندوسى أسس فرقة دينية في القرن السادس عشر ـ رفض سلطة الفيدا أقدم الكتب المقدسة عند الهندوس والتميز بين الطبقات وصور العبادة الخارجية

Dadu Panthis
أتباع دادو وكان معظمهم من الرهبان .

Dagan
دجن ـ إله الطقس عند البابليين .

Dakhamas
«أبراج الصمت» طريقة للتخلص من جثث الموتى بوضعها فوق الأبراج لتلتهمها الطيور الجارحة عند الزرادشتية (قارن Cre-mation) .

Dalai Lama
الدلاى لاما ـ الزعيم الروحى للبوذية في التبت .

Darshamas
الكلمة تعنى «يرى أو ينظر» فهي وجهة نظر أو مذاهب ستة في الهندوسية .

Dasam Granth
دسام جرانت ـ مجموعة من الكتابات منسوبة إلى المعلم الروحى «جوبند سنج» المعلم العاشر وآخر قائد للسيخ ، لا يحظى بمرتبة أدى جرانت (قارن)

Davaras
مجموعة من الآلهة (والكلمة تعنى العبودية والقصور الذاتي) يقودهم الإله فارونا في أسفار الفيدا .

Dayananda Sarasvati
ديانند اسار سفاتي (١٨٢٤ ـ ١٨٨٣م) راهب هندوسى ومصلح اجتماعى أسس عام ١٨٧٥ حركة تزعم العودة إلى السلطة الروحية للفيدا أقدم الكتب المقدسة في الهند .

Delos
جزيرة على بحر إيجه ـ مركز دينى هام في الديانة اليونانية القديمة .

Delphi
دلفى ـ أقدم وأهم مقر لعبادة الإله أبوللو في اليونان ، توجد فيه عَرافته الشهيرة ـ كانوا يعتبرونه مركز الكون .

Demeter
الإلهة ديمتر ابنه كرونوس وريا وأخت زيوس هي الأرض الأم (اسم الآلهة هيرا في إليوسس) اشتهرت بالبحث عن ابنتها برسفونى التى خطفها هاديس إله العالم السفلى .

Dengyo Daishi
اسمه الحقيقي سيكو (٧٦٧ ـ ٨٢٢) راهب بوذي أسس مدرسة تندابي (قارن) في اليابان .

Determinism
الحتمية ـ نظرية ترى أن سلوك جميع الأشياء ، بما فيها الأفعال الأخلاقية ، تحددها سلفاً أسباب موجودة ، وبالتالي ترفض أن يكون لدى الإنسان إرادة حرة .

Devas
الديفاز ـ آلهة الفيدا وتصنف حسب قوى الطبيعة ، فهناك إله للسماء ، والهواء ، والأرض (فارونا ، اندرا ، سوما Soma) بعد تطور الهندوسية وظهور البوذية والجينية أصبحت هذه توابع لوجود سام واحد لا يسمى «ديفا» بل «السيد» .

Devourer of Dead — ملتهم الموتى ــ وحش في أساطير المصريين القدماء يقف في انتظار محاكمة الموتى، فمن كان صالحا كتبت له السعادة الأبدية، ومن يدان يلتهمه الوحش.

Dhamma — دهما سنسكريتية ــ تُعدّ من المصطلحات الرئيسية ذات المعاني المختلفة، فهى في الهندوسية «القانون الأخلاقي» وفي «البوذية» «الحقيقة الكلية» وفي الجينية «الفضيلة الأخلاقية» والجوهر الأزلي الذي يُحّرك العالم في آن واحد.

Dhyana — دهيانا سنسكريتية تعنى التأمل أو التفكر ـ تحولت إلى شن في الصينية و«زن» في اليابانية.

Diana — ديانا ـ إلهة رومانية إتحدث مع أرتميس اليونانية، واسمها يعنى «المنير أو المضيء» لهذا كانت إلهة القمر وراعية الحيوانات الأليفة ـ ترتبط بالاخصاب تضرع إليها النساء في الحمل والولادة.

Digambara — فريق العراة في الجينية (الفرقة الرئيسية الثانية إلى جانب فريق الأردية البيضاء) ملتحفو السماء، رهبان الجينية يسيرون عراة باستمرار و يرفضون دخول النساء في سلك الرهبنة.

Di-manes — أرواح الموتى ـ كان الرومان يشعرون نحوها بالرهبة والإجلال في عبادة الأسلاف عندهم.

Dingir — دنجير ـ إله الريح في الديانة السومرية.

Dione — الإلهة ديون ابنة الأوقيانوس ـ زوجة زيوس قبل هيرا ـ وكثيرا ما يقال إنها أم أفروديت من زيوس.

Dionysus — ديونسيوس هو نفسه الإله باخوس في الديانة اليونانية ـ إله الخمر ومغذي الكروم وحارسها، وهو ابن زيوس من سميلي Semele ابنه ملك ثيبة، مات وبُعث من جديد ـ تحتسي النساء في عيده الخمر بلا حساب في طقوس شديدة الانفعال.

Di-upiter — دى أوبتر ـ الأب ديوس، الإله الهندو ـ أوربي الذي تحول إلى جوبتر عند الرومان.

Divi-Filus — ابن الإله ــ لقب كان يتخذه الإمبراطور الروماني ــ وهو مثل لعبادة الحاكم.

Dominus & Deus — السيد والإله ــ لقب اتخذه بعض أباطرة الرومان ـ وهو يعنى أن الحاكم هو مالك للعبيد وإله للفانين.

Dualism — الثنائية القول بوجود مبدأين أو إلهين للعالم، كما هو الحال في المانوية.

Durga — إلهة هندوسية ـ راعية اللصوص وقُطّاع الطرق ـ إحدى صور الإلهة شاكتي تسكن الجبال ــ اشتهرت بذبحها للشيطان ماهيشا Mahisha الذي تنكر في صورة جاموسة.

Dumuzi	دمـوزى (أوتموز Tammuz) وهو عند السـومريين الشاب الجميل حبيب الإلّه عشتار وهو أدونيس حبيب فينوس وأفروديت ــ قتله خنـزير بـرّي فتـوسلت حبيبته إلى الآلهة أن يبعث لها ستـة أشهـر من كل عام. وهكـذا أصبحت حيـاته ومـوتـه رمزا لـدورة فصول السنة.
Dyaus	ديوس إلّـه السماء وهو الاسم القديم لزيـوس كبير الآلهة عند اليونان.
Pitar	أب السماء أو إله السماء في أساطير الفيدا، وهو يقابل زيوس عند اليونان، وجوبتر عند الرومان.

- E -

Ea	إيا ــ وهو في السومـرية أنكى ـ ثـالـث عضو في مثلث مجمع الآلهة السومـرى الأكادى إلى جانب آنو (آن) وبعل (انليل) ــ إله الأعماق والحكمة.
Ea	آيا ـ زوجـة إلّه الشمس في الديانة السومـرية (وهي غير الإلّه السابق)
Earth-Mother	الأم الأرض ـ نظـرة دينية ظهرت في الـديانات القـديمة تجعل من الأرض معينــا لا ينضب لكل شيء ــ قــد تصبح في بعض الأساطير شخصية محددة هي الأرض الأنثى وزوجها السماء.
Edusa	إلّهة تشرف على نمو الطفل عند الرومان.
Eightfold Path	طريق الثمانية ـ مذهب بـوذا الأكبر في أول موعظة له ـ يسميه الطريق الوسط بين متع الحس وإماته الذات.
Eisai	ايزاى (١١٤١ ـ ١٢١٥) كاهن ياباني مؤسس فرقة رنيزاى من بوذية زن اليابانية.
Ekayana	ايكايـانا سنسكرتية تعنى العـربة الواحدة أو المفـردة، مفهوم اختلف تفسيره باختلاف المدارس الفلسفية في البوذية، وهو يميز «سوترا اللوتس».
En	ان ـ رئيس الجماعة الدينية في بابل..
Enki	انكى ــ إلّـه الأرض والحكمــة عنـد السـومـريين زوج الإلّهة نينكى.
Enkidu	انكيدو ـ صديق ورفيق جلجامش في الملحمة الشهيرة.
Enlili (Elil)	انليل ـ رئيس مجمع الآلهة السومرى ــ إله الريح وسيد النسيم وزوج الآلهة نينليل أو الإلّهة الأم.
Ensi	الأنسى ـ عندما يرتفع المركـز الروحي لرئيس الجماعة «اين» في بابل يصبح حاكما أو ملكا أو أنسى.

Enuma Elish — اينمواليش ـ ملحمة الخلق عند البابليين .

Eos — ايوس ـ إلهة الفجر في ميثولوجيا الرومان وهي نفسها الربة أوروا في أساطير اليونان أخت هليوس إله الشمس وسيلين إلهة القمر.

Ereshkigal — أريشكيجال ـ إلهة العالم السفلى في الأساطير البابلية وزوجة الإله نرجال .

Eros — ايروس ـ إله الحب في الأساطير اليونانية يغلب عليه الارتباط بالجسد والشهوة .

Esagila — إيزاكيل ـ أى المعبد الذى تناطح ذروته السماء، وهو معبد الإله مردوخ في بابل .

Eta — طبقة المنبوذين في اليابان .

Etana — ايتانا ـ الراعى الذي حاول أن يرقى إلى السماء على أجنحة النسر ففشل . فكان الموت نصيب البشر.

Etemenanki — اتمنانكر ـ المبنى الذي هو أساس السموات والأرض معبد الإله تنار إله القمر في بابل.

Etemu — ايتمو ـ الروح في أساطير بابل وكانت تؤذي الأحياء إذا لم يُدفن الميت بطريقة مناسبة .

Euhemerism — الأومهيمرية ـ نظرية أويهيمروس اليوناني في القرن الثالث ق . م تقول إنَّ الآلهة ليسوا سوى أبطال وطنيين أدوا خدمات جليلة فرفعهم الخيال الشعبى إلى مصاف الآلهة .

- F -

Fa-hsein — فا ـ هسينى (ازدهر حوالى ٣٩٩ ـ ٤١٤) راهب بوذي صينى ـ زار الهند عام ٤٠٢ ودرس البوذية مع رهبانها ـ عاد إلى الصين وترجم النصوص البوذية السنسكريتية إلى الصينية .

Fasti — الفاستي ـ الأيام المقدسة عند الرومان ـ الأيام التي يسمح فيها القيام بممارسة الاشغال العامة أو يمنع .

Fatalism — الجبرية ـ (القدرية) مذهب يرى أن كل ما يحدث للإنسان قد قُدر عليه سلفاً .

Fatalist School — المدرسة القدرية في الزرفانية (الزرادشتية) ترى الموجودات البشرية دمى في يد القدر ـ تنكر الإرادة الحرة .

Fates — إلهات القدر في أساطير اليونان وهن ثلاث كلوتو Clotho ولاخيسس Lachesis وأتروبوس Atropos

Fa-Tsang — فاتسانج (٦٤٣ ـ ٧١٢م) راهب بوذي يُعدّ مؤسس مدرسة هواين Hua-Yen البوذية في الصين .

Felicitas — فليسيتاس ـ إلهة الحظ في أساطير الرومان .

Fertility — الاخصاب ـ قوة الإنتاج في الطبيعة وعند المرأة ـ عُبدت في مصر واليونان والرومان ـ وفي الصين واليابان وفي الديانة الهندوسية على صور مختلفة .

Fetials — الفيتالى ـ أو المفاوضون الدبلوماسيون ـ كهنة من الرومان كان اختصاصهم التصديق على المعاهدات .

Fire — النار ـ من الطقوس الأساسية في الديانة الزرادشتية .

Five K's — الكافات الخمسة ـ خمسة شعارات للخلسا في ديانة السيخ تبدأ كلها بحرف «ك» أهمها كسا Kesa (الشعر) حيث ينبغى عدم قصه . وكان للعدد خمسة مغزى صوفي في البنجاب «أرض الأنهار الخمسة» .

Five M's — الميمات الخمسة ـ طقوس هندوسية تبدأ بحرف الميم مثل Madya أي الخمر و Matsya أي السمك و Mamsa أى اللحوم . . . إلخ .

Five Pecks of Rice — حركة تمرد دينية بدأت في الصين في أوائل القرن الثاني عشر بقيادة شانج لنج Chang Ling الذي كان أول قائد دينى في الكنيسة التاوية في الصين .

Flamen Dialis — كاهن الإلـه جوبتر في الديانة الرومانية .

= = = = Martialis — كاهن الإلـه مارس في الديانة الرومانية .

= = = = Quirinualis — كاهن الإلـه كويرنيوس في الديانة الرومانية .

وهم يساعدون «الحبر الأعظم» في تأدية الطقوس الدينية في روما القديمة .

Flood — الطوفان ـ مذكور في معظم الديانات القديمة ـ غرق الأرض والإنسان بالمياه بسبب أفعال الإنسان الشريرة ، أشهرها مذكور في ملحمة جلجامش عند البابليين .

Flora — الآلهة فلورا ـ ربة الزهور في ديانة روما القديمة .

Foamborn — مولود من زبد البحر ـ أفروديت في الأساطير اليونانية .

Fortuna — فورتونا ـ إلهة الحظ والصدفة عند الرومان وهي نفسها تيكى (أوتيخي) عند اليونان .

Fox Deity — الإله الثعلب ـ رسول «كامي» الذي يحرس حقول الأرز في بوذية اليابان

Fravashi — الفرافاشى ـ أرواح هادية للبشر ولجميع الأشياء الطبيعية عند الزرادشية .

Funerary Cult — عبادة جنائزية عند المصريين القدماء .

- G -

Gansha — جانيشا ـ إله هندوسى له رأس فيل ـ ابن شيفا وبرفاتى ـ مزيل العقبات ـ أول مَنْ يُضرع إليه في بداية العبادة أو في بداية مشروع جديد تجد صورته في مدخل المعابد والمنازل .

Garelamaisama — جاريلا مايـزاما ـ إلّهة ترتبط بالصيـد وجمع النباتات الصالحة للأكل عند قبيلة تشتتشو الآسيوية .

Garuda — جارودا ـ طائر الإله فشنو في الريج فيدا (وهو الحدأة).

Gathas — جاثا ـ سبع عشرة ترنيمة من ترانيم زرادشت .

Gayatri Mantra — جترى مترا ــ نصـوص من الـريج فيدا يتلـوهـا الهنـدوس في صلواتهم.

Ge (Gea) — الإلّهة جي (جيا) إلّة الأرض وزوجة أورانوس (السماء) .

Geb — جب ــ إلّـه الأرض عنـد المصريين القدمـاء وزوج نـوت إلّهة السماء.

Gelug -Pa — «نمـوذج الفضيلة» وأيضـا «القبعة الصفـراء» فرقـة بوذيـة في التبت.

Genius & Iuna — القوة الجنسية للذكر والأنثى عند الـرومان وكانا موضع عبادة عندهم.

Ghat — الجوط ــ دَرَج يهبط عليـه الهنــدوس إلى الأنهار المقـدسـة في الهند.

Gibil — جيبيل ـ إله النار عنـد البابليين ويمكن أن يكون مصدر خير أو شر وفق التأثير الذي تحدثه النار نفسها .

Gilgamesh — جلجامش ـ من أهم الملاحم القديمة ـ تروى قصة ملك بابلي أراد ألا يموت فراح يبحث عن سر الخلود .

Girsu — جيرسو ـ إله الحرب والصيد عند السومريين.

Gitagovinda — جيتا جوفندا ـ سنسكرتية تعنى حرفيا القصيدة التى غنى فيها قطيع البقـر وتـروى قصـة راعى البقـر المقدس كـرشنـا وحبيبتـه راذا .

Glaucus — جلوكس أو جلـوكا مجمـوعة من عرائس البحـر عند اليـونان ومنهم إله البحر بونطس Pontius ابن الملك مينوس ملك كريت سقط وهو طفل في جرة عسل فأصبح ناعم الملمس .

Gobin Singh — جـو بن سنج (١٦٦٦ ــ ١٧٠٨) المعلم الـروحي العـاشر والأخير للسيخ ــ مـؤسس «الخلسـا» رفقـة السـلاح في ديـانـة السيخ .

Gokhale — مصلح اجتماعى أسس منظمة لتحرير الهند.

Gnosis — غنوص ــ كلمة يونانيـة معناها المعرفـة الباطنية لعالم مـا فوق الحس .

Gnosticism — الغنوصيـة ـ حركة فلسفيـة ودينية نشأت في العصر الهلنستي تـذهـب إلى أن الخلاص يتم عن طـريق المعــرفـة أكثـر ممـا يتم بالإيمان .

Gopis — الجــويز أو راعيــات البقـر رفــاق اللعب مع كــرشنــا في الهندوسيـة.

Graces — إلهات النعمة أو الحسن وهي ثـلاث شقيقات أجليا Aglaia (التألق) ويوفروزين Euphrosyne (البهجة) وثاليا Thal-ia (النضارة) .

Gramadevata	جراما ديفاتـا ـ سنسكرتية معناها «إلهة القـرية» نموذج للآلهة الشعبيـة الموجـودة في ريف الهنـد ــ وهي بـاستمـرار أنثى راعيـة للزراعة .
Granth Sahib	كتاب يحوى مجموعة من التراتيل لمعلمى السيخ .
Great Mother	الأم العظيمة ــ عبادة الإلّهة الأنثى انتشرت في منـاطق واسعة من الشرق الأدنى فهى «انانا» وعشتار، وهيرا وديمتر . إلخ
Great Tradition	التراث العظيم(في الصين) ويقصد به الكونفوشية والتاوية .
Gula	.الإلّهة جولا ـ إلّهة الشفاء عند البابليين .
Gunas	القــوى ـــ أو الخصــائص الأســاسيـــة التى تسبب الخير والانفعالات الطاغية في مذهب سانخيا الهندوسي .
Guna-Vratas	نـذور في الديـانة الجينيـة تحكم سلوك النـاس والرهبـان على السواء .
Gurdwara	معبد السيخ ـ دار العبادة في مذهب السيخ .
Guru	الجورو ـ المعلم الروحى في الهندوسية والسيخ . . . إلخ .
Gyopi	جيـوبي (٦٧٠ ـ ٧٤٩) أحـد النسـاك البـوذيين تولى إنشـاء معبد تـوداجى Tod-aji في مدينة نـارا الذي يحوى تمثالا ضخما لبوذا .

- H -

Hachiman	هاشيمان تعنـى باليـابانية الـريات الثمان لقـب لإلّه في ديـانة الشنتو يرعى العشائر والمحاربين بصفة عامة .
Hadad	حدد (أو أدد) إلـه الطقس عنـد السومـريين ويصورونـه ثورا جامحا كالصاعقة.
Hades	هاديس (يـونانية معناهـا الحرفي «غير المرئى») إله الجحيم في أساطير اليونان ابن كرونوس وريا وشقيق زيوس وبوزيدون .
Haoma	هومـا ـ نبات مقدس عنـد الزرادشتين وشراب يؤخذ منـه ما يشبه العنب سام أحيانا ومسكر أحيانا .
Hathor	حتحور ـ إلّهة السماء في الديانة المصرية القديمة.
Hatha Yoga	مرحلة في اليـوجاتركز على أوضاع بدنيـة صعبة حتى يستغرق اليوجى في التأمل.
Hauhet (Hah)	حوح وحوحيت إلّـه وإلّهة في الديانة المصرية القديمة يرتبطان باللانهاية. .
Hebe	هيبـه ـ ربـة الصبا والشبـاب إبنة زيـوس وساقيتـه وحاملـة كؤوسه تزوجها هرقل.
Hecate	الإلهة هيكاتى (توحَّـــدت مع برسيفونى) آلّة تـراقية سيطرت على السحر والشعوذة.

Hedonists	اللذيون ـ مَنْ يعتبرون اللذة أو المتعة معياراً للسوك الجيد.
Helios	هليوس إله الشمس في أساطير اليونان يقود عربته الإلهية وعليها الشمس يوميا ويقطع بها السماء من الشرق إلى الغرب.
Hellenistic Age	العصر الهلنستى ـ الحقبة اليونانية التي تبدأ بعد وفاة الإسكندر الأكبر.
Hepatoscopy	التنبؤ بالغيب عن طريق تشريح الكبد عند البابليين.
Hephaestus	هيفاستوس ـ الإله الأعرج الذي ولدته هيرا قبل اكتمالـه إلّه الحدادة والبراكين زوج أفروديت ـ خالق المرأة (بروميثيوس خالق الرجل).
Hera	الإلّهة هيرا (اسمها يعنى «السيدة») سيدة السماء وزوجة زيوس راعية الزواج والأسرة وأم هيفاستوس أنجبته وحدها في لحظة غضب فكان شائها.
Heracles	هرقل (هيركيوليس عند الرومان) أشهر الأبطال في أساطير اليونان والرومان كانت شجاعته خارقة وقوته جبارة وكانت هيرا تكرهه لأنه ابن زيوس من الكيمينا Alcmene.
Hermes	الإلّه هرميس ـ الإلـه المرشد للمسافرين والتجار ـ رسول الآلهة الذي يرافق الموتى إلى العالم الآخر ـ يتصف بالمكر والخداع ولهذا نراه أحيانا يحمى اللصوص وقطاع الطرق.
Hestia	هستيا ـ ربة المدفأة والمنزل في الأساطير اليونانية وهي نفسها فستا عند الرومان.
Hi	الكامى الذي توحَّد مع الشمس في بوذية اليابان.
Hibil-Ziwa	هيبل زيوا ـ مُخلِّص اقتحم العالم السفلي وهزم الأرواح الشريرة عند فرقة المانديين الزرادشتية.
Hieros Gamos	الزواج المقدس عند اليونان كالارتباط في الأساطير بين إلّه وآلهة الذي يرمز في الأعم الأغلب إلى الاخصاب.
Hijiri	الرجال المقدسون ـ النُسَّاك في ديانة اليابان.
Hikari-San	هيكاري سان أو «رجل النور» لقب أطلق على أوكادا موكيشى مؤسس ديانة سيكايكسكو في اليابان.
Hike	هيكي في الديانة المصرية القديمة تترجم عادة بالسحر أو القوة السحرية لكن معناها الحقيقى مازال غامضا ـ تجسيد لإحدى صفات رع إلّه الشمس.
Hinayana	الهنايانا ـ سنسكرتية تعنى «العربة الصغرى» اسم أطلقه أصحاب المهايانا (العربة الكبرى) في التراث البوذى على المدارس المحافظة.
Hinduism	الهندوسية ـ ديانة معظم شعب الهند تعد الفيدا من أقدم كتبها المقدسة ثم مجموعة شروح دينية، تؤمن بتعدد الآلهة ـ أضاف البراهمة مجموعة معقدة من العقائد.
Hiranyaksh	الشيطان، في الهندوسية الذي تجسد للإلّهة فشنو في هيئة خنزير برى وقتله.

Hito-no-Michi — طريق الإنسان حركة دينية جديدة ازدهرت في القرن العشرين في اليابان.

Honen — هونن (١١٣٣ ـ ١٢١٢) راهب بوذى أدخل دفعة قوية في بوذية المهايانا اليابانية عندما جعل الخلاص في متناول الجميع.

Honganji — معابد بوذية في اليابان يُقبل فيها عامة الناس في دورات مؤقته.

Horse Sacrifice — التضحية بالحصان له أهمية خاصة لتاريخه الطويل بالهند.

Horoscope — خريطة البروج كان يستعان بها في علم التنجيم في الديانات القديمة.

Horus — حورس ابن إيزيس وأوزريس الذي يصّوره المصريون على هيئة صقر أحد عينيه الشمس والأخرى القمر انتشرت عبادته في مصر كلها.

- I -

Iasion — ياسيون (أوجاسيون) إله قديم للزراعة قبل مجيء الإغريق (Jasion) أنجب من الربة ديمتر الإله بلوتو عندما جامعها في حقل محروث ـ قتله زيوس بصاعقة عندما علم بذلك.

Ida — جبل إدا ـ ولد عليه زيوس كبير الآلهة في اليونان.

Igigi — اجيجي آلهة السماء السبعة العظام المسماه بآلهة المصير عند الاكاديين.

Ikigami — ايكيجامي أي «كامي الحي» لقب كان يطلق على مون تادر مؤسس إحدى الفرق الدينية في اليابان.

Inanna — اينانا ـ إلهة الحب والخصب عند السومريين وهي الإلهة العظمي انين وانانا هو الاسم الشعبى لها.

هيكل ياباني مخصص «لكامي» حارس حقول الأرز.

Indra — اندرا ـ رب كل حي في الديانة الهندوسية أو هو الشمس التى تولد الحي من الحي ـ إله الحرب والعواصف وملك الآلهة وقائدهم في المعارك في أسفار الفيدا.

Initiation — الترسيم ـ الاحتفال بدخول عضو في سلك جماعة دينية عن طريق تأدية طقوس معينة.

Innin — سيدة السماء عند السومريين وهي عشتار عند البابليين.

Ino Leucothen — انولوكوثيا ـ هي ربة البحر التي ساعدت أوديسوس في محنته بعد أن حطم بوزيدون زورقه.

Instruction of Ptah-hotep — «تعاليم بتاح حوتب» كان بتاح حوتب حاكما على منف وكبير وزراء الملك ـ اعتزل فكتب لابنه كتابا يحوى الحكمة الخالدة.

Ishtar
اشتـار ـــ إلهة الحب والأمـومـــة عنـد البـابليين وهى نفسهـا عشتار.

Ishvara
اشفارا ـ الإلّـه في مذهب اليوجا ـ فكرة يجوز لـلإنسان تأملها لتكون وسيلة للمعرفة .

Isis
إيزيس أشهر معبودات المصريين القدماء ثم زوجة لأوزريس وأم لـولـده حـوريس في الأسطـورة الشهيرة عبـدهـا الأغـريق ثم الرومان ونقلوا عبادتها إلى أوربا .

Isimud
اسيمود ـ رسـول الإله إنكى الذي أرسله في أثـر الإلّهة «انانا» التي هربت بألواح القدر في الأسطورة البابلية .

Izanagi
إزاناجي ـ إلّه هام في أساطير اليابان ولدت الشمس من عينه اليسرى.

Izanami
إزانـامي ـ آلهة هـامة في أسـاطير اليـابان خلقت مع شقيقهـا السابق جزر اليابان .

- J -

Jaina Canon
= = =Vratus
مجـموعة النـصوص المقـدسة للــجينية ـ تختلف بـاختلاف الفـرق الأرديـــة. البيضــاء» تــرى أن هنــاك ٤٥ كتابا ـــ «فـريق العـراة» يتشـــكك فـــيها كـلمة Vrata سنســكريتية تـــعنى «الـــنذر» ـــ الـــنذور الـــتي تحـــكم سلــوك الرهـــبان وعامـــة الـــناس، منـــها النــــذر الخمـــسة الكبـــرى : (الامـتناع عـــن الإيــذاء ـــ وعــن الـــكذب ـــ وعـــن الســـرقة ـــ العـفة ـــ عـــدم التمـــلك) .

Jainism
الجينية، ديـانة هنـدية ظهـرت في القرن السـادس ق . م (مع البوذية) يعتقدون أنه ساهم في تأسيسها ٢٤ قديسا آخرهم مهافيرا (البطل العظيم) .

Jangames
جانجيس ـ تحريك اللنجا أو تجسيد اللنجا في الديانة الشيفية المتفرعة عن الهندوسية .

Janus
جانـوس ـ إلـه البوابـات في أساطير الـرومان ـ ثـم أصبح إلّه البدايات بصفـة عامة يصورونه بوجهين ليرى الجانبين ـــ منه جاء شهر يناير January لأنه يفتتح سنة جديدة .

Japji
جـابجاى ـــ قسم من «آدى جرانت» الكتـاب المقدس عنـد السيخ.

Jat
جات ـ مصطلح يشير إلى طبقة الهندوس ـ علية القوم.

Jatakas
الميلاد ـ مصطلح شائع في البوذية يشير إلى أنواع الحياة الكثيرة التي عاشها «بوذا» في السابق .

Jayadeva — شاعر ازدهر في البنغال في أواخر القرن الثاني عشر اشتهر بقصيدة سنسكريتية «أغنية قطيع البقر» التى تصف حب كرشنا لراذا.

Jen — الود أو العطف أو الشفقة ــ صفة أخلاقية أساسية في الكونفوشية لا بد من توافرها في الحاكم الصالح.

Jina — جينا ـ سنسكرتية معناها «المنتصر» أو «القاهر» أو «الظافر» ـ صفة تطلق على مؤسسى الجينية الذين تغلبوا على رغباتهم الحسية وقهروا شهواتهم ـ ومن هذا المصطلح استمدت الجينية اسمها.

Jinja Shinto — جنجا ـ الهيكل أو المعبد أو مستقر الآلهة في ديانة الشنتو.

Jiriki — جيركى ــ مساعدة الإنسان لنفسه ليبلغ مرحلة الاستنارة بجهوده الذاتية عند بوذية اليابان.

Jisso — الإله الواحد الحقيقى في جماعة سيكونو (بيت النماء) وهو رحيم شفوق بالموتى من الأطفال.

Jiva — جيفا ـ الجوهر الحي أو «الروح» في مقابل الجوهر المادى عند الجينية.

Jizo — جيزو ــ بوذا المنتظر في اليابان ـ الذي يساعد الموتى ــ وهو المخُلّص في بوذية الصين.

Jnana — جينانا ـ المعرفة الشاملة في الهندوسية ـ معرفة الوجود الأعلى.

Jnanadeva — جينانتا ديفا ـ (١٢٥٥ ــ ١٢٩٦) راهب هندوسى ـ مؤسس مدرسة صوفية هي «مدرسة الحج» في الهندوسية التى تشدد على أهمية الحج للأماكن المقدسة.

Jnaneshvari — كتاب الراهب السابق شرح «لأنشودة الرب».

Jodo Sect — فرقة الجودو البوذية، وهي في اليابان «مدرسة الأرض الطاهرة»، التي تعتقد أن ترديد اسم بوذا أميدا Amida (أي صاحب النور اللامتناهي) تُخلّص الإنسان من تكرار الولادة.

Jodo Shinshu — جودو شنشو أي «مدرسة الأرض الطاهرة الحقة» مدرسة بوذية كبيرة في اليابان أسسها شنران (١١٧٣ ـ ١٢٦٢).

Jogyo — بوذا المنتظر الذي تجسد في القديس نشرين (١٢٢٢ ـ ١٢٨٢).

Juno — جونو ـ إلهة كبرى عند الرومان زوجة جوبتر (هيرا عند اليونان) راعية النساء وحامية الأنوثة والزواج، الزواج في شهرها «يونيو» يكون سعيدا، يبدو أن القوة الجنسية عند المرأة Uno مشتقة من اسمها.

Jupiter — جوبتر (المشترى) كبير الآلهة في الديانة الرومانية هو نفسه«زيوس» عند اليونان ـ إلـه السماء والمطر والصواعق... إلخ.

- K -

Ka — كا ـ مقطع باليابانية يعبر عن التعجب أو الحيرة من المخيف أو مالا يمكن الإحاطة به جاءت منه كلمة كامي Kami.

Kabir — كابر (١٤٤٠ — ١٥١٨) شاعر صوفي هندى في العصر الوسيط وضع عدة ترانيم وأناشيد دينية استلهمها السيخ في مذهبهم الصوفي.

Kacch — سروال يرتديه جنود «الخلسا» من السيخ كشعار يميزهم (الكافات الخمسة).

Kagura — كاجورا ــ رقصة صوفية تقوم بها النساء المشرفات على هياكل ديانه الشنتو اليابانية ترمز إلى اتحاد المؤمنين مع إله المعبد.

Kalamukha — كلاموكا ــ فرقة شيفية ازدهرت في جنوب الهند بعض الوقت.

Kali — كالى ـ الآلهة القبيحة المتعطشة للدماء (وجه لزوجة الإله شيفا) والوجه الآخر العروس الجميل «بارفتى».

Kalkin — كالكين ـ (إنسان برأس حصان) التجسد العاشر للإله فشنو.

Kalpa — يوم برهما في الهندوسية وهو يساوى أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرون ألف من السنوات البشرية.

Kalpa-sutra — نصوص دينية تنظر إليها «فرقة الأردية البيضاء» في الجينية بتقديس كبير وهي تروى حياة ٢٤ جينا («المنتصر» «القاهر» «المخلص») كما تروى حكايات ثلاثة منهم ويقوم الرهبان بتلاوة «سوترا الكلبا» بين عامة الناس وهم يعتقدون أن في الاستماع إليها فائدة كبرى.

Kami — كامي ـ مصطلح عسير التعريب (إله ـ روح ـ عفريت) القوة الروحية التي تسيطر على الأشياء (حيوانات ــ نباتات ــ طيور ـ ظواهر طبيعة) والبشر ــ عددها لا حصر له، في ديانه الشنتو اليابانية.

KamiAni-zuki — شهر أكتوبر الذي يجتمع فيه الآلهة (الكامى) في الهيكل ـ المصطلح يعنى حرفياً «الشهر مع كامي» في ديانة شنتو اليابانية.

Kami non-a-zuki — الشهر بدون كامى (بقية أشهر السنة).

Kamgakari — الاستحواذ على كامي ـ أو تلبس كامي للإنسان.

Kami-gakari — حالة صوفية في ديانة الشنتو تتجلى في رقصة الوجد التي تقوم بها كاهنات المعبد (انظر كاجورا).

Kannon — كانون ـ بوذا المنتظر صاحب الرحمة في بوذية اليابان.

Kapalika — كاباليكا ـ فرقة شيفية من النساك المرموقين اسمها يعنى «حملة الجماجم»، فريق من نساك الهندوسية يحملون وعاء التسول على هيئة جمجمة.

Kara — سوار من الصلب يضعه عضو جماعة «الخلسا» من السيخ على كتفه الأيمن (من الكافات الخمسة).

Karma — الكرما ــ سنسكريتية معناها الحرفي «الفعل» ــ مصطلح أساسى في الديانة الهندية ـ هذه الحياة حلقة في سلسلة حياة يحياها المرء، يحددها فعله في الحياة السابقة يتضمن المصطلح «الجزاء» و«التناسخ».

Karma-pa — المدرسة الثالثة في بوذية التبت.

Kartti Keya — كارتيكيا ـ إله الحرب في الهندوسية.

Keraunos — كيرانوس ـ الصاعقة لقب اتخذه بعض حكام اليونان.

Keshab Chandersen — كيشاب شاندرسن (١٨٣٨ ــ ١٨٨٤) قائد لحركة دينية في البنغال في القرن التاسع عشر.

Khalsa — الخلسا من الكلمة الفارسية Khales أي الطاهر أو النقى جماعة منتقاة من القديسين المقاتلين السيخ يلتزمون بخمسة مبادىء (الامتناع عن السكر ـ وعن التدخين ــ والمخدرات ـ الإلتزام بالصلاة ـ والجهاد من أجل الاستقامة).

Khandha — العناصر الخمسة في البوذية التي يتألف منها وجود الفرد المادى والنفسى وهي (الجسد، المشاعر، الإحساس، الذهن، الوعى).

Khentamenthes — ختنيانتيس ــ أحد الآلهة التي تساعد الموتى عند المصريين القدماء.

Khepri — خبرى هو نفسه الإله أتوم ـ أسماء لإله الشمس الذي عرف أيضا باسم رع.

Ki — كي ـ إلهة الأرض عند السومريين ـ والكلمة تعنى «الأسفل» ـ زوجة الإله آن.

Kingo — الإله كينجو ـ اختارته تعامة زوجا لها وهي الأفعى التي قتلها مردوخ ومن دم زوجها خلق الإنسان بعد أن مزجه بالطين في أساطير البابليين.

Khnum — الإلّه خانوم ــ الإله الصانع في الديانة المصرية القديمة ـ خلق البشر عندما جلس إلى دولابه الفخارى ــ والد الملك خوفو.

Koan — كوان ـ سؤال ملغز يعبر عن مأزق عقلى يطرحه المعلم الروحى على الراهب المبتدىء مثال «عندما تصفق اليدان تحدثان صوتا» ـ هل تستطيع الإصغاء إلى صوت اليد الواحدة؟!

Kojiki — كوجيكي ـ أى «سجلات الآثار القديمة» ــ كتاب هام مصدر موجز للعادات والطقوس والممارسات السحرية في اليابان.

Konkokyo — كونكوكيو ـ فرقة دينية جديدة في اليابان أسسها فلاح في القرن ١٩ زعم أن الإله «كونكو Konko» عيّنه وسيطاً بين اللـه والناس أسس فرقة «المعدن النقي».

Kore — الآلهة كورى ـ وهي نفسها برسفوني، زوجة هاديس إله العالم السفلى عند اليونان.

Krishna — كرشنـا ـ واحد من أكثـر آلهة الهند توقيرا وشعبية عبـده الهنود على أنه التجسيد الثامن للإله فشنـو ـ جذب عددا من الفرق التي نظمـت له الأشعار والأغاني والقصص الكلاسيكية، كلمة كرشنا تعنى حرفيا «الأسود» «أو الداكن» ممـا يدل على أنه كان إلها للهنود الأصليين المائلين إلى السواد.

Ksatriya — طبقة الكشـاتريـة «الجنود» أو «المقـاتلون» الطبقـة الثانيـة في مجمع الفيدا الهندي.

Kuan-yin — كوان ين ـ الصورة الصينية لبوذا المنتظر.

Kuk & Kauket — كوك وكوكيت ـ آلهة الظلام في الديانة المصرية القديمة.

Kurma — السلحفاة التي ركبتهـا الآلهة واستولوا على قمـة جبل مندارا ـ التجسيد الثاني للإله فشنو في الهندوسية.

Kurozumikyo — حركـة دينية تُـعـد نمـوذجا للحـركات الـدينية الجديـدة في اليابان أسستها كاهنة في القرن التاسع عشر.

Kushti — الكوشتى ـ رمز دينى عند الزرادشتين لأسفار اليسنا.

- L -

Lakshmi — لاكشمى، إلهة الثـروة والحظ السعيـد زوجـة فشنـو اتخذت صورا متعددة لتكون معه في تجسداته الكثيرة.

Lakula — لاكـولا راهب هندوسي في القـرن الأول الميلادى اعتبر نفسـه تجسيـدا لـلإلـه شيفـا أسس أقـدم فـرقـة لشيفـا في التـاريخ هي «أباشوباتا».

Lama — لاما، معنـاها «المعلم أو المرشـد الروحـى» ـ القائد الـروحى لبوذية التبت.

Lao Tzu — لاوتسو، أعظم فلاسفة الصين قبل كونفوشيوس وإن كان قد عاصره اسمـه يعنى حرفيا «المعلـم العجوز» ـ أسس «التـاوية» أي السبيل أو المنهج أو الطريق.

Lares — اللار ــ أحد الآلهة المحليين في رومـا القديمـة ـ أصبـح راعيا للأسرة وحارسا للحقول.

Manu — مـانو ــ الإنسان الأول في أسـاطير الهند (يـربطون بينـه وبين كلمـــة Man الإنجليزيـة) يظهر في الفيدا على أنه أول مَــنْ قام بالتضحيـة الأولى تنسب إليه مجمـوعة من القـوانين والشرائع التي تنظم الحياة الاجتماعية في الهند.

Laya-yoga	ليا يوجا ـ ضرب من التمرينـات على اليوجا داخل الهندوسية تعرف بـاسم «يـوجا الانحلال» تُـعّـبر عـن جناح اليسـار الذي يمارس طقوسا سرية بعيدة عن الأخلاق.
Le ctisterniuns	الاحتفال بأعياد الآلهة في روما القديمة.
Left-Hand Tantric	الجناح اليسارى في التانترية ـ فرقة بوذية تـؤكد أهمية السحر وممارسته.
Liber	ليبر ـ إلـه العنب في أساطير الرومـان وهو نفسه ديـونيسوس أوباخوس عند اليونان.
Libera	ليبرا ـ إلّهة رومانية إبنة كيرس وأخت ليبر.
Lieh-Tzu	ليه تسو أحد ثـلاثة فلاسفة عملوا على تطويـر الفكر التاوى ازدهر في القرن الرابع ق. م.
Linga	اللنجا ـ سنسكـريتيه معناها «العـلامة» وهى رمز للقضيب في الهندوسيـة وهو رمـز الإلّة شيفـا ـ مـوضوع العبـادة الرئيسى في المعابد الشيفية.
Lingayat	فريق اللنجا ـ فرقة هندية واسعة الانتشـار في جنوب الهند ـ استمدت اسمها من أن الرجال والنساء فيها يضعون «اللنجا» على صدورهـم بخيط حول الرقبة ـ باسافا Basava في القرن الثاني عشر وهى نفسها فرقة الفيزاشيفا.
Lotus School	مـدرسـة اللـوتس هى نفسهـا مـدرسـة الأرض الطـاهـرة في البوذية.
— Sutra	سوترا اللوتس ـ نصوص مقدسة للمدرسة البوذية السابقة.
Lucina	لوسينا ـ إحدى إلّهات الولادة الآمنة عند الرومان.
Ludlul	لدلول ـ إلّه الحكمة عند البابليين.
Luperci	اخوان الذئب ـ كهنـة في روما القديمة مهمتهم الإشراف على احتفالات السنة الجديدة.

- M -

Ma (Me)	مـا، (أومـه) القوى الإلّهيـة في السـومـرية ـ تشمل وظـائف الكهنةوالملوك ـ تسمى أحيانا ألواح القدر.
Maat	ماعت ربة العدالة والحقيقة عند المصريين القدماء.
Mabon (Maponus)	مابون ـ مابونس حورية البحر عند الرومان.
Madhva	مادهيفـا ـ فيلسـوف هندوسى (١١٩٩ ـ ١٢٧٨) صاحب فلسفة ثنائية تضع اختلافا أساسيا بين الله والروح الإنسانى.
Madhyamika	مدرسـة مادهيـاميكا ـ من أهم مـدارس المهايـان ـ العـربة الكبرى البوذية ـ تقف موقفا وسطابين الواقعية والمثالية في الفلسفة البوذية.

Magi (Magus)	المجوس ــ أتباع زرادشت ــ مصطلح يونـاني اشتق منـه كلمةالسحر Magic.
Mahabharata	ماهبهاراتا ـ ملحمة هندية عظيمة تشبه إلياذة هوميروس عند اليـونـان تروى قصـة صراع فـرعين من الأسرة المالكـة حـول مقتل زوجة.
Mahakala	«الواحد العظيم الأسود» إحدى صور الإله الهندوسي شيفا.
Mahavira	مهافيرا (أومهاويرا) (٥٩٩ ــ ٥٢٧ ق.م) آخر شخصية من ٢٤ أسسوا الجينية والكلمة تعنى «البطل العظيم».
Maharratas	النذور الخمسة الكبرى في الجينية (عدم الإيذاء ـ أو السرقة أو الكذب ـ العفة ـ عدم الاقتناء).
Mahayana	مدرسة المهايانـا (العربة الكبرى) إحدى مدرستين كبيرتين في البوذيـة انتقلت من الهند إلى الصين وكوريا واليـابان والتبت . . . إلخ.
Maitreya	ماتـريا ـ تعنى «بوذا المستقبـل» ـ كان هناك أكثـر من بوذا في الماضى وسيكون هناك أكثر من بوذا في المستقبل ـ نحن في الحاضر في انتظـار «بـواذ المنتظـر» وهي نفسهـا كلمــة ميروكـو Miroku اليابانية.
Mama	مامـا ـ الإلّهة الأم في الـديانـة البابليـة وقد سـاعدت في خلق البشر من الطين والدم.
Manda d'Haye	مانـداهابى ـ أو «معـرفة الحياة» اسم المخلص عنـد المانديين ومنه استمدت هذه الفرقة اسمها.
Mandala	مندالا ـ تعنى حرفيا «حلقـة أو دائرة» وهي رمز تخطيطى يرمز إلى الكون وسيلة التأمل عند بوذية اليابان.
Mandate of Heaven	أمــر السماء ــ حق الإمبراطــور في الحكم تعطيــه السماء في الكونفوشية.
Mandeanism	فرقـة زرادشتية صغيرة لاتزال تعيش في جنوب العـراق بجوار إيران ويطلق عليهم أيضا اسم «النازريون» Nazoreans.
Mani	مانى بن فاتـك مؤسس الديانة المانـوية ـ كلمة مـانى فارسية تعنى الفريد أو النادر.
Mancheanism	المانويـة ـ ديـانة فارسيـة أسسها مـانى مزيجا من الـزرادشتية واليهودية والمسيحية ثنائية تؤمن بوجود إلّهين للخير والشر.
Manjushri	لقب لبوذا المنتظر الذي تتجسد فيه الحكمة العليا.
Mantra	مانترا ـ الأقـوال المقدسة في الهندوسية والبوذيـة ذات الفاعلية الخفية.
Mara	الشيطان في البوذية ظهر متنكـرا لبوذا وهو تحت شجرة «البو» في انتظار الاستنارة وحاول منعه بطرق شتى لكنه فشل.
Marduk	مردوخ ــ الإلّهة القوى في أسـاطير البابليين في عهـد حمورابى ابن الإله انكى.

Marmar — مرمار ـ إله الزراعة والحرث عند الرومان الذي عرف فيا بعد باسم الإله «مارس» إله الحرب.

Mars — مارس إله الحرب عند الرومان.

Maruts — الماروت في أساطير الفيدا الهندية أبناء الإله المرعب رودرا إلّه المرض والشفاء وحلفاء أندرا إله العاصفة ولهذا يمتطون السحاب ويوجهون العواصف.

Matsya — السمكة ـ التجسد الأول للإلّه فشنو عندما أنقذ مانو (الإنسان الأول).

Maya — مايا ـ وهم ـ خداع ـ صورة العالم في الهندوسية.

Mazdaism — المزدية ـ هي نفسها الديانة الزرادشتية ويطلق عليها أحيانا اسم المزدكية نسبة إلى أهورا مزد إلّه الخير في هذه الديانة.

Menes — مينا ـ الملك الذي وحد الوجه القبلي والوجه البحرى فكان أول ملك لمصر الموحدة واتخذ منف عاصمة له (في محافظة الجيزة الآن).

Mercury — عطارد ـ إلّه التجارة عند الرومان هو نفسه الإلّه هرمس عند اليونان.

Mi-chiao — مدرسة التعاليم السرية البوذية وهى نفسها مدرسة «الكلمة الصادقة» وكانت تعاليمها غامضة.

Mi-Kagura — الطقوس الموسيقية لديانة الشنتو في اليابان ـ الرقصة المقدسة في معبد الشنتو (٣٥ رقصة تعبر عن الأساطير القديمة).

Miko — كاهنة معبد الشنتو تقوم بتأدية الرقصات السابقة.

Mikoshi — ميكوشى ـ حرفيا «المحمول» المحفة المقدسة لكامى.

Mi-Lo-Fu — مي ـ لو ـ فو ـ بوذا الرسول الذي يعيد تعاليم بوذا مرة أخرى إلى الأرض عندما تنسى شريعته.

Mimamsa — ميممسا (حرفيا دراسة الطقوس) ـ مدرسة في الهندوسية لتفسير الفيدا.

Min — مين ـ إله الاخصاب في مصر القديمة الذي يسرق النساء وهو سيد العذارى.

Minerva — منيرفا ـ إلّهة الحكمة عند الرومان وهي نفسها أثينا عند اليونان.

Mithra — مترا ـ إلّه آرى الأصل كان يعبد في إيران بوصفة إلّه العقود والاتفاقات وهو محارب قوى جبار قتل الثور المقدس وخلق من دمه جميع الكائنات الحية وهو الذي يساعد أهورا مزدا في حربه ضد أهرمان عند الزرادشتيين.

Mohism (Moism) — الموهية ـ الموية ـ مدرسة قديمة في الفلسفة الصينية (أسسها في القرن الخامس ق. م مو ـ تسو Mo - Tzu ترى ضرورة الخضوع لمشيئة السماء. كانت ضد الكونفوشية في رفضها للحب الخاص (حب الوالدين مثلا) وتبنيها للحب الكلى أو الشامل.

Moira	ربات القـدر والحظوظ في الأساطير اليـونانية والقـاطنات في العـالم السفلى «هـاديس Hades» يجرى قضـاؤهـن على زيـوس نفسه .
Mokichi, Okada	أوكادا موكشى (١٨٨٢ ـ ١٩٥٥) مؤسس ديانة العالم المنتظر من الحركات الدينية الجديدة في اليابان .
Moksha	موكشـا ـ سنسكـريتية تعنى حـرفيا «الانعتـاق» ـ الفـرار من التكرار الملل لتجدد الموت وتجدد الميلاد في الهندوسية .
Monism (Monotheism)	الـواحــديـة أو الــوحــدانيــة (عكس الشرك أو التعــدد والثنائية)القـول بإلّه واحد لا شريك له، المحـور الأساسى للدين الإسلامى .
Monju	مونجو لقب لبوذا المنتظر.
Mos Maiorum	المعيار الأخلاقي لروما القـديمة وهو يعنى «طريق الأسلاف» تعبير عن عبادة الأسلاف .
Musrs	ربـات الفنون عنـد اليونـان عذارى أو على الأقل لم يتـزوجن «كليو» ربـة التاريـخ، «اراتوربة الشعـر» او رانيا ربـة الفلك . . . إلخ
Mut	الإلّهة موت سيدة السماء في مصر القديمة وزوجة الإلّهة آمون ـ كانت تعبد في طيبة (الأقصر) وهى أم الإلّه خنسو إلّه القمر.

- N -

Nabu	إله الحكمة وراعى العلم وحـامى الأدباء في الديانـة البابلية ـ ابن مردوخ.
Naganuma	ناجانومـا ـ كاهنة يابانية اشتهرت بقـدرتها الروحية على شفاء الناس فاعتبروها «بوذا الحى» ماتت عام ١٩٥٧ .
Nagarjuna	نـاجـار جونـا ــ راهب وفيلسـوف من بوذيـة الهنـد (١٥٠ ـ ٢٥٠م) مؤسس مدرسة «الطريق الوسط» .
Nam	نام ـ اسم من أسماء الإلّه في الهندوسية.
Nana	إلّه القمر وهو نفسه ننار عند السومريين
Namdev	ناموديف ـ قديس وشـاعر هندى (١٢٧٠ ـ ١٣٥٠) من قادة مدرسة الحج.
Nanak	نانـاك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩) معلم روحى هندى مؤسس ديـانة السيخ كـان في بدايـة حيـاته من الهنـدوس وتأثـر بقوة بـالشاعـر الهندوسى الصوفي كابير، Kabir الذي دعا إلى الأخوة بين الهندوس والمسلمين ونبذ عبادة الأصنام .
Nanak Panthis	نـاناك بـانيتـز ـ أى المتحـدون مع نـاناك، وهم أتبـاع المعلم الروحي ناناك الذين تسموا بعد ذلك باسم «السيخ» .

Nannar	نتار ـ إله القمر عند السومريين ـ هو نفسه الإله سن
Nao, Deguchi	دجوشي ناو ـ فلاحة يابانية تلبسها «الكامي» فكتبت نصوصا مقدسة ـ جذبت قدرتها على شفاء المرضى كثيرا من الأتباع ـ أسست جماعة «أموتو»
Naorrai	وليمة دينية رمزية في اليابان ترمز إلى تناول الطعام مع «الكامي» .
Narva sect	فرقة نارا ـ جماعة بوذية اتخذت من مدينة «نارا» اليابانية مركزا لها.
Narsimha	الإنسان الأسد ـ الصورة الرابعة التي تجسّد فيها الإله فشنو وقتل الشيطان .
Narrayana	نارايانا ـ الشخصية التي تجسّد فيها الإله فشنو لكي يخلق العالم .
Nataraja	إله الرقص ـ إحدى صور الإله شيفا في الهندوسية ـ تمثال من المعدن أو الحجر للإله شيفا وهو يرقص في معظم المعابد الهندوسية في جنوب الهند .
Nayanars	مجموعة من التراتيل والترانيم مخصصة للإله الهندوسي شيفا.
Neith	الإلهة نايت إلهة الحرب عند المصريين القدماء.
Nembutsu	نداء في مدرسة الأرض الطاهرة لاسم بوذا المنتظر وهو. "Namu, Amida, Butsu"
Nemesis	إلهتان للانتقام في أساطير اليونان .
Nempa	نمبا ـ مركز رئيسي للتأمل لرؤية العقل الإلهي في طوكيو .
Neo-Confucianism	الكونفوشية الجديدة ـ في القرن الثاني الميلادي قامت محاولات لتفسير أفكار كونفوشيوس بطريقة جديدة ـ في القرن السابع ظهرت صورة جديدة للكونفوشية .
Neokoros	المدينة راعية المعبد في الإمبراطورية الرومانية.
Nephthys	نفتيس ـ إلهة مصرية قديمة أخت ايزيس وأوزريس وست من الإله جب الأرض ـ والإلهة نوت السماء .
Neptune	نبتون ـ إله المياه العذبة في أساطير الرومان ـ زوجته «سلكيا» ربة الينابيع اتحد مع الإله بوزيدون فيما بعد .
Nemi	نيمي ـ هو الجينا (أي المنتصر) الثاني والعشرون في سلسلة مؤسسي الجينية .
Nereids	الناريدات ـ مجموعة من حوريات البحر تزعم الأسطورة الإغريقية أنهن من بنات إله البحر نيروس Nereus .
Nergal	الإله نرجال ـ إله بابلي زوج الإلهة أريشكيجال.
Nestorianism	النسطورية ـ نسبة إلى نسطورس بطريرك القسطنطينية ق١٥م ذهب إلى أن الطبعتين البشرية والإلهية في المسيح ظلتا منفصلتين .
Nibbana	هدف ديني في الهندوسية مثل النرفانا .

Nichiren القديس نشرين (١٢٢٢ — ١٢٨٢) أسس فرقة بوذية تحمل اسمه في مدينة كاماكورا اليابانية.

Nidana نداتا ــ سنسكريتية حرفياً «المقدمة أو المدخل» تمهيد في النصوص البوذية يبيّن الغرض منها.

Nigantha فيلسوف هندى يتحد في التراث الجينى مع ماهافيرا. مؤسسو الجينية المستقلون ـ معلمو الجينية القدماء.

Nihongi كتاب نيهونجى معناها الحرفي «الأحداث التاريخية لليابان أو سجل مكتوب في اليابان.

Nike نيكى ـ إلهة النصر في أساطير اليونان وابنة العملاق بلاس

Nikko نيكو ـ راهب بوذى يابانى من تلاميذ نشرين في القرن الثالث عشر.

Nimrod نمرود ـ في الكتاب المقدس ابن حام بن نوح وكان جباراً ـ تك ١١:٨ـ١٠.

Ningal ننجال ـ زوجة الإله آنو عند السومريين وأم إله الشمس.

Ningursu ننجرسو ـ وتعنى سيد جرسو وهو إله سومرى زوجته الإلهة بابا.

Ninhursag ننخرساج إلهة الأرض عند البابليين وهى نفسها ننماح.

Ningi الإله ننجى حفيد إلهة الشمس «أماتراسو» وجد أول إمبراطور لليابان الموحدة.

Ninki الإلهة ننكى ـ سيدة الأرض زوج الإله انكى سيد الأرض عند البابليين.

Ninlil نينليل ـ إلهة أشورية زوجة انليل ورفيقته.

Ninmah ننماح (السيدة المبجلة) ـ إلهة الأرض عند البابليين وقد تسمى «ننتو» و«مامي» و«ماما» وهي نفسها ننخرساج.

Ninti ننتى ـ تعنى حرفيا «سيدة الضلع» وهي إلهة سومرية تذكرنا بخلق حواء من ضلع آدم في الكتاب المقدس تك ٢ : ٢١.

Nintu نينتو إلهة الأرض عند البابليين قد تسمى «ماما» و«مامي» .... إلخ.

Ninurta نينورتا ـ إله الحرب والصيد عند السومريين ابن الإله إنليل.

Nio الملكان ـ في أساطير البوذية اليابانية هناك حارسان يقفان عند مدخل المعبدالبوذي لحمايته الأول اسمه كونجو Kongo (العاصفة) لأنه يمسك في يده عاصفة يقتل بها الشر وهو يقف على يمين المدخل، والحارس الثانى اسمه «مسهاكو» وهو يقف على يسار المدخل.

Niqu نيكو لحوم القرابين التى تقدم إلى الآلهة في أساطير البابليين.

Niranker نرانكر ـ أول صفة لله عند السيخ تعنى «مالا شكل له».

Nirankari حركة إصلاح دينى داخل السيخ قام بها دايال داس Dayal Das (توفي ١٨٥٥).

Nirguna — نيرجونا ـ سنسكريتية تعنى حرفيا «اللاتمايز» مفهوم هام في الفلسفة الهندوسية يطرح سؤالا عن براهما الموجود الأعلى: هل له صفات تميزه أم لا؟

Nirvana — نيرفانا ـ سنسكريتية تعنى حرفيا «الانطفاء» أو الاخماد الهدف الأسمى في الفكر الدينى الهندي من تأمل التلاميذ ـ يميز البوذية أكثر من غيرها وهو عندها يعنى الوصول إلى حالة سامية من التحرر عن طريق إخماد رغبات الفردووعية.

Norito — نوريتو ـ طقوس الصلوات أو الكلمات التى يتوجه بها المؤمنون إلى الله في صلواتهم في عبادة الشنتو القديمة في اليابان.

Numina — الأرواح ـ القوى الروحية في روما القديمة.

Nun — نون ـ المحيط الذى خرجت منه جميع الكائنات في الأساطير المصرية القديمة.

Nusko — نوسكو إله النار عند السومريين وهو نفسه الإله جيرسو.

Nut — نوت ـ إلهة السماء في الديانة المصرية القديمة وزوجة الإله جب إله الأرض أنجبا ايزيس وأوزريس وست ونفتيس.

Nyaya — نيايا ـ مدرسة من المدارس أو «المذاهب» الست في الهندوسية، اهتمت بالمنطق ونظرية المعرفة.

Nymphs — آلهات الطبيعة في أساطير اليونان عذارى يعشن في الجبال والغابات والمروج والوديان والمياه.

- O -

Ofudesaki — أفيدى ساكى ـ النصوص المقدسة الأساسية في ديانة الحكمة السماوية اليابانية إحدى طوائف ديانة الشنتو اليابانية.

Ogdoad — أوجدود ـ جماعة الثمانية وهم الآلهة الأول الذين تعاونوا في خلق العالم في الديانة المصرية القديمة.

Ohrmazd — أهورا مزدا ـ إله الخير في الزرادشتية.

Okage Mairi — تعنى حرفيا «الذهاب لتأدية الشكر» وهو معنى الحج في ديانة الشنتو اليابانية.

O-mi-to — أوميتو ـ في الصينية «أميتبها» بوذا صاحب الحياة اللامتناهية.

Omoto — أموتو ـ جماعة دينية من الحركات الدينية الجديدة في اليابان أسستها فلاحة تدعى دجوشى ناو عام ١٨٩٢.

Onisaburo, Deguchi — دجوشى أونيسابور ـ تولى جماعة أموتو بعد وفاة مؤسستها وهو زوج ابنتها نبذ الحرب والتسلح توفي ١٩٤٨.

Opening the Mouth — طقوس فتح الفم في مصر القديمة ـ كان الكاهن يقوم بفتح فم الجثة حتى يستطيع الميت أن يأكل ويشرب ويتكلم من جديد، كما فعل أبناء حوريس الأربعة الذين فتحوا فم جدهم أوزريس بعد وفاته بأصابعهم النحاسية ليتمكن من أن يأكل ويتحدث ثانية.

Oracles العـَّرافة ـ وسيط بين الإله والناس ـ تجيب على لسان الإله عن أسئلـة السائلين حـول الزواج أو التجـارة أو المستقبل، قد يكـون كاهنا أو كاهنـة ـ لكل إلّه عـَّرافة خاصة من أشهـرها عـّرافة الإلّه أبوللو في دلفي ـ وعرافة زيوس في دودونا في أساطير اليونان.

Orpheus أورفيوس ـ مـوسيقى ومنشد عظيم من تراقيا ابـن ربة الشعر كاليو وأبوللو كانت ألحانـه تسحر الوحوش والطير ـ تزوج الحورية يـوريديكا فلما مـاتت حـزن عليها وهبـط إلى عالم الموتى (هـاديس) ليبحث عنها، مؤسس النحلة الأورفية.

Orthia أورثيا ـ الإلّهة الأم أو ديمتر في اسبرطة.

Osashizu نصوص «الإرشاد» من النصوص المقدسـة عند ديانة الحكمة السماوية إحدى طوائف ديانة الشنتو اليابانية.

Osiris أوزيريس ـ واحد من أعظم الآلهة في مصر القديمة زوج الآلهة إيـزيس دبّـر لـه أخوه ست مـؤامـرة وقتلـه، أصبح إلّها للمـوتى وحاكما للعالم الآخر وأصبح ابنه حوريس إلّها للسماء.

Oya الأب ـ لقب للإلّه (أو الكامى) في ديانة الشنتو اليابانية.

Oyasato «مدينة الآباء» في اليابان موضع الخلق واكتمال الأشياء.

- p -

Padmasam بادمـاسا مهافا ـــ راهب بوذى هندى ازدهر في القـرن الثامن أدخل البوذية إلى التبت وشيد أول دير بوذى هناك.

Pagoda الباغودا ـ معبد أو هيكل هندى يختلف عن الـ «ستوبا Stupa» الهندوسية القديمة متعددالادوار ظهر في الصين واليابان أيضا.

Pad Hsien الخالدون الثمانية مجموعة متنـوعة من الشخصيات المقدسة في الديانة التاوية في الصين.

Pales بالس ـــ إلّه الـرعى عند الرومـان وهو يوجـد في هيئة رجـولية وأنثوية معا.

Pallas بالاس ـــ لقب من ألقـاب الإلّهة أثينا العـذراء ـ وكـان الجبار أبلاس قد حاول مغازلتها فقتلته وحملت اسمه، وظلت عذراء.

Pan الإلّه بان إلّه الرعاة والقطعان والغـابات في الأساطير اليونانية كانوا يصورنه نصف إنسان ونصف جدى.

Panchamakara البانشماكارا ـ طقوس الميمات الخمسة في الهندوسية (انظر)

Pandora .بندورا ـ المرأة الأولى (حواء) خلقها هيفاستوس الإلّه الأعرج الشـائه جلبت معهـا الكـوارث للرجـل الذي خلقـه بـرومثيـوس (المتبصر) في أساطير اليونان.

Pantheism مذهب شمول الالوهية (أو وحـدة الوجود) مذهب فلسفي يوحّـد بين الوجود الإلّهى ووجود العالم.

Parshva	أول مخلص في الديانة الجينية التى تؤمن بوجود أربعة وعشرين مخلصا.
Parthenon	البـارثنـون ـــ هيكل الآلهة أثينـا ــ المعبــد الـرئيسى على تل الأكروبول في أثينا .
Pharmakos	فارماكوس (أي العقار أو الدواء) ضحيـة بشرية كان اليونان القـدماء يلقـون بها من الجبل تكفيرا عن ذنـوب الجماعـة في حالـة الكوارث !
Partula	بارتولا ـ إلهة المخاض في الديانة الرومانية القديمة.
Parvati	بـارفـاتى ــ الإلهة الكبرى عـروس الإلـه شيفـا الجميلـة في الهندوسية.
Pashu	باشـو ـ الحيوان صفـة تطلق على الأشخاص تبعـاً لكفاءاتهم الروحية.
Pashupa	باشوبا ـ في الفيدا الهندية ـ حامى القطيع.
Pashupata	باشوباتـا ـ أقدم فرقة لشيفا في التـاريخ أسسها لاكولا الذي عاش تقـريبا في القرن الأول أو الثـاني الميلادى ـ كـان يعتبر نفسه تجسيدا لشيفا .
Pasiphae	باسيفى ـــ زوجة الملك مينوس تـولدت في نفسها رغبـة شاذة نحو الثور الذي وعـد زوجها بذبحه قربانـا للآلهة ثم عاد واحتفظ به لينتج له سلالة من الثيران على شاكلته .
Patimokha	باتيمـوكا ـــ فرقـة الديـر البوذي ـــ ٢٢٧ قاعدة تحكـم سلوك رهبان البوذية في الدير.
Pax Deorum	السلم الإلهى ـــ تأمين رضـا الآلهة عن طريق تقـديم القـرابين وتأدية الطقوس وإقامة الاحتفالات المناسبة في روما القديمة .
Pax Romano	السلم الروماني ـــ إقامة السلام بين القـوميات المختلفة داخل الإمبراطورية الرومانية الشاسعة .
Pe-har	إلـه شعبى في التبت يقـدسه البـوذيـون لاسيا فريق «القبعـة الصفراء» يعتبرونه «المدافع عن الإيمان» .
Phoebus, Apollo	فويس أبوللو ـــ أى أبوللو الـمُـطّهر ـ لقب للإلـه أبوللو عند اليونان واللقب يعني أيضا المنير أو المضيء .
Penates	ربات المدفأة أو آلهة المنزل عند الرومان .
P.L. Kyodam	جماعة الحريـة الكاملـة ترى أن «الحياة فـن» (انظر المصطلح التالى).
Perfect Liberty Association	جماعة الحرية الكاملة أو التامة ــ مثال جيد للحركات الدينية الجديدة في اليابـان ـ باليابـانيبة كيودان Kyodan أسسهـا ميكى توكوهار (١٨٧١ ـ ١٩٣٨) .
Persephone = (Persipanai)	الآلهة برسفونى (برسيناى) ابنة زيوس . وهى زوجة «هاديس» إله الجحيم وملك العـالم السفلى ـ كـانت تجمع الزهـور في الوادى عندما اختطفها هاديس وهبط بها إلى العالم الآخر.

Perseus	بـرسيـوس (أو فـرسـاوس) بطل في أسـاطير اليـونـان ذبح المدوسـا Medusa وحش البحـر المخيف وأنقذ أنـدروميد-An dromedce .
Pinda	البنـدا ــ كـرات الأرز تُـقَّـدم في عبـادة الأسـلاف الهنـديـة القديمة.
Polytheism	الشرك ــ تعدد الآلهة (عكس الـوحـدانية) سمـة للـديانـات القديمة كلها باستثناء فترة إخناتون في مصر القديمة .
Potifex Maximus	الحبر الأعظم - كبير الكهنة في رومـا القديمة كانت لـه مكانة سياسية عالية .
Pontus	بونطس ــ إله البحر في الأساطير اليـونانية ، ليس لـه ملامح محددة.
Poseidon	بـوزيـدون ــ إلـه البحر وشقيـق زيوس ــ مـزواج ولـه عـدة عشيقات من عرائس البحر وحوريات الينابيع .
Prajapati	برجباتى - الإله الخالق عنـد الهندوس الذي خلعه الإله أندرا عن عرشه.
Priapus	بـريـابــوس إلـه الخصب والحدائق ــ ولــد نتيجـة اتصـال ديونسيـوس بأفروديت في أساطير اليونـان - كان الفنانـون يزيّـنون الزهريات بصورته .
Prometheus	بروميثيوس - تعنى حرفياً «المتبصر أو المتروى» ، خالق الرجل - خـدع زيـوس وهو يـوزع لحم القـرابين فأعطـاه الشحم بـدلا من اللحم ــ غضب زيـوس وأخفى النـار عن الإنسـان ــ سرقهـا بروميثيوس فعاقبه كبير الآلهة بتكبيله بالأغلال .
Proteus	بروتيـوس - إله صغير من آلهة البحـر في الأساطير اليونـانية - يـذهب هـوميروس إلى أنـه كـان في الأصل جنيًـا مصريـا يخدم بـوريدون إلـه البحـر ــ كانت لـه القـدرة على التشكل في مختلف اشيئات .
Ptah	الإله بتـاح - وهوالإله الخالق لمدينـة منف (أو منفيس) أقدم عواصم العالم أسسها الملك مينا واتخذهـا عاصمة للملكة المتحدة القديمة .
Puranas	المأثورات الشعبيـة في الهندوسيـة تشمل الحكـايات والخوارق والأساطير . . . . إلخ .
Pure Land	مدرسة الأرض الطاهرة في البوذية.
Purusha	بروشا ــ أرواح الأفراد من جنس الذكر في الهنـدوسية (عكس براكريتى المادة أو أرواح الأنثى) .
Pyramid Texts	متـون الأهرام ــ نصوص دينيـة منقـوشة على جـدران المدفن والممرات بباطن الأهرام وقُـصد بها أن تكفل للملك حياة هانئة في الـدار الآخـرة ــ عُـرفت عـام ١٨٨٠ ونشرهـا مـاسبيرو عـام ١٨٨٢ .

Pythia — بثيا العَّرافة ـ كاهنة أبولو تجلس على مقعد ذى ثلاثة أرجل وتروح في شبة غيبوبة وتجيب عن الأسئلة.

- Q -

Queen of Heaven — ملكة السماء إلهة الحب والخصب ـ عشتار.

Quietism — السكينة ـ مطلب دينى واسع الانتشار في الديانات الهندية.

Quirinus — كويرينوس ـ إلّه كبير في الديانة الرومانية يقترب في مكانته من مارس وجوبتر.

- R -

Radha — راذا ـ حبيبة كرشنا عُبدت معه في الهندوسية.

Rahula — راهولا ـ ابن بوذا الأكبر ـ ازدهر في القرن السادس ق.م.

Rama — راما صاحب الفأس ـ التجسيد السادس للإلّه فشنو الذي دافع عن البراهمة ضد النهب الملكى في الهندوسية.

Rama Ayodha — راما أيوذا بطل الرمايانا الذى قتل الشيطان الذي يقطن سرى لانكا ـ التجسيد السابع للإله فشنو في الهندوسية.

Ramayana — رمايانا ـ (تعنى حرفيا قصة راما) ملحمة سنسكريتية تروى مغامرات راما ـ وقد تجسد فيه الإلّه فشنو في سبيل الوصول إلى عرشه المسلوب.

Ram Das — رام داس (١٥٣٤ ـ ١٥٨١) المعلم الروحى الرابع للسيخ.

Ramman (Rimmon) — رامان (ريمون) إلّه العاصفة في الديانة السومرية هو نفسه الإلّه حدد ـ يسمى «بالمرعد».

Rashnu — راشنو ـ إله العدالة والحق في الديانة الزرادشتية.

Ravana — شيطان له عشرة رؤوس قتله راما بمساعدة زوجته سيتا في ملحمة الرمايانا السابقة.

Re — رع ـ إلّه الشمس أعظم الآلهة في مجمع الآلهة المصرى يعبر السماء يوميا في قاربه الشمسي، وفي المساء يسافر في قارب آخر عبر العالم السفلى ـ أصبح الإلّه الرسمى عند الفراعنة فكان فرعون ابن «رع» أو تجسيدا له.

Re-Atum — رع ـ أتوم صيغة تعبر عن اتحاد الآلهين المصريين معا.

Reiyukai — ريوكاى ـ حركة أصدقاء الروح تأسست في اليابان عام ١٩٢٥ استمدت الهامها من مدرسة نشرين.

Religion of Metal Lustre — ديانة طهارة الطبع أو نقاء المعدن أسسها مزارع غير متعلم في اليابان اسمه كاواد (١٨١٤ ـ ١٨٨٣).

Remus & Romulus	رومـولوس وريمـوس شخصيتـان أسطـوريتان أسسـا رومـا وأصبحا شخصية مقدسة لروما .
Rhea	ريا ـ إلهة قديمة في أساطير اليونان إبنة أورانوس وجى (السماء والأرض) تزوجت شقيقها كرونـوس الذي خلع والده «أورانوس» وحل محلـه، ثـم خشى أن يخلعـه واحـد من أبنـائه فبلعهـم (بلع هستيا، ديمتر، هيرا، هادس، وبوزيدون) فأخفـت عنه ريا مولد زيوس.
Rig-Veda	ريج فيدا سنسكـرتية معناهـا «الفيدا النارية أو المنسـوبة إلى النـار» وهي قسمان أدعية وصلـوات ثم تعـاليم تتعلق بالعبـادات والواجبات الدينية .
Rinzai School	مـدرسة رينـزاى البـوذية في اليـابـان ـــ واحدة من الفـرقتين الرئيستين في بوذية زن اليابانية ـ تأسست في الصين في القرن التاسع ثم انتقلت إلى اليابان في القرن الحادى عشر.
Rishabhanatha	الإله الثور المخلص الأول في الديانة الجينية.
Rissho Ankoku-ron	رسالـة كتبها القـديس نشرين عنوانها «الأمن القـومى يعتمد على إقرار القانون البوذي» .
Ris sho-Kosei Ki	جماعـة دينية يـابـانية تعنى حـرفيا «جماعـة إقـرار الاستقامـة والعلاقات الأخوية» تفرعت عن حركة القديس نشرين .
Rita	ريتا ـ النظـام الطبيعى والأخلاقى للكون يحرسه الإلـه فارونا في الديانة الهندوسية .
Rudra	رودرا ـ إله هندى يجلب المرض والشفاء معا .
Rumina	رومينا ـ إلهة الرضاعة في الأساطير الرومانية .
Ryobu-Shinto	ريوشنتو ـ تعنى حرفياً «وجهان للشنتو» الاسم الذي استخدم في وصف تعايش ديانة الشنتو مع البوذية .

- S -

Sabazius	سبازيوس هو نفسه الإله ديونسيوس.
Sacred Fire	النار المقدسة عند الزرادشتيين.
Sacrifices	الأضاحى ـ القرابين تختلف باختلاف الديانات والأساطير.
Sadre	سدرة ـ قميص يرتديه الزرادشتيون منذ سن البلوغ.
Sahaj-dhari	طائفة السيخ التى لم يلتزم أفرادها بمبادىء «الخلسا» .
Sahajiya	فـرقة من أتبـاع فشنو الهنـدوسية ظهـرت في القرن السـادس عشر.
Saicho	سايكو ـ كاهن يابـانى (٧٦٧ ـ ٨٢٢) أسس فرقة «التنداى» درس الفكرة في الصين ثم أدخلها إلى اليابان.

Saisei itichi	«مبدأ وحدة الطقوس الدينية مع السياسة» في ديانة الشنتو اليابانية.
Sakyamuni	ساكيامونى ــ تعنى حرفياً «حكيم ساكياس» وهو بوذا الأكبر.
Salii	الساليون أو القفازون (الوثابون) كهنة في روما القديمة يستقبلون العام الجديد بألوان من الرقص المقدس، ومازال الناس يتبعون هذا التقليد حتى الآن!
Samavartana	سمافرتانا ـ سنسكرتية تعنى الاحتفال بعودة الشاب إلى بيته من عند المعلم الروحى ليصبح رب البيت وتسمى أيضاSmana .
Sama-Veda	سامافيدا ـ تعنى الفيدا الشمسية أى المنسوبة إلى الشمس وهى قسمان أحدهما مزامير دينية والآخر مجموعة من العبادات والواجبات الدينية.
Samayika	الاتزان، رباطة الجأش ـ أحد المثل العليا في الديانة الجينية.
Samhitus	المجموعة الرئيسية من الترانيم في الفيدا عند الهندوسية.
Samsara	.سمسارا حلقة مفرغة رهيبة تمر بها النفس البشرية عندما تموت ثم تولد من جديد على نحو متكرر، عقيدة في الهندوسية.
Samskaras	طقوس المراحل الحاسمة في حياة الفرد الهندوسى، من الحمل حتى الوفاة ــ تختلف باختلاف الطبقة والأسرة ـ يقوم بها الأب داخل الأسرة.
Sanal	سنال ـ روح المتوفى عند القبائل البدائية في آسيا .
Sangha	السنغا ـ جماعة الرهبان البوذيين في الدير ــ نظام لسلوك الرهبان في الدير ـ نبذ الحياة الدنيوية والاصغاء لكلمات بوذا وتعاليمه ـ تشمل الرجال والنساء معا.
Sankara	سنكارا (٧٠٠ ــ ٧٥٠) فيلسوف ولاهوتى هندى ــ مصدر لكثير من التيارات الحديثة في الفكر الهندى.
Sapindas	المشاركة في تناول البندا (كرات الأرز) مع الأسلاف يترتب عليه أن تكون خمسة أجيال من ناحية الأب وسبعة من ناحية الأم محرماً عليهم الزواج.
SapindiKarma	سابندا كرما ـ طقوس تجعل الميت يتناول أقراص الأرز مع الأسلاف.
Sarapis	سرابيس إله مصرى ثم يونانى ـ إله الشمس يعبد في منفيس ثم اتحد مع عبادة الثور «أبيس» ــ كان في الأصل إلــه العالم السفلى.
Sarasvati	إلهة هندوسية للثقافة والفنون ثم اتحدت مع الإلهة فاك Vac إلهة الحديث.
Samath	موضع في شمال الهند تروى الروايات أن بوذا بدأ يعلم فيه أتباعه.

Sarpanit	صربنتيو ـ تعني بـالاكادية «الفضة اللامعة» ــ زوجة مردوخ وإلهة بـابل الرئيسيـة المختصة بشئـون الحمل والولادة ــ تسمى في البابلية «ذربنيتو» أى بانية الذرية أو خالقة النسل.
Savastivada	مدرسـة بوذيـة من أوائل المدارس في الفلسفة البـوذية، تعنى حرفيا «مـذهب كل ما هو موجـود»مدرسة مثاليـة ترى أن كل ما هو موجود من الأشياء المادية وهم.
Sat	سـات ـ سنسكـرتية تعنى «الموجـود» ــ في الفكر الهنـدوسى «العالم المرئى» الذى يتبع العالم الأخر غير المرئى Asat (أو نصف الكرة الأرض والسماء في مقابل نصفها الأخر العالم السفلى).
Sati	ســاتى ــ سنســكرتيية تعني «المرأة الفـاضلـة» في أسـاطير الهنـدوسية ــ إحدى زوجـات الإلّـه شيفا ــ إبنة الحكيم «دكشـا» تزوجت شيفا ضد رغبة والدها، ماتت وولدت من جديد على أنها بارفاترى Parvatri.
Sati=(Sutte)	ساتى (سوتى) عادة دفن الأرملة مع زوجها المتوفى في الهند.
Sattva	أقـدم المذاهب الستـة في الفلسفـة البرهمية ــ يسمى أحيـانـا «سانخيا».
Saturn	ساترن (زحل) إلّه بذر البذور في أساطير الرومان.
Satyrs & Sileni	السـاطير والسلينـات ــ آلهة الغـابـات في أسـاطير اليـونـان السـاطير لها ذيل وأذنـا فرس ووجـه إنسـان، والسلينـات نصف إنسان ونصف ماعز.
Saviour	المخلص ـ شخصية هامة في مختلف ديـانات العالم ـ وهوبوذا في البـوذيـة ثـم «بـوذا المنتظـر». كما أنـه مـوجــود في الـزرادشيـة والمسيحية... إلخ.
Scipio	قائد متصوف نقل «الأم الكبرى» (سبيل) من فـريجيا إلى روما على هيئة «الحجر الأسود».
Sebek	الإله سبيك ــ الإلّه التمساح في ديانـة مصر القديمة انتشرت عبادته حول بحيرة الفيوم
Sed	سـد ـ عيـد في مصر القـديمة ــ الاحتفـال الطقسى بتوحيـد الوجهين في مصر على يد الملك مينا.
Sekhmet	سخميت ــ آلهة الحرب الشرسة في مصر القـديمـة ـ دمـرت أعداء رع فسميت «عين رع» رفيقة الإلّه بتاح.
Seicho-no-Ie	«بيت النماء» ـ جماعـة دينية يابانية تأسسـت عام ١٩٢٨ ترى أن جميع الأديان تصدر عن إلّه واحد كلى.
Seshat	سشات ـ آلهة مصرية مختصة بأرشيف الحوليات الملكية.
Seth	ست الإله الشريـر الذي قتل أوزريس في الأسـاطير المصرية القديمة.
Shiva	شيڤـا ـ سنسكـريتية «الـواحـد الميمون أو السعيـد» ـ أحـد

الآلهةي الرئيسية في الهندوسية ـ يحمل صفات متناقضة فهو «المدمر» و«المنشىء»، والناسك ورمز الشهوة . . إلخ .

Shaivism الشيفية ـ عبادة الإله شيفا تُشكل إحدى الصور الرئيسية الثلاث في الهندوسية الحديثة (إلى جانب الفشنوية والشاكتية) .

Shaktas المتعبدون للربة الكبرى شاكتى .

Shakti شاكتى ـ الإلهة الرئيسية الثالثة في الديانة الهندوسية (إلى جانب فشنو وشيفا) والكلمة تعنى «القوة» أو «النشاط» ـ يقال انها زوجة شيفا .

Shakubutu شاكوبوتو تعنى باليابانية «إكسر ولطف» ضرب من الهداية الجبرية وسيلة استخدمها البوذيون في اليابان لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية .

Shaman الشامان شخص يشتغل بالتطبيب والكهانة والسحر عند الشعوب البدائية والكلمة نفسها تعنى «ذلك الذي يعرف»!

Shamanism الشامانية ـ ظاهرة دينية تعتمد على الشامان الذي يقال إن لديه قوة خارقة لشفاء المرضى والاتصال بالعالم العلوى تنتشر في آسيا .

Shamash شماش ـ إله الشمس عند البابليين وهو الذى أوحى إلى حمورابى بشريعته .

Shambhu لقب للإله شيفا (الرءوف المحسن) عندما يضرع إليه أتباعه.

Shangu شانجو ـ اسم الكاهن المحترف في بابل.

Shankara شانكارا ـ لقب للإله شيفا (المحسن ـ المبشر بالخير) عندما يضرع إليه أتباعه .

Shao-Young شاويونج (١٠١١ ـ ١٠٧٧) فيلسوف صينى أثر تأثيراً قوياً في تطور الكونفوشية الجديدة .

Shedu شدو ـ الأرواح الحارسة عند البابليين.

Shih-shia-fu شيه شيا فو ـ صورة بوذا الأكبر في الصين.

Shin Buddhism بوذية شن ـ «مدرسة الأرض الطاهرة الحقة» إحدى المدارس البوذية في اليابان «كلمة Shin تعنى الحقة أو الصادقة» .

Shingon فرقة شنجون ـ جماعة بوذية سرية كان لهاانتشار ملحوظ في اليابان ـ شنجون تعنى «الكلمة الطاهرة، أو الصادقة»، أسسها الراهب كوكاى في القرن ٩م .

Shinran شنران (١١٧٣ ـ ١٢٦٢) فيلسوف بوذى ومصلح دينى أسس مدرسة جودوشنشو Shinshu (أى الأرض الطاهرة الحقة) .

Shinsen القربان في ديانة شنتو اليابانية قد يكون من الحبوب أو المال أو الشراب . . . إلخ ويقدم إلى «كامي» (الإله أو القوة الروحية) .

Shinshoku كاهن ديانة الشنتو في اليابان.

Shinten	مجموعة النصوص المقدسة لديانة الشنتو، الديانة الأصلية لليابان.
Shinto	الشنتو ـ الديانة الأصلية لليابان ويمكن ملاحظتها في الحياة الاجتماعية للشعب الياباني، محور الديانة الإيمان بوجود قوى روحية هي «الكامي».
Shintai	الرمز المقدس للكامي» أو الإله في ديانة الشنتو اليابانية.
Shradha	شراذا ـ عقيدة قيام الأحياء بتقديم الطعام إلى الأسلاف الذين يقطنون عالم الآباء ـ كرات الأرز والماء الرابطة بين الأحياء والأموات.
Shramanas	المعلمون الروحيون القدماء أو النساك المتجولون في الهند ـ حركة تميزت عن البراهمة بعقيدتهم في الخلاص عن طريق الزهد والإلحاد.
Shu	شو ـ إله مصرى قديم ـ والكلمة تعنى «الفضاء» يصورونه على هيئة رجل يقف فوق الأرض ويسند السماء بيديه ـ هو الذي زج بنفسه بين إلهة السماء نوت وزوجها إله الأرض جب وبذلك فصل السماء عن الأرض.
Shudra	طبقة الشودرا طبقة الخدم والعبيد في مجتمع الفيدا الهندى.
Shugendo	طريق النساك في الديانة اليابانية القديمة.
Shun	شون ـ إمبراطور أسطورى في الصين في العصر الذهبى القديم أشار إليه كونفوشيوس على أنه نموذج الاستقامة والفضيلة المتألقة.
Shunyata	شنياتا ـ المطلق عند البوذيين وهو يخلو من كل صفة.
Shidhas	السيدها ـ طبقة من نساك الإله شيفا ينتشرون في شمال الهند ـ يتميزون بقوة روحية وسحرية خارقة.
Sikhism	السيخ جماعة دينية في الهند وباكستان أسسها المعلم الروحى (ناناك ١٤٦٩) نادت بالوحدانية والتقارب بين جميع الأديان، عارضت نظام الطبقات المغلقة بالهند والنظام الكهنوتى.
Sin	سن ـ إله القمر عند السومريين وهو زوج الإلهة ننجال وابن إنليل ونينليل.
Sirens	السرينات ـ مجموعة من كائنات أسطورية نصفها الأعلى جسد امرأة والأسفل جسد طائر كانت تسحر الملاحين بغنائها فتوردهم موارد الهلاك، ولهذا اضطر أديسيوس إلى إغلاق آذان رجاله بالشمع عندما مر بجزيرتهم عند عودته من حرب طروادة.
Soko Gakkai	سوكو جاكاى ـ جماعة خلق القيم ـ إحدى الفرق الدينية البوذية في اليابان التى ارتبطت بفرقة نشرين.
Sokaris	سوكاريس ـ إله الموتى في مصر القديمة وهو نفسه أنوبيس.
Sol	إله الشمس ـ عبادة قديمة في روما.

Soma	السوما ـ شراب مقدس عند الهنود يصاحب تقديم الأضاحى والقرابين وهو «الهوما» عند الإيرانيين .
Soter	المخلص في أساطير اليونـان لقب كان يطلق على بعض الآلهة أو الملوك الذين يؤلههم الناس .
Soto	فرقة سوتو ـ مدرسة بـوذية يابانية كبيرة تعتمد على الجلوس في هدوء وسكينة للوصول إلى مرحلة الاستنارة .
Sthanakava	شعبة من فريق الأردية البيضاء في الجينية يتميزون بوضع قطعة من القماش على الفم لكـى يتجنبـوا إيـذاء الحشرات والهوام رغما عنهم .
Sthanakavasis	سكان القـاعات ـ حـركة إصلاح ديني داخل الجينيـة قامت عـام ١٦٥٣ تـرفض الأيقونـات وطقـوس المعبـد لأنها لا تتفق مع تعاليم «مهافيرا» مؤسس الجماعة .
Stupa	ضريح ـ هيكل في الهند ثم تطور إلى «البـاغودا» في الهندوسية والبوذية لا سيما في جنوب شرقي آسيا .
Sulis	سوليز ـ آلهة الينابيع الحارة عند الرومان.
Sutra	سوترا ـ سنسكريتية تعنى «الخيط» ثم أصبحت تعنى الخيوط المرشدة ـ مجموعة من النصوص الهادية في الهندوسية والبوذية .
Svetambara	الـرداء الأبيض، فـريق الأرديـة البيضاء في الجينيـة . إحـدى فرقتين رئيسيتين في الجينيـة يرتـدى رهبانها أرديـة بيضاء في المعبـد وهـم عكس «فريق العراة» الـذين لا يرتدون شيئا ويـرفضون وجود النساء في سلك الرهبان .

- T -

Taboo	تـابو ــ مصطلح عام يطلق على مـا هو محرم دينيـا ـ ظهـر في أواخر القـرن الثامن عشر أثناء المناقشـات حول أصل الدين ــ قد يحمل صفــات متعــارضــة مثل المقـدس والخطـر، والطـاهــر والدنس . . . . إلخ .
Taishakyo	تيشاكيو، فرقة في ديانـة الشنتو في اليابان تتألف من ٣ مليون عضو، في زعمهم ، تتمركز في منطقة ازمو Izumo .
Taisha Shrine	هيكل تيشا ـ أو مزارتيشا ـ أقدم مزار في منطقة أزومو أنشئت مبانيه في القرن التاسع على مساحة أربعين فدانا .
Tamil	اللغة التاميلية ـ لغة ولاية مدراس في الهند .
Tammuz	تموز ــ إله بـابلى قديم ــ هـو نفسه دمـوزى الشاب الـراعى الوسيم الـذى أحبته عشتـار لكنه قتل ــ وهو نفسـه أدونيس عند اليونان ـ وأند يموت الراعى عند الرومان .
Tantalus	تنتالوس ـ ابن زيوس في أساطير اليونان عاقبته الآلهة إما لأنه

أفشى للنـــاس الأسرار التي تعلمهـا مـن السماء أو لأنــه، على الأرجح، سرق طعام الألهة وشرابهم وكـانت عقوبتـه في «هاديس» (العـالم الآخـر) أن يقف في الماء حتى رقبته وأن تتـدلى أغصـان الفاكهـة حتى شفتيه فإن حـاول أن يأكل أو يشرب ارتـدت بعيدا عنه، ومن هنا كان الافتراض الثاني أرجح.

Tantra

تنترا ـ سنسكرتية معناهـا «خيوط الطيف»، وهي مجموعة من النصوص المقـدسة التى تشبه «سوترا»، مع فـارق هام أن الأولى وثائق لا يطلـع عليها سـوى المختصين أما «السوتـرا» فهى عـامة وشائعة وفي متناول الجميع.

Tantric Buddhism

البوذية التنتريـة ـ تطور هام في بـوذية الهنـد والبلاد المجاورة ـ لا سيما التبت ـ تستخدم لغة موغلة في الرمزية.

Hinduism

الهنـدوسيـة التنتريـة نظـام من الطقـوس السريـة يستخـدم لتحقيق التجارب الروحية وإشباع الرغبات في آن معا.

Tantaricism

التنترية ـ مصطلح يشير إلى الديانة التى تعتمد نصوصها على الحوار بين الإله شيفا والربة شاكتى.

Tao

التاو ـ كلمة صينيـة معناها «الطريق» أو «النهج» أو السبيل ويقصد بها أسلوب الحياة أو الطريق الصحيح، طريق السماء.

Taoism

التاوية أو الطـاوية ـ ديانـة ومذهب فلسفى في وقت واحد ـ أسسهـا في القــرن الســادس قبل الميـلاد «لاو ـــ تسـو» يخاطب العواطف وينزع إلى التأمل الصوفي، حاول أنصاره فيما بعد العناية بالكيمياء بحثا عن أكسير الحياة.

Tao-Te-ching

تاو ـــ تى ـ كنـج معناهـا الحرفى «تعاليم التـاو» كتاب صغير يطلق عليه أحيانا اسم «الكتـاب ذي الخمسة آلاف كلمة» لصغر حجمـه، كلاسيكيـات طريق القـوة، من أعظم الكلاسيكيـات الصينيـة يقـال إنها من تأليف «لاو ـــ تسـو» كـان تأثيره في الفكـر الصينى هائلا.

Tao-yuan-ming

تـاو ـ يـوان ـ منج (٣٧٥ ـــ ٤٢٧م) أحد الشعـراء الصينيين الذين تأثروا بالتاوية.

Tariki

تـاريكى ـ مساعـدة الإنسـان مـن الخارج تأتى لتعينـه على بلـوغ مـرتبـة بـوذا وهي غير الجيركى (أو مســاعـدة الإنســان لنفسه).

Tartarus

طار طاروس ـ العالم السفلى أو الجحيم في الأساطير اليونانية.

Tathagata

تثاجيتيا ـــ عيد الإله أبو للو حيث تلقى خطـايا الجماعة على فرد واحد يختـارونه، ويلبسونه ثيـابا كهنوتية ثم يلقـون به من فوق صخرة، لعله يكفـر بذلك عن سيئاتهم. ويسمـون هذه الضحية فارماكوس Pharmakos.

Taurobolium

التوروبوليـوم ـ التعميد بدم الثور الذي يجلب حيـاة أبدية في

ديانـه روما القديمة ـ وكان الفـرس يعبدون الثور الذي مات ثم بعث حيا، ووهب الجنس البشرى دمه ليسبغ عليه نعمة الخلود وسموه «هوما».

Te — تى ـ «فضيلة» في الكونفوشية: النية الحسنة والسلوك السليم تجاه الآخرين وهى في التـاوية قوة «التاو» الغـامضة التى لا يمكن تعريفها.

Tefenet — تفنت ـ تف نوت ـ زوجة الإله شو في الديانة المصرية القديمة ـ عبدهـا المصريـون على شكل أسـد ـ خلقت بطـريقـة البصق ـ ومازال العامة في مصر يستخدمون كلمة «تفـ» بمعنى بصق.

Tellus Mater — تلـوس مـاتـر ـ إلهة الأرض أوالإلهة الأم في ديـانـة مصر القديمة.

Temenos — قاعة الأسرار الدينية في معابد اليونان القديمة ـ المحراب.

Tendai — تنداى ـ فرقة بـوذية يابـانية أدخلها الكـاهن سيكو (٧٦٧ ـ ٨٢٢) إلى اليابان واستمدت اسمها من فرقة «تيات تاى» الصينية البوذية، انقسمت إلى فرقة «سامون» و«جيمون».

Temoism (Temoism) — التموية ـ أو التموية من temo التى تعنى «الملك السماوى» لقب لحاكم الدولة في اليابان ثم أصبحت لقبـا للإمبراطور، نظرية ترى أن الحاكم يستمد سلطته من السماء.

Tenrikyo — تنريكيو ـ عبادة الحكمة الإلهية ـ فرقة دينية في اليابان أسستها كاهنة يابانية في القرن التاسع عشر.

Terminus — ترمينوس ـ إله الحدود في الديانة الرومانية القديمة وهو يجلس على صخرة الحدود.

Teshub — تشـوب ـ إلـه الجو والطقس عنـد البابليين وهـو نفسه الإلـه حدد.

Theism — التأليه ـ القـول بوجود إله مستقل تعتمد الأشيـاء في وجودها عليه.

Themis — تيمس ـ إلهة النظام والعـدالة والمشـورة الطيبة ابنـة أورانوس (السماء)وجيا (الأرض).

Theocracy — التيوقراطية ـ الحكم الدينى، حكم الكهنة أو رجال الدين.

Theodicy — التيوديسا ـ من Theos إله و Dike عدالة في اليونانية، التوفيق بين وجود إله خير لا يفعل الشر ووجود الشر في العالم.

Theogony — أنسـاب الآلهة ـ تسلسل الآلهة كما رواه الشـاعـر اليـونـانى هزيود.

Theology — الـلاهوت ـ العلم الـذي يبحث في الله وصفـاتـه وعلاقتـه بالعالم، علم الكلام علم الربوبية.

Theosphy — التيوصوفيـة، فلسفة دينية صوفية ترى أن معـرفة الله تتم عن طريق الكشف الصوفى أو التأمل الفلسفى، تشدد على التجارب

الصوفية السرية .

Theravada Buddhism — بوذية ترافادا ـ «أو طـريق الشيوخ» فرع كبير من البوذية ينتشر في سري لانكا وبورما وتـايلند . . إلخ يردون أنفسهم إلى شيوخ أو كبار أو قدامى الرهبان في البوذية .

Thoth — تحوت ـ إلّه مصري في الديانة المصريـة القديمة يقال إنه مخترع الكتـابـة والنظـام الاجتماعي وخـالق اللغـات ويمثل إلّـه الشمس «رع» . يرمز إليه بالطائر «ابى منجل» .

Timat — تعامة ـ أو تيمات (تنين البحر) الذي حاربه مردوخ في أسطورة الخلق البابلية وشقه نصفين صنع منهما السماء والأرض .

Tien Tai — فرقة تيان تاى البوذية الصينية استمدت اسمها من اسم جبل «تيـان تـاى» الـذي كـان مـركـز ا التعـاليمهـا في جنـوب شرقي الصين .

Tinia — تنيا ـــ إلّه للصواعق والعـواصف عند الأتروسكـان اتحد بعد ذلك مع زيوس عند اليونان وجوبتر عند الرومان .

Tirthankara — تيرنكـارا ـ صـانعو المخـاوض أو مـرشدو الأرواح لعبـور نهر التناسخ ـ وهم معلمو الجينية .

Titans — التيتان وهـم الجبـابرة أو المردة في الأساطير اليونانيـة وعددهم اثنـا عشره ستـة بنين وسـت بنـات كـانـوا آلهة قــدامى يتصفـون بـالوحشيـة أصغـرهـم كـرونوس وأختـه «ريـا» والدا زيـوس كبير الآلهة .

Totem — الطوطم ـ مشتقـة من كلمة هندية الأصل تعنى عـلامة الدم بين الأخ وأخته ثم أطلقت في الغـالب على الحيوان الـذى تنحدر منه العشيرة ويعتبر لحمه محرما ، كذلك تحرم الصلات الجنسية بين أفراد الطوطم الواحد .

Totemism — الطـوطمية ـــ نظام دينى عنـد الشعـوب البدائيـة لاسيما أهل استراليا وأفريقيا يجعل العشيرة منحـدرة من نبات أو حيوان ، وهو الأغلب ، فيكــون لحمـه محرمــا على أفــرادهـا كما يحرم الــزواج الداخلي .

Transmigration — تناسخ الأرواح ، انتقـال الروح بعد الـوفاة إلى جسـد آخر ثم ثالث . . . إلخ ، في الديانة الهندوسية .

Trishala — تـرشـالا ، والدة مهـافيرا مـؤسس الجينيـة ، ثم أصبحت أمـا للأربعة وعشرين قديسا أو مخلصا في الجينية .

Triton — تريتون ، نصف إله من آلهة البحر عند الإغريق له جسم رجل وذيل سمـكة ابن إلــه البحـر بوزيــدون وزوجتـه أمفتريت Am-phitrite يعيـــش مـــع والـــديه في قصـــر من ذهبـ في أعمــاق البحر.

Tsuki — إله القمر في أساطير اليابان.

Tulsidas	شاعر هندوسى (١٥٤٣ ـ ١٦٢٣) كتب «البحيرة المقدسة وأعمال راما» أعظم انجاز للأدب الهندوسى في العصر الوسيط .
Tutankamun	توت عنخ آمون حكم من ١٣٦١ إلى ١٣٥٢ق . م في عهده استعاد الدين التقليدى في مصر القديمة مكانته ثانية بعد ثورة التوحيد التى قام بها في تل العمارنة الملك إخناتون .
Tvashtri	تفاشترى ـ الإله الصانع البارع الذي يُعدّ الصواعق في الديانة الهندوسية .
Tyche	تيكى (أوتيخى) إلهة الحظ والصدفة في أساطير اليونان .
Tyche Agathos	تيكى أجاثوس ـ الصدفة الطيبة ، زوجة الإله أجاثوس .
Tzu-Szu	فيلسوف صينى (٤٨٣ ـ ٤٠٢ ق . م) حفيد كونفوشيوس مؤلف كتاب «عقيدة الوسط» .

- U -

Ubasku	أوباسكو ـ الناسك البوذى في اليابان .
Ujigami	يوجى جامى ـ هيكل العشيرة أو الهيكل المحلى في ديانة الشنتو اليابانية .
Ujiko	أطفال العشيرة ، مصطلح يطلق على أعضاء العشيرة ، في ديانة الشنتو من حيث علاقتهم بالكامي الذي يقوم مقام الأب .
Uni	يوني ـ إلهة قديمة للاتروسكان زوجة الإله تنيا ـ اتحدث بعد ذلك مع الآلهة يونو أو جونو Juno عند الرومان وهيرا عند اليونان .
Ushas	أوشاس ـ إلهة الفجر في الهندوسية وهي ايوس Eos عند اليونان .
Utnapishtim	أوتنابشتيم الملقب بالبعيد وهو الذي صنع السفينة وهرب بها من الطوفان في أساطير بابل .
Utu	أتو ـ إله الشمس عند السومريين .

- V -

Vach	فاش ـ سنسكريتة تعنى «الكلمة» بواسطتها ثم خلع الإله أندرا عن عرشه في الهندوسية .
Vagitanus	فاجيتانوس ـ إلهة وظيفتها استخراج الصرخات الأولى للطفل عند ميلاده في أساطير الرومان .
Vairagin	ناسك هندوسى يعبد إحدى صور الإله فشنو في الهندوسية .
Vairo Cana	فايروكانا ـ سنسكريتة تعنى المستنير لقب يطلق على بوذا الأكبر .

Vaisheshika	فيشيشكا أحـد المذاهب الست في الهنـدوسية يذهـب إلى أنه ليس في العالم «إلا ذرات وفراغ» .
Vaishnavism	الفشنيـة عبادة الإلـهفشنو إحـدى الصور الـرئيسية الثـلاث للهندوسية (إلى جانب الشيقية والشاكتية) .
Vaisya	طبقة الفيزا ـ الطبقة الثالثة في ترتيب الطبقات المغلقة في الهند وهي تُـــعنى بمســائل الحيـاة الضروريــة ، الـزراعــة ، التجـارة الحرف .
Vajrayana	عربة الماس ــ تسمى أيضا البوذية التنتريـة ، وهي فرقة تمثل تطورا هاما في بوذية الهند والبلاد المجاورة لا سيما التبت .
Vallabha	فالا بها (١٤٧٩ ــ ١٥٣١) فيلسوف هندوسى مؤسس فـرقة تُـعرف باسم «طريق النعمة الإلهية» .
Vamana	فمانا ـ القزم الذي تجسَّــد فيه الإآله فشنو (التجسيد الخامس) ليهزم الشيطان بالى في الهندوسية .
Varaha	فراها ــ الخنزير البرى الذي تجسد فيه الإلـه فشنو (التجسيد الثالث) وقتل هيرانيكاشا وأنقذ الأرض .
Varna	الطبقة المغلقة في الهند ـ والكلمة تعني أصلا اللون ـ الطبقات أربع : الكهنة (أو البراهمة) خرجت من رأس الإله ، والمقاتلون (أو الكشاترية) خرجت من ذراعيه . وطبقة التجار (أو الفيزا) خرجت من فخذيه . أما طبقة الخدم (الشودرا) فقد خرجت من قدميه .
Varuna	فارونـا ـ إلـه السماء المهيّـمن في الهنـدوسية وحـافظ القـانون الطبيعى والأخلاقى .
Vasubandhu	فازدبـاندو ـ (ازدهر في القـرن الرابع) فيلسوف بـوذى هندى وعالم في المنطق .
Vasudeva	من أقدم الحركـات الدينية في الهنـدوسية ـ جماعة دينيـة تعبد كرشنا .
Vayu	فايو ـ إله الريح في الهندوسية .
Veda	الفيدا ــ الكتب المقدسـة في الهندوسيـة كتبت بالسنسكـرتية تضم أربعة أسفـار (١) الريج فيدا (أنشـودة لتمجيد الآلهة) (٢) السامفيدا تـرانيم لتقديم القرابين (٣) اليايـور فيدا إضافات مـرتبة حسب القرابين (٤) أثرافيدا سفر الفقراء .
Vedanta	الفيدانتا ـ أجزاء من الأوبنشاد تشمل ستة مذاهب تهدف إلى إزالة الألم بواسطة اليوجا ـ والمصطلح يعنى في السنسكرتية «خاتمة الفيدا» .
Vegetarianism	النبـاتيون ــ مـذهب يعيش أصحـابه مـن نساك الهنـود على الخضروات والفواكه والحبوب ويحرمون اللحوم والأسماك والطيور، بينهم اختلافات كبيرة .
Venus	فينـوس إلهة الحب والجمال والجنس عند الـرومان هى نفسهـا أفروديت عند اليونان وهـى عشتار، أو اشتار في أساطير البابليين والسومريين .

Verethra	فيرتيرا ـ إلـه هندوسى، اسمـه يعنى الغلاف أو الغطـاء يقود مجموعة الآلهة المسماة بالديفاز.
Vertumnus	فيرتومنـوس ـ إلـه قديم في الديـانة الرومـانية ارتـبط اسـمه بتغير السنة وتفتح الأزهـار ثم ارتبط في النهاية بالالهة بـومونا Po-mona إلهة أشجار الفاكهة.
Vesta	فستا إلهة المدفأة أو الموقـد في الديانة الـرومانية القـديمة وهى نفسها الألهة هستيا عند اليونان ـ توجد عبادتها في كل منزل.
Vestal Virgins	عذارى فستا ـ ستة من العـذارى يعملن كاهنات للألهة فستا يـرتدين ثيـاباً بيضـاء ويقسمـن أن يبقين عـذارى في خدمـة الآلهة ثلاثين سنة.
Victoria	فيكتوريا ـ إلَهة الانتصار في الديانة الرومانية وهى نفسها الإلهة نيكى عند اليونان ـ كان يعبدها الجيش بصفة خاصة.
Vijnana	فيجنانـا سنسكرتية تعنى «المعرفـة» ـ مصطلح هام في بـوذية الهند.
Vijnana Vada	نظـرية فلسفيـة في الهندوسيـة تذهب إلى أن الـواقع الحقيقى الذي يـدركه الإنسـان لا وجـود له، بل هو أقـرب إلى الصور التى يدركها الراهب في تأملاته.
Vinaya	فينايا ـ نظام سلوك الراهبات في الدير في البوذية.
Vinaya Pitaka	مجمـوعـة الشرائع التى تنظم سلـوك الـرهبـات في الـديـر في البوذية.
Vindidad	الونديـداد ـ تعنى حرفياً القانون المضـاد للشياطين في الزراد ـ شتيـة وهي تشبه سفـر الـلاويين في العهد القـديم من حيث أنها تضع التعاليم التى يخضع لها رجال الكهنوت.
Vira	فيرا ــ سنسكـرتيـة تعنى البطل ــ تصنيف الأشخـاص تبعـا لكفاءتهم الروحية في الهندوسية.
Vira Shaiva	الفيراشيفا ـ هى نفسها فريق اللنجا (انظر المصطلح).
Vishnu	الإله فشنو ـ أحد الهين رئيسيين في الديـانة الهندوسية وتصوره الفيـدا على أنه قـزم صغير عبر الكـون بثـلاث خطوات عمـلاقـة (يشكل مع الإله شيفا الآلهة الرئيسية في الهندوسية إلى جانب الإلَهة شاكتى).
Vishtaspa	فشتاسبا ـ الحاكم المحلى الذي كان تلميذا لزرادشت.
Vishvakarman	فيشفاكـارمن ــ مهندس الآلهة في أساطير الهنـدوسية صـانع المدن وإله الحرفيين، وصانع الأسلحة والعربات الحربية.
Visundhi-magga	«الطـريق إلى النقاء أو الطهـارة» ــ كتـاب ألفًـه أحـد حكماء البوذية في القرن الخامس.
Vulcan	فـولكان ــ إلـه النيران والبراكين واللهب ــ لـه صفات الإلـه هفاستوس عند اليونان ـ عبادته قديمة عند الرومان.

- Y -

Yajura-Veda — يـاجورا فيـدا ـــ الفيـدا الهوائية أى المنسـوبـة إلى الهواء، وهى مجموعة من الترانيم المقدسة في الهندوسية .

Yak — ياك ـــ ثور يستخدم الهنـدوس ذيله في طقـوس العبادة داخل المعبد .

Yaksha — ياكشا ـ مجموعة من أرواح الطبيعة عادة ما تكون ذات علاقة حسنة بالإنسان ـ تختبىء في جذور الأشجار.

Yama — ياما ـ إله الموت عند بعض القبائل الآسيوية ـ وتقول الفيدا إنه أول إنسان مات ففتح طريق الفناء أمام البشر، وهو حارس منطقة الجنوب (منطقة الموت) .

Yama no Kami — آلهة الجبال في الديانة الشعبية اليابانية .

Yamabushi — يامابوشي تعني حرفياً «الواحد الذي ينام في الجبال» وهو إلـه كان يعمل مرشـدا للحجاج الذين يقومون بزيـارة الجبال المقدسة التى تسكنها آلهة الشنتو في اليابان .

Yashts — اليشتا ـ سفر المديح عند الـزرادشتين ـ إحدى وعشرون ترنيمة تتلى في مديح الملائكة المشرفين على أيام الشهور.

Yasma — اليسنا ـ سفر العبادة أو التسابيح عند الزرادشتين .

Yazatas — اليـازات ـــ الملائكـة الذيـن خلقهم أهـورا مزدا في الـديـانـة الـزرادشتيـة ليسـاعـدوه في حـربـه ضـد أهـرمـان وأعـوانـه من الشياطين .

Yellow hat — فرقة بوذية في التبت هى «نموذج الفضيلة» أطلق عليها ابتداء من القـرن السابع عشر إسم «أصحـاب القبعة الصفـراء» تشترط على الـراهب ان يكون أعـزب ـــ وتحـرم الخمـر واللحوم . تسميـة القبعة الصفراء أطلقها عليهم الغربيون لأنهم يضعون غطاء أصفر تمييزا لهم عن الصينيين الذين يضعون غطاء أحمر.

Yoga — يوجا (سنسكرتية معناهـا «النير» أو «الاتحاد) مدرسة هامة في الفلسفـة الهـنـدوسيـة أثـرت بقوة في الفكـر الهـنـدى، نصـوصهـا الأساسيـة هى «سوتـرا اليوجـا» جانبها العملى أهـم من النظرى، ضبط التنفس، الجلوس في وضع معين، الامتناع عن الجنس. . . إلخ .

Yogacara — ممارسة إتحاد اليوجـا ـ مدرسة مثالية في بوذية المهـايانا هاجمت المدارس البوذية الأخرى .

Yokigurashi — يوكى جوراشى أى الحياة الروحية المرحة التى تنتج من النظرية القائلة بأن الحياة وديعة من الله .

Yoni — يونا ـ رمز لعضو الجنس عند الأنثى (رمز للآلهة شاكتى زوجة

الإله شيفا في الهندوسية) وهذا الرمز مع «اللنجا» تعبر عن تلازم الجنسين إلى الأبد.

- Z-

Zaike Bukkyo — زيكى بوكيو ـ بوذية رجل الشارع ثورة ضد المغالاة في الكهنوتية تفرعت داخل مدرسة نشرين في اليابان.

Zen Buddhism — بوذية زن ـ أى بوذية التأمل مدرسة هامة في اليابان تذهب إلى أنها تمثل جوهر البوذية وهو الوصول إلى مرحلة الاستنارة التى بلغها بوذا الأكبر. كلمة Zen يابانية تعنى التأمل وهي نفسها كلمة شن Ch'en الصينية.

Zeus — زيوس ـ كبير الآلهة في أساطير اليونان (جوبتر عند الرومان) إله السماء والجو لا يخضع إلا لربات القدر ـ كان أبوه كرونوس يبتلع أبناءه لكن زوجته «ريا» أنقذت زيوس الذي قاد الآلهة والناس ـ كانت غرامياته كثيرة.

Ziggurat — زيجورة أو زقورة أو زكورة ـ تعنى المكان المرتفع ـ معبد هرمى على شكل مصاطب في بابل.

Zoroaster — زرادشت نبى الإيرانيين القدامى، قال إنه تلقى وحيا من أهورا مزدا إله الخير ليبشر بالحق.

Zoroastianism — الزرادشتية ـ الديانة التى أسسها زرادشت في إيران في القرن السادس ق.م. ذات ملامح ثنائية ـ يرئ البعض انها ديانة توحيد وأن «أهرمان» ليس إلها وإنما هو الشيطان أو إبليس.

Zurvan — زرفان ـ إله الزمان اللامتناهي عند الزرفانية وهو أيضا إله القدر الذي يحدد مصير البشر.

Zurvanism — الزرفانية ـ صورة معدلة من الزرادشتية ظهرت في فارس خلال الفترة الساسانية (من القرن الثالث إلى السابع الميلادى)، عندهم أن الزمان وحده هو اللامتناهى الأزلى غير المخلوق وهو مصدر كل شيء.

المؤلف في سطور

«جفري بـارندر» أستـاذ مقارنـة الأديان في جـامعة لنـدن. رسِّم قسيسـا في الكنيسة الإصـلاحيـة، قضى فترة طـويلـة في أفـريقيـا، كما طـاف بكثير من بلـدان الشرق الأوسط. درس الديانات المختلفة ونشر عنها أكثر من عشرين كتابا ترجم بعضها إلى سبع لغات منهـا: «الديانـات التقليدية في أفريقيـا»، «السحر في أوروبا وأفـريقيا»، «المسيح في القرآن»، «النفس التي لا تبلى»، «الإنسان وآلهته».

المترجم في سطور

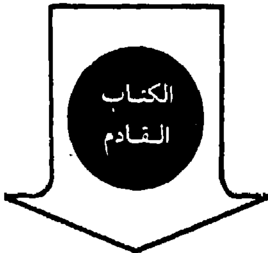
* أ. د إمام عبدالفتاح إمام
* رئيس قسم الفلسفة بجامعة الكويت عن عام ١٩٩٢.
* ولد بمحافظة الشرقية بمصر ـ نال درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٢.
* له عدد من المؤلفات منها: «المنهج الجدلي عند هيجل» ١٩٦٩ ـ كيركجور جـ١، جـ٢ (١٩٨٢ ــ ١٩٨٦) ــ تـومـاس هـوبـز (١٩٨٥) ودراسـات هيجليـة (١٩٨١).

والمترجمة منهـا: فلسفة هيجل (١٩٨٠) محاضرات في فلسفـة التـاريخ (١٩٨٠ ـ ١٩٨٤) وأصول فلسفة الحق (١٩٨٢) وفي هذه السلسلة تـرجم «الوجودية» عدد ٥٨ أكتوبر ١٩٨٢ ـ ومراجعة «الموت في الفكر الغربي» عدد ٧٦ ابريل ١٩٨٤.

المراجع في سطور

* د. عبدالغفار مكاوي
* من مواليد جمهورية مصر العربية عام ١٩٣٠
* حصل على الـدكتوراه في الفلسفـة والأدب الألماني الحديث من جـامعة فـرايبورج بألمانيـا عام ١٩٦٢.
* نشر أكثر من عشرين مسرحية.
* ونشر ثلاث مجموعات قصصية.
* ولـه في الفلسفـة: مـدرسـة الحكمـة، لم الفلسفة؟، المنقـذ ـ قـراءة لقلب أفـلاطون ونـداء الحقيقة وغيرهـا. وفي هذه السلسلـة «قصيـدة وصـورة» عـدد ١١٩، وتـرجمات لنصوص من أرسطو وكانط وهيدجر.

يعمل في الـوقت الحاضر أستـاذا بكليـة الآداب ـ قسم الفلسفة جامعة الكويت.



الهندسة الوراثية والأخلاق

تأليف:

ناهدة حسن البقصمي

صدر عن هذه السلسلة

١ـ الحضارة	تأليف : د/ حسين مؤنس	يناير ١٩٧٨
٢ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر	تأليف : د/ إحسان عباس	فبراير ١٩٧٨
٣ـ التفكير العلمي	تأليف : د/ فؤاد زكريا	مارس ١٩٧٨
٤ـ الولايات المتحدة والمشرق العربي	تأليف : / أحمد عبدالرحيم مصطفى	أبريل ١٩٧٨
٥ـ العلم ومشكلات الإنسان المعاصر	تأليف : د/ زهير الكرمي	مايو ١٩٧٨
٦ـ الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها	تأليف : د/ عزت حجازي	يونية ١٩٧٨
٧ـ الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية	تأليف : / محمد عزيز شكري	يوليو ١٩٧٨
٨ـ تراث الإسلام (الجزء الأول)	ترجمة : د/ زهير السمهوري تحقيق وتعليق : د/ شاكر مصطفى مراجعة : د/ فؤاد زكريا	أغسطس ١٩٧٨
٩ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	تأليف : د/ نايف خرما	سبتمبر ١٩٧٨
١٠ـ جحا العربي	تأليف : د/ محمد رجب النجار	أكتوبر ١٩٧٨
١١ـ تراث الإسلام (الجزء الثاني)	ترجمة : د/ حسين مؤنس، د/ إحسان العمد مراجعة : د/ فؤاد زكريا	نوفمبر ١٩٧٨
١٢ـ تراث الإسلام (الجزء الثالث)	ترجمة : د. حسين مؤنس، د/ إحسان العمد مراجعة : د/ فؤاد زكريا	ديسمبر ١٩٧٨
١٣ـ الملاحة وعلوم البحار عند العرب	تأليف : د/ أنور عبدالعليم	يناير ١٩٧٩
١٤ـ جمالية الفن العربي	تأليف : د/ عفيف بهنسي	فبراير ١٩٧٩
١٥ـ الإنسان الحائر بين العلم والخرافة	تأليف : د/ عبدالمحسن صالح	مارس ١٩٧٩
١٦ـ النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية	تأليف : د/ محمود عبدالفضيل	أبريل ١٩٧٩
١٧ـ الكون والثقوب السوداء	إعداد : رؤوف وصفي مراجعة : زهير الكرمي	مايو ١٩٧٩
١٨ـ الكوميديا والتراجيديا	ترجمة : د/ علي أحمد محمود مراجعة : د/ شوقي السكري، د/ علي الراعي	يونيو ١٩٧٩
١٩ـ المخرج في المسرح المعاصر	تأليف : / سعد أردش	يوليو ١٩٧٩

٢٠ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج	ترجمة حسن سعيد الكرمي مراجعة : صدقي حطاب	أغسطس ١٩٧٩
٢١ـ مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي	تأليف : د/ محمد على الفرا	سبتمبر ١٩٧٩
٢٢ـ البيئة ومشكلاتها	تأليف : رشيد الحمد د/ محمد سعيد صباريني	أكتوبر ١٩٧٩
٢٣ـ الرق	تأليف : د/ عبدالسلام الترمانيني	نوفمبر ١٩٧٩
٢٤ـ الإبداع في الفن والعلم	تأليف : د/ حسن أحمد عيسى	ديسمبر ١٩٧٩
٢٥ـ المسرح في الوطن العربي	تأليف : د/ علي الراعي	يناير ١٩٨٠
٢٦ـ مصر وفلسطين	تأليف : د/ عواطف عبدالرحمن	فبراير ١٩٨٠
٢٧ـ العلاج النفسي الحديث	تأليف : د/ عبدالستار ابراهيم	مارس ١٩٨٠
٢٨ـ أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي	ترجمة : شوقي جلال	أبريل ١٩٨٠
٢٩ـ العرب والتحدي	تأليف : د/ محمد عماره	مايو ١٩٨٠
٣٠ـ العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة	تأليف : د/ عزت قرني	يونيو ١٩٨٠
٣١ـ الموشحات الأندلسية	تأليف : د/ محمد زكريا عناني	يوليو ١٩٨٠
٣٢ـ تكنولوجيا السلوك الإنساني	ترجمة : د/ عبدالقادر يوسف مراجعة : د/ رجا الدريني	أغسطس ١٩٨٠
٣٣ـ الإنسان والثروات المعدنية	تأليف : د/ محمد فتحي عوض الله	سبتمبر ١٩٨٠
٣٤ـ قضايا أفريقية	تأليف : د/ محمد عبدالغني سعودي	أكتوبر ١٩٨٠
٣٥ـ تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠ـ ١٩٧٠)	تأليف : د/ محمد جابر الأنصاري	نوفمبر ١٩٨٠
٣٦ـ الحب في التراث العربي	تأليف : د/ محمد حسن عبدالله	ديسمبر ١٩٨٠
٣٧ـ المساجد	تأليف : د/ حسين مؤنس	يناير ١٩٨١
٣٨ـ تكنولوجيا الطاقة البديلة	تأليف : د/ سعود يوسف عياش	فبراير ١٩٨١
٣٩ـ ارتقاء الإنسان	ترجمة : د/ موفق شخاشيرو مراجعة : زهير الكرمي	مارس ١٩٨١
٤٠ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر	تأليف : د/ مكارم الغمري	أبريل ١٩٨١
٤١ـ الشعر في السودان	تأليف: د/ عبده بدوي	مايو ١٩٨١
٤٢ـ دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية	تأليف : د/ علي خليفة الكواري	يونيو ١٩٨١
٤٣ـ الإسلام في الصين	تأليف: فهمي هويدي	يوليو ١٩٨١
٤٤ـ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع	تأليف : د/ عبدالباسط عبدالمعطي	أغسطس ١٩٨١

٤٥ـ حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي	تأليف : د/ محمد رجب النجار	سبتمبر ١٩٨١
٤٦ـ دعوة إلى الموسيقا	تأليف : د/ يوسف السيسي	أكتوبر ١٩٨١
٤٧ـ فكرة القانون	ترجمة : سليم الصويص مراجعة : سليم بسيسو	نوفمبر ١٩٨١
٤٨ـ التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان	تأليف : د/ عبدالمحسن صالح	ديسمبر ١٩٨١
٤٩ـ صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي	تأليف : صلاح الدين حافظ	يناير ١٩٨٢
٥٠ـ التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية	تأليف : د/ محمد عبدالسلام	فبراير ١٩٨٢
٥١ـ السينما في الوطن العربي	تأليف : جان ألكسان	مارس ١٩٨٢
٥٢ـ النفط والعلاقات الدولية	تأليف : د/ محمد الرميحي	أبريل ١٩٨٢
٥٣ـ البدائية	ترجمة : د/ محمد عصفور	مايو ١٩٨٢
٥٤ـ الحشرات الناقلة للأمراض	تأليف : د/ جليل أبو الحب	يونيو ١٩٨٢
٥٥ـ العالم بعد مائتي عام	ترجمة : شوقي جلال	يوليو ١٩٨٢
٥٦ـ الإدمان	تأليف : د/ عادل الدمرداش	أغسطس ١٩٨٢
٥٧ـ البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية	تأليف : د/ أسامة عبدالرحمن	سبتمبر ١٩٨٢
٥٨ـ الوجودية	ترجمة : د/ إمام عبدالفتاح	أكتوبر ١٩٨٢
٥٩ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا	تأليف : د/ انطونيوس كرم	نوفمبر ١٩٨٢
٦٠ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الأول)	تأليف : د/ عبدالوهاب المسيري	ديسمبر ١٩٨٢
٦١ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الثاني)	تأليف : د/ عبدالوهاب المسيري	يناير ١٩٨٣
٦٢ـ حكمة الغرب	ترجمة : د/ فؤاد زكريا	فبراير ١٩٨٣
٦٣ـ الإسلام والاقتصاد	تأليف : د/ عبدالهادي علي النجار	مارس ١٩٨٣
٦٤ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة)	ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد	إبريل ١٩٨٣
٦٥ـ مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية	تأليف : عبدالعزيز بن عبد الجليل	مايو ١٩٨٣
٦٦ـ الإسلام والشعر	تأليف : د/ سامي مكي العاني	يونيو ١٩٨٣
٦٧ـ بنو الإنسان	ترجمة : زهير الكرمي	يوليو ١٩٨٣
٦٨ـ الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية	تأليف : د/ محمد موفاكو	أغسطس ١٩٨٣
٦٩ـ ظاهرة العلم الحديث	تأليف : د/ عبدالله العمر	سبتمبر ١٩٨٣
٧٠ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) القسم االأول	ترجمة : د/ علي حسين حجاج مراجعة : د/ عطيه محمود هنا	أكتوبر ١٩٨٣
٧١ـ الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي	تأليف : د/ عبدالمالك خلف التميمي	نوفمبر ١٩٨٣
٧٢ـ حكمة الغرب (الجزء الثاني)	ترجمة : د/ فؤاد زكريا	ديسمبر ١٩٨٣

٧٣ـ التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي	تأليف : د/ مجيد مسعود	يناير ١٩٨٤
٧٤ـ مشاريع الاستيطان اليهودي	تأليف : أمين عبدالله محمود	فبراير ١٩٨٤
٧٥ـ التصوير والحياة	تأليف : د/ محمد نبهان سويلم	مارس ١٩٨٤
٧٦ـ الموت في الفكر الغربي	ترجمة : كامل يوسف حسين	أبريل ١٩٨٤
	مراجعة : د/ إمام عبدالفتاح	
٧٧ـ الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا	تأليف : د/ أحمد عتمان	مايو ١٩٨٤
٧٨ـ قضاياالتبعية الإعلامية والثقافية	تأليف : د/ عواطف عبدالرحمن	يونيو ١٩٨٤
٧٩ـ مفاهيم قرآنية	تأليف : د/ محمد أحمد خلف الله	يوليو ١٩٨٤
٨٠ـ الزواج عند العرب (في الجاهلية والإسلام)	تأليف : د/ عبدالسلام الترمانيني	اغسطس ١٩٨٤
٨١ ـ الأدب اليوغسلافي المعاصر	تأليف : د/ جمال الدين سيد محمد	سبتمبر ١٩٨٤
٨٢ـ تشكيل العقل الحديث	ترجمة : شوقي جلال	أكتوبر ١٩٨٤
	مراجعة : صدقي حطاب	
٨٣ـ البيولوجيا ومصير الإنسان	تأليف : د/ سعيد الحفار	نوفمبر ١٩٨٤
٨٤ـ المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية	تأليف : د/ رمزي زكي	ديسمبر ١٩٨٤
٨٥ـ دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية	تأليف : د/ بدرية العوضي	يناير ١٩٨٥
٨٦ـ الإنسان وعلم النفس	تأليف : د/ عبدالستار إبراهيم	فبراير ١٩٨٥
٨٧ـ في تراثنا العربي الإسلامي	تأليف : د/ توفيق الطويل	مارس ١٩٨٥
٨٨ـ الميكروبات والإنسان	ترجمة : د/ عزت شعلان	أبريل ١٩٨٥
	مراجعة : د/ عبدالرزاق العدواني، د/ سمير رضوان	
٨٩ـ الإسلام وحقوق الإنسان	تأليف : د/ محمد عماره	مايو ١٩٨٥
٩٠ـ الغرب والعالم (القسم الأول)	تأليف : كافين رايلي	يونيو ١٩٨٥
	ترجمة : د/ عبدالوهاب المسيري، د/ هدى حجازي	
	مراجعة : د/ فؤاد زكريا	
٩١ـ تربية اليسر وتخلف التنمية	تأليف : د/ عبدالعزيز الجلال	يوليو ١٩٨٥
٩٢ـ عقول المستقبل	ترجمة : د/ لطفي فطيم	اغسطس ١٩٨٥
٩٣ـ لغة الكيمياء عند الكائنات الحية	تأليف : د/ أحمد مدحت إسلام	سبتمبر ١٩٨٥
٩٤ـ النظام الإعلامي الجديد	تأليف : د/ مصطفى المصمودي	أكتوبر ١٩٨٥

٩٥ ـ تغيّر العالم	تأليف : د/ أنور عبدالملك	نوفبر ١٩٨٥
٩٦ ـ الصهيونية غير اليهودية	تأليف : ريجينا الشريف	ديسمبر ١٩٨٥
	ترجمة : أحمد عبدالله عبدالعزيز	
٩٧ ـ الغرب والعالم (القسم الثاني)	تأليف : كافين رايلي	يناير ١٩٨٦
	ترجمة : د/ عبدالوهاب المسيري، د/ هدى حجازي	
	مراجعة : د/ فؤاد زكريا	
٩٨ ـ قصة الأنثروبولوجيا	تأليف : د/ حسين فهيم	فبراير١٩٨٦
٩٩ ـ الأطفال مرآة المجتمع	تأليف : د/ محمد عماد الدين إسماعيل	مارس ١٩٨٦
١٠٠ ـ الوراثة والإنسان	تأليف : د/ محمد علي الربيعي	أبريل ١٩٨٦
١٠١ ـ الأدب في البرازيل	تأليف : د/ شاكر مصطفى	مايو ١٩٨٦
١٠٢ ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية	تأليف : د/ رشاد الشامي	يونيو ١٩٨٦
١٠٣ ـ التنمية في دول مجلس التعاون	تأليف د/ محمد توفيق صادق	يوليو ١٩٨٦
١٠٤ ـ العالم الثالث وتحديات البقاء	تأليف جاك لوب	أغسطس ١٩٨٦
	ترجمة : أحمد فؤاد بلبع	
١٠٥ ـ المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي	تأليف : د/ إبراهيم عبد الله غلوم	سبتمبر ١٩٨٦
١٠٦ ـ «المتلاعبون بالعقول»	تأليف : هربرت . أ . شيللر	أكتوبر ١٩٨٦
	ترجمة : عبدالسلام رضوان	
١٠٧ ـ الشركات عابرة القومية	تأليف : د/ محمد السيد سعيد	نوفمبر ١٩٨٦
١٠٨ ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) (الجزء الثاني)	ترجمة : د/ علي حسين حجاج	ديسمبر ١٩٨٦
	مراجعة : د/ عطية محمود هنا	
١٠٩ ـ العملية الإبداعية في فن التصوير	تأليف : د/ شاكر عبدالحميد	يناير ١٩٨٧
١١٠ ـ مفاهيم نقدية	ترجمة : د/ محمد عصفور	فبراير ١٩٨٧
١١١ ـ قلق الموت	تأليف : د/ أحمد محمد عبدالخالق	مارس ١٩٨٧
١١٢ ـ العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث	تأليف : د/ جون . ب . ديكنسون	أبريل ١٩٨٧
	ترجمة : شعبة الترجمة باليونسكو	
١١٣ ـ الفكر التربوي العربي الحديث	تأليف : د/ سعيد إسماعيل علي	مايو ١٩٨٧
١١٤ ـ الرياضيات في حياتنا	ترجمة : د/ فاطمة عبدالقادر الما	يونيو ١٩٨٧

١١٥ ـ معالم على طريق تحديث الفكر العربي	تأليف : د/ معن زيادة	يوليو ١٩٨٧
١١٦ ـ أدب أميركا اللاتينية قضايا ومشكلات (القسم الأول)	تنسيق وتقديم : سيزار فرناندث مورينو ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد مراجعة : د/ شاكر مصطفى	أغسطس ١٩٨٧
١١٧ ـ الأحزاب السياسية في العالم الثالث	تأليف : د/ أسامة الغزالي حرب	سبتمبر ١٩٨٧
١١٨ ـ التاريخ النقدي للتخلف	تأليف : د/ رمزي زكي	أكتوبر ١٩٨٧
١١٩ ـ قصيدة وصورة	تأليف : د/ عبدالغفار مكاوي	نوفمبر ١٩٨٧
١٢٠ ـ سيكولوجية اللعب	تأليف : د/ سوزانا ميلر ترجمة : د/ حسن عيسى مراجعة : د/ محمد عماد الدين إسماعيل	ديسمبر ١٩٨٧
١٢١ ـ الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم	تأليف : د/ رياض رمضان العلمي	يناير ١٩٨٨
١٢٢ ـ أدب أميركا اللاتينية (القسم الثاني)	تنسيق وتقديم : سيزار فرناندث مورينو ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد مراجعة : د/ شاكر مصطفى	فبراير ١٩٨٨
١٢٣ ـ ثقافة الأطفال	تأليف : د/ هادي نعمان الهيتي	مارس ١٩٨٨
١٢٤ ـ مرض القلق	تأليف : د/ دافيد . ف . شيهان ترجمة : د/ عزت شعلان مراجعة : د/ أحمد عبدالعزيز سلامة	أبريل ١٩٨٨
١٢٥ ـ طبيعة الحياة	تأليف : فرانسيس كريك ترجمة : د/ أحمد مستجير مراجعة : د/ عبد الحافظ حلمي	مايو ١٩٨٨
١٢٦ ـ اللغات الأجنبية (تعليمها وتعلمها)	تأليف : د/ نايف خرما د/ علي حجاج	يونيو ١٩٨٨
١٢٧ ـ اقتصاديات الإسكان	تأليف : د/ إسماعيل إبراهيم درة	يوليو ١٩٨٨
١٢٨ ـ المدينة الإسلامية	تأليف : د/ محمد عبدالستار عثمان	أغسطس ١٩٨٨
١٢٩ ـ الموسيقا الأندلسية المغربية	تأليف : عبدالعزيز بن عبدالجليل	سبتمبر ١٩٨٨
١٣٠ ـ التنبؤ الوراثي	تأليف : د/ زولت هارسيناي ريتشارد هتون ترجمة : د/ مصطفى إبراهيم فهمي مراجعة : د/ مختار الظواهري	أكتوبر ١٩٨٨

١٣١ ـ مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الاسلام	تأليف : د/ أحمد سليم سعيدان	نوفمبر ١٩٨٨
١٣٢ ـ أوروبا والتخلف في أفريقيا	تأليف : د/ والتر رودني ترجمة : د/ أحمد القصير مراجعة : د/ إبراهيم عثمان	ديسمبر ١٩٨٨
١٣٣ ـ العالم المعاصر والصراعات الدولية	تأليف : د/ عبدالخالق عبدالله	يناير ١٩٨٩
١٣٤ ـ العلم في منظوره الجديد	تأليف : روبرت م . اغروس جورج ن . ستانسيو ترجمة : د/ كمال خلايلي	فبراير ١٩٨٩
١٣٥ ـ العرب واليونسكو	تأليف : د/ حسن نافعة	مارس ١٩٨٩
١٣٦ ـ اليابانيون	تأليف : إدوين رايشاور ترجمة : ليلى الجبالي مراجعة : شوقي جلال	أبريل ١٩٨٩
١٣٧ ـ الاتجاهات التعصبية	تأليف : د/ معتز سيد عبدالله	مايو ١٩٨٩
١٣٨ ـ أدب الرحلات	تأليف : د/ حسين فهيم	يونيو ١٩٨٩
١٣٩ ـ المسلمون والاستعمار الاوروبي لأفريقيا	تأليف : عبدالله عبدالرزاق ابراهيم	يوليو ١٩٨٩
١٤٠ ـ الانسان بين الجوهر والمظهر (نتملك أو نكون)	تأليف : إريك فروم ترجمة : سعد زهران مراجعة : د/ لطفي فطيم	أغسطس ١٩٨٩
١٤١ ـ الأدب اللاتيني (ودوره الحضاري)	تأليف : د/ أحمد عتمان	سبتمبر ١٩٨٩
١٤٢ ـ مستقبلنا المشترك	إعداد : اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ترجمة : محمد كامل عارف مراجعة : علي حسين حجاج	أكتوبر ١٩٨٩
١٤٣ ـ الريف في الرواية العربية	تأليف : د/ محمد حسن عبدالله	نوفمبر ١٩٨٩
١٤٤ ـ الإبداع العام والخاص	تأليف : الكسندرو روشكا ترجمة : د/ غسان عبدالحي أبو فخر	ديسمبر ١٩٨٩
١٤٥ ـ سيكولوجية اللغة والمرض العقلي	تأليف : د/ جمعة سيد يوسف	يناير ١٩٩٠
١٤٦ ـ حياة الوعي الفني (دراسات في تاريخ الصورة الفنية)	تأليف : غيورغي غانشف ترجمة : د/ نوفل نيوف مراجعة : د/ سعد مصلوح	فبراير ١٩٩٠
١٤٧ ـ الرأسمالية تجدد نفسها	تأليف : د/ فؤاد مُرسي	مارس ١٩٩٠

١٤٨ ـ علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية	تأليف : ستيفن روز وآخرين ترجمة : د/ مصطفى إبراهيم فهمي مراجعة : د/ محمد عصفور	أبريل ١٩٩٠
١٤٩ ـ ماهية الحروب الصليبية	تأليف : د/ قاسم عبده قاسم	مايو ١٩٩٠
١٥٠ ـ حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي «الجوانب البيئية والتكنولوجية والسياسية»	(برنامج الأمم المتحدة للبيئة) ترجمة : عبد السلام رضوان	يونيو ١٩٩٠
١٥١ ـ تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية	تأليف : د/ شوقي عبد القوي عثمان	يوليو ١٩٨٩
١٥٢ ـ التلوث مشكلة العصر	تأليف : د/ أحمد مدحت إسلام	أغسطس ١٩٩٠

(ظهر هذا العدد في أغسطس ١٩٩٠، وانقطعت السلسلة بسبب العدوان الغاشم، ثم استؤنفت في شهر سبتمبر ١٩٩١ بالعدد ١٥٣)

١٥٣ ـ الكويت والتنمية الثقافية العربية	تأليف : د/ محمد حسن عبدالله	سبتمبر ١٩٩١
١٥٤ ـ النقطة المتحولة : أربعون عاما في استكشاف المسرح	تأليف : بيتر بروك ترجمة : فاروق عبدالقادر	أكتوبر ١٩٩١
١٥٥ ـ مؤثرات عربية وإسلامية في الادب الروسي	تأليف : د/ مكارم الغمري	نوفمبر ١٩٩١
١٥٦ ـ الفصامي : كيف نفهمه ونساعده، دليل للأسرة والأصدقاء	تأليف : سيلفانو آرتي ترجمة : د/ عاطف أحمد	ديسمبر ١٩٩١
١٥٧ ـ الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي	تأليف : د/ زينات البيطار	يناير ١٩٩٢
١٥٨ ـ مستقبل النظام العربي بعد ازمة الخليج	تأليف : د/ محمد السيد سعيد	فبراير ١٩٩٢
١٥٩ ـ فكرة الزمان عبر التاريخ	ترجمة : فؤاد كامل عبدالعزيز مراجعة : شوقي جلال	مارس ١٩٩٢
١٦٠ ـ ارتقاء القيم (دراسة نفسية)	تأليف : د/ عبداللطيف محمد خليفة	أبريل ١٩٩٢
١٦١ ـ أمراض الفقر (المشكلات الصحية في العالم الثالث)	تأليف : د/ فيليب عطية	مايو ١٩٩٢
١٦٢ ـ القومية في موسيقا القرن العشرين	تأليف : د/ سمحة الخولي	يونيو ١٩٩٢
١٦٣ ـ أسرار النوم	تأليف : الكسندر بوربلي ترجمة : د/ أحمد عبدالعزيز سلامة	يوليو ١٩٩٢
١٦٤ ـ بلاغة الخطاب وعلم النص	تأليف : د/ صلاح فضل	أغسطس ١٩٩٢
١٦٥ ـ الفلسفة المعاصرة في أوربا	تأليف : إ.م. بوشنسكي ترجمة : د/ عزت قرني	سبتمبر ١٩٩٢

١٦٦ـ الأمومة : نمو العلاقات بين الطفل والأم	تأليف : د/ فايز قنطار	أكتوبر ١٩٩٢
١٦٧ـ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا	تأليف د/ محمود المقداد	نوفمبر ١٩٩٢
١٦٨ ـ بنية الثورات العلمية	تأليف : توماس كون ترجمة : شوقي جلال	ديسمبر ١٩٩٢
١٦٩ ـ تاريخ الكتاب (القسم الاول)	تأليف : د/ الكسندر ستيبشفيتش ترجمة : د/ محمد م. الأرناؤوط	يناير ١٩٩٣
١٧٠ ـ تاريخ الكتاب (القسم الثاني)	تأليف : د/ الكسندر ستيبشفيتش ترجمة : د/ محمد م. الأرناؤوط	فبراير ١٩٩٣
١٧١ ـ الأدب الافريقي	تأليف : د/ علي شلش	مارس ١٩٩٣
١٧٢ ـ الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله	تأليف : آلان بونيه ترجمة : د/ علي صبري فرغلي	أبريل ١٩٩٣



سلسلة عالم المعرفة

عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت ـ وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير عام ١٩٧٨ .

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارىء بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة. ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفاً وترجمة :

١ ـ الدراسات الإنسانية : تاريخ ـ فلسفة ـ أدب الرحلات ـ الدراسات الحضارية ـ تاريخ الافكار.

٢ ـ العلوم الاجتماعية : اجتماع ـ اقتصاد ـ سياسة ـ علم نفس ـ جغرافيا ـ تخطيط ـ دراسات استراتيجية ـ مستقبليات .

٣ ـ الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي ـ الآداب العالمية ـ علم اللغة .

٤ ـ الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن ـ المسرح ـ الموسيقا ـ الفنون التشكيلية والفنون الشعبية .

٥ ـ الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء ، كيمياء ، علم الحياة ، فلك) ـ الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم) والدراسات التكنولوجية . أما بالنسبة لنشر الأعمال الإبداعية ـ المترجمة أو المؤلفة ـ من شعر وقصة ومسرحية فأمر غير وارد في الوقت الحالي .

وتحرص سلسلة عالم المعرفة على ان تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين، على أن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته، وفي حالة الترجمة ترسل صفحة الغلاف والمحتويات، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب. وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع / المؤلف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألف دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل خمسة عشر فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي أو تسعمائة دينار أيهما أكثر بالإضافة إلى مائة وخمسين دينارا كويتياً مقابل تقديم المخطوطة ـ المؤلفة و المترجمة ـ من نسختين مطبوعتين على الآلة الكاتبة.



وكالات التوزيع في الوطن العربي

اسم الشركة	الدولة	العنوان
مؤسسة الأهرام	مصر	القاهرة ـ شارع الجلاء تلفون: ٧٥٥٥٠٠ ـ ٧٤٥٦٦٦
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سوريا	دمشق ـ ص.ب: ١٢٠٣٥ تلفون : ٢٢٣٧٧٢
الشركة الشريفية للتوزيع	المغرب	الدار البيضاء ـ ص.ب : ١٣/٦٨٣ تلفون : ٤٠٠٢٢٣
الشركة العربية للتوزيع	لبنان	بيروت ـ ص.ب ١١/٤٢٢٨ تلفون : ٨٦٤٦٦٢ ـ ٣٤٣١٤٥
الشركة التونسية للتوزيع	تونس	تونس ـ ص.ب : ٤٤/٢٢ تلفون: ٢٤٢٤٩٩
الشركة السعودية للتوزيع	السعودية	جدة ـ ص.ب : ١٣١٩٥ تلفون: ٦٦٩٤٧٠٠ ـ ٦٥٥٠٢١ الرياض ـ تلفون: ٤٩١٦٧٤١ الدمام ـ تلفون : ٨٢٧٦٢٦٢
وكالة التوزيع الأردنية	الأردن	عمان ـ ص.ب : ٣٧٥ تلفون: ٦٢٧٦٤٤
دار المسيرة للطباعة والنشر	الإمارات	أبوظبي ـ ص.ب : ٤٦٦٧٥ تلفون: ٣٣٨٢٨٥
دار الثقافة للطباعة والصحافة	قطر	الدوحة ـ ص.ب ٣٢٣ تلفون: ٤١٤١٨٢ ـ ٤١٣٩٤٢
الشركة العربية للوكالات والتوزيع	البحرين	المنامة ـ ص.ب : ١٥٦ تلفون: ٢٥٥٧٠٦
مكتبة دار الحكمة	الإمارات	دبي ـ ص.ب: ٢٠٠٧ تلفون: ٢٣١٤٧٢
المتحدة لخدمة وسائل الإعلام	عمان	روي ـ ص.ب ٦٣٠٥ تلفون: ٧٠٠٨٩٥
الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات	الكويت	ص.ب: ٦٥٨٨ حولي 32040 تلفون: ٢٤١٢٨٢٠/٢٤٢١٤٦٨

الاشتراك السنوي: وهو مقصور على الفئات التالية:

● المؤسسات والهيئات داخل الكويت	١٠	دنانير كويتية
● المؤسسات والهيئات في الوطن العربي	١٢	ديناراً كويتيا
● المؤسسات والهيئات خارج الوطن العربي	٨٠	دولارا أمريكيا
● الأفراد خارج الوطن العربي	٤٠	دولارا أميركيا

الاشتراكات:

ترسل باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص . ب : ٢٣٩٩٦ الصفاة/ الكويت ـ 13100

برقيا: ثقف ـ تلكس: ٤٤٥٥٤ TLX. NO. 44554 NCCAL

فاكسميلي: ٤٨٧٣٦٩٤

طبع من هذا الكتاب أربعون ألف نسخة

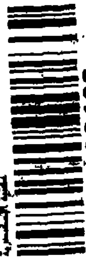
مطابع السياسة ـ الكويت

هــذا الكتاب

يعالج هذا الكتاب المعتقدات الدينية بين شعوب العالم من أقدم العصور إلى العصر الحاضر. والفكرة الرئيسية التي يؤكدهـا أنه لاتوجد جماعة بشرية، مهما تكن بدائية، ليس لديها أفكار عن مـوجودات تعلو على الطبيعة يعتمد الإنسـان في وجوده عليهـا. فإذا كـانت الـديانـات البـدائية تمثل المعتقـدات البسيطـة، كما هي الحال عند قبـائل الصيد وجـامعي الطعام، فإن الكتـاب يتنـاول الحضارات المبكـرة في الشرق الأدنى القـديم حيث أصبح الدين أكثـر تنظيما، ثم في الحضـارات المصريـة، واليونـانيـة، والـرومانيـة، حيث تظهـر الطقوس المعقـدة، وطبقة الكهنـة ونظام الدفن كما تظهـر الأفكار الأخـلاقية المختلفة.

كذلك يعـرض الكتاب لديـانات الهنـد: الهندوسية، والسيخ، والبـوذية محللا أفكارها الأساسية عارضا لتطـورها وانتشارها في آسيا (على نحو ماحدث للبوذية في الصين واليابان) ومسايرا هذا التطور حتى العصر الحاضر.

وهــو يـــذكرنا بالمــوسوعات الــدينيــة في تراثــنا «المــلل والنــحل» للشهـرستـاني، و«الفِصَل»، لابن حـزم، و «تحقيق مـا للهنـد من مقـولـة» للبيروني، وغيرهـــا من أمهــات الكتب التي عــالجت معتقـدات الشعــوب الدينية.



سعر النسخة

الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	دينار واحد	اليمن	
السعودية	١٢ ريال	المغرب	١٥ درهما	السودان	
الأردن	دينار واحد	تونس	دينار ونصف	البحرين	
سوريا	٥٠ ليرة	الجزائر	٢٠ دينارا	قطر	
لبنان	٢٠٠٠ ليرة	مصر	جنيهان	عمان	
				الامارات المتحدة	